

دكتور

يونسان لبيب رزق

تاريخ الوزارات المصرية

١٨٧٨ - ١٩٥٣



تاريخ الوزارات المصرية

١٨٧٨ - ١٩٥٣

أ. د. يونان لبیب رزق

الطبعة الثانية ١٩٩٨



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

مقدمة الطبعة الثانية

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبل نحو ربع قرن، كان الهدف منها وضع أساس الكتابة فى ميدان من الدراسات التاريخية قلما خاض فيه أحد المشتغلين بها من قبل.

الميدان الذى نعينه هو ميدان الكتابة فى «تاريخ المؤسسات»، وهو يختلف عن الكتابة فى التاريخ السياسى أو التاريخ الاجتماعى اللذين أنجز الباحثون فيهما أعمالاً عديدة وكبيرة قبل صدور هذا الكتاب وبعده.

ولعل الكتابة فى تاريخ المؤسسات المصرية، يتميز عن الدراسات التى تمت فى الفروع الأخرى أنه ليس دراسة سياسية خالصة أو دراسة اجتماعية خالصة أو حتى دراسة إدارية خالصة، فهو يجمع بين كل تلك الميادين، مما يشكل لونا من الصعوبة فى تناوله غير أنه يوفر متعة خاصة لكاتبه، وفى ذات الوقت لقارئه، بحكم ما يجمعه من مزيج من كل تلك الميادين!

وفى تقديرنا أن الدعوة التى تضمنها هذا الكتاب لدى صدوره للعناية بهذا الفرع من فروع الكتابة التاريخية قد لقيت استجابة لا بأس بها، فقد صدر عدد من المؤلفات ووضع عدد من الرسائل فى تاريخ بعض الوزارات، وقد حظيت الخارجية بأكثر نصيب فى هذا الصدد، كما صدر أيضاً عدد من الأعمال التى تتبع تاريخ المؤسسات العلمية، ونركز هنا على وجه التحديد على تلك الأعمال التى تناولت تاريخ الجامعة

المصرية، وعرفت المكتبة التاريخية إبان نفس الفترة دراسات متعددة عن المؤسسات الأهلية، سواء كانت خيرية مثل الجمعية الخيرية الإسلامية أو جمعية التوفيق القبطية، أو علمية مثل الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

على الجانب الآخر وفر هذا الكتاب لدى صدورهِ عملاً مرجعياً يمكن أن يعود إليه سائر المهتمين بالكتابة التاريخية، سواء من القراء المهتمين بتاريخ وطنهم، بحكم ما تضمنه من صورة بانورامية تشفى رغبتهم في معرفة التاريخ المصري لفترة ثلاثة أرباع القرن، أو من الباحثين في حقل الدراسات الأكاديمية، حتى أننا لا نكاد نجد عملاً علمياً صدر خلال تلك السنوات في تاريخ مصر الحديث، وقد خلا ثبت مصادره من هذا المرجع.

ولعل توثيق هذا الكتاب على نحو واسع، خاصة بالوثائق الإنجليزية المستمدة من أوراق وزارة الخارجية البريطانية، فضلاً عن التزامه الصارم بالمنهج العلمي، دون أن يفقده ذلك أى قدر من جاذبيته، قد أغرى القراء على الإقبال عليه، الأمر الذى أدى إلى نفاد طبعته الأولى خلال وقت قياسى، إذا ما وضعنا فى الاعتبار أنه عمل من الوزن الثقيل.

غير أن تأخرنا فى إصدار الطبعة الثانية من الكتاب خلال الفترة الطويلة السابقة، نتيجة لما نتحمله من أعباء، قد أغرى البعض على التوسع فى النقل من هذا العمل ونسبة ما ينقلون إلى أنفسهم، معتمدين فى ذلك على أنه لم يعد متوفراً للقراء الباحثين عنه.

ومع أننا قد حاولنا طوال هذا الوقت أن نتغاضى عن مثل تلك الأعمال انطلاقاً من قناعة أنه لا يصح فى النهاية إلا الصحيح، غير أنه مع التوسع فى عمليات النقل وتعدددها، ولن نسميها بأكثر من ذلك، قد وضع على عاتقنا واجباً أدبياً بإعطاء الأولوية بتوفير العمل الأصلى فى أيدي القراء، وهو ما نفعله بإصدار هذه الطبعة، التى نأمل أن تلقى من القارئ نفس الاهتمام الذى لقيته الطبعة الأولى.

وعلى الله قصد السبيل

دكتور يونان لبيب رزق

المحتويات

٥	تقديم
٧	دراسة تمهيدية
٩	نشأة الوزارة وتطورها
١٦	الوزارة — الأبعاد السياسية
٣٢	الوزارة — المنطلقات الاجتماعية
٤٢	الوزارة — المؤسسة الدستورية
٥١	الباب الأول : النظارة في عهد التدخل الأجنبي ١٨٧٨ — ١٨٨٢
٥١	الفصل الأول : النظارة وعصر اسماعيل
٧١	الفصل الثاني : توفيق والنظارة المصرية
٨٧	الفصل الثالث : النظارة بين الثورة العربية والسلطة الخديوية
١٠٩	الباب الثاني : النظارة في ظل الاحتلال ١٨٨٢ — ١٩١٤
١٠٩	الفصل الأول : عهد الاستسلام ١٨٨٢ — ١٨٩٢
١٢٩	الفصل الثاني : عهد الشقاق الأول ١٨٩٢ — ١٩٠٧
١٤٧	الفصل الثالث : عهد الوفاق ١٩٠٧ — ١٩١١
١٦٣	الفصل الرابع : عهد الشقاق الثاني ١٩١١ — ١٩١٤
١٨٣	الباب الثالث : الوزارة تحت الحماية ١٩١٤ — ١٩٢٢
١٨٣	الفصل الأول : الوزارة أثناء الحرب العالمية الأولى
١٩٩	الفصل الثاني : ثورة ١٩١٩ والوزارة
١٢١	الفصل الثالث : بداية عهد الوزارة السياسية
٢٣٧	الباب الرابع : وزارات عهد الملك فؤاد ١٩٢٢ — ١٩٣٦
٢٣٧	الفصل الأول : نحو دستور ١٩٢٣

٢٥٩	الفصل الثانى : الوزارة الشعبية ١٩٢٤
٢٧٧	الفصل الثالث : الوزارات الملكية — التجربة الاولى (١٩٢٤ — ١٩٢٦)
٢٩٣	الفصل الرابع : وزارات الائتلاف الوفدية (١٩٢٦ — ١٩٢٨)
٣١٩	الفصل الخامس : وزارات اليد القوية (١٩٢٨ — ١٩٢٩)
٣٣٥	الفصل السادس : الوزارات الدستورية — المرحلة الثانية ١٩٢٩ — ١٩٣٠
٣٤٩	الفصل السابع : دستور ١٩٣٠ والوزارات الملكية — التجربة الثانية (١٩٣٠ — ١٩٣٤)
٣٦٩	الفصل الثامن : الوزارات الدستورية — المرحلة الثالثة (١٩٣٤ — ١٩٣٧)

الباب الخامس : وزارات عهد الملك فاروق :

٣٨٧	الفصل الاول : استمرار المرحلة الثالثة من عهد الوزارات الدستورية يولية — ديسمبر ٣٧
٤٠٥	الفصل الثانى : وزارات الائتلاف اللاوفدية — المرحلة الاولى (١٩٣٧ — ١٩٤٢)
٤٣٣	الفصل الثالث : وزارات ٤ فبراير (١٩٤٢ — ١٩٤٤)
٤٥٧	الفصل الرابع : وزارات الائتلاف اللاوفدية — المرحلة الثانية (١٩٤٤ — ١٩٤٩)
٤٧٥	الفصل الخامس : محاولات الوزارة القومية
٤٩٥	الفصل السادس : عودة الوفد الأخيرة (١٩٤٩ — ١٩٥٢)
٥١١	الفصل السابع : وزارات الاحتضار (يناير — يوليو ١٩٥٢)

— من عهد الى عهد : وزارات عهد الوصاية (يولية ٥٢ — يونية ١٩٥٣)

تقديم

جرت في السنوات الأخيرة محاولات جادة تهدف الى اعادة تقييم تاريخ مصر المعاصر . ولقد كانت مبادرة وزارة الثقافة بإنشاء دار للوثائق التاريخية القومية سنة ١٩٥٤ ، ودعوتها للسياسيين القدامى لموافاتها بمذكراتهم وانطباعاتهم عن الاحداث التي عاشوها أو شاركوا فيها ، كانت تلك المبادرة خطوة هامة في سبيل « جمع شتات الوثائق القديمة وترتيبها ترتيبا علميا ييسر على المؤرخين البحث فيها والاطلاع عليها » فالتاريخ في مفهومه العلمى — كما قال أحد الكتاب الفرنسيين — هو في المقام الأول معرفة الحقائق مسندة الى دراسة متعمقة للوثائق .

واسهاما من مركز الدراسات الاستراتيجية « بالأهرام » في هذا الميدان فقد عن له أن يقوم بدراسة حقبة من تاريخ مصر ، من خلال تاريخ الوزارات المصرية ، في الفترة من ١٨٧٨ أول عهد الوزارة المسئولة ، الى سنة ١٩٥٣ آخر عهد الملكية والانتقال الى نظام الجمهورية .

والدراسة التى يقدمها المركز اليوم ، تقوم أساسا على الوثائق البريطانية والكتب والمذكرات والمراجع المصرية المعتمدة .

ولقد تداخلت في اعداد هذا المشروع ، الذى استغرق أربع سنوات ، عوامل متباينة منها ما هو مثبت ، ومنها ما هو مشجع ..

من عوامل التشبيط :

١ — امتداد المسطح الزمنى للموضوع (٧٥ سنة) على نحو قد لا يسمح بالتحرك بالعمق ، مما يسلب الدراسة أهم مقوماتها العلمية ، ولذا فقد التزمنا بتاريخ الوزارات ، دون الانزلاق الى غيره من جوانب التاريخ المصرى .

٢ — تعذر الحصول على الوثائق المصرية ، وقد كنا ومازلنا نطمح في الاطلاع عليها ، رغبة في عقد مقارنة صحيحة بينها وبين ما يقابلها من الوثائق البريطانية . على أن للوثائق الأخيرة أهميتها فى التأريخ لتلك الحقبة ، فقد كانت انجلترا فى ذلك الوقت ، تؤثر فى مجرى الحياة السياسية فى مصر وبخاصة فى قيام الوزارات واسقاطها . وقد ذكر لورد كرومر فى إحدى كتاباته « نحن لا نحكم مصر ولكننا نحكم الذين يحكمون مصر » ..

ومن عوامل التشجيع :

١ — وفرة الوثائق وخاصة البريطانية ، التى قام المركز بجمعها وتصويرها عن دور الوثائق فى الداخل والخارج ، على نحو ربما لم يتح لباحث فى تاريخ مصر الحديث من قبل . وقد نشر « الأهرام » فى مارس سنة ١٩٦٩ مقتطفات منها وصدر بها كتاب « خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ » .

٢ — وجود شاهد ، عايش جزءا من تاريخ الوزارات المصرية ، وشارك فى أحداثها خلال السنوات العشرة الأخيرة (١٩٤٢ — ١٩٥٢) وهى الفترة التى لم تتناولها الوثائق بدرجة كافية .

وبعد ، فأننا لم نجد حاجة لعمل كشف لمحتويات هذا الكتاب ، اكتفاء بما سبقنا اليه ، مشكورا ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بوزارة الثقافة ، من نشر سجل كامل شامل ، لنصوص المراسيم والأوامر الملكية ، وبه مجموعة فهرس منسقة ..

.. ونحن اذ نقدم ثمرة هذه الدراسة الى القارئ العربى نأمل أن يكون حافظا للباحثين والمؤرخين لتقديم مزيد من الكتابات المتخصصة فى هذا الموضوع .

والله ولى التوفيق

د. يونان لبيب رزق حسن يوسف

يوليو ١٩٧٥

دراسة تمهيدية

- — نشأة الوزارة وتطورها .
- — الوزارة — الأبعاد السياسية .
- — الوزارة — المنطلقات الاجتماعية .
- — الوزارة — المؤسسة الدستورية .

تستلزم المتابعة التاريخية لحركة « النظارات والوزارات المصرية » على طول امتداد زمنى يبلغ ثلاثة أرباع القرن دراسة الأوضاع التالية :

- ١ — منشأ الوزارة المصرية وتطورها .
- ٢ — وضع الوزارة ككائن سياسى يتعامل مع غيره من القوى السياسية يتأثر بها وتؤثر فيه .
- ٣ — بحث فى « هوية الوزارة المصرية » أو بمعنى آخر رد هذه الوزارة الى أصولها الاجتماعية باعتبارها كائنا اجتماعيا لا يمكن فصله عن « الوسط » الاجتماعى الذى نشأ فيه .
- ٤ — تحديد موقع الوزارة « كمؤسسة دستورية » تتعامل مع غيرها من المؤسسات الدستورية وبالذات المجالس النيابية أو الشبيهة بالنيابية التى شهدت مصر على امتداد تلك الفترة .

أولا — نشأة الوزارة (النظارة) المصرية وتطورها :

ترتبط هذه النشأة بالجهاز البيروقراطى الذى أسسه محمد على فى مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فقد شغلت مجموعة من الإدارات التنفيذية الجانب الأهم من هذا الجهاز . تلك الإدارات التى أطلق عليها مع نشأتها اسم « الدواوين » .

وقد تأسست تلك الدواوين تبعا للاحتياجات الإدارية ديوان بعد آخر حتى عام ١٨٣٧ حين تم التنظيم النهائى لها بعد صدور « قانون السياسة (١) » فى تلك السنة .

تضمن القانون المذكور توصيف دواوين سبعة كانت على الوجه الآتى :

- ١ — الديوان الخديوى (الداخلية) .
- ٢ — ديوان كافة الإيرادات .
- ٣ — ديوان الجهادية .
- ٤ — ديوان البحر .

(١) نص هذا القانون فى : احمد نتقى زغلول : المحاماة ، القاهرة ١٩٠٠ ، الملحقات ص ٤ — ص ٢٦ .

٥ — ديوان المدارس .

٦ — ديوان الأمور الأفرنكية والتجارة المصرية .

٧ — ديوان الفاوريقات (٢) .

ومن هذه الدواوين نشأ النظام النظاري في مصر ، فقد شهدت السنوات التالية لصدور قانون السياساتنامة تحول الدواوين الى نظارات وهذا التحول قد تم على مرحلتين :

اولاهما : تحول رئيس الديوان من « مدير عموم الديوان » كما كان يلقب في « السياساتنامة » الى « ناظر » وذلك قبل مرور عقد واحد على صدور القانون المذكور .

ولا يعنى هذا أن لقب « الناظر » لم يكن معروفا في السياساتنامة فقد استخدم في التعبير عن وظيفة رئيس الورشنة وهى قسم من اقسام الديوان (٣) ، كما استخدم اللقب في نفس الوقت في « المعية السفية » التى وجد بها ناظران يرأس أحدهما الادارة العربية ويرأس ثانيهما الادارة التركية والترجمة (٤) .

الا أن استخدام اللقب المذكور تعبيرا عن رئاسة الديوان قد حدث لأول مرة مع مطلع الأربعينات من القرن التاسع عشر بعد حوالى ثلاث سنوات من صدور السياساتنامة ، ففى التقرير المشهور الذى رفعه « باتريك كامبل » الى وزارة الخارجية البريطانية فى يولية ١٨٤٠ تحدث عن « الناظر » باعتبارهم رؤساء الدواوين (٥) وهو ما استقر عليه الأمر بعد ذلك .

ويجدر التنبيه فى هذا الصدد الى أن لقب « الناظر » مع بداية استخدامه تعبيرا عن رئاسة أهم اقسام السلطة التنفيذية فى مصر فانه من حيث الشكل لم يكن له صلة بلقب « الوزير » الذى تحول اليه بعد ذلك ، فبينما يعود لقب « الوزير » الى أصل فارسي فان لقب الناظر من أصل عربى مصدرة تنظر بمعنى أشرف (٦) ، وان كان من حيث المضمون قد اتصل بهذا اللقب الأخير أشد الاتصال ، فمنذ البداية والأوربيون الموجودون فى مصر وقتذاك يرون فى الناظر « وزيرا » (٧) .

(٢) المصدر السابق ص ٤ — ٦ .

(٣) البند الثانى من نفس القانون — المصدر السابق ص ٦ .

(٤) Deny G. Sommaire Des Archives Turques du Caire Publications
specials de la Societé de Geographie Le Caire 1930 p. 166.

(٥) د. محمد مؤاد شكرى ، عبد المقصود العنانى ، سيد محمد خليل : بناء دولة مصر
محمد على — تقرير كامبل ، ص ٧٨٨ ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٦) Deny G. Op. Cit. p. 106.

(٧) Hamont, Pierre N. L'Egypte sous Mehmet Ali 2 Vols. Paris 1843
Vol. II p. 52.

والعزوف عن استخدام لقب « الوزير » والأمر على هذا النحو لم يصدر عن اختلاف في المضمون وإنما صدر عن رغبة بعدم المساس بالتبعية التي كانت تربط مصر بالدولة العثمانية وهي تبعية لم يكن ليستقيم معها إطلاق هذا اللقب على رؤساء الإدارات المصرية إذ يعنى ذلك محاكاة الدولة في انظمتها دون مراعاة وضع مصر بوصفها إحدى الولايات العثمانية مفروض ألا تطاول متبوعتها (٨) .

ثانيتهما : تسمى الدواوين بالنظارات تبعا للتغيرات التي استقرت بتحول مديري عموم الدواوين الى نظار .

وهذه المرحلة الثانية من مراحل التطور قد تمت على عهد الخديو اسماعيل .

فمع بداية هذا العهد — ١٨٦٣ — كانت هذه التسمية لا زالت غالبة على الأقسام الإدارية الكبيرة مثل ديوان المدارس وديوان بيت المال وغيرها (٩) .

ولكن لا يكاد ينقضى عقد واحد حتى تكون قد انقضت تقريبا واضحى استخدامها محدودا في نطاق ضيق للغاية بعد أن حل محلها « النظارة » ، ففي عام ١٨٧٢ تمتلئ الأوامر الخديوية بذكر نظارة المدارس والأوقاف والأشغال ، ونظارة الداخلية ، ونظارة المالية ونظارة الحقانية وغيرها (١٠) .

مع هذه التغيرات في الشكل فإن الدواوين شهدت تغيرات موضوعية في نفس الحقبة التي امتدت بين تنظيم سياستنامه (١٨٣٧) وتأليف أول نظارة مصرية بعد ذلك بأكثر من أربعين عاما (١٨٧٨) فهناك دواوين قد اختفت تماما بعد النكسة التي أصابت الجيش المصري خلال الأربعينات نتيجة لتدخل الدول الكبرى في الحروب المصرية — العثمانية وما تمخض عنها من غرامات تحديد أعداد الجيش المصري (١٨ ألفا) وتحريم تملك مصر لقوة بحرية فاخترت نتيجة لذلك « ديوان البحر » كما اختفى في نفس الظروف « ديوان الفاوريقات » لأن الصناعة التي أشرف عليها هذا الديوان كانت تخدم أساسا المجهود الحربي .

والدواوين الأخرى التي بقيت ، تغيرت أسماؤها فتحول الديوان الخديوي الى نظارة الداخلية ، وتحول ديوان كافة الإيرادات الى نظارة المالية ، وديوان الجهادية الى نظارة الجهادية والبحرية وديوان المدارس الى نظارة المعارف والأوقاف ، وديوان الأمور الأفرنكية والتجارة المصرية الى نظارة الخارجية .

في نفس الحقبة ظهرت نظارات جديدة استدعتها التطورات التي تلاحقت خلال تلك السنوات ، فظهرت « نظارة الحقانية » تعبيرا عن التغيرات التي

(٨) أحمد بك قمحه ، عبد الفتاح بك السيد ، نظام القضاء والإدارة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٧٩ .

(٩) أنظر أمين سامي ، تقويم النيل ، المجلد الثاني من الجزء الثالث ملاحظات تاريخية ، ١٨٦٣ ، ص ٤٩٤ .

(١٠) المصدر السابق ، ملاحظات تاريخية ، ١٨٧٢ ، ص ٩٨٥ .

أصبحت طبيعة التقاضي نتيجة لمحاولة تنظيم القضاء التي تمت بإنشاء المحاكم المختلطة عام ١٨٧٤ ، وظهرت « نظارة الأشغال » تعبيرا عن تلك الزيادة الهائلة في حجم المرافق العامة مثل الترغ والموانى والخطوط الحديدية وغيرها (١١) .

ولم يقتصر هذا التغيير على اختفاء أقسام إدارية وظهور أقسام إدارية جديدة أو على ما طرأ على أسماء أقسام إدارية قديمة وإنما امتد ليشمل النوعية الوظيفية لهذه الأقسام .

وأوضح مثل « لتغير النوعية الوظيفية » ما أصاب « ديوان الأمور الأفرنكية » الذي تحول إلى « نظارة الخارجية » .

وظائف ديوان الأمور الأفرنكية كما جاءت في قانون السياسات « النظر في المسائل المتعلقة بمعاملة الأهالي والأجانب في التجارة وفي بيع متاجر الحكومة ومشترياتها وحسابات مصالح الإيرادات بالمحمية » (١٢) « القاهرة » ، وهو على هذا النحو أقرب ما يكون إلى مصلحة حكومية تتعامل مع الأجانب الموجودين داخل مصر ، أما وظائف « نظارة الخارجية » على عهد اسماعيل فمن الواضح أنها قد اختلفت جد الاختلاف ، فقد شملت هذه « النظارة » إدارة مصلحة منع الرقيق والمصلحة الصحية المالية فيما يختص من ذلك بالمعاهدات الدولية : المطابع والمطبوعات الأورباوية والمحلية (١٣) .

ويرتبط هذا التغير النوعى في وظائف نظارة الخارجية بحقيقتين : تتمثل أحدهما فيما حدث « للوجود الأوربى » في مصر من تغير حجمى : واضح في تلك الزيادة الهائلة للجاليات الأوربية في البلاد في عصر سعيد واسماعيل ، وتغير كیفى : واضح فيما تمتعت به تلك الجاليات من أوضاع خاصة فيما عرف بنظام الامتيازات .

وتتمثل الثانية فيما تحصلت عليه الخديوية المصرية على عهد اسماعيل من صلاحيات واسعة في التعامل مع الخارج جاءت في موضع من فرمان الشامل عام ١٨٧٣ بمنح الخديو « الرخصة الكاملة في عقد وتجديد المقاولات مع مأمورى الدول الأجنبية في حق الكمرى وأمور التجارة وكافة المعاملات الجارية مع الأجانب في أمور المملكة الداخلية وغيرها » ، وجاءت في موضع آخر بأنه « قد صار أعطاء المأذونية التامة له في عقد استقراض من الخارج بلا استئذان من الدولة العلية في أى وقت يرى فيه لزوما للاستقراض بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية (١٤) » .

(١١) Safran Nadav : Egypt — in Search of Political Community pp. 33 — 35.

(١٢) أحمد فتحى زغلولى ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(١٣) أمر عال صادر فى ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ بشأن اختصاصات النظر ووظائفهم ، نيليب جلاد ، قاموس الإدارة والقضاء ، المجلد الثالث ص ٨٣٥ .

(١٤) المصدر السابق ، المجلد السادس ، ص ٧٣٧ .

برصد كل تلك التغييرات يعثر الباحث على سبع نظارات (١٥) عام نشأة النظارة — ١٨٧٨ — هي : الخارجية ، والمالية ، والجهادية والبحرية ، والمعارف ، والاقواف ، والداخلية ، والحقانية والاشغال .

وقد خضعت كل من تلك النظارات بصفتها اقسام الادارة الكبيرة للخديو مباشرة اذ انحصرت مسئولية كل من نظارها امام والى مصر وحده ، وعندما كانت تدعو حاجة العمل الى اتصال النظار فقد كانت هذه الاتصالات تتم من خلال الخديو .

والذى حدث عام ١٨٧٨ لم يكن ابتداءا لنظام النظارة في مصر انما الذى قرره الامر العالى الصادر فى ٢٨ أغسطس من هذا العام كان نوعا من (المسئولية الجماعية) او على حد تعبير هذا الامر العالى « ان يكون اعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك امر لا بد منه (١٦) » .

وهذه « المسئولية الوزارية » — او النظرية — التى اقراها الخديو اسماعيل فى خطابه الى نوبار الخاص بتكليف الاخير بتأليف « هيئة نظارة » ليست مسئولية النظار منفردين او النظارة مجتمعة امام المجالس الشعبية كما هو المفهوم السائد للمسئولية الوزارية وانما قد عنت تضامن اعضاء مجلس النظار فى مسئوليتهم امام الخديو .

وقد ارتبط ظهور « النظام النظارى » فى مصر بارتفاع مد التدخل الاجنبى فى شئون البلاد ذلك ان قيام اول نظارة مصرية مسئولة قد تم بناء على تقرير « لجنة التحقيق » التى اوصت بتنازل الخديو عن الحكم المطلق (١٧) .

بعد نشأة النظام الوزارى فى مصر لم يكن من المنتظر أن يتجمد على الشكل الذى نشأ عليه ، ومن ثم فان متابعة لشكل الوزارة المصرية ومحاولة لتفسير كل تغير فى هذا الشكل يجب أن تجرى . فقد شهد السنوات موضع الدراسة ظاهرتين عبرت كل منهما عن التغييرات التى ظلت تصيب الوزارة المصرية .

اولى هاتين الظاهرتين : ذلك النمو المتزايد فى حجم الوزارة المصرية .

مع نشأة النظارة المصرية عام ١٨٧٨ كانت تتكون من سبع نظارات (١٨)

(١٥) استخدم الامر العالى الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ التسمية القديمة « الدواوين » ولكن عددا كبيرا من الكريكات الخديوية الصادرة قبل هذا التاريخ كانت قد استخدمت تسمية « النظارات » .

(١٦) امر حال صادر الى دولتو نوبار باشا « باللغة الفرنسية » بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ الموافق غرة رمضان ١٢٩٥ المؤسس لهيئة النظارة الجديدة ووظائفها . فيليب جلال : قاموس الادارة والقضاء ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ . جورج جندى ، جاك تاجر : اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية (القاهرة ١٩٤٧) ص ٧٤ — ٧٦ .

(١٧) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والمسألة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٦٥ ، عبد الرحمن الراهمى ، عصر اسماعيل ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(١٨) انظر عالى .

ظلت تتزايد على طول ثلاثة ارباع القرن التالية حتى بلغت ١٥ وزارة (١٩) قبيل الغاء النظام الملكى عام ١٩٥٣ .

وهذا النمو لم يعبر دائما عن تلبية لاحتياجات حقيقية كما هو مفروض أو كما هو متصور وإنما عبر في كثير من الأوقات عن اتجاهات شخصية أو حزبية للتوسع في عدد الوزارات . ففي الفترة التي امتدت بين عامى ١٩٣٦ ، ١٩٥٣ زاد عدد الوزارات خمسا (من ٩ الى ١٤) تم انشاء ثلاث منها في عهد تولية على ماهر لرئاسة الوزارة ، الصحة في ابريل ١٩٣٦ ، الشؤون الاجتماعية في أغسطس ١٩٣٩ ، والشؤون القروية في فبراير ١٩٥٢ .

الا أن هناك بعض الوزارات نشأت أو اختفت لظروف موضوعية استلزمت هذا الانشاء أو الاختفاء .

فمثلا يرتبط فصل نظارة المعارف العمومية عن نظارة الاشغال وتشكيلها لنظارة مستقلة في أكتوبر عام ١٩٠٦ بالاحوال التي كان عليها التعليم وقتذاك والذي كان قد أصبح أرض المعركة فقد وجد الانجليز أنفسهم وجها لوجه أمام هبة قومية أبطلها تلاميذ المدارس الذين وجدوا في مصطفى كامل رجل مصر الفتية ، كما أن تعريب التعليم قد أصبح مطلبا عاما وكذلك تمصيره وحركة انشاء الجامعة المصرية كانت في طريق النجاح (٢٠) .

والغاء نظارة الخارجية في ١٩ ديسمبر عام ١٩١٤ يرتبط بتغير وضع مصر الدولي وعلان الحماية البريطانية وما قرره حكومة لندن بمقتضاها من أن « تكون المخابرات من الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الأجنبية بواسطة وكيل جلالته في مصر (٢١) » ، وقد استمر اختفاء هذه النظارة حتى الغاء الحماية في ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ فغادت مع أول وزارة تكونت بعد هذا التصريح (٢٢) .

ويرتبط انشاء وزارة للتجارة والصناعة في ديسمبر عام ١٩٣٤ بما شهدته البلاد من انتعاش صناعى وتجارى بعد قوانين الحماية الجمركية الصادرة عام ١٩٣٠ والتي عاونت كثيرا على هذا الانتعاش .

وقد نتج انشاء « وزارة التموين » أو « وزارة الوقاية المدنية » خلال الحرب العالمية الثانية عن الظروف التي واجهتها مصر في تلك السنوات

(١٩) هي : الداخلية ، والمالية والاقتصاد ، والزراعة ، والاشغال العمومية ، والصحة العمومية ، والعدل ، والمعارف العمومية ، والمواصلات ، والخارجية ، والشئون البلدية والقروية ، والاقواف ، والشئون الاجتماعية ، والتجارة والصناعة ، والتموين ، والوقاية المدنية .

(٢٠) عبد الخالق محمد لاشين : سعد زغلول — دوره في السياسة المصرية حتى ١٩١٤ ، ص ٤٦ ، القاهرة ١٩٧٠ .

(٢١) نص التصريح في : هـ. عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٦٩ — ٧٢ ، (مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة بمؤسسة الاهرام) .

(٢٢) هي وزارة عبد الخالق ثروت التي تشكلت في أول مارس ١٩٢٢ .

مما استلزم توفير الأقوات الضرورية لجموع الشعب من جانب وتوفير الحماية للمدنيين من الغارات الكثيفة التي شنتها طائرات المحور من جانب آخر .

وكان من الطبيعي وهاتان الوزارتان قد انشئتتا بسبب ظروف استثنائية هي ظروف الحرب ان تختفيا مع زوال تلك الظروف ، وبالفعل ما أن تنتهى موجة الغارات الجوية حتى تنتهى معها وزارة الوقاية المدنية في أكتوبر عام ١٩٤٤ وما أن تنتهى الحرب ويبدو كأن مشكلة التموين قد انتهت معها حتى يتقرر إلغاء وزارة التموين وضم اختصاصاتها لوزارة التجارة والصناعة في فبراير عام ١٩٤٦ . ولكن لم تلبث الايام أن اثبتت تسرع هذا الاجراء فعادت تلك الوزارة الى الوجود .

الظاهرة الثانية : ما أصاب الوزارة من تغييرات في الاسماء .

ويمكن العثور على مثلين لتلك الظاهرة .

١ — التغيير الذى أصاب « النظارة » ككل فحولها الى « وزارة » وقد نتج أساسا عن تغير « الوضع القانونى » لمصر باعلان الحماية عليها في ١٩ ديسمبر عام ١٩١٤ . وكان لابد من مجموعة من « التغييرات الاسمية » لتأكيد الوضع الجديد أصاب « النظارة » منها شيء فتحولت الى « وزارة » . وقد استهدف هذا التغيير — فى الاسم — الى التأكيد على حقيقة تقطع العلاقات التى ظلت تربط استنبول بالقاهرة لاربعة قرون سابقة (١٥١٧ — ١٩١٤) على أساس ان ما منع مصر من انتحال تسمية « الوزارة » انما قد نتج عن أن نفس الاسم كان « للوزارة العثمانية » ولم يكن معقولا أن يستخدم التابع والمتبوع تسمية واحدة .

هذا عن « الاسم » ومبررات التغيير القانونية أما ما لحق بهذا التغيير من تغييرات فى اختصاصات الوزارة أو حجمها أو طبيعة عملها فلا يكاد الباحث يعثر على شيء يذكر .

فوزارة حسين رشدى التى تألفت فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ لم تختلف فى كثير من « نظارته » التى كانت فى السلطة قبل ذلك اليوم حتى من حيث اشخاص النظار الذين استمروا — تقريبا — كوزراء .

حقيقة ان « نظارة الخارجية » قد ألغيت لتتواءم البلاد مع أوضاع الحماية وتحولت الشؤون الخارجية لتصبح من اختصاص ممثل بريطانيا فى القاهرة ولكن من قال ان الشؤون الخارجية المصرية على عهد « النظارة » كانت من اختصاص آخر غير المعتمد البريطانى فى قصر الدوبارة والخارجية بلندن .

٢ — ثم هناك « التغيير فى الاسم » الذى دخل على بعض الوحدات الوزارية ولعله لم تصب وزارة بأكثر من تغيير كما أصيبت وزارة الحربية مما يدعو الى اختيارها كمثال مناسب .

فقبل الاحتلال حملت هذه الوزارة اسم « نظارة الجهادية والبحرية » وهو ما ظلت تتسمى به لحوالى عام بعد الاحتلال — ١٨٨٣ — حين تقرر تغيير اسمها ليصبح « نظارة الحربية والبحرية » (٢٣) .

ويبدو هذا التغيير منطقيا للغاية فكيف بنظارة في بلد تحكم حكما اجنبيا ويمثلها جيش ضباطه من البريطانيين ان تبقى نظارة جهاد .. جهاد ضد من ؟ ..

وتستمر نظارة — ثم وزاره — الحربية والبحرية باسمها هذا حتى مطلع عام ١٩٣٩ ، ففي خلال الشهور الاولى من ذلك العام كانت نذر الحرب قد اخذت في التجمع ، وبالوعى بهذه الحقيقة من جانب ، وبتزايد الاحساس بالوجود الايطالى في الاراضى الليبية من جانب آخر ، وبالرغبة في ألا تكون مصر طرفا من أطراف الصراع خارج اراضيها من جانب ثالث فقد تقرر استبدال وزارة الحربية والبحرية « بوزارة الدفاع » في يناير عام ١٩٣٩ .

ولا يمر عقد الا وتسود ظروف مختلفة بعد ان دخلت مصر الحرب الفلسطينية وخاضت قواتها المسلحة المعارك خارج حدودها الدولية .

وتلاؤما مع الظروف الجديدة تقرر في سبتمبر عام ١٩٤٨ العودة الى التسمية القديمة « وزارة الحربية والبحرية » .

ثانيا — الوزارة — الأبعاد السياسية :

ثلاث قوى أثرت التأثير كله في عمليات تشكيل الوزارة المصرية بطول الثلاثة ارباع القرن من عمرها الممتد بين عامى ١٨٧٨ ، ١٩٥٣ هي على توالى حجم تأثيرها :

١ — التدخل الاجنبى قبل عام ١٨٨٢ ثم بعد ذلك الوجود البريطانى باشكاله المختلفة من احتلال أو حماية أو علاقة في ظل تصريح أو معاهدة .

٢ — القصر بمختلف القابصاحبه : خديو أو سلطان أو ملك .

٣ — الحركة القومية بنوعيتها المتحركة : سياسية أو ثورية .

وقد حدد « حجم التأثير » الذى مارسه كل من تلك القوى امكانيات الضغط التى تملكها وتستطيع من خلالها ان تهدد وان تفرض ، وقد تنوعت تلك الامكانيات :

(٢٣) جرجس حنين : الاطيان والضرائب فى القطر المصرى — القاهرة ١٩٠٤ ، ص ٢٤ .

١ - الوجود البريطاني :

استخدم لفرض ارادته في تشكيل الوزارة المصرية ما يسمى بوسائل « الدبلوماسية الثقيلة » التي مارسها سواء ضد الوزارات بنفسها أو ضد القصر اعلاء لارادته وتنفيذا لقراره .

وكانت « التبليغات » هي الوسيلة الاساسية من وسائل تلك الدبلوماسية فأكثر من مرة على طول تاريخ مصر المعاصر تسقط وزارات وتتألف وزارات جديدة من جراء تبليغات بريطانية .

فلم يكن قد انقضى على الوجود الاحتلال في مصر عامان ونصف حين تلقى شريف باشا في ١٠ يناير ١٨٨٥ « تبليغا » بوجوب الاستماع لنصائح حكومة جلالته المتعلقة بضرورة اخلاء المصريين للسودان وكان من جرائه استقالة وزارة شريف الرابعة وتأليف نوبار لوزارته الثانية (٢٤) .

وكان قد انقضى على تولية « عباس الثاني » لمسند الخديوية أقل من عام واحد حين سلمه اللورد كرومر في ١٧ يناير عام ١٨٩٣ « تبليغا » جاء فيه ان الحكومة البريطانية « تنتظر أن يؤخذ رأيها في الأمور الهامة مثل مسألة تغيير الوزارة ، وهي لا ترى أن هناك ضرورة لتغيير الوزارة في الوقت الحاضر ومن ثم فأننا لا نوافق على التعيين المقترح لفخري باشا (٢٥) » .

وقد جاء هذا « التبليغ » ردا على محاولة عباس التخلص من نظارة مصطفى فهمي الحائز على الرضا البريطاني واحلال نظارة جديدة برئاسة فخري باشا محلها .

تبليغ ثالث هو الذي قدمته حكومة لندن الى النحاس باشا في يولية عام ١٩٣٠ بعد ان شرع الوفد في مقاومة « العهد الصدقي » بالقوة ، وكان لهذا التبليغ اقوى الاثر في توقف هذه المقاومة وتثبيت دعائم الوزارة الجديدة (٢٦) .

ومثل رابع حدث في عهد « وزارة عبد الفتاح يحيى » حين تقدمت دار المندوب السامي بطلبات محددة في اكتوبر عام ١٩٣٤ باقالة وزيرين معينين فيها هما وزير الزراعة ووزير المواصلات (٢٧) مستهدفة بذلك احراج مركز الوزارة ودفعها للاستقالة ، وعندما تلكا القصر في الاستجابة للمطلب البريطاني كتبت « التايمز » ذات العلاقات الوثيقة بدوائر حكومة لندن تقول ان انذارا بريطانيا في الطريق مما أدى الى اسراع الفهم لرأس الملك فاستقالت الوزارة! .

(٢٤) نص التبليغ - الوثيقة رقم (٤) .

رئاسة مجلس الوزراء : السودان من ١٢ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣
(القاهرة ١٩٥٣) ص ٤ .

Cromer, The Earl of : Abbas II (London 1915) p. 24. (٢٥)

F.O. 407/212 Tel. No. 237 to Sir P. Loraine, July 16 1930. (٢٦)

F.O. 407/217, No. 43, John Simon to Peterson, Oct. 24, 1934, (٢٧)

Tel. No. 231.

مثل خامس للتبليغات البريطانية للقصر ما حدث في يونيه عام ١٩٤٠ عندما أوبرق اللورد هاليفاكس الى السفير البريطانى بالقاهرة بأن « عدم ثبات على ماهر في تنفيذ روح المعاهدة لا يتفق مع مصلحة مصر كما لا يمثل مشاعر المصريين فالحال يقتضى تشكيل وزارة جديدة » . . فخرج على ماهر من الوزارة (٢٨) .

ومثل سادس عندما قرر الملك فاروق في ابريل سنة ١٩٤٣ اقالة وزارة النحاس باشا نتيجة لما نشر في الكتاب الاسود ، فاعترض السفير البريطانى وابلغ الملك ان حكومة لندن لا ترى ما يدعو لتغيير الوزارة (٢٩) .

ومثل سابع عندما تدخل السفير البريطانى لدى الملك قائلا انه لا يستطيع التعاون مع النقرائى باشا وطلب عزله ، فما كان من الملك الا ان اوحى الى رئيس الحكومة بتقديم استقالته في فبراير سنة ١٩٤٦ (٣٠) .

ومع كل تلك الاعمال من « الدبلوماسية الثقيلة » التى استخدمها الوجود البريطانى فقد كان كثيرا ما يتصاعد بهذه الدبلوماسية الى حد العنف باستخدام القوة العسكرية لفرض وزارة غير مرغوبة ، ويلاحظ ان هذا التصاعد لم يقتصر على مرحلة دون اخرى من مراحل الوجود السياسى البريطانى بل شمل اغلب تلك المراحل .

فعلى عهد الاحتلال (١٨٨٢ - ١٩١٤) ومع ازمة وزارة فخرى باشا عام ١٨٩٣ تم ابلاغ الخديو ان الحكومة البريطانية قررت بالنظر للحوادث الأخيرة وبالنظر لما ابداه المعتمد البريطانى وقائد قوات الاحتلال « ان تزيد الحماية البريطانية في مصر (٣١) » .

وعلى عهد العلاقة في ظل تصريح ٢٨ فبراير (١٩٢٢ - ١٩٣٦) استخدمت بريطانيا القوة المسلحة عام ١٩٢٤ واحتلت بعض المرافق المصرية لاجبار الوزارة الزغلولية على الاستعفاء . . وقد حدث وقدم سعد زغلول استقالته في ٢٣ نوفمبر بالرغم من الشعبية الكاسحة التى كان يتمتع بها .

كما استخدمتها عام ١٩٣٠ عندما صدرت الاوامر لبارجتين بريطانيتين بالتوجه الى الاسكندرية تجسيدا لتبليغها لرئيس الوفد وتدعيما لوزارة ضدق (٣٢) .

ثم اخيرا وفي ظل علاقات المعاهدة (١٩٣٦ - ١٩٥٣) ، فهناك ما حدث مساء يوم ٤ فبراير من تطويق الدبابات البريطانية لقصر عابدين وتخير الملك

F.O. 407/224 No. 53, Halifax to Lampson, June 16, 1940, Tel (٢٨)
468.

(٢٩) انظر الفصل الثانى من الباب الخامس .

(٣٠) انظر الفصل الثالث من الباب الخامس .

Cromer : Abbas II p. 38.

(٣١)

F.O. 407/212 to Sir P. Loraine July 6, 1930, Tel. No. 237.

(٣٢)

بين امرين اما النزول عن العرش واما استدعاء النحاس لتأليف وزارة وفدية واختار الملك الحل الثانى وتم للبريطانيين ما ارادوا من تأليف وزارة يرضون عنها .

٢ - القصر :

والذى حرص سيده ان تكون له الكلمة الأخيرة فى فرض النظارة أو الوزارة التى يرى فرضها ، ومن الواضح ان هذه الرغبة قد نبعت أساسا من تصور أوتوقراطى لحكام مصر من ابناء أسرة محمد على بوجوب أن تبقى سائر أدوات السلطة التنفيذية فى البلاد وأولها الوزارة امتدادا لهم باعتبارهم رأس تلك السلطة .

وقد توفرت امكانات تحقيق هذه الرغبة فى بعض أحقاب تاريخ مصر المعاصر من ثلاثة مصادر :

أولها : الوجود البريطانى . . فبالرغم من أن هذا الوجود ظل العقبة الأساسية أمام حرية حركة القصر فى اختيار الوزارات إلا أنه كثيرا ما تحالف الطرفان ومن ثم فقد وفر لحكام مصر هذه الحرية فى مناسبات متعددة والأمثلة كثيرة .

فى عام ١٩٠٨ كان اختيار نظارة بطرس باشا غالى « اختيارا خديويا » بموافقة المعتمد البريطانى ومباركته .

وسقوط الوزارة الزغلولية عام ١٩٢٤ كان بارادة ملكية اتفقت مع طلبات إنجلترا وتمت تحت التهديد البريطانى .

وعهد صدقى — كما سبق القول — فمع أن بدايته سنة ١٩٣٠ قد نبعت من رغبة الملك فؤاد فان هذه البداية قد دعمها موقف الانجليز المتعاطف مع هذا العهد .

ثانيها : الصلاحيات الدستورية التى تحصل عليها الملك بمقتضى دستور عام ١٩٢٣ .

فهذا الدستور أجاز للملك اقالة أى وزارة اذ جاء فى نص المادة ٤٩ ان « الملك يعين الوزراء ويقيلمهم » ، وبالرغم من أنه كان من المفروض ألا يتم استخدام هذا الحق الا فى أضيق الحدود الا أنه قد استخدم مرتين على عهد الملك فؤاد وثلاث مرات على عهد الملك فاروق .

منع أيضا دستور ١٩٢٣ للملك حق حل مجلس النواب — (المادة ٣٨) — تخلصا من أى مجلس مساند لوزارة غير مرغوبة ومن المعلوم ان هذا الحق قد استخدم على نطاق واسع على طول العقود الثلاثة الممتدة حتى عام ١٩٥٢ .

ثالثها : ظاهرة الانشطار التي صاحبت الحركة الوطنية منذ ثورة ١٩١٩ وحتى عام ١٩٥٢ .

وقد عمل القصر على الاستفادة من هذه الظاهرة للتخلص من الوفد الممثل الأساسى للحركة الوطنية كما حدث فى ديسمبر عام ١٩٣٧ حين نشر الدكتور أحمد ماهر بيانه المشهور الذى يهاجم فيه الوزارة الوفدية فى وقت كانت الازمة الدستورية ناشبة فيه بينها وبين القصر مما أضعف موقفها كثيرا خلال هذه الازمة ومهد للاطاحة بها .

كما ان هؤلاء المنشطرين ظلوا ادوات تعاون القصر فى ابعاد الوفد عن السلطة فمنهم تكونت الأحزاب المنافسة (الأحرار الدستوريين - السعديين - الكتلة الوفدية) التى ظلت العمدة الأساسية التى تتكون منها أغلب الوزارات غير الوفدية .

من ناحية أخرى فان الوفد كممثل للحركة الوطنية وجريا وراء السلطة قد تساهل فى أمور كثيرة خاصة على عهد الملك فاروق وهذا التساهل قد منح الفرصة للقصر لممارسة مزيد من السلطات على الوزارة .

٣ - الحركة الوطنية :

فبينما كان من المفروض ان هذه الحركة باعتبارها الممثلة الأساسية للأمة يكون لها القرار الأخير فى كل ما يتعلق « بالوزارة » على أساس ان الأمة مصدر السلطات والوزارة احدى هذه السلطات الا انها - أى الحركة الوطنية - كانت أقل القوى الثلاث تأثيرا فى الوزارة .

وحتى هذا التأثير كان فى أغلب الأوقات بالسلب وفى المرات القليلة التى وصلت فيها زعامة هذه الحركة الى الوزارة عبورا على ارادة القصر فان هذا الوصول قد تم بمعاونة الوجود الاحتلالى كما حدث عام ١٩٣٥ مع انتهاء العهد الصدى عام ١٩٤٢ فى حادثة ٤ فبراير الشهيرة .

هذا عن الامكانات وتنوعها ، تبقى محاولة متابعة « تراوح موقف » كل من القوى الثلاث بين مرحلة وأخرى .

ويمكن فى هذا الصدد ان نقسم تاريخ الوزارة المصرية الى مراحل متعددة اتسم بعضها بالصراع بين القوى المؤثرة فى الوزارة مما خلق معه « اضطرابا وزاريا » واتسم بعضها بنجاح احدى هذه القوى فى الانفراد بالقرار وحجب سائر القوى مما خلق معه « استقرارا وزاريا » .

ونلاحظ أن الوزارة التى تألفت فى نهاية الفترة موضع الدراسة كانت الوزارة رقم ٧٠ ، والوزارات الـ ٦٩ السابقة عليها يمكن توزيعها على مراحل ثلاث :

١ - تسع نظارات في الفترة السابقة للاحتلال والتي ناهزت السنوات الأربع (١٨٧٨ - ١٨٨٢) بمعدل وزارة كل خمسة شهور ونصف تقريبا .

٢ - ثم عشرون نظارة ووزارة في فترة السيطرة البريطانية الخالصة (الاحتلال والحماية) ، والتي قاربت الأربعين عاما (١٨٨٢ - ١٩٢٢) بمعدل وزارة كل عامين .

٣ - وأخيرا أربعون وزارة على عهد الاستقلال بعد عام ١٩٢٢ وحتى ثورة يولية عام ١٩٥٢ (أكثر من ثلاثين سنة قليلا) بمعدل وزارة كل تسعة شهور .

معنى ذلك أن « الاستقرار الوزاري » قد بلغ أوجه على عهد الاحتلال والحماية البريطانية بينما تدهور الى أدنى درجاته خلال السنوات الأولى من نشأة النظارة ثم انه افتقد الى حد كبير خلال سنوات الاستقلال .

بالنسبة للمرحلة الأولى (١٨٧٨ - ١٨٨٢) يمكن فهم أسباب الاضطراب الوزاري « بملاحظة ذلك الصراع العنيف بين القوى الثلاث التدخل الأجنبية تقوده حكومة لندن يصارع الخديوية بل ويصرع الخديو اسماعيل ، والحركة الوطنية تواجه التدخل الأجنبي ، والخديوية تدور حول محاولات هذا التدخل ساعية الى التملص منه ومما فرضه عليها وكانت « النظارة المسئولة » إحدى هذه المفروضات .

وبالرغم من تغير مواقع القوى المتصارعة مع زيادة حجم الحركة الوطنية وقيام الثورة العراقية الا أن « المناخ الثوري » نفسه كان بالطبع مناخا مثاليا لمزيد من « الاضطراب الوزاري » .

ويأتى الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ وتستظل الخديوية به في نفس الوقت تذبل الحركة الوطنية وتصبح هناك قوة أساسية ووحيدة صاحبة القرار في الاختيار وصاحبة القدرة على الاشراف هي قوة الاحتلال .

حقيقة كانت هناك محاولات من القوتين الآخرين للمشاركة في صنع القرار باختيار الوزارة أو بالتأثير في سياستها على طول الأربعين عاما عمر هذه الفترة (١٨٨٢ - ١٩٢٢) الا أن هذه المحاولات قد أجهضت كما حدث في عام ١٨٩٣ في مسألة نظارة فخرى باشا .

وإذا كان قد سمح للقصر في بعض الاوقات بهذه المشاركة خلال تلك المرحلة الا أن ذلك قد تم لفترة قصيرة هي التي عرفت بعهد الوفاق ١٩٠٧ - ١٩١١ ، فالنظارتان اللتان تم تأليفهما خلال هذا العهد قد قام باختيارهما الخديو عباس بالاتفاق مع جورست (المعتمد البريطاني) .

نظارة « بطرس غالي » التي تشكلت في نوفمبر عام ١٩٠٨ اختار الخديو رئيسها واعضاءها ووافق جورست على الاختيار (٣٣) .

(٣٣) أحمد شفيق ، مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الثاني ، ص ١٥٨ - ١٦٣ .

ونظارة « محمد سعيد » التي تألفت في فبراير عام ١٩١٠ ترك أيضا حرية اختيارها لعماس الثاني (٣٤) .

وبالرغم من اعتراض جورست على « سعد زغلول » في النظارة الأولى فإنه قد وافق على وعد بطرس باشا الذي سجله على نفسه حيال سعد بأن يتركه له « وانا اعرف ما افعل لاخرجه (٣٥) » ، ومن اعتراضه على « محمد باشا سعيد » كرئيس نظار في النظارة الثانية بسبب ما اشتهر عنه من « ود مفقود » نحو سلطات الاحتلال فقد تخلص من هذه المعارضة بعد تعهد الخديو بانه في حالة وقوف سعيد باشا موقف العداء من الاحتلال فانه سوف يقله (٣٦) .

وان كان لابد من تسجيل انه حتى في هاتين الحالتين فان القرار النهائي في الاختيار ظل بريطانيا ذلك انه لم تصدر مراسيم تأليف أى من النظارتين قبل وصول موافقة لندن على تشكيلهما (٣٧) .

ولم يقتصر استئثار الاحتلال « بصنع القرار » على مستوى « التشكيل الوزارى » فقط بل امتد ليشمل جانب « العمل الوزارى » .

وكان المستشارون البريطانيون الذين انبثوا في سائر النظارات منذ السنوات الأولى لعهد الاحتلال هم صناع القرارات الحقيقية في داخل النظارات ، اما النظار فقد اقتصر دورهم في كثير من الاحوال على مجرد توقيع هذه القرارات ، وهناك أسماء عديدة لهؤلاء المستشارين اكتسبت شهرة في النظارات المصرية أكثر مما اكتسب النظار أنفسهم مثل الدون جورست في المالية وجون سكوت في الحقانية ووليم جارستين في الاشغال ودنلوب في المعارف (٣٨) .

ولعل هذا الاستئثار « بصنع القرار » على كافة المستويات الوزارية يوفر تفسيراً معقولاً عن أسباب ذلك « الاستقرار الوزارى » الذى شهدته مصر خلال تلك الفترة الى درجة ان احدى نظاراتها وهى نظارة « مصطفى فهمى » الثالثة قد عاشت ثلاث عشرة سنة بالتمام والكمال (١٢ نوفمبر ١٨٩٥ — ١١ نوفمبر ١٩٠٨) .

تأتى بعد ذلك المرحلة الثالثة التى تلت ثورة ١٩١٩ واعلان الاستقلال عام ١٩٢٢ والتى امتدت على طول العقود الثلاثة التالية .

وأهم ما يلاحظ خلال تلك المرحلة ما أصاب مفهوم الوزارة في مصر من تغير ، ذلك ان مطلع العشرينات قد شهد التحول من « الوزارة الادارية » الى « الوزارة السياسية » .

(٣٤) أحد شفاق ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

(٣٥) F.O. 407/175 No. 22 Gorst to Grey; Feb. 21, Tel. No. 9 Conf.

(٣٦) F.O. 407/175 No. 22 Gorst to Grey Feb. 21, 1910 Tel. No. 9 Conf.

(٣٧) Ibid No. 23 Grey to Gorst Feb. 22, 1910, Tel. No. 12.

(٣٨) Cromer, The Earl of : Modern Egypt (2 Vols) Vol. II pp. 286—293.

ولفهم أهمية هذا التحول يلزم دراسته من جانبين : أولهما التفرقة بين هذين النوعين من الوزارة ، وثانيهما كيف تم التحول :

١ - أكثر من فارق يمكن أن يميز (الوزارة الادارية) عن (الوزارة السياسية) .

فارق أول يتصل (باختيار الوزراء) فبينما كان هؤلاء في النوع الأول من الوزارات - الادارية - من الموظفين الذين تدرجوا في المناصب حتى وصلوا الى منصب الوزارة باعتباره ، أعلى المناصب . . وكان الخروج عن « قاعدة التدرج » يسبب في كثير من الاحيان احتجاجات او استقالات ممن تجاوزهم هذا الخروج مما يوضح طبيعة النظرة الادارية البحتة لمنصب الوزارة (٣٩) . . بينما كان اختيار الوزراء في النوع الأول يخضع لهذه القواعد البيروقراطية فان هذا الاختيار في النوع الثاني قد اختلف معياره .

كان معيار الاختيار في الوزارة السياسية « الماضي السياسي » لا المنصب الاداري . وعندما كان يتم الاختيار دون تحكيم هذا المعيار فان رئيس الوزراء كثيرا ما كان يتعرض لانتقادات عنيفة ، مثال ذلك ما حدث في الوزارة النحاسية الثالثة (أغسطس ١٩٣٧) عندما اختير المستشاران محمود غالب وزكى العرابي للوزارة نقلا من كرسي القضاء دون أن يكون لهما ماض سياسي فقد دعا ذلك الكثيرين الى ابداء الدهشة بل الرفض لمثل هذا الاختيار وخاصة ان الوفد كان يفيض بأعداد غير قليلة من المستشارين السابقين الصالحين للوزارة (٤٠) ، بينما كان مثل هذا الاختيار منطقيا للغاية في الوزارة الادارية .

فارق ثان : يتصل بمفهوم (الوظيفة الوزارية) ، فمن الواضح أنه قد غلب على الوزارة خلال المرحلة الأولى « العمل الاداري » بمعنى أنها لم تكن احدى قوى « التأثير السياسي » أو أحد مراكز « اصدار القرارات السياسية »

حقيقة ان جانبا من مهامها قد ارتبط بالعمل السياسي الا أنها كانت في هذا مركزا « لتنفيذ القرارات السياسية » لا صنعها ذلك لأن الوزارة كانت في النهاية تمثل مركزا من مركزى السلطة أو تصدر عن اتفاق بينهما وهى على هذا النحو كانت ملزمة بالتعبير عن مراكز السلطة وبم تنفيذ قراراتها السياسية .

وحتى في بعض الاوقات عندما دخل حزيون الى الوزارة - كما حدث بشغل « أحمد حشمت » وكيل حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية لمنصب

(٣٩) كما حدث حين تولى محمد سعيد نظارة الداخلية عام ١٩٠٨ فأبدت الصحف دهشتها من تخطى ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية منذ أعوام (المقطم في ١٢/١١/١٩٠٨) ، يعبر سعد زغلول أدق التعبير عن مفهوم الوزارة حين يقول في مذكراته (كراس ٢٠ ص ٩٦١) عندما تولى النظارة ١٩٠٦ « نقلت الى نظارة المعارف » ١ .

(٤٠) مثل على سالم وحسن نبيه المصرى وعبد الهادى الجندى وعلى حسين ، انظر البلاغ في ١٩٣٧/٨/٧ .

ناظر المالية في نوفمبر ١٩٠٨ (٤١) — فانهم دخلوها بحكم صلتهم بطرف من اطراف السلطة لا بصفتهم السياسية .

ويختلف هذا المفهوم كثيرا عن مفهوم وظيفة الوزراء في الوزارة السياسية ، وكما عبر عنه احد الوزراء الذين تولوا الوزارة أكثر من مرة بعد عام ١٩٢٢ بانهم — أى الوزراء — مندوبو البرلمان لمباشرة السلطة التنفيذية ومراقبة أعمالها على اكمل وجه .

« ومن هنا فان للوزراء مهمتين : تنفيذ برنامج سياسى وادارى محدد كانت الاغلبية وليدته في الانتخابات ، ثم مراقبة تنفيذ هذا البرنامج على الوجه الاكمل تحت اشراف البرلمان وتحت المسؤولية الوزارية (٤٢) » .

٢ — اما التحول فقد تم تقنينه في دستور ١٩٢٣ ، فمعنى فرار الدستور بتشكيل الوزارة من اصحاب الاغلبية البرلمانية ان « القوة السياسية » التي تختارها الأمة تؤلف الوزارة . وقد تبع هذا « الاختيار السياسى » للوزارة ان أصبحت ذات « وظيفة سياسية » .

ولكن بالرغم من تقنين هذه الحقيقة عام ١٩٢٣ فان بروزها لم يحدث فجأة فقد شهدت السنوات الممتدة على طول الفترة بعد عام ١٩١٤ وحتى عام ١٩٢٢ فرض هذه الحقيقة لذاتها بالتدريج .

فالتغيرات الكبيرة التي أصابت الوضع السياسى في مصر منذ اواخر عام ١٩١٤ من اعلان الحماية ثم ما تلا الحرب من ثورة وأحداث جسيمة كان لابد ان ينسحب اثرها على الوزارة التي حاولت من خلالها ان تنتزع بعض الصلاحيات السياسية . . وقد نجحت .

فاتخاذ قرار الحماية على مصر مع كونه قرارا بريطانيا بالدرجة الاولى الا انه كان لابد من وقوف قوى مصرية على هذا القرار ومشاركتها في تنفيذه ، فاشركت وزارة حسين رشدى في هذا القرار السياسى المصرى ، وكان هذا الاشراف مجرد بداية الا انه كان بداية كبيرة اضفت على الوزارة ثوبا جديدا .

ولا شك ان « حسين رشدى » قد ادرك ماهية التغيير الذى حدث مما دعاه في مطلع العام التالى — ١٩١٥ — ان يقدم مشروعا للعمثل البريطانى في القاهرة عن « مستقبل النظام السياسى والادارى للقطر المصرى (٤٣) » .

وبغض النظر عن محتوى هذا المشروع او عما اثر حوله من اعتراضات هنا او قبول هناك فان مجرد تقدم رئيس الوزراء به يدل على مدى الصلاحيات

(٤١) د. يونان لبيب رزق ، الحياة الحزبية في مصر في عهد الاحتلال البريطانى القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٦ .

(٤٢) محمد على علوية ، مبادئ في السياسة المصرية ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١٢٥ .

(٤٣) ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٧٨ — ٧٩ ، مركز الوثائق التاريخية بالاهرام .

السياسية التي خولتها الوزارة لنفسها خلال فترة التغيير السياسي بعد اعلان الحماية على البلاد .

وتنتهى الحرب وتنفجر ثورة ١٩١٩ وتوفر مناخا لمزيد من الصلاحيات والمواقف السياسية تنتزعها الوزارة لنفسها .

من هذه (الصلاحيات) ما حدث من قبول بريطانيا لخروج ممثلين عن الوزارة لمفاوضتها في مستقبل مصر السياسي وهو ما حدث في المفاوضات التي جرت بين الوفد المصري برئاسة عدلى يكن رئيس الوزارة المصرية وبين اللورد كرزون (يوليو - نوفمبر ١٩٢١) (٤٤) .

صحيح أن هذه المفاوضات قد باءت بالفشل ولكن مجرد أن تقبل القوتان الكبيرتان (القصر والاحتلال) أن تقوم الوزارة بمثل هذا الدور السياسي المؤثر . . هذا القبول كان خطوة كبيرة نحو تسييس الوزارة .

ثم من ناحية (المواقف) ، غنى خلال عام واحد - ١٩١٩ - بتسجيل وزارتان (رشدى باشا ومحمد سعيد) لاسباب لا يمكن أن توصف الا بأنها سياسية ، وزارة رشدى استقالت لرفض السلطات البريطانية التصريح للوفد بالاستقرار ، ووزارة محمد سعيد استقالت احتجاجا على قدوم لجنة ملتر الى البلاد رغم اعتراضها .

وتستلقت ظاهرة « الاستقالة السياسية » النظر باعتبارها خطوة كبيرة نحو « الوزارة السياسية » ، فمنذ عام ١٨٨٥ بعد استقالة وزارة شريف بسبب موقفها من مسألة اخلاء السودان فإنه لم تستقل وزارة مصرية واحدة « لموقف سياسى » بل ان اغلب الاستقالات التى قدمت على طول العقود التالية وحتى عام ١٩١٩ كانت اقرب ان تكون « استغناء عن خدمات الوزارة » وهو منطلق مقبول في اطار الادارية التى اتسمت بها .

ومن ثم وعلى ضوء هذه التغييرات كان ما حدث من تقنين «تسييس الوزارة» بمقتضى دستور ١٩٢٣ مجرد نهاية منطقية ترتبت على خطوات عديدة سبقتها .

مع هذا التغيير الاساسى الذى اصاب الوزارة خلال المرحلة الاخيرة (١٩٢٢ - ١٩٥٢) لم يكن مفروضا ان يصحبه ما صحبه من « عدم استقرار » بالعكس فان المتصور ان وزارة تمثل ارادة الامة يجب ان تتسم بالاستقرار .

ولكن هل كانت القوتان الاخيرتان « القصر والوجود البريطانى » على استعداد للنزول عند هذه الارادة ؟ !

(٤٤) شفيق غريبال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٩٠ - ١٠١ .

واضح من متابعة التاريخ المصرى خلال تلك السنوات الثلاثين أن الاجابة على هذا السؤال كانت بالسلب .

فماوجود البريطانى وان لم يعد بعد عام ١٩٢٢ يستأثر بصنع القرار كما كان الحال قبلها الا انه لم يتردد فى أكثر من مرة فى التدخل سواء لوقف القصر عند حده أو لكسر ارادة الأمة .

والقصر لانه يتمتع بصلاحيات وفرها له دستور ١٩٢٣ ، حاول أن يستغلها الى أبعد حدود الاستغلال .

والحركة الوطنية ممثلة فى الوفد كانت تحاول فى كل مناسبة أن تحسم الموقف اعلاء لارادة الأمة .

بمعنى آخر فقد تعددت مراكز « صنع القرار » ، وكان من الطبيعى أن يصحب هذا التعدد « عدم الاستقرار الوزارى » الذى شهدته هذه الحقبة طالما أن تلك المراكز كان لها مصالحها المتضاربة مما ترتب عليه صراعاتها الممتدة .

والتيار الغالب فى هذه الصراعات تمثل فى استمرار محاولات القصر لابعاد الوفد عن الوزارة ، وقد توصل القصر الى صيغة معينة فرضها على الوزارة المصرية وأصبحت ظاهرة غالبة عليها هى ظاهرة (الائتلاف الوزارى) مما يستوجب دراسة هذه الظاهرة .

فمن بين ٣٧ وزارة تم تشكيلها منذ ٢٨ يناير عام ١٩٢٤ حين تآلفت وزارة سعد زغلول كأول وزارة دستورية وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ يعثر الباحث على ١٦ وزارة ائتلافية .

الائتلاف الوزارى ينتج فى العادة عن أسباب معينة ، فقد ينتج :

أولا : عن رغبة فى مواجهة خطر محقق بالوطن فتتآلف كافة الجماعات السياسية فى داخله وتمثل فى الحكم ايمانا بضرورة الوحدة الوطنية لمواجهة الخطر ومثل على ذلك بريطانيا خلال الحرب الثانية ، وقد ينتج .

ثانيا : عن ظاهرة « الشرذمة السياسية » التى يتسبب فيها فى العادة فشل حزب سياسى واحد أو حزبين اثنين فى استقطاب الغالبية العظمى من جموع الناخبين وقد سادت تلك الظاهرة فى فرنسا قبل الجمهورية الخامسة ، وقد ينتج أخيرا — لرغبة فى وضع صيغة للتعايش بين مجموعات بشرية غير متجانسة تجمعت فى وطن واحد ومثل على ذلك فى الوزارة الاسرائيلية .

ومحاولة تطبيق أى من المقاييس المذكورة على الوزارة المصرية لن يصيبها الا الاخفاق ومن ثم كان لابد من « تفسير محلى » مناسب للظاهرة .

بمزيد من التامل في نوعية الوزارات الائتلافية بين عامى ١٩٢٣ ، و ١٩٥٢
يمكن تصنيفها الى قسمين :

١ - وزارات ائتلافية شارك فيها الوفد وهى قلة .

٢ - وزارات ائتلافية استبعد منها الوفد وهى كثرة .

تبلغ وزارات القسم الاول اربعا ، ثلاث منها تلت الحكم الزىورى بين
يونية عام ١٩٢٦ ويونيه عام ١٩٢٨ (٤٥) .

ومع ما عبرت عنه هذه الوزارات الثلاث من رفض القصر والاحتلال
لاستئثار الوفد بالحكم بعد ما عاناه كل منها من وزارة سعد زغلول
فانها قد عبرت أيضا عن عجز القصر عن ابعاد الوفد نهائيا عن
الوزارة بعد فشل تجربة زيور وحزب الاتحاد ، وعن رغبة الاحتلال
فى اشراك الوفد فى لون من الائتلاف المعتدل يخفف من حدته ويجعل
الوصول الى تسوية للتحفظات الاربعة فى حدود الممكن سياسيا وفى اطار
المقبول شسعبيا (٤٦) .

ولكن هذه المرحلة من الائتلاف قد تحطمت ، فمحاولات التفاوض مع لندن
قد باءت بالفشل مما ترتب عليه نبذ البريطانيين لهذا اللون من التشكيل
الوزارى الذى لم يحقق أى تقدم فى العلاقات الانجليزية - المصرية من وجهة
نظرهم ، وتبع ذلك ان بدأ الائتلاف يتشقق من الداخل خاصة بعد وفاة
سعد زغلول ، ولم يبق بعد كل هذا سوى الرغبة الملكية وكانت جاهزة
فى صورة اقالة للوزارة النحاسية .

المرحلة الثانية من الائتلاف الذى شارك فيه الوفد تمثلت فى وزارة
حسين سرى الثالثة التى تألفت فى يوليه عام ١٩٤٩ واشترك فيها
الوفد مع السعديين والاحرار الدستوريين والحزب الوطنى .

وتختلف هذه المرحلة تماما عن سابقتها ، فالوفد دخل ذلك الائتلاف
بناء على رغبة ملكية اذ كان من الواضح ان سياسة القصر خلال
هذا الوقت قد انتهجت خطة تأليف وزارة قومية يشترك فيها الوفد .

وكان وراء هذا الخط الجديد من القصر عدة دوافع .

اولها : جو الفشل السياسى العام الذى ساد بعد الحرب
فتسوية العلاقات المصرية - البريطانية لم تتم بالرغم من استنفاد وسائل
المفاوضة او اللجوء الى منظمة الأمم المتحدة ممثلة فى مجلس الأمن ،
بالاضافة الى نكسة الجيش المصرى بعد التقدم الذى أحرزه فى حرب
فلسطين عام ١٩٤٨ .

(٤٥) هى على التوالى وزارة عدلى يكن الثانية ووزارة عبد الخالق ثروت الثانية ووزارة
النحاس الاولى .

(٤٦) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٦٤ .

ثانيها : ان دوائر القصر قد تصورت أن الوفد بعد أن أبعد من السلطة لخمس سنوات متتالية فسوف يعود فيقبل مبدأ الوزارة الائتلافية أو القومية بعد أن ظل يرفضها طوال السنوات السابقة .

هذا عن تصور القصر ، أما الوفد فمع قبوله دخول الوزارة الائتلافية مدفوعا بطول بعده عن السلطة إلا أنه — بلا شك — لم يكن خالص النية في قبول الائتلاف وإنما كانت خطته أن تمهد تلك العودة إلى انفرادة مرة أخرى بالوزارة وقد نجح بالفعل في ذلك حين حول الائتلاف إلى اختلاف ، فكان النزاع على تعديل الدوائر الانتخابية سببا في إسقاط الوزارة والعهد إلى حسين سري بتأليف وزارة محايدة لأجراء انتخابات جديدة .

القسم الثاني من أقسام وزارات الائتلاف هو القسم الذي لم يشترك فيه الوفد ويبلغ ما ضمه من وزارات ١٢ وزارة .

وواضح من متابعة تشكيل هذه الوزارات أن هذا النوع من الائتلاف قد قام أساسا لمواجهة « الشعبية الوفدية » .

وقد ضمت تلك الوزارات حزب الأحرار الدستوريين باعتباره المنافس التقليدي للوفد كما ضمت الأحزاب التي ظلت تنشق على الحزب الكبير مثل الهيئة السعدية والكتلة الوفدية المستقلة .

وكان طبيعيا أن تكون تلك الوزارات أكثر اعتمادا على القصر ، وأن يعمل الوفد على مناهضتها فتحوّلت أعمال السياسيين إلى لون من المزايدات لحق ضررها بالقضية الوطنية في بعض الأوقات .

على أي حال يمكن الخروج بمحصلة نهائية عن ظاهرة الائتلاف وهي أن تلك الظاهرة بدلا من أن تحقق المستهدف منها من قوة « التجمع » إذا بها تتمخض عن عوارض ضعف وتفتت لكل من اشترك في صنعها . وكان هذا أهم أسباب عدم الاستقرار .

الحركة الوطنية بدورها ممثلة في حزب الوفد الذي استقطب منذ بداية تلك الفترة الغالبية العظمى من جماهير الشعب المصري قد فشلت في فرض وجودها في السلطة وما يمكن أن يترتب على هذا الفرض المنطقي من « استقرار وزارى » .

ويمكن تقسيم موقف الحركة الوطنية طوال هذه العقود الثلاثة إلى مرحلتين :

تمتد أولاهما منذ الف سعد زغلول وزارة الشعب ١٩٢٤ ، وحتى وفاة الملك فؤاد عام ١٩٣٦ ، وفي خلال تلك السنوات جرت محاولات من جانب القصر والوجود البريطانى « لتطويع » الوفد تمثلت في محاولات إشراكه في الوزارة دون أن يستأثر بها ، وقد قبل الوفد هذا الاشتراك ودخل الائتلاف الوزارى على طول الوزارات الثلاث التى تشكلت بين يونية عام ١٩٢٥ ويونيه عام ١٩٢٨ أملا في تحقيق آمال الأمة ولما لم تأت تلك المحاولات

بثمارها المطلوبة فقد جرت محاولات لاستبعاد حزب الاكثرية . كما يتضح في تجربتي الوزارات الملكية التي قاد حزب الاتحاد اولها (١٩٢٤ - ١٩٢٦) وقاد حزب الشعب ثانيها (١٩٣٠ - ١٩٣٤) .

ولعل ادراك الزعامات الوفدية بمستهدفات القصر من سياساته تلك هو الذى دعاها خلال نهاية تلك المرحلة الى رفض الاشتراك فى اى وزارة ائتلافية جديدة بعد فشل تجربة الوزارات الملكية الثانية وسقوط وزارة عبد الفتاح يحيى فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٤ .

وتشغل المرحلة الثانية بقية الفترة الممتدة حتى قيام ثورة يولية (١٩٣٦ - ١٩٥٢) وبالرغم من أن وفاة الملك فؤاد مع مطلع تلك الفترة بدت لأول وهلة وكأنها قد اضعفت جانب القصر بتولية ملك شاب ليست له تجربة ابيه او صلابته الا أن ما حدث بعد ذلك قد اخلف هذا الظن تماما .

فان كثيرا مما جرى خلال عهد الملك فاروق اضاف اسبابا من الضعف « للوفد » وهز بالتالى من مكانته فى المواقف السياسية ومن امكانياته للوصول الى المواقع الوزارية ويمكن ترتيب هذه الاسباب على النحو التالى :

١ - فالملك الجديد قد تقدم للشعب يحمل تلك البراءة من جانب ويقدم نياته الطيبة للشعب من جانب آخر مما كفل له حملة شعبية واسعة أدت الى نتيجتين :

اولاهما : ان القصر قد دخل شريكا مؤثرا للوفد فى شعبيته .

ثانيتهما : ان صورة القصر القديمة كمركز للاستبداد والسلطة قد اخذت تتبدد لتحل محلها صورة جديدة .

وكانت هاتان النتيجتان وراء اخفاق المحاولة الوفدية فى تكرار المواقف الزغلولية من القصر وهو ما حاوله النحاس باشا فى مستهل عهد فاروق ، ذلك أنه كما لا يمكن بحال المقارنة بين شعبية مصطفى النحاس وبين شعبية سعد زغلول لا يمكن أيضا المقارنة بين الفتور الشعبى نحو الملك فؤاد والمحبة السابغة التى استقبل بها المصريون الملك فاروق فى مستهل عهده .

٢ - الانشقاقات التى عانى منها الوفد خلال تلك الفترة والتى ترتب عليها ظهور جماعات سياسية جديدة منافسة للحزب الكبير .

وبالتأمل يتضح أن حساب السلبات أطول كثيرا من حساب الايجابيات لما تمخضت عنه تلك الانشقاقات .

فملاحظة أولى ان الانشقاقات المذكورة بدلا من أن تكون بمثابة عمليات جراحية مفيدة كانت اقرب الى عمليات بتر لعناصر وفدية فعالة ذات قدرة تنظيمية عالية (النقراشى وأحمد ماهر ؛ أو ذات قدرة دعائية مؤثرة (مكرم عبيد) .

وملاحظة ثانية أن تلك الانشقاقات لم تتم بهدوء ولكنها تفجرت بأكبر قدر من الضجة نالت من شعبية الوفد كما حدث بالنسبة للكتاب الأسود وتأثيره التخطر على مستقبل الحزب الكبير .

وملاحظة ثالثة أنه قد واكب هذه الانشقاقات وخروج العناصر الوفدية المجاهدة دخول عناصر اقطاعية الى الحزب لم تلبث أن استولت على قياداته، ففي عام ١٩٣٦ انضم الى الوفد فؤاد سراج الدين ثم دلف اليه في العام التالي مجموعة من أهم كبار الملاك تضم محمد سليمان الوكيل ومحمد المغازي عبد ربه وبشرى حنا ومحمد حفنى الطرزى وأحمد مصطفى وويصا (٤٧) .

وكان بالامكان أن يتم هذا الدخول دون أن يكون له مدلولات طبقية لولا أنه قد حدث بعد معاهدة ١٩٣٦ وما ترتب عليها من انخفاض الاهتمامات بالقضية الوطنية ونمو الاهتمامات بالقضايا الاجتماعية .

٣ — ثم ان ما شهدته الفترة التي تلت عام ١٩٣٦ من ضمور لشعبية الوفد ، من جانب ، ومن نمو للاهتمامات بالقضايا الاجتماعية من جانب آخر ومن عجز الأحزاب التقليدية القديمة أو الجديدة عن ملأ الفراغ السياسى أو الاجتماعى الذى خلفه الوفد من جانب ثالث . . ترتب على كل هذا ان توفّر المناخ المناسب لنمو جماعات سياسية جديدة استقطبت العناصر الشابة ، وهى الجماعات العقائدية التى تطرفت سواء لأقصى اليمين مثل الإخوان المسلمين أو لأقصى اليسار مثل الشيوعيين .

٤ — يضاف الى كل أسباب الضعف التى اخذ الوفد يعانى منها ، ظهور صحافة مؤيدة من القصر ومعادية لحزب الوفد ، استطاعت ان تشوه صورته الى حد كبير (٤٨) .

٥ — أخيرا فقد شهد عهد الملك فاروق مجموعة من التنازلات الوفدية أدت الى أن يتحول الحزب فى النهاية خاصة فى وزارته الأخيرة (يناير ١٩٥٠ — يناير ١٩٥٢) الى صورة مهزوزة من وفد سعيد زغلول أو وفد مطلع الثلاثينات .

وقد بدأت هذه التنازلات للقوى المسيطرة (القصر والانجليز) تتوالى بعد شهور قليلة من تولية الملك فاروق ، ففي أكتوبر عام ١٩٣٧ صدر الأمر الملكى بتعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى ولم يؤخذ رأى الوزارة الوفدية فيه وكان كل ما فعله النحاس باشا أن احتج على هذا التعيين ثم سكت ولم يفعل ما فعله سعد زغلول حين عين الملك فؤاد حسن نشأت وكيلا للديوان

(٤٧) Baer, G. A history of Landownership In Modern Egypt 1800 — 1950 Oxford 1962 pp. 145 — 146.

(٤٨) نشرت « أخبار اليوم » بعد انشائها فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، ١٦ مقالا بعنوان « لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد » .

من اصرار على أن يكون هذا التعيين بموافقة الوزارة (٤٩) . وتلا ذلك ما حدث في ٤ فبراير عام ١٩٤٢ من عودة الوفد الى الوزارة محمولا على الدبابات الانجليزية . ومع ما سببته هذه العودة من عار للوفد فانها على الجانب الآخر قد اجبرت الزعامات الوفدية على انتهاج لون من الاستسلام للمطالب الانجليزية خصوصا ما يتصل منها بشئون الحرب .

لا يعنى كل ذلك ان الوفد قد انتهى كقوة شعبية كبيرة ذلك انه قد ظل له من ماضيه العظيم ومن تنظيماته الدقيقة رصيد ، مكنه من ان يبقى أكبر القوى السياسية في مصر ، ولا شك أن فشل الاحزاب التقليدية الأخرى في كسب شعبية تذكر مما يمكن أن يضاف الى ذلك الرصيد . وانما لا يمكن انكار ان كل الظروف السابقة قد اضعفت كثيرا من الوفد كقوة التأثير الأساسية في تشكيل الوزارة المصرية مما كان من أهم أسباب ضعف « الاستقرار الوزاري » خلال تلك المرحلة .

وأخيرا بقی « الوجود البريطاني » وقد استمر هذا الوجود يمارس تدخله بنفس الوسائل وان لم يكن من نفس المواقع .

مقبل عام ١٩٢٣ ، تم هذا التدخل لنزاعات على (موقع السلطة) فقد حاول الوجود البريطاني في المرتين اللتين تدخل فيهما (١٨٨٤ — ١٨٩٣) ان يؤكد لكافة الجوانب انه في الموقع الأعلى للسلطة .

بعد عام ١٩٢٣ تم التدخل لأسباب تتعلق (بالوجود البريطاني) ذاته ، فما حدث في أواخر العام التالي — ١٩٢٤ — من تدخل مشهور لاستقاط وزارة سعد زغلول لم يكن سببه حادثة السردار وحدها وانما نتج عن تلك الاجراءات التي اتخذتها الوزارة الزغلوية والتي تصورت ان بإمكانها ان تمنح تصريح ٢٨ فبراير محتوى يجعل من استقلال مصر حقيقة مفروضة (٥٠) وما يمكن أن يترتب على فرض هذه الحقيقة من تهديد (للوجود البريطاني) .

وتدخل ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهور تم أيضا لأن (الوجود البريطاني) في مصر كان يتعرض لآخطار خارجية داهمة قادمة من الحدود الغربية على هيئة غزو محوري في نفس الوقت الذي اخذت الضغوط الداخلية فيه تترى ممثلة في زيادة حدة الرأي العام المعادى . . وحدث التدخل للتخلص من أحد الخطرين ممثلا في الرأي العام المعادى .

وفيما عدا التدخل البريطاني للحفاظ على وجوده فقد وقف الانجليز في كثير من الأحوال موقف المتفرج ادراكا منهم ان المزيد من الصراع بين القصر والوفد لن يؤدي سوى الى مزيد من احتمالات استمرار هذا الوجود .

F.O. 407/199, No. 53, Allenby to Chamberlain No. 718, Dec. 7th., (٤٩)
1924.

Wavell, Viscount; Allenby In Egypt (London 1943) p. 116. (٥٠)

وبهذا الموقف أضافت السياسة البريطانية خلال تلك المرحلة سببا أساسيا من أسباب ضعف « الاستقرار الوزاري » الذي اتسمت به .

ثالثا - الوزارة - المنطلقات الاجتماعية :

تعددت انتماءات القوى الاجتماعية التي أسهمت في شغل مقاعد الوزارة ويمكن اختيار ثلاث من هذه القوى باعتبار أنها قد شاركت بالقسط الأوفى في هذا العمل أو على الأقل كانت ممثلة فيه بانتظام .

أول هذه القوى ذات انتماء (طبقي) ممثلة في طبقة كبار الملاك أترك في أول عهد النظارة ثم مصريون بعد ذلك .

ثانيها - ذات انتماء (مهني) ظاهرة في جماعة المحققين الذين استمرت لهم الغلبة في تولي المناصب الوزارية .

ثالثها - ذات انتماء (ديني) وهي الأقلية القبطية التي روعى باستمرار تمثيلها في الوزارة بوزيرين أحيانا وبوزير واحد على الأقل .

وفيما يلي محاولة لتقصي ومتابعة العلاقة بين كل من هذه القوى الاجتماعية وبين الوزارة .

١ - كبار الملاك في الوزارة :

فقد استمر كبار ملاك الأراضي أهم القوى الاجتماعية الممثلة في الوزارة على طول عمرها إلى ما قبل عام ١٩٥٢ - فمن الإحصاءات يتأكد أن عددا معينا من عائلات الملكيات الكبيرة ظل أبناءها يدخلون الوزارة على الدوام خلال الفترة بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٥٠ (٥١) .

وكان وراء هذا الاستمرار أكثر من عامل :

عامل أول : أنه لما كانت الأوضاع السياسية أخيرا بمثابة انعكاسات مؤكدة « لعلاقات إنتاجية » وأنه لما ظل كبار الملاك يمثلون أهم عناصر تلك العلاقات في مصر منذ عصر محمد علي حتى سنة ١٩٥٢ . فان النتيجة الطبيعية أن يبقى هؤلاء في موقع السلطة ، ممثلة في الوزارة على امتداد تلك السنوات .

وقد استمر هذا البقاء « مستريحا » بمعنى أنه طوال تلك السنوات فإنه لم يواجه أبناء هذه الطبقة تحديا يذكر من أي من القوى الاجتماعية الأخرى .

(٥١) هي عائلات غالي ، مظلوم ، حنا ، بركات ، دوس ، يكن ، محمد محمود ، صبري ، عبد الغفار ، علوي ، عبد الرازق ، أبانلة ، سراج الدين ، الوكيل ، ويصا .. الخ .

وكان هذا التحدى يمكن أن يصدر عن قطاعين اجتماعيين معينين :

— قطاع البورجوازية من أصحاب المشاريع الصناعية والتجارية والتي أخذت تنمو نموا واضحا بعد الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ . وما تسبب عنها من انخفاض حاد في أسعار الحاصلات الزراعية ، وبعد أن زادت الأرباح العائدة من المشاريع الصناعية الى حد كبير بعد سياسة الحماية الجمركية التي تقررته عام ١٩٣٠ .

ولكن وبدلا من أن تنمو الطبقة الجديدة — البورجوازية — بعيدة عن طبقة كبار الملاك مما يتيح ميدانا مناسبيا لصراع سياسى بين الطبقتين اذا بها تنمو في احضان الطبقة القديمة بل ومنها . والأمثلة كثيرة على كبار الملاك الذين اسهموا في المشروعات الصناعية والتجارية او على أبناء البورجوازية الذين تحولوا الى كبار ملاك (٥٢) .

وترتب على ذلك ان صراعا سياسيا طالما شهدته حركة التاريخ في بلاد كثيرة بين هاتين الطبقتين لم يحدث في مصر .

— قطاسع المثقفين من خريجي المدارس الحديثة الذى ظل ينمو خاصة خلال السنوات الخمس والسبعين موضع الدراسة . فالتعليم الحديث في مصر كان قد بدأ يستفيق من النكسة التي اصابته على عهد الاحتلال .

وبالرغم من أن جموع المثقفين الذين تخرجوا من مدارس هذا النوع من التعليم استثمروا أقلية الا أنهم كانوا نوعا من « الأقلية المؤثرة » مما كان من المنتظر معه ان يشكلوا احد عناصر التحدى لكبار الملاك .

لكن هذا التحدى لم يتحقق أيضا لعدة اعتبارات منها اقبال الارستقراطية من كبار الملاك على الحاق ابنائهم بمدارس التعليم الحديث وعلى توفير سبل ارسالهم في البعثات الى الخارج . وترتب على ذلك ان ارتبط المثقفون او طليعتهم على الأقل بالطبقة التي نبعوا منها وظلوا ينتمون اليها .

من جانب آخر فانه حتى المثقفين ممن لم يكن لهم انتماءات طبقية لكبار الملاك استطاعت هذه الطبقة ان تحتويهم في النهاية .

عامل ثان : أنه بالرجوع الى ظروف نشأة كل من طبقة كبار الملاك من جانب وقيادات البيروقراطية من جانب آخر والتي استولت خلال الربع الأخير

(٥٢) فاحمد عبود الراسمالى المشهور رئيس مجلس ادارة شركة السكر المصرية والمدير العام لشركة الاسمدة الكيماوية بالسويس ورئيس مجلس ادارة شركة البوستة الخديوية كان يمتلك اكثر من خمسة آلاف فدان في قنا . ثم من كبار الملاك البدراوى عاشور كان عضوا بمجالس ادارة خمس شركات صناعية كبيرة منها شركة مصر للغزل والنسيج وشركة البلاستيك الاهلية ، وفؤاد سراج الدين كان عضوا بمجلس ادارة شركة الكوكاكولا وشركة تصدير الاسمدة وامثلة عديدة أخرى .

Baer, Gabriel : Op. Cit. pp. 141 — 142.

من القرن التاسع عشر على الوظائف النظرية باعتبار ان النظارة ظلت لفترة غير قصيرة ، كما أشرنا من قبل — قمة للعمل الإداري .

بالرجوع الى ظروف تلك النشأة يلاحظ ان المجموعتين قد نبعتا من مصدر واحد وانهما لم يفترقا على طول عهد النظارة او الوزارة المصرية .

يتضح معنى هذا اكثر اذا وضع في الاعتبار ان الملكية الكبيرة في مصر قد نشأت مما منحه محمد علي للضباط الأتراك وكبار الموظفين من اراض زراعية على هيئة « شغالك » او على شكل « عهد (٥٣) » . وقد خلق هذا لونا من الأخذ والعطاء .. فالوظيفة الكبيرة تعطى أرضا والملكية الكبيرة تعطى وظيفة .

والتغير الوحيد في هذا المعنى هو الذي حدث في مطلع القرن بدخول بعض العناصر من « المصريين » او على حد التعبير السائد وقتذاك من « الفلاحين » الوزارة المصرية بعد ان كانت عضويتها مقتصرة تقريبا على الطبقة التركية والشركسية ، ويمثل اشتغال سعد زغلول بالذات ناظرا للمعارف عام ١٩٠٦ في نظارة مصطفى فهمى الايماء الأساسية لهذا التغير .

ويجدر ان تسجل هنا مجموعة من الملاحظات تضيء على ذلك الحدث لونا طبيعيا ليس فيه أى اثر للطفرة .

اولاها : ان الطبقة التركية الحاكمة كانت آخذة في الضعف خلال تلك السنوات (٥٤) . وكانت بالتالى في حاجة حقيقية الى تجديد دمائها ، وكان اختيار شخصيات مصرية نابهة مثل سعد زغلول للمشاركة في مسئولية السلطة انما يمثل جانبا من هذا التجديد .

ثانيها : ان سعدا نفسه وان بدا « فلاحا » الا انه نجح في ان يعقد اوثق الاواصر — مع هذه الطبقة سواء بغشيانه صالوناتها مثل صالون الأميرة نازلى او بمصاهرته لأسرها كما حدث عندما تزوج ابنة مصطفى فهمى أحد أقطاب هذه الطبقة (٥٥) .

ومن ثم لم يكن غريبا ان يقبله أبناء هذه الطبقة بين صفوفها خاصة وقد أصبح يدانيها في الثروة (٥٦) .

(٥٣) هيلين آن ريلين (ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى) الاقتصاد والادارة في مصر (القاهرة ١٩٦٧) ص ٩٥ — ١٠٧ .

(٥٤) Baer, Gabriel : Social Change In Egypt 1800 — 1914 Political and Social Change in Modern Egypt pp. 147 — 148.

(٥٥) عبد الخالق لاشين : المصدر السابق ص ٣٥ ، ص ٣٨ .

(٥٦) فقد بلغت ممتلكاته في مطلع القرن (١٩٠٢) أربعمئة فدان (لا شين ص ٢٢٦) .

ثالثتها : ان ظروف نمو الحركة الوطنية خلال السنوات الاولى من القرن حدث بكمومر أن يدفع « أحد الفلاحين » الى الصفوف الامامية وقد تصور انه بهذا سوف يمتص جانبا من تلك الحركة .

على أى حال يعتبر شغل سعد زغلول لمنصب النظارة — كما ذكرنا — تغييرا طبيعيا هاما في نوعية طبقة كبار الملاك وليس في علاقة هذه الطبقة بالوزارة التي ظلت علاقة سيطرة حتى قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وصدور قانون الاصلاح الزراعى الذى مع ما غيره في طبيعة العلاقات الانتاجية قد غير بالحتم من موقع الطبقات وبالتالي من علاقتها بالسلطة مما يعتبر بمثابة فصل جديد في التاريخ المصرى .

٢ — الحقوقيون فى الوزارة :

فترات قصيرة للغاية تلك التى لم يتول فيها الحقوقيون الوزارة سواء من خلال منصب الرئيس أو من خلال مقاعد الوزراء .

ولعل السنوات الاولى من عمر الوزارة خاصة تلك التى سبقت الاحتلال البريطانى كانت أهم هذه الفترات حين تولى مراكز الوزارة عدد من كبار الموظفين ممن غلب عليهم « المنبت العسكرى » حيث أن سنوات ما قبل عام ١٨٨٢ لم تشهد فصلا واضحا بين الوظائف المدنية والوظائف العسكرية (٥٧) .

فيما عدا تلك السنوات وعلى تعدد ما تلاها من الوزارات فقد شغل الحقوقيون الغالبية العظمى من المناصب الوزارية (٥٨) خاصة منذ نوفمبر عام ١٩٠٨ مع تأليف نظارة بطرس غالى التى تكونت من ستة أعضاء كان أربعة منهم من خريجي الحقوق (٥٩) مما دفع محمد فريد الى التنويه بهذه الحقيقة (٦٠) التى يمكن أن يضاف اليها خامس من أعضاء تلك الوزارة هو بطرس باشا نفسه رئيسها وناظر الخارجية فيها فقد اشتغل بالأعمال القانونية لفدرة من حياته وساهم فى وضع قانون المحاكم الأهلية (٦١) مما يوضح أن ناظرا واحدا من مجموع أعضاء النظارة الستة (هو اسماعيل سرى باشا) لم يكن حقوقيا أو ممن اتصلوا بالأعمال القانونية .

يدفع ذلك الى التساؤل عن الدواعى التى أدت الى فرض هذه الحقيقة لنفسها على تشكيل الوزارة المصرية سواء فى عهد الوزارات الادارية قبل عام ١٩٢٣ أو الوزارات السياسية بعد صدور الدستور فى ذلك العام ، ويمكن تقصى هذه الدواعى فيما يلى :

(٥٧) شريف باشا وصل الى رتبة اللواء ومصطفى رياض وصل الى رتبة المير ميران ومحمود سامى البارودى الى رتبة اللواء أيضا .

(٥٨) لمن بين ٢٧ رئيس نظارة ووزارة بعد الاحتلال كان ١٦ من الحقوقيين .

(٥٩) هم سعد زغلول وحسين رشدى ومحمد سعيد وأحمد حشمت .

(٦٠) Ziadeh Farahat : Lawyers — The Rule of Law of Liberalism In Modern Egypt — (Stanford —California 1968) p. 67.

(٦١) انظر ترجمة حياته . الباب الثانى — الفصل الثالث .

أولها : انه في عهد « ادارية الوزارة » نهت علاقات معينة بين الوزراء — من مواقعهم الادارية — من ناحية ، وبين مدرسة الحقوق العليا من ناحية أخرى .

ومتابعة نشأة هذه المدرسة تقدم تفسيراً مقبولاً لذلك النمو ، فمعلوم انها قد نشأت عام ١٨٦٨ على عهد اسماعيل باسم (مدرسة الادارة العليا) ، وكان الهدف منها تخريج الموظفين اللازمين للوظائف العليا بالاداة الحكومية .

وبمرور الوقت وبترقى خريجي تلك المدرسة لأعلى الوظائف ثم باختيار النظار من أصحاب هذه الوظائف — وقد تحكّم في اختيارهم قبل أى شيء كونهم من كبار الموظفين — أخذت العلاقة في التوطد بين النظارة كوظيفة وبين أصحاب شهادة مدرسة الادارة التي تحولت الى مدرسة الحقوق العليا بعد ذلك .

من جانب آخر فقد صاحب نمو هذه العلاقة انعكاس على أكبر قدر من الاهمية ، ذلك ان الطبقة القادرة الساعية الى السلطة وقتذاك ونعنى بها طبقة (كبار الملاك) قد دفعت بابنائها الى تلك المدرسة لتمدهم لتولى المناصب بعد ذلك والوزارة قمته ، وقد ظهر هذا الانعكاس منذ السنوات الاولى من عمر المدرسة المذكورة ، اذ كان يختار أغلب تلامذتها من « فرقة الانجال (٦٢) » ، من المدرسة النجيزية بما هو معلوم عن ابناء هذه الفرقة من انتهاء للعائلات الكبيرة .

هذه العلاقة التي اتسمت بالأخذ والعطاء بين الطبقة الارستقراطية من ناحية وبين مدرسة الحقوق العليا من ناحية أخرى قد وصلت مع الوقت لتصبح نوعاً من « الحقيقة المستمرة » فقد كتب أحد من تخرجوا من الحقوق خلال عشرينات هذا القرن وبعد حوالى ستة عقود من انشائها يصفها بأنها « مثوى الارستقراطية » (٦٣) .

وبحكم « العلاقة المستمرة » أيضاً بين الارستقراطية كطبقة اجتماعية متميزة وبين الوزارة كما تمت الاشارة من قبل فان عنصر الاستمرار في العلاقة بين الوزارة وبين الحقوقيين يصبح طبيعياً بل وحتمياً في اطار هذا التشابك .

ثانيها : تأتي بعد ذلك الوزارة السياسية والتي استمر الحقوقيون أيضاً مستولين عليها وان اختلفت الاسباب .

من هذه الاسباب ما اتصل بالحقوق (المدرسة العليا) ومنها ما اتصل بطبيعة العمل السياسى في البلاد .

(٦٢) د. أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد على الى اوائل حكم تولى ١٨٤٨ — ١٨٨٢ .

(٦٣) محمد زكى عبد القادر : اقدام على الطريق ص ٢٨ .

١ - فيما اتصل (بمدرسة الحقوق) أو الإدارة العليا فقد نشأت أواخر ستينيات القرن التاسع عشر وهى بذلك من أولى المدارس العليا النظرية ، ولما كانت طبيعة الدراسات النظرية تؤهل دارسها فى النهاية للعمل السياسى نتيجة للاهتمامات السياسية المتزايدة التى توليها هذه الدراسات أكبر قدر من العناية فقد كان من الضرورى وبطول السنوات أن ينمو لون من العلاقة المتبادلة بين خريجى هذه المدرسة وبين الحركة السياسية فى مصر بل وان يكونوا المحور الأساسى لهذه الحركة .

من ناحية أخرى فهناك « نوعية الدراسة » ولاشك ان غلبة تدريس القانون الفرنسى بمحتواه وفكره التقدمى قد عاونت كثيرا على مزيد من الاهتمامات السياسية .

وتتأكد هذه الحقيقة بملاحظة انه على عهد مدرسة الحقوق العليا كان هناك قسمان .. الانجليزى والفرنسى ، وكان الاقبال على القسم الثانى أكبر كثيرا من الاقبال على القسم الاول ، ثم ان أغلب بعوث الدراسات القانونية كانت توجه الى فرنسا ، ثم أخيرا وبعد صدور دستور ١٩٢٣ وتأثر القوانين المصرية بالقانون الفرنسى أحرزت الدراسات القانونية الفرنسية نصرها النهائى فى كلية الحقوق .

ومن الذين درسوا القانون الفرنسى ثم أصبحوا روادا للعمل السياسى بعده .. مصطفى كامل ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، وحسين رشدى .. الخ وغيرهم كثيرون .

يضاف الى هذين الاعتبارين (النشأة المبكرة - غلبة الدراسات الفرنسية) ان العقد الاول من هذا القرن قد شهد فائضا كبيرا من خريجى الحقوق (٦٤) مما نتج عنه ان خلفت مجموعة من هؤلاء ممن لم تستوعبهم وظائف الحكومة أو ممن لم تتسع لهم أبواب المحاماة خاصة أولئك الذين كانت لهم امكانيات مادية تغنيهم عن هذا الاحتراف ، وشكل هؤلاء بدراساتهم القانونية طبقة من محترفى العمل السياسى .

٢ - أما فيما اتصل (بطبيعة العمل الوطنى) فى مصر فى ظل الاحتلال وحتى عام ١٩٥٢ فقد أتاحت فرصا حقيقية لأن يقود الحقوقيون الحركة الوطنية ومن ثم يمثلون هذه الحركة فى الوزارة بعد أن اصطبغت بصبغتها السياسية خاصة بعد ثورة ١٩١٩ وصدور دستور ١٩٢٣ (٦٥) .

ذلك أن « العمل الوطنى » فى مصر كان بالدرجة الأولى عملا سياسيا فى أغلب مراحله ولم يتسم بالثورية الا فى مناسبات قليلة ومتباعدة .

(٦٤) اشارت كافة تقارير المبعدين البريطانيين الى هذه الظاهرة على طول الفترة بين ١٩٠٦ ، ١٩١٣ Annual Reports 1906 — 1913
(٦٥) فقد جاء فى المادة ٧٨ من هذا الدستور اشتراط أن يكون أعضاء مجلس الشيوخ من إحدى الطبقات الآتية .

من ناحية أخرى فإن غلبة العمل السياسى على الحركة الوطنية المصرية قد أدت الى الحاجة الى استخدامات قانونية متعددة لتأكيد (لا شرعية) الوجود الاحتلالى ، أو لواء إجراءات القهر التى طالما استخدمت لتثبيت هذا الوجود لا سيما اذا ما لوحظ أن تلك الاجراءات انما كانت على صورة (قوانين ومحاكمات) .

يضاف الى كل ذلك انه لما ظلت (الخطابة) الواسطة الأساسية لبلوغ قلوب الجماهير المصرية ، ولما كانت الخطابة تمثل جانبا جوهريا من عمل الحقوقيين فقد كان طبيعيا أن تحدث المزاوجة التى وقعت بين هؤلاء وبين العمل السياسى الذى يجيدون واسطته الأساسية (٦١) .

أخيرا فإن (القضية المصرية) — ولعل تسميتها (بالقضية) اختيار حقوقى — بما غلب عليها من مفاوضات ومناقشات واجراءات رآها الحقوقيون ميدانا طبيعيا يستأثرون فيه بالقسط الأهم بل القسط الأكبر .

وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات يمكن فهم ظروف وأسباب ذلك الدور الأساسى الذى لعبه الحقوقيون فى الحياة السياسية المصرية وما ترتب على ذلك من مشاركة أساسية فى الوزارة سواء قبل عام ١٩٢٣ أو بعد أن تسيست الوزارة بمقتضى الدستور الصادر خلال تلك السنة .

٣ — الأقباط فى الوزارة :

بالرغم من أن الوثائق الثلاث (٦٧) — (٦٨) — (٦٩) التى نظمت الوزارة المصرية على طول الفترة موضع الدراسة لم تتضمن أى لون من ألوان تنظيم التمثيل الطائفى وهو ما تضمنته دساتير دول أخرى الا أنه من الملاحظ أنه كان هناك نوع من « اتفاق الجنتلمان » على تمثيل الأقلية القبطية بوزير على الأقل مما يدعو الى البحث عن الظروف التى برز فيها هذا الاتفاق ثم العوامل التى أدت الى ترسيخه وجعلت منه نوعا من « البديهيات الوزارية » .

« الحاليون أو السابقون من الوزراء والممثلين السياسيين ورؤساء مجلس النواب ووكلاء الوزارات (ورؤساء ومستشارى محكمة الاستئناف أو محكمة أخرى من درجتها أو أعلى منها ، والنواب العموميين ونقباء المحامين) وموظفى الحكومة من درجة مدير عام فصاعدا » .

ويلاحظ أن الغالبية الكبرى الذين اختيروا لانتخاباتهم الحرفية ، تم اختيارهم لانتخابات حقوقية ويكفى أن نقيب المحامين كان الوحيد من نقباء أصحاب المهن الحرة ممن وافق الدستور على قبول عضويتهم لمجلس الشيوخ ! وقد ملل أحد أعضاء لجنة الدستور هذا التمييز بأن « المفروض أن نقباء المحامين من أكمل رجال القانون ولهم ميزة خاصة على نقباء الهيئات الأخرى فلا محل لاستنكار تمييزهم » (١) .

د. عثمان خليل ، د. سليمان الطاوى : القانون الدستورى — القاهرة ١٩٥١ ص ٤٥٢ — ٤٥٣ .

(٦٦) سعد زغلول أو النحاس أو مكرم كان من أهم ما يميزهم قدرتهم الخطابية .. وغيرهم كثيرون من الحقوقيين .

(٦٧، ٦٨) اولها الأمر العالى المؤسس لهيئة النظارة الصادر فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨، وثانيها القانون الصادر ١٨٨٢ ، وثالثها دستور ١٩٢٣ .

ويمكن في هذا البحث التمييز بين مرحلتين هامتين تفصل بينهما ثورة ١٩١٩ .

خلال المرحلة الاولى : هناك أكثر من حقيقة تحكمت في اختيار النظار غير المسلمين :

١ — ان مصر كانت مرتبطة بالدولة العثمانية وانسحب اثر ذلك على جانبين :

اولهما : انه عندما كان يتم اختيار أحد النظار من غير المسلمين فقد كان يحدث هذا في « الاطار العثماني » لا في « الاطار المصري » ، ولعل بهذا الفهم وحده يمكن تفسير اختيار بعض النظار الأرمن خلال تلك المرحلة على أساس أن أرمينيا كانت أخيراً قسماً من الدولة العثمانية ، بل انه كما هو معلوم فإن أول رئيس للنظارة المصرية — نوبار باشا — كان أرمينيا .

ويؤكد هذه الحقيقة ما حدث من ان استقالة وزارة نوبار الأخيرة في نوفمبر عام ١٨٩٥ كان من أهم أسبابها المذابح الشهيرة التي جرت في أرمينيا ذلك العام وما نتج عنها من حرج وضع الأرمنيين في كل أنحاء الدولة (٧٠) .

ثانيهما : انه قد ترتب على هذا الارتباط أن ظلت « الطبقة التركية » على طول تلك المرحلة تتقدم « الصفوف النظرية » بل وتشكل الغالبية العظمى لهذه الصفوف ، وقد صحب ذلك ان تم اختيار بعض النظار من غير المسلمين بحكم صلتهم بهذه الطبقة لا بحكم انتماءاتهم الطائفية ، ولدينا المثل على ذلك في بطرس باشا غالي ، فمن المعروف ان والده غالي بك ناروز كان من كبار موظفي الدائرة الخاصة للخديو رأس الارستقراطية التركية مما أتاح لبطرس باشا الاختلاط مع أبناء هذه الطبقة والتربى في أحضانها ، ويكفي لتأكيد هذه الحقيقة أن بطرس غالي قد قضى جانباً من سنوات تعليمه في المدرسة التي أنشأها الأمير مصطفى فاضل لتعليم أبنائه (٧١) .

حقيقة ان اشتغال بطرس غالي بالنظارة ثم برئاستها قد انعش الأقلية القبطية كما أن اغتياله قد أثارها إلا أن هذا لا يعني أنه كان يمثل الأقباط في النظارة بدليل أنه بعد وفاته وبعد تأليف وزارة محمد باشا سعيد فإن يوسف باشا سبأ المسيحي الذي اختير في تلك الوزارة كان سوريا لا يفتنى بحال للأقلية القبطية .

٢ — انه لما كانت النظارة خلال تلك المرحلة « نظارة ادارية » فقد كان من الطبيعي أن يكون اختيار أعضائها « اختياراً ادارياً » ، بمعنى أن يتم هذا الاختيار من جموع الفئات التي استمدت منها « البيروقراطية المصرية » أدواتها منذ نشأت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر .

(٧٠) جريدة ليكوردان الفرنسية في ١٤ نوفمبر ١٨٩٥ — نقلاً عن د. محمد نجيب أبو الليل الاحتلال البريطاني والصحف الفرنسية (القاهرة ١٩٥٢) ص ١٠٨ .

(٧١) ترجمة حياة بطرس غالي — المقتطف المجلد ٣٦ جزء ٤ ص ٣١٢ .

وكان من أهم تلك الفئات (الأرمن) الذين لعبوا دورا هاما في الجهاز الإدارى المصرى على عهد محمد على يتودهم شخصية شهيرة هو يوسف بوغوص بك (٧٢) ، وأيضا (الأقباط) الذين ظلوا يلعبون دورا أساسيا في الإدارة المصرية حتى قبل انشاء محمد على لجهازه الإدارى الشهير (٧٣) .

ومن ثم فإن اختيار أرمنى أو قبطى كناظر أو حتى كرئيس نظار في تلك الفترة لم يتم لاعتبارات مراعاة التمثيل الطائفى بقدر ما تم لاعتبارات فنية أو اعتبارات تاريخية .

وثانى ثورة ١٩١٩ وكان واضحا ان الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى ثم المعاناة التى عاشها المصريون خلال سنوات الحرب نفسها قد ينتج عنها شيء مختلف له السمة المصرية الكاملة . ولا شك أن ما أصاب العلاقات المصرية — العثمانية من قطع كامل نتج عن ظروف الحرب وعلان الحماية ثم ما ترتب على الحرب من تصفية الامبراطورية العثمانية . . هذا من جانب . . ثم عوامل الضعف التى أخذت فى التسلل الى « الطبقة التركية الحاكمة » والتى بدت واضحة حتى فى الفترة التى سبقت الحرب من جانب آخر ، كل ذلك قد عاون على تقوية مصرية الحركة الوطنية فى البلاد بعد الحرب .

وكان من الطبيعى والأمر كذلك أن يختلف تركيب زعامة ثورة ١٩١٩ عن الزعامات التى سبقتها .

حقيقة ان هذه الزعامة استمرت على نفس تشكيلاها من تحالف كبار الملاك من جانب ومن المثقفين من جانب آخر إلا أن هاتين الجماعتين كانتا قد تخلصتا تقريبا من العناصر التركية واصبحتا مصريتين الى حد كبير .

ومع هذا التغير أصبح لهاتين الطبقتين تركيب جديد اتسم أكثر بالمصرية ، ولما كان الأقباط يشكلون مجموعة هامة من المصريين فقد كان طبيعيا أن يجدوا لهم مكانا فى هذا التركيب .

بالنسبة لكبار الملاك من الأقباط فقد كونوا عنصرا هاما فى الزعامة المصرية الجديدة . ويبدو تأثير كبار الملاك الأقباط — خاصة فى الصعيد — من مساهمتهم الفعالة فى تمويل الوفد المصرى وتقديم كل الوان المساندة لزعامته والمشاركة فى جهاده .

أما بالنسبة للمثقفين أو طبقة الأفندية فإن الأقباط كانوا يشكلون فيها جانبا كبيرا ، ولدينا فى هذا الصدد احصاء عن الموظفين المصريين بالحكومة

(٧٢) ريفلين : المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٧٣) فقد كان المالك يستعينون بهؤلاء لشئون حساباتهم — انظر الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار — الجزء الثانى ، د. دونالد ريتشاردز : الإدارة القبطية فى عهد المالك أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس — أبريل ١٩٦٩) ج ١ ص ٤٩٣ — ص ٤٩٥ القاهرة ١٩٧٠ .

عام ١٩١٠ يكشف لنا هذه الحقيقة فبينما بلغ المسلمون من هؤلاء ٥٤٧٪ بلغ الأقباط ٤٥٣٪ (٧٤) . ومما لا شك فيه أن (مصرية) ثورة ١٩١٩ قد استقطبت هؤلاء وجعلتهم من عناصرها المتحمسة .

وكان من الطبيعي ومع كل هذا التغيير أن يخلف انعكاساته في أعقاب سنوات الثورة .

أخيرا فإن ثورة ١٩١٩ قد غيرت من نوعية اختيار الوزارة إذ شحب ذلك اللون من « الاختيار الإداري » ليحل محله لون آخر من « الاختيار السياسي » وكان من المنتظر على هذا النحو أن (الاختيار الجديد) يقوم على (اعتبارات جديدة) منها :

١ — التعبير عن نوعية القيادة السياسية في تأليف الوزارات الجديدة .

٢ — محاولة استقطاب كتل اجتماعية معينة لجانب هذه الجماعة السياسية أو تلك ، ولا شك أن الأقباط كونوا كتلة لها ثقلها .

على ضوء هذه النظرة نستطيع أن نفسر أكثر من ظاهرة شهدتها مصر على طول الفترة الممتدة بين عامي ١٩٢٣ ، ١٩٥٢ خاصة بتمثيل الأقباط في الوزارة :

١ — فقد شهد عام ١٩٢٤ اختيار سعد زغلول لوزيرين قبطيين (٧٥) في وزارته التي ألفها في ٢٨ يناير عام ١٩٢٤ والتي عرفت بوزارة الشعب بالرغم من معارضة القصر لهذا الاختيار .

٢ — وشهدت كافة وزارات الوفد بعد ذلك تمثيل الأقباط فيها بوزيرين حتى حدوث الخلاف المشهور بين النحاس ومكرم وما تسبب عن إصدار الأخير لكتابه المعروف بالكتاب الأسود من إعادة تأليف الوزارة النحاسية في مايو عام ١٩٤٢ تم فيها اخراج مكرم ولم يعين في الوزارة الجديدة سوى وزير قبطي واحد (٧٦) .

٣ — اعتب ذلك أن أخذت الأحزاب الأخرى تسعى لسلب الوفد « التأييد القبطي » ويتضح ذلك من خطة أحمد ماهر الذي ألف الوزارة التي أعقبت النحاس فقد أشرك فيها وزيرين قبطيين (٧٧) وهو أمر يحدث لأول مرة في أي وزارة غير وفدية .

رابعاً - الوزارة - المؤسسة الدستورية :

لما كانت الوزارة أخيراً هي إحدى المؤسسات التي ينص أي دستور على إقامتها فإنه - من الأهمية بمكان - البحث في طبيعة العلاقة بينها وبين أهم هذه المؤسسات وهي المجالس النيابية أو الشبيهة بالنيابية .

ونبينا هو معروف من الأطر الدستورية فإن هذه العلاقة تقوم على أساسين :

أولهما : أن الوزارة في العادة تنبثق عن المجلس أو المجالس النيابية انطلاقاً من بديهية أن هذه المجالس إنما تمثل في النهاية الإرادة الشعبية .

ثانيهما : وانطلاقاً من نفس البديهية فإن لتلك المجالس أن تمارس نوعاً من الرقابة على « الوزارة » فتستفسر وتسال وتستجوب وتمنح الثقة أو تسحبها .

من هنا فإن قضيتين تطرحان للمعالجة الموضوعية بحثاً عن مدى تحقق هذين الأساسيين في العلاقة بين الوزارة المصرية وبين المجالس النيابية التي شهدتها مصر على مدى الثلاثة أرباع القرن التي بدأت بمجلس شورى النواب ١٨٦٦ تحول إلى مجلس نواب ١٨٧٩ ثم إلى جمعية عمومية ومجلس شورى قوانين في عام ١٨٨٣ واستمر حتى عام ١٩١٢ ، حين تلاهما جمعية تشريعية حتى عام ١٩١٤ ، ثم برلمان يتكون من مجلسين أحدهما للشيوخ والآخر للنواب سواء في ظل دستور ١٩٢٣ أو بمقتضى دستور ١٩٣٠ .

القضية الأولى :

انبثاق الوزارة عن المجالس النيابية .

السؤال المطروح في بدء علاج مثل هذه القضية « أيهما مفروض » أن ينبثق عن الآخر : الوزارة عن المجلس النيابي أو العكس ؟

رداً بالمفهوم الديمقراطي فإن الوزارة مفروض أن تنبثق عن المجلس النيابي الذي من المفروض أنه بدوره يمثل الإرادة الشعبية .

ولكن المتأمل في تاريخ مصر وتاريخ النظارات والوزارات يلاحظ أكثر من حقيقة في هذا الشأن .

أولها : أن تلك « الرابطة العضوية » لم تتوفر حقيقة بين المؤسسات الدستوريتين . . الوزارة والمجالس النيابية . . خاصة في الفترة التي سبقت دستور ١٩٢٣ ، وذلك لأن المجالس النيابية قبل عام ١٨٨٢ قد نبعت

من « ارادة سامية » لخدو مصر ثم انها بعد الاحتلال البريطانى نشأت بناء على تقرير وضعه اللورد دفرين سفير بريطانيا فى استنبول (٧٨) .

حقيقة أن تلك المجالس النيابية قبل الاحتلال (مجلس شورى النواب ثم مجلس النواب) أو بعده (الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين) قد عارضت التدخل الأجنبى أو السياسة الاحتلالية إلا أن هذه المعارضة كانت فى الواقع تعبيرا عن نمو مطرد للروح الوطنية وانعكاسها داخل هذه المجلس أكثر منها فهما لدور يستورى كان عليها أن تلعبه .

وحقيقة أخرى وهى أن النظار قد اشتركوا فى عضوية الجمعية العمومية (١٨٨٣ - ١٩١٢) أو الجمعية التشريعية (١٩١٢ - ١٩١٤) إلا أنهم دخلوا الى تلك المجالس ولم يخرجوا منها ، بمعنى أن عضويتهم فيها قد نتجت عن كونهم نظارا وليس العكس وهو أن يتولوا النظارة بسبب هذه العضوية

يوضح هذه الحقيقة ما جاء فى المادة (٤٠) من القانون النظامى (١٨٨٣) عن تشكيل الجمعية العمومية . . تذكر هذه المادة :

تشكل الجمعية العمومية :

١ - من النظار .

٢ - من رئيس ووكلى وأعضاء مجلس شورى القوانين .

٣ - من الاعيان والمندوبين (٧٩) .

ثانيهما : أنه بالرغم من دستور صدر عام ١٩٢٣ ومن ضمانات نص عليها هذا الدستور استهدفت تأكيد وضبط العلاقة العضوية التى اشرنا اليها إلا أن هذا الدستور كثيرا ما انتهك وخولفت أحكامه ، تنفيذا لسياسة القصر وضغوط الاحتلال بدليل ما تكرر من وقف العمل بالدستور وحل البرلمانات وإقالة الوزارات .

فمن بين سبع وزارات ألغى النحاس باشا اقبلت أربع ، وبالرغم من أن رئيس الوزراء (محمد محمود) الذى أعقبه بعد إقالة وزارته الأولى فى ٢٥ يونيه ١٩٢٨ قد وصف هذه الإقالة بأنها « عمل خارق للعادة (٨٠) » ، فإن هذا العمل الخارق قد تكرر بعد ذلك ثلاث مرات ومع النحاس بالذات فى وزارته الرابعة التى اقبلت فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ - والسادسة التى اقبلت فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ والآخرى المقالة فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ .

Cromer : Modern Egypt. Vol. II pp. 271 — 279.

(٧٨)

(٧٩) فيليب جلاذ : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٨٠) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية - الحولية الخامسة ص ٦٣٩ .

على الجانب الآخر كانت مراكز السلطة (وبالذات القصر) تؤلف الوزارات التي تقوم بإجراء انتخابات تتكفل « الإدارة » بتوجيهها مما كان يؤدي في النهاية إلى تشكيل برلمانات تسيطر عليها أحزاب الاقلية السياسية مثل الأحرار الدستوريين أو السعديين (٨١) مما يعنى أن البرلمانات قد انبثقت عن الوزارات القائمة وليس العكس وهى بذلك قد خالفت تماما روح الدستور ومفاهيمه الأساسية .

القضية الثانية :

تتصل بطبيعة الرقابة التي مارستها تلك المجالس النيابية على الوزارة بالاستفسار والسؤال والاستجواب والثقة بالمنح أو السحب .

وقد اختلفت صلاحيات هذه المجالس بين مرحلة وأخرى من المراحل السياسية الثلاث التي شهدتها مصر بين عامى ١٨٧٨ ، ١٩٥٣ .

خلال المرحلة الأولى (١٨٧٨ — ١٨٨٢) أقر الأمر العالى رقم ١١ الصادر فى ١٤ أكتوبر عام ١٨٨١ الخاص بتأسيس مجلس النواب . . أقر مبدأ « مسئولية النظارة » أمام المجلس (المادة ٢١) بعد أن كانت هذه المسئولية قبل ذلك أمام الخديو ، وترتب على اقرار المادة المذكورة أن تضمن نفس الأمر (المادة ٢٣) امكان استعفاء النظارة فى حالة اختلافها مع مجلس النواب (٨٢) .

ويمكن ان يقال أنه بتطبيق مفهوم هذه المادة — بالرغم من أن اللائحة لم تكن قد اقرت بعد . . بتطبيق هذا المفهوم استتقلت نظارة شريف الثالثة فى ٤ فبراير ١٨٨٢ وهى حالة نادرة فى تاريخ النظارات المصرية لأن القاعدة التى اتبعت بعد ذلك هى حل المجلس لا خروج الوزارة (٨٢) .

تأتى بعد ذلك المرحلة الثانية (١٨٨٢ — ١٩٢٢) ويلاحظ خلالها ان المجالس شبه النيابية التى أقامها الاحتلال قد سلبت من أى صلاحيات لمراقبة الوزارة .

فتبعاً « للقانون الأساسى » الصادر عام ١٨٨٣ لم يكن لمجلس شورى القوانين أو الجمعية العمومية من حقوق سوى ابداء رأيها فى القوانين التى تقدمها لها « النظارة » وإذا كان هذا الراى بالاعتراض فهو غير ملزم للنظارة

(٨١) فى وزارة محمد محمود التى ظلت الوزارة النحاسية الرابعة تجرى انتخابات يحصل بها الأحرار الدستوريون على أكثر من ٨٠ مقعداً بينما لم يكن لهم فى مجلس النواب السابق سوى ١٢ مقعداً وامثلة كثيرة تعددت بعد ذلك انظر : محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور ص ١٠٣ .

(٨٢) فيليب جلاد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

(٨٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

التي ليس عليها في مثل هذه الحالة — وطبقا للقانون — الا أن ترسل لاي من المجلسين تبلغه أنها ترى وجوب تنفيذ القانون رغم اعتراضه .

ومع هذه الصيغة الاستشارية الكاملة للمجلسين فلم يكن لأعضائهما حتى حق تقديم الأسئلة للنظارة ناهيك عن الاستجواب أو طرح الثقة .

في عام ١٩٠٩ ومع زيادة حجم الحركة الوطنية وتوالي ضغوطها وانعكاسها بوضوح على مواقف مجلس شورى القوانين رأت النظارة منح حق السؤال لأعضاء هذا المجلس .

ووصل للمجلس خطاب من رئاسة مجلس النظار بهذا المعنى وإن قيد هذا الحق بهدة قيود كان منها : أن كل سؤال يسأله أحد الأعضاء لأحد النظار يجب أن يكون مكتوبا ، وأن يودع في سكرتارية المجلس قبل القائه في الجلسة بخمسة أيام ، وأن لرئيس المجلس أن يرفض أو يطلب تعديل كل سؤال يكون ماسا بالشخصيات أو باعثا على التناحر بين العناصر المكونة لمجموع الأمة أو مختصا بالعلاقات والاتفاقات الدولية ، ومع ذلك يجوز للنظار عدم الرد على السؤال إذا رأوا أن المصلحة العامة تقتضي بذلك ، وأخيرا الا يكون جواب النظار محل مناقشة (٨٤) .

ومن الواضح بعد كل تلك القيود أن حتى ذلك الحق الصغير الذي منحت له النظارة لأعضاء مجلس شورى القوانين قد فقد كل مضمون له .

نفس العلاقة تقريبا ظلت سائدة بين الجمعية التشريعية من جانب وبين النظارة من جانب آخر إذ بقي للنظارة « الكلمة الأخيرة » في أي خلاف بين الطرفين حتى لو أدى هذا الخلاف إلى حل الجمعية التشريعية (المادة ١٥ من قانون الجمعية) ثم إعادة تكوينها (المادة ١٦ من نفس القانون) (٨٥) .

ومع هذه العلاقة التي قامت على « اللارقابة » من جانب المجالس شبه النيابية على النظارة فإن هناك حادثة تستلفت النظر خلال تلك المرحلة وهي اذعان هيئة النظارة في ٧ أبريل ١٩١٠ لقرار الجمعية العمومية برفض مد أجل امتياز شركة قناة السويس لأربعين عاما أخرى (٨٦) .

الا أن هذه الحادثة — مع أهميتها — فانه يجدر النظر إليها في إطار الحركة الوطنية التي كانت قد بلغت ذروة انتعاشها قبل الحرب الأولى خلال تلك الشهور ، وفي إطار فتور حماس الانجليز للمشروع .

(٨٤) محاضر مجلس شورى القوانين ١٩٠٩ — ١٩١٠ ، جلسة ١٥ نوفمبر ١٩٠٩ .
(٨٥) مواد قانون الجمعية التشريعية — البرت شقير ، الدستور المصري والحكم النيابي في مصر وتاريخ ذلك من ١٨٦٦ حتى الآن ، (القاهرة ١٩٢٤) ص ٥٣٨ — ص ٥٣٩ .
(٨٦) Lloyd : Egypt since Cromer, Vol. I p. 96.

يلي ذلك المرحلة الثالثة التي تلت اعلان استقلال مصر عام ١٩٢٢ ، وفي خلالها تتأكد مسئولية الوزارة امام البرلمان — وخاصة مجلس النواب — الى اقصى حد من المسئولية .

فقد خول دستور ١٩٢٣ لهذا المجلس حق سحب الثقة من الوزارة (المادة ٦٥) كما خوله أيضا « حق اتهام الوزراء فيما يقع بينهم من الجرائم في تأدية وظائفهم » وان يقوم بدور الادعاء في « مجلس الأحكام المخصوص » الذي يشكل لمحاكمة هؤلاء (المادة ٦٦) يضاف الى كل ذلك أن أى وزير تثبت ادانته لا يعفى عنه الا بموافقة مجلس النواب (٨٧) .

ولا شك أن دستور ١٩٢٣ قد عنى قصر مسئولية الوزارة السياسية على مجلس النواب لحكمة سياسية ارتأها واضعوه وسجلها وزير الحقانية وقتذاك في المذكرة التفسيرية التي ارتفعت بهذا الدستور وجاء فيها « مسئولية الوزراء السياسية تكون امام مجلس النواب .. فهذا المجلس هو الذى يعرض على الحكومة السياسة التى يجب اتباعها ، والوزارة التى لا تنال ثقة هذا المجلس يجب أن تستقيل (٨٨) .

وقد استمر العمل بمواد دستور ١٩٢٣ طوال الفترة التى امتدت حتى عام ١٩٥٢ باستثناء السنوات القليلة التى طبق خلالها دستور صدقى المشهور (١٩٣٠ — ١٩٣٤) .

وتبعاً لما جرى عليه هذا الدستور الأخير فان واضعيه قد حاولوا الانتقاص من حقوق مجلس النواب فى مساءلة الوزارة وبالأذات فيما اتصل بقضية طرح الثقة فبينما كان دستور عام ١٩٢٣ يمنح مجلس النواب حق سحب الثقة من الوزارة اذا ما قررت ذلك الاغلبية المطلقة (للحاضرين) بشرط ان يكون الاجتماع قانونياً أى يكون حاضراً على الأقل نصف عدد أعضاء المجلس زائد واحد فان دستور ١٩٣٠ قيد هذا الحق — سحب الثقة من الوزارة — بان تقرر الاغلبية المطلقة (لمجموع الأعضاء) .

ومع القيد الذى وضعه دستور ١٩٢٣ على الاقتراع بعدم الثقة منح الوزراء الحق أن يطلبوا من مجلس النواب تأجيل المناقشة على هذا الاقتراع لمدة ثمانية أيام فان دستور ١٩٣٠ وضع أكثر من قيد آخر توجب أن يطلب الاقتراع بعدم الثقة عدد مخصوص من الأعضاء مقدماً بالكتابة وان يمضى زمن ولو قصير بين انتهاء المناقشة فى موضوع الاقتراع والاقتراع نفسه (٨٩) .

(٨٧) محمد حسن الفريق ، القانون الدستورى المصرى وتطور نظام الدولة الحديثة ابتداء من الفتح العثمانى (عام ١٥١٧) الى الوقت الحاضر (القاهرة ١٩٢٤) ، القسم الثالث ص ١٣ — ١٥ .

(٨٨) نص المذكرة فى : محمد خليل صبحى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر من عهد ساكن الجنان محمد على باشا ج ٥ (القاهرة ١٩٣٩) ص ٥٣٨ — ٥٣٩ .

(٨٩) نقلاً من « البيان الخاص بالتعديلات التى يراد ادخالها على الدستور وقساوون الانتخابات » ، محمد خليل صبحى : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٧٧٤ — ص ٧٧٦ .

هذا عن النصوص التي احتوتها دساتير ١٩٢٣ ، ١٩٣٠ والتي خولت البرلمان امكانات القيام بدوره المفترض في رقابة الوزارة واسقاطها اذا لزم الأمر .

الا انه يجب التفريق بين هذه الرقابة في النظرية وبينها في التطبيق ذلك ان متابعتها على امتداد تاريخ الوزارة المصرية يؤكد تماما انها كانت في النهاية مجرد « رقابة نظرية » فانه لم يحدث على طول هذه الفترة ان استخدم مجلس النواب حقه في اسقاط وزارة بسحب الثقة منها .

ويرتبط « عدم استخدام » هذه الصلاحية بعدة أوضاع سادت خلال تلك المرحلة .

أولها : ان يكون المجلس ممثلا حقيقيا للغالبية الشعبية وهو في هذا حريص على بقاء ممثلي هذه الغالبية في الوزارة .

ثانيها : أن تأتي الى الحكم وزارة « غير شعبية » وتنجح في تصنيع برلمان ، وفي مثل هذه الحالة فان كل طرف يبقى حريصا على الحفاظ على الآخر لأن كل جانب يعلم ان بقائه مرتين بوجود الآخر في السلطة . ووصل الأمر في هذا الصدد أنه كثيرا ما كانت تختلف هوية أولئك الموجودين في الوزارة عن هوية البرلمان ورغم ذلك كانا يتعايشان ، ولعل أشهر مثل على ذلك وزارة على ماهر الثانية التي تشكلت في أغسطس عام ١٩٣٩ فبينما لم يكن الرجل حزبيا ، وبينما ساد « انعدام الثقة » بينه وبين الحزبين الممثلين في البرلمان . . . الأحرار الدستوريين لأنه تسبب في اسقاط وزارة محمد محمود الأخيرة ، والسعديين لعدم اتفائه مع رئيسهم الدكتور أحمد ماهر حول مسألة دخول مصر الحرب . . . بالرغم من كل ذلك فقد استمرت وزارته حتى اسقطها « تبليغ بريطاني » ولم يستقطها قرار بسحب الثقة .

ثالثها : ان أعضاء البرلمان أنفسهم في أغلب الأحوال « شركاء للوزارة في سلطاتها لا رقباء عليها في تصرفاتها لهذه السلطات » .

ويرتبط هذا التفكير الذي شاع في السياسة المصرية خلال تلك الحقبة ، بالتناحر الحزبي الذي كان قائما وما كان يترتب عليه من تنكيل كل حزب بأعضاء الأحزاب الأخرى ثم بالفهم المحدود لبعض الناخبين بأن نائبهم مسئول قبل أى شيء عن تحقيق مصالحهم .

وهذه الظاهرة وان كانت قد استشرت على طول عهود الوزارات المختلفة بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٥٢ الا أنها كانت أكثر انتشارا خلال عهود وزارات الوند ما دعا وزارة اسماعيل صدقي عام ١٩٣٠ الى أن تسجلها في بيانها الذي قدمت به لدستورها الذي أصدرته خلال العام المذكور فقد جاء في هذا البيان :

« كذلك رأت الإشارة بصورة واضحة الى تحريم التدخل في أعمال السلطة التنفيذية على أعضاء البرلمان . ومثل هذا التحريم نتيجة لازمة لفصل

السلطات وكل ما يملكه أعضاء البرلمان هو الرقابة على أعمال تلك السلطة بطريق السؤال والاستجواب .

« والاشارة الواضحة الى النهى عن التدخل تكون عادة من التزيد ولكن ما جرى من المساوىء في هذا الشأن يجعلها ضرورية للفت العضو الى حدوده ولتمكين المجلس التابع له العضو من حسابه على مخالفة النهى بل ومن فصله اذا وقع منه ما يستدعى ذلك . . وناهيك على ضرورة هذه الاشارة وعلى معيار الامانة في اداء النيابة عند البرلمان الحالى ان المرسوم بقانون الذى سن عقوبة على اتجار أعضاء المجالس بنفوذهم اعتبره حريق الأوتوقراطية (٩٤) قانونا حزبيا وقرر لذلك ابطاله » (٩٥) .

وبالرغم من انتقادات عنيفة صدرت عن المجالس النيابية المصرية لأعمال بعض الوزارات أو أصوات احتجاج حادة سمعت داخل القاعات البرلمانية إلا أن هذه الانتقادات وتلك الأصوات ظلت في حدود « تعبير الأقلية » بل ودنت في كثير من الأحوال لتصبح تعبيرا عن « موقف شخصى » وهى بهذا لم تكن فى أى وقت ذات وزن مؤثر فى الوزارة .

وربما على طول تاريخ مصر خلال تلك المرحلة لا يعثر الباحث على مجلس نيابى رفض قانونا عرضته الوزارة القائمة الا فيما حدث عام ١٩٥١ حين رفض مجلس النواب الوفدى قانونا لتقييد الصحافة قدمته الوزارة بواسطة أحد النواب الوفديين (اسطفان باسيلي) ، ولما كان هذا القانون فى الواقع « مطلبا ملكيا » فان رفضه من جانب « البرلمان الوفدى » لم يكن رفضا لقانون تقدمت به الوزارة الوفدية بل كان قبل أى شىء مناورة حزبية أرادت بها الوزارة أن ترضى القصر فتقبل طلبه فى نفس الوقت يمتنع برلمانها عن تمرير القانون .

يتأكد أخيرا من هذه الصورة ان العلاقة بين الوزارة وبين المجالس النيابية على مختلف مراحل تاريخ مصر المعاصر لم تأخذ — من الناحية الواقعية — الشكل الدستورى المتعارف عليه سواء بانبثاقها عن هذه المجالس أو بخضوعها لرقابتها .

(٩٤) يقصد الوفد .

(٩٥) محمد خليل مبحى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٨٣ .



الخدوي اسماعيل

الباب الأول

النظارة في عهد التدخل الأجنبي

١٨٧٨ – ١٨٨٢

—

الفصل الأول

النظارة في عصر اسماعيل

١٨٧٨ – ١٨٧٩

—

سجلت مجموعة التداخلات الأجنبية التي عانت منها مصر خلال السنوات الأخيرة من عصر اسماعيل مولد أول « نظارة مسئولة » في تاريخها الحديث .

فلم يكن يمضى عام واحد خلال النصف الثانى من سبعينيات القرن الماضى الا وكانت هذه التداخلات تكسب أرضا جديدة ، ففي عام ١٨٧٥ تأتى « بعثة كيف » ، يتلوها في منتصف عام ١٨٧٦ انشاء « صندوق الدين » ثم قبل أن تنتهى هذه السنة يتم فرض « الرقابة الثنائية » ، وتشهد الشهور الأولى من عام ١٨٧٨ تشكيل « لجنة التحقيق العليا الأوربية » (١) .

وتوصلت هذه اللجنة — من بين ما توصلت اليه — الى أن « كل مفسد وفوضى الأوضاع المالية في مصر وكل الظلم الذى يعانى منه دافع الضرائب إنما هو ناتج أساسا عن السلطة المطلقة التى يمارسها الخديو في البلاد » (٢) .

وانطلاقا من هذا المفهوم بدأ السعى لانشاء « هيئة نظارة مستقلة » بعيدة عن نفوذ اسماعيل ، بل أكثر من ذلك قادرة على مقاومة هذا النفوذ .

وكانت أولى الخطى في هذا السعى ما فعله المستر « ريفرز ويلسون R. Wilson » نائب أول رئيس اللجنة بل رئيسها الحقيقى نتيجة لعدم اشتراك رئيسها « دلسبس » في أعمالها بصورة جدية (٣) . . ما فعله عند تقديم قراراتها الى الخديو بتذكيره للأخير بوعده بالأخذ بتوصياتها وضغطه عليه لتنفيذ هذا الوعد (٤) .

على الجانب الآخر فإن « نوبار باشا » الذى عاد في منتصف أغسطس الى القاهرة بعد مشاورات ناجحة في لندن وباريس مع حكومتيهما (٥) قد شارك في الضغط على اسماعيل ليقبل قرارات اللجنة خاصة ما تعلق منها « بتقييد سلطة الخديو المطلقة » وبدا واضحا أن الرجل مرشح الدولتين الكبيرتين لرئاسة هيئة النظارة المقترحة سبيل هذا التقييد .

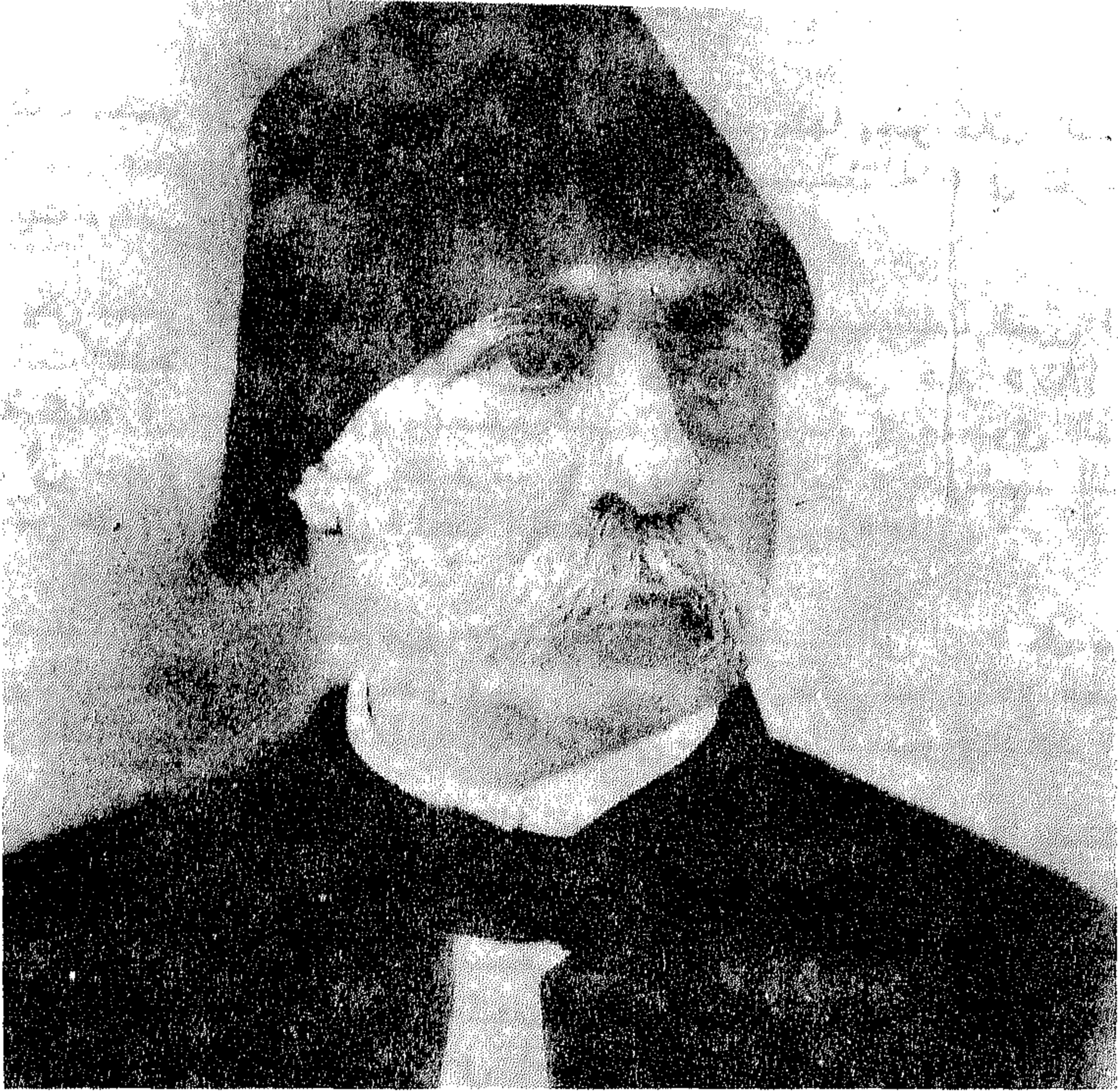
وتتأكد تلك الحقيقة مما احتوته الوثائق البريطانية من برنامج وضعه نوبار للنظارة المطلوب تشكيلها وذلك حتى قبل أن يوافق اسماعيل على مطالب لجنة التحقيق .

وقد تضمن هذا البرنامج الرغبة في تشكيل مجلس للنظارة يتكون من أحسن العناصر الوطنية ويدعمه وجود ناظر انجليزي وآخر فرنسي .

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ج ٢ ص ٥٦ — ص ٧١
Egypt No. 2 (1879) No. 231 Vivian to Salisbury, Aug. 19, 1878. (٢)

(٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ٦١
Egypt No. 2 (1879) No. 232 Vivian to Salisbury, Aug. 20, 1878. (٤)

(٥) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المصدر السابق ص ٦٢ — ص ٦٤ .



نوبار باشا

- أرمنى ولد بأزمير عام ١٨٢٤ وتلقى تعليمه بفرنسا وسويسرا .
- استدعاه قريبه « بوغوص بك » وزير محمد على للعمل فى مصر فاشتغل بقلم المترجمين ثم سكرتيرا خاصا لابراهيم باشا .
- اتخذه عباس باشا سكرتيرا أيضا وتوثقت العلاقة بينه وبين القنصل الانجليزى فى هذا العهد .
- عين مديرا للسكك الحديدية فى عهد سعيد .
- كان رسول اسماعيل لأوربا لحل المشكلات وكان هو صاحب مشروع المحاكم المختلطة .
- كان بعد ذلك أول رئيس نظارة مسئولة فى مصر ١٨٧٨ .

وبرر الرجل هذا الاشتراك الأوربي في النظارة المصرية بأنه السبيل الوحيد لضمان استقلالها على أساس أن « العنصر الوطنى غير كفؤ فى تحمل شئون الإدارة أو مستقل الى الحد الذى يمكنه من الوقوف أمام السلطة المطلقة لرئيس الدولة » وهو الرأى الذى أدلى به للقنصل البريطانى العام فى القاهرة وقتذاك (٦) .

وباستمرار الضغط قبل اسماعيل — وبدون قيد أو شرط — كل مطالب لجنة التحقيق ، وتفرع عن ذلك قبوله لاستدعاء نوبار لتشكيل النظارة ، هذا من ناحية ، وقبوله ببرنامج نوبار المتضمن اشراك ناظرين أوربيين من ناحية أخرى (٧) .

١ — نظارة نوبار باشا الأولى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ — ٢٣ فبراير ١٨٧٩ :

وفى ٢٨ أغسطس صدر « الأمر العالى » بتكليف نوبار باشا تشكيل أول « نظارة مسئولة » فى مصر ، أو على حد التعبير الذى تضمنه هذا الأمر « أن يكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك أمر لابد منه » .

وتوجب الأهمية الكبيرة لهذا الأمر العالى اثبات نصه .

ترجمة الأمر العالى الصادر الى دولتو نوبار باشا باللغة الفرنسية بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ الموافق غرة رمضان سنة ١٢٩٥ المؤسس لهيئة النظارة الجديدة ووظائفها (٨) :

« انى أطلت الفكر وأمعنت النظر فى التغييرات التى حصلت فى أحوالنا الداخلية الناشئة عن تقلبات الأحوال الأخيرة وأردت فى وقت مباشرتكم لمأمورية تشكيل هيئة النظارة الجديدة التى فوضت أمرها اليكم أن تؤكد لكم ما توجه قصدى اليه وثبت عزمى عليه من اصلاح الإدارة وتنظيمها على قواعد مماثلة للقواعد المرعية فى إدارات ممالك أوربا .

« وأريد عوضا عن الانفراد بالأمر المتخذ الآن قاعدة فى الحكومة المصرية سلطة يكون لها إدارة عامة على المصالح تعادلها قوة موازنة من مجلس النظار بمعنى أنى أروم القيام بالأمر من الآن فصاعدا بالاستعانة بمجلس النظار والمشاركة معه .

« وعلى هذا الترتيب أرى أن اجراء الاصلاحات التى نبهت عليها يستلزم

Egypt No. 2 (1879) No. 233 Vivian to Salisbury, Aug. 22, 1878. (٦)
Ibid Inc. In No. 234 Statement of His Highness the Khedive to Mr. Rivers Wilson. (٧)

(٨) فيليب جلاذ : قاموس الإدارة والقضاء ج ٢ ص ٤٣٥ ، جورج جندى وباك ناجر : اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية (القاهرة ١٩٤٧) ص ٧٤ — ص ٧٦ نقلا عن الوثائق المصرية رقم ٧٧٧ .

أن يكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك امر لازم لا بد منه .

« يجب على مجلس النظار أن يتفاوض في جميع الأمور المهمة المتعلقة بالقطر ويرجع رأى أغلبية أعضائه على رأى الأقل عددا فيكون حينئذ صدور قراراته على حسب الأغلبية وبتصديقى عليها أقرر الرأى الذى تكون عليه الأغلبية .

« يتعين على كل ناظر من النظار أن يجرى قرارات المجلس المصدق عليها منا فى الإدارة المنوطة به .

« تعيين المديرين والمحافظين ومأمورى الضبطيات يكون بالمداولة بين الناظر التابعين هم لإدارته وبين رئيس المجلس وما يستقر عليه الرأى يعرض علينا بواسطة رئيس المجلس لأجل تصديقنا عليه .

« الناظر الذى يكون المأمورون وأرباب الوظائف السالف ذكرهم تحت إدارته مباشرة له الحق فى توقيفهم عند الاقتضاء عن اجراء وظائفهم وذلك بعد اتفائه مع رئيس هيئة النظار وأما انفصالهم عن وظائفهم فلا يكون الا بعد اتفاق الناظر التابعين له مع رئيس المجلس والتصديق عليه منا .

« للنظار أن ينتخبوا المأمورين ذوى المناصب العالية اللازمين لإدارتهم وأن يعرضوا ذلك علينا للتصديق عليه . وأما الوظائف الصغيرة فيكون تعيين المستخدمين اللازمين لها بخطاب أو قرار من ناظر الديوان .

« أعمال كل ناظر تجرى فى الأمور التى تكون من خصائصه لا غير وأرباب الوظائف والمستخدمين فى كل فرع من فروع الإدارة لا يتلقون الأوامر الا من رئيس المصلحة الذين هم مستخدمون بها وتابعون لها ولا تجب عليهم طاعة أمر غيره .

« ينعقد مجلس النظار تحت رياستكم لأنى فوضت هذا التنظيم الجديد الى عهدتكم وجعلت مسؤوليته عليكم .

« وانى أرى أن تشكيل هيئة نظارة حائزة لهذه الخصوصيات ليس مخالفا لعوائدنا وأخلاقتنا ولا لآرائنا وأفكارنا بل موافقا لأحكام الشريعة الفراء وبتعميم ترتيب محاكم الحقانية تكون فيها الكفاية لحاجات هيئتنا الاجتماعية والمساعدة على تميم مقاصدنا الحقيقية ونياتنا الخيرية .

« وانى معتمد عليك فى اجراء الاصلاحات التى صممت عليها مؤملا أن تكفل للبلاد جميع التأمينات التى لها الحق فى انتظارها والحصول عليها من حكومتنا » .

وبالرغم من صدور هذا « الأمر العالى » فانه كان لابد من مرور بعض الوقت لاستكمال « التشكيل النظارى » ، ومرار المزيد من الوقت لاستكمال « البناء النظارى » .

فيما يتصل بالتشكيل النظاري فانه لما كان البرنامج الذي وضعه « نوبار باشا » يتضمن ادخال ناظرين اوروبيين ، ولما كان اشراك هذين لابد وأن يسبقه موافقة حكومتيهما مما يحتاج لبعض الوقت فقد كان الانتظار حتميا مما بدا من رد نوبار على اسماعيل والذي جاء فيه .

مولاي

بناء على اوامر سموكم اتشرف بأن اعرض على جلالتم طلب الموافقة على الاسماء الآتية لتشكيل النظارة الجديدة وهم :

● رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية والحقانية نوبار باشا

● ناظر الداخلية رياض باشا

● ناظر الجهادية راتب باشا

● ناظر الأوقاف والمعارف العمومية
وناظر الأشغال العمومية بالنيابة
على باشا مبارك

وأرجو سموكم أن تسمحوا لي بأن أترك لمدة قصيرة نظارة المالية شاغرة ، غير أنني سأقوم بإدارة هذه المصلحة الهامة ، الى أن أتمكن من عرض اسم شخص أعرفه بأنه يحظى بتقدير سموكم ، وانه يتمتع بالثقة العامة (٩) .

وواضح ان هذا الرد يتضمن الاعتراف بنقص التشكيل الوزاري ، سواء في اسناد أكثر من نظارة الى ناظر واحد كما هو حادث بالنسبة لنوبار أو على مبارك ، أو في المطالبة بمهلة لتعيين « شخص أعرفه بأنه يحظى بتقدير سموكم » وكان يعنى به المستر ريفرز ويلسون .

وقد اقتضى استكمال هذا التشكيل نحو ثلاثة شهور من عمر الوزارة النوبارية الاولى الذي لم يتجاوز الشهور الستة .

ذلك ان ادخال الناظرين الاوربيين كان يستدعى أكثر من اجراء :

١ — التأكيد على انه تم بناء على رغبة الحكومة المصرية وذلك للمخاوف التي ساورت نوبار من أن تصور أي حكومة اجنبية أن من حقها الاشتراك في النظارة المصرية ، ومن ثم تسعى للحصول على هذا الحق (١٠) وقد

(٩) وزارة الثقافة — مركز وثائق تاريخ مصر المعاصرة : النظارات والوزارات المصرية — ج ١ ص ٧٧ .
(١٠) Egypt No. 2 (1879) No. 234 Vivian to Salisbury, Aug. 23, 1878.

حدث اذ كانت روما راغبة في تعيين ايطالى ناظرا للحقانية وفيينا طلبت تعيين نمسوى ناظرا للمعارف (١١) .

٢ — العمل على الاتصال بالحكومتين المعنيتين في لندن وباريس ، الاولى لتصرح للمستتر « ريفرز ويلسون » لشغل منصب ناظر المالية ، والثانية لتصرح للمسيو « دى بلينير » لشغل منصب ناظر الأشغال .

ولم تتم هذه التعيينات بسهولة لاكثر من عقبة ، منها مخاوف فرنسا من وضع الشئون المالية التى تعنى كل الدول فى يد انجليزى مما يعنى سيطرة لندن على هذه الشئون ، ومنها رغبة الحكومة الانجليزية فى سلخ كل « المصالح » ذات الصلة بالديون مثل ميناء الاسكندرية وقناة السويس والسكك الحديدية عن دائرة اختصاص نظارة الأشغال التى تقرر ان يتولاها الناظر الفرنسى ، ومنها الخلاف بين نوبار وبين الحكومة الفرنسية عمن يختار فى هذا المنصب حتى استقر الراى على « بلينير » (١٢) .

وبعد تذليل هذه العقبات صدر الامران العاليان باختيار « ويلسون » ناظرا للمالية فى ٢٦ سبتمبر ، وبلينير ناظرا للأشغال فى ١٦ نوفمبر .

أما نقص « البناء النظارى » فيعترف به رد نوبار أيضا الذى جاء فيه . . « وستولى المجلس نظارة الزراعة والتجارة ، وسوف يقرر عما اذا كانت هذه النظارة قائمة ، أو أن تقسم الى قسمين مندمجين فى نظارة ، أو أن يكونا نظارتين » .

ولم ينفذ أى من هذه النوايا فلا الزراعة أو التجارة تحولتا الى نظارة واحدة أو نظارتين منفصلتين وإنما بقيتا ملحقتين بسائر النظارات .

وقد تم التوصل الى الشكل النهائى « للبناء النظارى » بعد نحو أربعة شهور من تشكيل النظارة وذلك بمقتضى الأمر العالى الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ « بشأن اختصاصات النظار ووظائفهم » والذى تضمن توصيف وظائف رئيس مجلس النظار وسائر النظار ، كما اشتملت هيئة النظارة على سبع نظارات هى على توالى ترتيبها فى الأمر العالى المذكور : الخارجية ، والمالية ، والجهادية والبحرية ، والمعارف والأوقاف ، والداخلية ، والحقانية ، والأشغال (١٣) .

وواضح أن النقص الذى أصاب النظارة النوبارية فى (تشكيلها) أو فى (بنائها) إنما نتج قبل أى شئ عن أن النظام النظارى المصرى لم ينمو نموا طبيعيا فى مناخ سياسى وظروف ادارية مواتية حتى بلغ مرحلة « النظارة المسئولة » بقدر ما فرضته قوى التدخل الأجنبى وسعت الى تنفيذه بأكبر ضغط وفى أسرع وقت .

(١١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المصدر السابق ص ٦٨ — ص ٧١ .

(١٢) نص الأمر العالى من : فيليب جلاذ : المصدر السابق ج ٣ ص ٨٣٥ .

(١٣) نص الأمر العالى من : فيليب جلاذ : المصدر السابق ج ٣ ص ٨٣٥ .

تبع هذه الحقيقة نتيجة أخرى وهى أن قبول الخديو اسماعيل لتأليف أول نظارة مسئولة شابه الكثير من الفتور بل والاعتراض ، فقد قال بالحرف الواحد للقنصل الانجليزى فى مصر الذى ذهب يهنئه بما اتخذه من قرارات خاصة بتنفيذ مطالب لجنة التحقيق . . قال « انى منزعج نوعا من التنازلات التى قدمتها والتضحيات التى ضحيتها ، ولكن طالما انى أعلم انها ضرورية لبلادى فقد قبلتها بدون أسف بالرغم من انها تكلفنى خسارة كبيرة فى سلطتى وهيبتى ، كما أنها تكلف عائلتى أملاكها » . وان كان هذا لم يمنع « فيفيان » من أن يسمى القرار الذى اتخذ « بالعهد الأعظم » (١٤) !

وقد وعت بريطانيا وفرنسا طبيعة موقف اسماعيل خاصة بعد أن وصلت الى العاصمة البريطانية الشائعات بأن الخديو يبت العراقل فى طريق النظارة النوبارية بالقول بأن التدخل الأجنبى هو الذى سبب كل المتاعب لمصر (١٥) .

دعا ذلك القنصل البريطانى العام فى القاهرة الى تقديم « تحذير رسمى » لاسماعيل من سلوكه نحو النظارة وذلك فى أول ديسمبر ١٨٧٨ ، وقد استقبل الخديو هذا التحذير بغضب ظاهر. متسائلا عما يراد منه بعد أن تنازل عن سلطته وعن أملاكه ، مما دعا فيفيان أن يذكره « بالبرود بل وبالكراهية » التى يعامل بها النظارة ويطالبه بأن يقدم للنظارة كل معونة ممكنة (١٦) .

وأهم من المعارضة الخديوية ما ترتب على تشكيل النظارة النوبارية وعلى سياستها من نمو معارضة أخطر كثيرا عليها من برود القصر أو كراهيته .

فان ما شهدته عصر اسماعيل من زيادة نطاق التعليم واتساع قاعدة المثقفين ، وظهور العديد من الصحف الأهلية ، والانفتاح على الفكر الأوربى . كان حتميا أن يصحبه ارهاصات حركة وطنية قادها جمال الدين الأفغانى وتلاميذه ، وكانت النظارة النوبارية (بتشكيلها) هدفا واضحا لا يمكن أن تتجاهله هذه الحركة .

من ناحية أخرى فان استقرار الملكية الزراعية وما تمخض عنه من ظهور طبقة من كبار ملاك الأراضى ومتوسطيها كان طبيعيا أيضا أن يكون لها موقف من نظارة نوبار (بسياستها) التى لم ترع فيها سوى مصلحة الدائنين ، وقد أقلق هذه الطبقة كثيرا ما تردد عن نية النظارة على زيادة الضرائب على الأراضى العشورية (١٧) .

تجمعت هذه المواقف لتتبلور فى معارضة قوية فى « مجلس شورى النواب » الذى تم افتتاحه فى أول يناير ١٨٧٩ ، التى استهدفت أكثر ما استهدفت الوجود الأوربى فى النظارة ، فتم استدعاء « بليير » أكثر من مرة أمام المجلس

Egypt No. 2 (1879) No. 237 Vivian to Salisbury, Aug. 25, 1878. (١٤)

Egypt No. 5 (1879) No. 1 Salisbury to Vivian, Dec. 2, 1878. (١٥)

Ibid, No. 3 Vivian to Salisbury, Dec. 14, 1878. (١٦)

(١٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ص ١٦٨ .

حيث أجاب على تساؤلات أعضائه العديدة . كما ركز هؤلاء الأعضاء جل اهتمامهم على المسألة المالية إلا أن « ويلسون » من ناحية لم يستجب لدعواتهم المتكررة كما أن النظارة من ناحية أخرى قد نجحت في إصدار مرسوم في ٦ يناير ١٨٧٩ يقضى بإصدار القوانين المالية بمجرد التصديق عليها من الخديو ومجلس النظار مما أدى إلى عاصفة من الاحتجاجات في المجلس ، يقودها عبد السلام المويلحي ومحمود العطار ، على تجاهل حقوقه التشريعية (١٨) .

وتأتى مظاهرة الضباط في ١٨ فبراير (١٩) تعبيرا عن حجم المعارضة التى حاقت بالنظارة النوبارية والتى وقعت خلالها اهانة شديدة بكل من نوبار وريفز ويلسون .

. وكان لنجاح الخديو في فض هذه المظاهرة اثره الكبير في تحسن مكانته مما أراد معه أن ينتهزها فرصة ليطيح بالنظارة النوبارية . فعندما توجه القناصل للأعراب عن رضائهم من مسلكه طلب منهم ابلاغ حكوماتهم أنه لا يستطيع الاستمرار طويلا في موقعه القائم من « المسئولية بدون سلطة » وأنه مع بقاء هذا الموقف فإنه لن يعتبر نفسه مسئولا عن النتائج .

ثم تبع ذلك ان أسر للقنصل الانجليزى برغبته في التخلص من نوبار باعتباره مسئولا عما جرى من أحداث وأعرب الخديو عن نيته على استبداله بشريف (٢٠) .

ثم في اجتماع مع الممثلين السياسيين لبريطانيا وفرنسا في القاهرة ابلفهما اسماعيل أنه اذا كانت حكومتاهما ترغبان في الحفاظ على الأمن العام فان على نوبار أن يقدم استقالته بأسرع ما يمكن .

ولما كان نوبار عاجزا عن أن يتعهد بما تعهد به الخديو من الحفاظ على الأمن اذا ما بقى في النظارة فلم يكن أمامه من سبيل سوى قبول مطلب اسماعيل (٢١) ، واستعفت النظارة النوبارية في ٢٣ فبراير ١٨٧٩ (٢٢) .

بقيت البلاد بعد ذلك لأكثر من أسبوعين بلا نظارة مسئولة جرت خلالها مفاوضات طويلة بين الانجليز والفرنسيين من ناحية وبين الخديو اسماعيل من ناحية أخرى حتى تم الاتفاق وتأليف نظارة توفيق في ١٠ مارس ١٨٧٩ .

(١٨) د. عبد العزيز رفاعى : فجر الحياة النيابية في مصر الحديثة ص ١٠٣ — ص ١١٣ .
(١٩) فقد كانت نظارة نوبار بصيدة من الحكمة حين دعت كل الضباط المسرحين لتسليم أسلحتهم في القاهرة ولما كان حال هؤلاء قد ساء كثيرا خاصة وانهم لم يتقاضوا أى مرتبات طيلة عشرين شهرا فقد انتهزوها فرصة وقاموا بمظاهرتهم التى اشترك فيها ٢٦٠٠ ضابط يصحبهم أربعة من أعضاء مجلس النواب احتجزوا خلالها نوبار وويلسون في نظارة المالية في قصر النيل حتى أمكن فض مظاهرتهم واطلاق سراح المحتجزين بعد حضور الخديو .

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ٧٥ — ص ٧٦ .
(٢٠) Egypt No. 5 (1879) No. 35 Vivian to Salisbury Feb. 19, 1879.

(٢١) Ibid No. 36 Vivian to Salisbury, Feb. 19, 1879.

(٢٢) الوقائع المصرية العدد ٧٩٩ .



الأمير محمد توفيق

—

- ابن اسماعيل ولد في عام ١٨٥٢ .
- تلقى تعليمه في مدرسة النيل فالمدرسة التجهيزية حيث تعلم التركية والفرنسية والانجليزية .
- اشتغل بالجهاز الادارى فعين رئيسا للمجلس الخاص .
- تولى في بعض الاوقات نظارة الداخلية والاشغال .

٢ - نظارة الأمير محمد توفيق باشا
(١٠ مارس ١٨٧٩ - ٧ أبريل ١٨٧٩) :

تدرجت المفاوضات التي جرت قبل تشكيل النظارة التوفيقية فبدأت بمحاولة من اسماعيل للقضاء على عهد النظارة المسئولة وذلك باقتراحه بأن يتولى بنفسه رئاسة النظارة (٢٣) .

ولكن هذا المطلب رفضته كل من الدولتين الكبيرتين (٢٤) مما دعاه الى أن يتنازل خطوة بتقديم اقتراحات بديلة :

اولها : أن يتولى ابنه « الأمير محمد توفيق » رئاسة النظارة .

ثانيها : أن ترفع اليه كل المسائل التي تتطلب موافقته عن طريق الناظر المختص لتبحث في مجلس برئاسته .

ورفضت هذه المقترحات بدورها من جانب الناظرين الأوربيين على أساس أنها تتعارض مع مرسوم ٢٨ أغسطس بالفصل بين الخديو والنظارة وأن معنى الاستجابة لها أن يقع النظار الوطنيون مرة أخرى تحت نفوذ اسماعيل .

وتم تقديم مقترحات مضادة تضمنت قبول سماع رأى الخديو ، بالنص على أنه قبل اتخاذ أى قرار من مجلس النظار حول مشروع أى قانون على الناظر المختص أن يرفع التقارير والآراء التي تأسس على ضوءها المشروع للخديو للعلم ، كما أنه إذا ما رغب الخديو في اتخاذ أى قرار فعليه أن يحيط به مجلس نظاره ، وفي أى الحالىن ينعقد مجلس النظار بناء على طلب الخديو اتخاذ أى اجراء « ولكن بدون حضوره » .

وبتقديم هذه المقترحات الجديدة لاسماعيل عبر عن ضيقه الشديد بها وأبلغ ممثلى الدولتين أنه والحال هكذا فان على دولتيهما أن تتحملا النتائج التي يمكن أن تتمخض عن رفضهما لمقترحاته .

وأدى هذا التهديد الخفى من جانب الخديو الى انزعاج القنصلين البريطانى والفرنسى اللذين رأيا الاستجابة لمطالبه بشرط تقوية الوجود الأوربى فى النظارة بأن يكون للناظرين الأوربيين حق الاعتراض (الفيتو) على أى من القرارات النظرية (٢٥) .

وبدلا من أن تنساق لندن أو باريس لمخاوف ممثليهما فى القاهرة حبذتا آراء ويلسون وبلينير وصممتا على ضرورة ابعاد الخديو عن الاشتراك فى مجلس النظار ، كما تبنت لندن وجهة نظر المستر ريفرز ويلسون بضرورة اشراك نوبار فى النظارة الجديدة على نحو أو آخر (٢٦) .

Egypt No. 5 (1879) No. 36 Vivian to Salisbury, Feb. 19, 1879.

(٢٣)

Ibid, No. 58 Salisbury to Lord Lyons, Feb. 25, 1879.

(٢٤)

Egypt No. 5 (1879) No. 60 Vivian to Salisbury, Feb. 26, 1879.

(٢٥)

Egypt No. 5 (1879) No. 62 Salisbury to Vivian, Feb. 27, 1879.

(٢٦)

ولكن الوكالة البريطانية في القاهرة ظلت على رأيها بوجوب ايجاد نوع من الارتباط بين الخديوية والنظارة طالما ظل الخديو اسماعيل على العرش في مقابل تقوية العنصر الأوربي في النظارة ، كما أنها نظرت الى التصميم على ادخال نوبار الى النظارة الجديدة باعتباره خطأ كبيرا يمكن ان يؤدي الى نتائج وخيمة وتعقيدات خطيرة « (٢٧) .

الا ان الحكومتين الكبيرين لم تأخذا بآراء قنصليهما في القاهرة وتقرر ان يتقدم هذان في أول مارس بمذكرة مشتركة الى الخديو .

تضمنت هذه المذكرة الراى بضرورة عدم المساس بأسس الاصلاح في مصر ، وبأنه لما كان نوبار باشا يمثل هذه الأسس كما انه الموظف المصرى الوحيد القادر على تنفيذها فانه لابد من اشتراكه في النظارة الجديدة .

كما تضمنت الموافقة على قبول رئاسة توفيق باشا لمجلس النظار ورفضت السماح بأن يتولى اسماعيل هذه الرئاسة في أى وقت من الأوقات وإن رأت ضرورة تنسيق العمل بينه وبين النظار .

رد اسماعيل على المذكرة المشتركة في ٢ مارس — أى بعد تقديمها بيوم واحد — وقد تمسك بموقفه المعارض لتعيين نوبار في النظارة الجديدة ، وحذر الحكومتين من أن تعيينه سوف يؤدي الى اثاره الاضطرابات من جديد ، ثم أن الخديو تنازل عن سائر مطالبه ، بل أكثر من ذلك أبدى استعداده لتقديم تنازلات اضافية في حالة الاستجابة لطلبه (٢٨) .

ولما فشلت آخر محاولات نوبار نفسه بالبقاء في النظارة وذلك عندما تقدم للخديو بخطاب جاء فيه انه لا يرغب في حماية الدول الأجنبية وأنه يطمع أن يتمتع بحمايته وحده بأمل أن يرق قلب اسماعيل عليه الا أن الاخير استمر على تصلبه (٢٩) . . بفشل هذه المحاولة الأخيرة تقرر الاستفادة من رغبة الخديو في تقديم تنازلات للتدخل الأجنبى اذا ما تمت التوضيح بنوبار فيتم قبول بريطانيا وفرنسا لاقتراح تمتع الناظرين الأوربيين بحق الفيتو في النظارة الجديدة (٣٠) .

وصدرت بعد ذلك المراسيم ، ليس بتأليف نظارة توفيق فقط وانما بتجسيد كل ذلك الصراع الذى دار في الطريق الى تأليفها .

فقد جاء في « الارادة السنية الصادرة من الحضرة الفخيمة الخديوية في ١٠ مارس ١٨٧٩ الى حضرة دولتو أفندم رئيس مجلس النظار » (٣١) مانصه :

Egypt No. 5 (1879) No. 66 Vivian to Salisbury, Feb. 28, 1879. (٢٧)

Egypt No. 5 (1879) No. 73 Vivian to Salisbury, March, 2, 1879. (٢٨)

Egypt No. 5 (1879) No. 76 Vivian to Salisbury, March 4, 1879. (٢٩)

Egypt No. 5 (1879) No. 77 Salisbury to Vivian, March 4, 1879. (٣٠)

(٣١) الوقائع المصرية العدد ٨٠٣ .

« لما أحلت على عهدة أمانتكم رئاسة المجلس وتشكيل هيئة النظرار رأيت من المهم ان استجلب دقتكم فيما يجب من اتحاد الراى بين أعضاء ذلك المجلس وان أحيطكم علما بما فى أفكارى مما يتعلق بإدارة المصالح طبقا لما هو بدون فى الذكريتو المؤرخ فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ الذى هو أساس لهيئة الحكومة .

« فانى عند تأسيس هذا الترتيب الجديد لم يخطر بفرى قط الانفراد عن وكلائى بل غاية قصدى أن اكون معهم باتحاد تام .

« ولذلك ينبغى أنه قبل أن يقر مجلس النظرار على أى قرار مما يتعلق باللوائح أو الأحكام التى تقدم من أحد النظرار أن تعرض على مع أسانيدھا من طرف الناظر التى هى من خصائصه حتى يمكن أن أحيط المجلس علما بجميع ما يترأى لى من التدابير اللازم اتخاذھا — وعلى كلا الأمرين يجتمع المجلس عند صدور ارادتى بذلك لينظر بالاتحاد معى فى المسائل التى عرضت على . **انما لأجل التامين على تمامية استقلال المجلس لا أحضر فيه وقت المذاكرة .** وحيث أن النظرار الوطنيين حائزون الاغلبية فى المجلس فلاجل **التعادل هناك يكون للنظار الأوروبيين تأثير فى الراى ولهم الحق فى المعارضة وعدم قبولهم راى الاغلبية .**

« هذا وفى أملى أن ذلك الترتيب يكون كافيا فى سير المصالح وظهور الفائدة للقطر المصرى وليكن مجلس النظرار مطمئنا فى سائر الأحوال على مساعدتى له وحسن مساعى كما أنى مطمئن على اجتهاده وحسن مساعيه فيما فيه نفع العموم .

اسماعيل

تبع ذلك القرار بتشكيل هيئة النظارة التوفيقية(٣٢) على النحو الآتى :

وجهت نظارة الحقانية مؤقتا الى حضرة سعادتلو رياض باشا ، مع بقاء نظارة الداخلية الجليلة على عهدته .

وجهت نظارة الجهادية والبحرية الى حضرة سعادتلو أفلاطون باشا .

اسماعيل

وكان توفيق راغبا أن يبذل أقصى جهده ليتجاوز الازمة ، كما أن الخديو اسماعيل على الجانب الآخر بدا راغبا فى العمل بانسجام مع النظرارة الجديدة(٣٣) ولكن لم يكن الخديو أو ولى عهده أو حتى قوى التدخل الأجنبى هى الأطراف الوحيدة المؤثرة فى الاستقرار النظارى خلال تلك المرحلة خاصة وقد أثبتت الأحداث أن اسماعيل لم يكن مخلصا فى رغبته .

(٣٢) الوثائق المصرية — العدد السابق .

Cromer : Modern Egypt (London 1911) p. 75.

(٣٣)

ذلك أنه لم يمض وقت طويل على تشكيل النظارة التوفيقية بالصلاحيات الواسعة التي تمتع بها فيها الناظران الأوروبيان حتى بدت بوادر الرفض الوطنى المصرى لها مما صاحبه اهتزاز هذه النظارة ثم انهيارها السريع ولم تكمل فى السلطة أكثر من خمسة أسابيع .

فمنذ الأيام الأخيرة من مارس والشيخ البكرى قد بدأ فى عقد اجتماعات للمشايخ والعلماء وغيرهم فى منزله وذلك بهدف إثارة العداء ضد الناظرين الأوروبيين بل وضد سائر النظار المشتركين فى هذه النظارة (٣٤) مما أدى الى أن يبلغ ناظران مصريان (٣٥) ريفرز ويلسون بنيتها على الانسحاب من النظارة .

وقد تأكد لدى « المستر بوج » المسئول عن المخابرات فى القنصلية البريطانية وقتذاك بأن الخديو وراء كل هذه الأعمال ، كما تأكد أنه كان وراء هذه الحركة هدفان :

١ — مساندة المشروع المالى الذى قدمه الخديو فى مواجهة مشروع ريفرز ويلسون .

٢ — ادخال تعديلات دستورية مستوحاة من الدستور التركى الصادر عام ١٨٧٧ بمسئولية النظار أمام مجلس النواب ، والا يتم اتخاذ أى قرار نظارى دون الموافقة عليه من مجلس النواب مما يضعف كل الفاعلية التى كانت مطلوبة من النظار الأوروبيين (٣٦) .

أدى ذلك الى أن تنتقل المعركة الى مجلس شورى النواب الذى طالب بحضور المستر ريفرز ويلسون ليناقشه فى الاقتراحات المالية المقدمة من الخديو ولما امتنع ناظر المالية عن الحضور أقر المجلس اقتراحات اسماعيل مما ترتب عليه أن قررت النظارة استصدار « الدكرى » الخاص بفض دورة المجلس وكانت دورته الأخيرة تمهيدا لاجراء انتخابات جديدة .

على الجانب الآخر استقر رأى أعضاء المجلس على عدم الاذعان ففى جلسته التى عقدت فى ٢٧ مارس (٣٧) والتى أبلغ فيها بقرار الفرض أجمع الأعضاء على رفض القرار الى أن يتم النظر فى مسائل « ميزانية المالية بسبب التشكى الذى حصل من الأهالى » (٣٨) .

فى نفس الوقت احتج أعضاء المجلس على الحبس على حريته وإن ناظر

(٣٤) Egypt No. 5 (1879) No. 105 Lascelles to Salisbury, April, 1, 1879.

(٣٥) رياض باشا وعلى باشا مبارك .

(٣٦) Egypt No. 5 (1879) No. 107 Lascelles to Salisbury, April 4, 1879.

(٣٧) نص محضر هذه الجلسة فى : محمد خليل صبحى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر

ج ٤ ص ٢٨ — ص ٣٢ .

(٣٨) من كلمة العضو باخوم افندى .



محمد شريف باشا

- ابن محمد شريف افندى الشركسى الذى كان قاضيا لقضاة مصر ولد بالقاهرة فى نوفمبر ١٨٢٦ .
- تلقى تعليمه فى مصر ثم فى فرنسا بمدرستها العسكرية والتحق بخدمة الجيش الفرنسى .
- لما عاد الى مصر اشتغل ياورا لسليمان باشا الفرنسى .
- ظل يترقى فى رتب الجيش حتى وصل فى عهد سعيد الى رتبة فريق .
- انتقل بعد ذلك للأعمال الادارية فتولى ١٨٦٧ رئاسة المجلس المخصوص ، وعام ١٨٧٥ رئاسة مجلس شورى النواب ، ووقع عن الحكومة معاهدة الرقيق ١٨٧٧ حتى عين رئيسا للنظار فى ابريل ١٨٧٩ .

الداخلية قد « احضر اصحاب الجرائيل واكد عليهم بعدم درج شىء فى جرائيلهم
مما يتعلق بمجلس الشورى والاجانب ، وهذا فيه نوع من التضيق » (٣٩) .

وبالرغم من فض المجلس فقد عقد اعضاؤه عددا من الجلسات دونوا
مطالبهم خلالها فى « محضر اهلى مفصل » (٤٠) ، وكان مما طالبوه فى هذا
المحضر بالنسبة لمجلس النظار ان يكون تعيين رئيس هذا المجلس بأمر يصدر
من الخديو وأن يقوم الرئيس « باختيار النظار وعرض أسمائهم على ولى الأمر
لاعتمادهم ، ويكون هذا المجلس مفوضا تفويضا تاما فى جميع اجراءاته ومسئولا
امام مجلس النواب عن جميع تصرفاته » .

ورأى اسماعيل انه باقراره لهذا المحضر سيحقق هدفين :

اولهما : ان يبدو امام جميع الأطراف معبرا عن الآمال الوطنية (٤١) .

ثانيهما : التخلص من النظارة الأوربية وتشكيل نظارة لا يشترك فيها
الناظران الاجنبيان .

وبالفعل أقر اسماعيل « المحضر الاهلى المفصل » فى ٧ أبريل ١٨٧٩ وبناء
عليه استقالت نظارة توفيق فى نفس اليوم .

٣ — نظارة محمد شريف باشا الأولى (٧ أبريل — ٥ يوليو ١٨٧٩) :

ملاحظتان جديرتان بالتسجيل عن تكوين النظارة الشريفة الأولى :

اولاهما : نوعية اختيار رئيس النظار ، فهذا الاختيار قد بدأ منسجما
تماما مع الأهداف فى التخلص من النظارة السابقة ، ذلك انه لما كانت هذه
الأهداف تدور أساسا حول الرغبة فى التخلص من الوجود الأوربى فلم يكن
أنسب من « شريف » صاحب السمعة الطيبة فى مواجهة هذا الوجود بعد
استقالته الشهيرة رفضا للمثول امام لجنة التحقيق الأوربية خلال العام
السابق . . لم يكن أنسب منه رئيسا للنظارة الجديدة .

ثانيتهما : أن الخديو اسماعيل وقد رغب فى وضع التدخل الأجنبى امام
الأمر الواقع فانه فى نفس وقت ابلاغه للقناصل باستقالة نظارة توفيق
واستجابته لمطالب أعضاء مجلس شورى النواب . . فى نفس الوقت ابلغهم
بتكليف شريف بتشكيل النظارة الجديدة (٤٢) ، وفى نفس اليوم صدرت مراسيم
التشكيل .

(٣٩) من كلمة محمد أنندى راضى .

(٤٠) نص المحضر فى : محمد خليل مبحى : المصدر السابق ج ٥ ص ١٠٠

(٤١) Egypt No. 5 (1879) No. 113 Lascelles to Salisbury, April, 7, 1879.

Ibid.

(٤٢)

الارادة العلية الصادرة الى حضرة دولتو أفندى شريف باشا بتاريخ ٧ ابريل ١٨٧٩ (٤٣) .

« انه بصفة كونى رئيس الحكومة ومصريا ارى من الواجب على ان اتبع رأى الأمة واقوم بأداء ما يليق بها من جميع الأوجه الشرعية . لكنى لما نظرت السير الذى كانت عليه النظارة السابقة حصل لى غاية الأسف من أن ذلك السير كان على غير رضاء الملة والأهالى حتى نشأ عنه اضطراب ونفور سرى فى جميع القلوب وحركها وكانت قبل ذلك فى غاية الهدوء والسكون وطالما أخبرت النظار ووكلاء الدول ونبهتهم على تلك الملاحظات فلم يتيقظوا لها ولم يلتفتوا اليها . وزيادة عن ذلك فان النتيجة التى حررها ناظر المالية وأظهر بها ان القطر فى حالة العدم وأبطل العمل بمقتضى القوانين المعتمدة وتجارى فيها على الحقوق الثابتة كانت سبباً لتغيير قلوب الأمة ونفورها من هيئة النظارة كل النفور وحقق لى ذلك المحضر الذى تقدم لى فى هذا الخصوص فاجابة لما عرض على بذلك وبالنظر لثبوته عندى قد وكلتكم بتشكيل هيئة النظارة بناء على الارادة الصادرة فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ وأن تكون تلك النظارة مشكلة من أعضاء أهليين مصريين يتبعون فى سيرهم الطرق المنصوص عليها فى الارادة المذكورة وأن يتحفظوا على مأموريتهم كل التحفظ اذ أنهم مكلفون بالمسئولية لدى مجلس الأمة الذى سيجرى انتخاب أعضائه وتعيين مأموريته بوجه كاف للقيام بتأدية ما يلزم للحالة الداخلية ومرغوب الأمة نفسها ولتجتهد النظارة قبل كل شئ فى أن تستعد لاستحضار قوانين مماثلة للقوانين الجارى عليها العمل فى أوربا مع مراعاة عوائد الأهالى وأخلاقهم وما يلزم لهم . وتلتفت أيضا تلك النظارة كل الالتفات لتنفيذ ترتيب المالية الذى رتبته عمدة القطر وأعيانه وحصل التصديق عليه منى ولا تتأخر عن اجراء اللازم للقطر والمنافع المرهون عليه ومنصوص عنها فى الارادة الصادرة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٨٧٦ .

وهذا لعلمى بحسن اخلاصكم بخدمة الوطن فلا اشك فى أن تستعينوا على تلك المأمورية بالرجال المشهود لهم مثلكم بالأمانة والاحترام لدى الجميع لتتم بكم المقاصد المؤدية الى التمدن والعمارية التى أريد أن يقترن بها اسمى » .

وتبع ذلك تشكيل هيئة النظارة على النحو الآتى :

« وجهت رئاسة مجلس النظار العالى بمقتضى امر الكريم مع نظارتى الداخلية والخارجية الى حضرة دولتو شريف باشا .

- وجهت نظارة المالية . . . الى حضرة سعادتلو راغب باشا
- وجهت نظارة الجهادية . . . الى حضرة سعادتلو شاهين باشا
- وجهت نظارة الحقانية . . . الى حضرة سعادتلو ذى الفقار باشا

- وجهت نظارة المعارف والأوقاف . الى حضرة سعادتلو محمد ثابت باشا
- وجهت نظارة الأشغال العمومية . الى حضرة سعادتلو زكى باشا

اسماعيل

وكان من الطبيعي أن يناصب التدخل الأوربي نظارة شريف العداء لأنه مع ما صاحب تشكيل هذه النظارة من تخلص من الناظرين الأوربيين فقد لاحظ القنصل البريطاني العام في القاهرة انها « عودة للنظام القديم » — على حد تعبيره — لأنه رأى من بين رجالها شاهين باشا والذي كان يعمل من قبل مفتشاً عاماً للصعيد وعرف عنه جمعه للأموال بالوسائل القديمة (٤٤) .

من ناحية أخرى فقد أصدر اسماعيل في ٢٢ ابريل مرسومه المالى الذى خفض الفائدة على الدين الموحد من ٧٪ الى ٦٪ وبذلك من الاحتياطى المخصص لاستهلاك الدين العام ولم يعبأ بقانون المحاكم المختلطة (٤٥) .

يضاف الى كل ذلك انه فى محاولة النظارة انقاذ مصر من الأزمة المالية ومنع التدخل الأوربي فقد سلكت أساليب عنيفة فى جمع المال من الفلاحين الذين ساءت أحوالهم كثيراً خلال تلك الأيام .

ونتج عن كل ذلك أن تعددت أوجه الرفض الأوربي ليس للنظارة الشريفة فحسب بل لعهد اسماعيل برمته ، فقدم أعضاء لجنة التحقيق فى ١٠ ابريل استقالة جماعية محتجين على تشكيل نظارة شريف وقد ذكروا فى احتجاجهم انه لن يتم تنفيذ الإصلاحات المالية الا على يد نظارة يمثل فيها العنصر الأوربي (٤٦) .

ثم تبع ذلك تدخل ألمانيا وسعى كل من بريطانيا وفرنسا لخلع اسماعيل ، وقد استجابت استنبول لهذا المسعى وصدرت ارادة (٤٧) فى ٢٦ يونية ١٨٧٩ بخلع الخديو اسماعيل وكانت تلك نهاية عهد النظارة الشريفة الاولى .

(٤٤) Egypt No. 5 (1879) No. 117 Lascelles to Salisbury, April, 8, 1879.

(٤٥) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المصدر السابق — ص ٩٣ .

(٤٦) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق — ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٤٧) المصدر السابق : نص الارادة ص ٢٣٢ — ص ٢٣٣ .

الباب الأول

الفصل الثاني

توفيق والنظارة المصرية ١٨٧٩ – ١٨٨١

كان خلع الخديو اسماعيل — تعبيرا عن تزايد حجم التدخل الأجنبي في البلاد — أمرا موجبا للحذر من احتمالات ردود الفعل الوطنية المنتظرة ضد هذا التزايد .

ويصف أحد المعاصرين يوم رحيل اسماعيل في ٢٦ يونية عام ١٨٧٩ فيقول انه في ذلك اليوم « قبل شروق الشمس غصت رحبة عابدين بجماهير الناس والجند وأرباب الوظائف العالية والمأمورين والعلماء والمشايخ والأعيان وقاضى القضاة والمفتى وجميع اتباع اسماعيل باشا والعائشين في نعمته وقد علا الضجيج وكثرت الغوغاء وظلوا على هذه الحال الى الساعة الثالثة عربى » (١) .

وفي مثل هذا الجو كانت هناك عناصر عديدة على استعداد ان تتحرك ضد التدخل الأجنبي . ويمكن رصد عدة مجموعات من هذه العناصر على النحو الآتى :

١ — مجموعة المثقفين الذين انتظموا في سلك مدرسة « السيد جمال الدين الأفغانى » والتي ضمت أكثر من ثلاثمائة عضو يصفهم أحد من كتبوا عنه بأنهم كانوا « من نخبة المفكرين والناهضين المصريين » (٢) .

٢ — مجموعة ملاك الاراضى ممن زادت اهتماماتهم بالعمل السياسى بعد أن تحولوا الى طرف « صاحب مصلحة » فيما يجرى في العاصمة نتيجة لأنهم انخرطوا في صفوف دائنى الحكومة بعد قانون المقابلة المشهور ، والذين رأوا أن هناك اتجاها لتصفية مصالحهم لحساب مصالح الدائنين الأجانب فوقفوا يدافعون عن أنفسهم وكان مجلس شورى النواب ميدانهم في هذه الوقفة .

٣ — مجموعة العسكريين من ذوى الأصول المصرية والذين أصابتهم الأزمة المالية بعنت شديد اضطروا معه في وقت من الأوقات أن يعبروا عن أنفسهم بالعنف في مظاهرة الضباط المشهورة (٣) .

٤ — مجموعة رجال الدين يتزعمها الشيخ البكرى والتي كانت تتكون من حوالى سبعين ألفا من الدراويش « هم أرباب الأشاير والطرق ومشايخ السجاجيد وأصحاب العكاكيز والمتعممين » (٤) والذين تحركوا مرة قبل ذلك بالتنسيق مع اسماعيل بهدف إسقاط النظارة التوفيقية (٥) .

(١) ميخائيل شاروبيم : الكافى في تاريخ مصر القديم والحديث ، ج ٤ ص ٢١٣ .

(٢) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ، ص ٧٤ .

(٣) انظر الفصل الأول .

(٤) ميخائيل شاروبيم : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

(٥) Egypt No. 5 (1879) No. 105 Lascelles to Salisbury, April 4, 1879.

مع الادراك برغبة هذه المجموعات في التحرك ، فقد كان طبيعيا أن تتجه الأنظار الى رئيس النظارة الأخيرة .. شريف باشا بكل ما اشتهر به الرجل من تصدى للتدخل الأجنبى ، وبكل ما تجسد في نظارته من نقض لمثل هذا التدخل ، بالاضافة الى مساعيه الحثيثة خلال هذه النظارة لتطوير مجلس شورى النواب بهدف تدعيم الأسس الدستورية التى بدأت البسلامد تضعها خلال تلك السنوات .

٤ — نظارة محمد شريف باشا الثانية ٥ يوليو — ١٨ أغسطس ١٨٧٩ :

مع كل الرغبة من جانب توفيق لاستمرار شريف في النظارة باعتباره « صمام أمن » ضد احتمال تحركات المجموعات النشطة التى بدأت تفرض وجودها على ميدان السياسة المصرية فان اوضاعا سياسية أخرى املت على الخديو ما يمكن تسميته بسياسة « **تجميد الموقف** » يمكن رؤيتها في :

أولا : الصراع الذى نشب حول الغاء الفرمان الشامل الذى حصلت عليه مصر من الدولة العثمانية عام ١٨٧٣ ، ذلك أنه قد صدرت « ارادة » من جانب السلطان بهذا الالفاء بعد قرار خلع اسماعيل ، وكان لابد أن يتبع هذا الاجراء من جانب استنبول صراع مع القاهرة تدخلت فيه كل من لندن وباريس واستمر حتى ١٤ أغسطس ١٨٧٩ (٦) .

وكان مطلوبا « تجميد الموقف » الداخلى خلال هذا الصراع حتى يتفرغ الخديو توفيق تعاونه حكومتا بريطانيا وفرنسا لاحباط المبادرة السلطانية .

ثانيا : فان تغيير شريف كان من الممكن أن يصحبه عودة **طرح مسألة تعيين النظار الأجانب** في النظارة الجديدة ، أو العودة الى الحديث عن اشتراك « نوبار » في هذه النظارة ، وكلا الأمرين كانا مرفوضين من جانب توفيق . وقد أكد هذا الرفض في حديث له مع مراسل التيمس في القاهرة في أعقاب توليه ، فقد جاء في هذا الحديث بعد قوله برفض عودة نوبار حتى الى مصر انه « لا يصح الرجوع الى مسألتهم (أى النظار الأوروبيين) فان ذلك الا إعادة خطأ جسيم » ويستطرد فيقول ان « الوزارة ينبغى أن تكون مصرية وطنية ولا ننكر أننا في حاجة الى الأوروبيين نعينهم رؤساء ادارات اذا شئت أو وكلاء نظارات اذا رمت ولكننا لا نروم وزارة مختلطة مؤلفة من رجال سياسيين » (٧) .

وهذا الموقف من جانب توفيق قد انبعث من أكثر من منطلق ، منها ما تعلق بكرهه لنوبار ذاته ، ومنها مخاوفه أن يبدو ثمن توليته نوعا من الاستسلام الكامل للتدخل الأجنبى .

بالتأثر بكل هذه الاعتبارات صدرت القرارات بتأليف الوزارة الشريفة الثانية .

Cromer : Modern Egypt. pp. 121 — 124.

(٦)

(٢) سليم خليل النقاش : مصر للمصريين ، ج ٤ ، ص ١٦ .

صورة **أمر سام كريم صادر** من الحضرة الفخيمة الخديوية الى حضرة دولتو شريف باشا رئيس مجلس النظار يعود ان شاء الله تعالى على الرعية بالمنافع العمومية (٨) ،

« ان العناية الالهية سلمت زمام الحكومة المصرية الى يدنا فضلا منه واحسانا فقد تشرفنا بأمر شريف بذلك من متبوعى الأفخم وسلطاني الأعظم نصره الله ، فهذه نعمة لا يؤدي شكرها الا بحسن القيام بأداء وظائف ذلك المقام وهذا انما يكون بتوفيقه تعالى ، فعلى السعى والاجتهاد في تمشية مصالح العباد وادارة أمور الحكومة على محور الاستقامة . واني أعلم ان المقام صعب لكن بحسن اخلاصي وبها رأيته من حسن القبول من الناس جميعا ، خصوصا من سكنة الديار المصرية عموما ومن المأمورين كافة أعتقد ان ذلك الصعب يهون ويحصل التيسير . **ولعلمي أن الحكومة الخديوية يلزم ان تكون شورية ونظارها مسئولين فاني اتخذت هذه القاعدة للحكومة مسلكا لا اتحول عنه فعلينا تأييد شوري النواب وتوسيع قوانينها لكي يكون لها الاقتدار في تنقيح القوانين وتصحيح الموازين وغيرها من الأمور المتعلقة بها وبحسب مقتضيات الأحوال صار انتخاب هيئة جديدة بمعرفتكم وتحت رئاستكم واني معتقد في مأموري الحكومة المصرية الصدق والاستقامة ومؤمل بأنهم يسرون في المستقبل بالسيرة المرضية ويعرفون ان معظم الغنى غنى النفس وأعلى الشرف شرف العفة وأعلى الحلى حلية الاستقامة وأقوم الطرق طريق الحق والعدالة .**

« فأول ما يجب المبادرة اليه من الأمور هو **دفع المشكلات المالية** التي هي منشأ الصعوبات كلها فيلزم بذل المساعي المقتضية في اندفاعها لا يصال الحقوق الى أربابها مع ملاحظة مصاريف الحكومة . وهذه المسألة وان كانت صعبة بسبب المضايقة الحاصلة ، لكن مأمول حصول التخلص منها باستعمال التدابير الحسنة ولا شك انكم تبذلون في ذلك جهدكم بالاتحاد مع سائر النظار . ويجب علينا اصلاح المحاكم والمجالس لأنها هي ملجأ أرباب الحقوق وبها يأخذ الضعيف حقه من القوى وينجو الرشيد من جور الغوى ، ويجب علينا أيضا دوام السعى في تعميم التربية العمومية لتنوير أذهان الأهالي بتحسين حال المدارس وتنسيق نظمها مفيدة لها على الوجه المرغوب وأيضا يجب الاهتمام بالأشغال العمومية النافعة وتوسيع دائرة الزراعة لأنها منبع الغنى في القطر المصري ، وأيضا التجارة مما يلزم الاعتناء بشأنها والسعى في تكثيرها واعطاء كل الحرية لها . هذا مع الاهتمام باصلاح ما يلزم اصلاحه من أصول الادارة في جهات الحكومة بأجمعها وراحة العباد على قدر الامكان .

فهذه أظنها سبل الرشاد ومناهج العدل والسداد ومسالك تدبير الممالك في كافة الاقطار . فالأمل ان تصرفوا هممكم في رؤية أمور الحكومة متحصدي القلوب متفقى الأفكار . وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح ، أنه ولى التسويق » .

وتتأكد الحقيقة من أن استمرار شريف في النظارة في عهد توفيق لم يكن أكثر من « إجراء اضطرارى » مما جاء في « الأمر الكريم » السابق من رغبة الخديو في « تأييد مجلس شورى النواب وتوسيع قوانينها » وهى ما كان ضدها على طول الخط بعد ذلك .

كما تزداد هذه الحقيقة يقينا بما أجراه الخديو من تغيير في تشكيل النظارة ، فبالرغم من أنه قد احتفظ « بشريف » كرمز إلا أنه قد تخلص من سائر النظار كمثليين للعهد القديم .

من ناحية أخرى فإنه في اختياره للنظار الجدد كان حريصا على أن يتم هذا الاختيار من بين العناصر التى تحوز ثقة التدخل الأجنبى ، فمثلا وقع اختياره في نظارة المالية على « اسماعيل باشا أيوب » وكيل هذه النظارة والذي كان معروفا عنه أنه يتبنى اتجاه تنظيم النظارة المذكورة على النسق الأوروبى وذلك حسب التوصيات التى كان قد تقدم بها المستر « فيتزجيرالد » ولما كانت هذه النظارة أهم ما يعنى قوى التدخل الأجنبى فقد قوبل هذا الاختيار بالترحيب الواضح من ممثلى هذه القوى (٩) .

كما قوبل أيضا اختيار مصطفى فهمى محافظ الأسكندرية ناظرا للأشغال العمومية ، ومحمود سامى البارودى « مأمور ضبطية مصر » ناظرا للأوقاف والمعارف بترحيب أيضا باعتبارهما « من أفضل العناصر الأمينة والنشيطة » على حد تعبير المستر « لاسلز » القنصل البريطانى العام في القاهرة وقتذاك (١٠) .

وقد تم تشكيل نظارة شريف الثانية على النحو الآتى :-

● تعين حضرة دولتو محمد شريف باشا رئيسا لمجلس النظارة وناظرا للداخلية والخارجية .

● تعين حضرة سعادتلو اسماعيل أيوب باشا لنظارة المالية بعد أن كان وكيلها .

● تعين حضرة سعادتلو مراد حلمى باشا لنظارة الحقانية بعد أن كان رئيس محكمة مصر المختلطة .

● تعين حضرة سعادتلو محمود سامى باشا لنظارة الأوقاف والمعارف .

● تعين حضرة سعادتلو مصطفى فهمى باشا فهمى لنظارة الأشغال العمومية بعد أن كان محافظا للأسكندرية .

Egypt No. 1 (1880) Lascelles to Salisbury, July 5, 1879.
Ibid.

(٩)

(١٠)

● تعين حضرة سعادتلو على غالب باشا لنظارة الجهادية بعد أن كان مديرا للمنوفية « (١١) » .

وقد عكف شريف ونظارته بعد ذلك على وصل ما انقطع من وضع أسس الحياة النيابية التي كان قد بدأ في وضعها خلال نظارته الأولى والتي تتمثل في لائحتين أحدهما لائحة المجلس الأساسية وثانيتهما لائحة الانتخاب .

ولكن — وبدون انتظار — أخذت ميول توفيق العدائية نحو الحكم النيابي تتبدى .. هذا من ناحية ، كما تعرض الخديو لضغوط الدولتين الكبيرتين اللتين حضتاه على عدم إصدار اللائحتين من ناحية أخرى .

عبرت هذه (الميول) وذلك (الضغط) عن نفسيهما بما تم من صرف أعضاء مجلس شورى النواب القائم — الذى تحول في هذا الوقت الى جمعية تأسيسية لاقرار اللائحتين — الى بلادهم وذلك في ٦ يولية في أعقاب تشكيل النظارة ، ثم بما حدث في ٣٠ من نفس الشهر حين رفع شريف كتابه الى الخديو طالبا التصديق على اللائحتين فأشار توفيق « بوقف ذلك » (١٢) .

ولم تقتصر ممارسة الدول الأوروبية في ضغطها على مجرد رفض مشاريع شريف النبيلة بل انها قد امتدت بهذا الضغط من أجل الخلاص من وجود الرجل ذاته في منصبه ، وقد بدأ هذا الضغط واضحا في الاستمرار في رفض اعادة نظام المراقبة الثنائية وهو ما كان قد اتفق عليه في حالة انتهاء التمثيل الأوروبى في النظارة .

والواقع ان القضيتين كانتا متصلتين فانه بتولى مجلس نيابى الاشراف الحقيقى على الأمور المصرية ستصبح سلطة المراقبين محدودة بطبيعة الحال وذلك نتيجة لخضوعهما في عملهما لنواب الأمة (١٣) .

وتولد عن كل ذلك قرار الخديو توفيق في ١٨ أغسطس عام ١٨٧٩ برفض التوقيع بتاتا على لائحتى شريف مما أدى الى استقالة النظارة الشريافية الثانية بعد نحو شهر ونصف من تشكيلها بعد أن أدت مهمتها في تهدئة الموقف المتفجر الذى أعقب خلع اسماعيل من ناحية ، وبعد اجتياز المشاكل التى صاحبت هذا الخلع خاصة ما اتصل برغبة السلطان فى حرمان مصر والخديوية مما ناله كلاهما فى فرمان الشامل الصادر عام ١٨٧٣ ، ففى نفس اليوم الذى غادر فى صباحه مندوب السلطان « على بك فؤاد » باشكاتب المابين الهمايونى القاهرة قابضا الاستانة بعد تسوية المشكلة (١٧ أغسطس) استدعى الخديو فى مساءه شريف باشا والنظار فوفدوا عليه واجتمعوا به ، وبعد انتهاء الاجتماع قدمت النظارة استقالتها « (١٤) » .

(١١) الوقائع المصرية العدد ٨١٨ .

(١٢) د. عبد العزيز رفاعى : فجر الحياة النيابية فى مصر الحديثة ، ص ١٣٢ .

(١٣) تيودور روتشتين : تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ — ١٩١٠ ، ترجمة عبد الحيد

المبادئ ، محمد بدران ، ص ١٠٥ .

(١٤) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العربية والاحتلال الانجليزى (القاهرة ١٩٦٦) ،

ص ٣٧ .

هـ — النظارة التوفيقية الثانية ١٨ أغسطس — ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ :

تتضارب الآراء حول ماهية ذلك (النظام) الذى قام خلال تلك الفترة التى جاوزت الشهر قليلا والممتدة بين استقالة النظارة الشريفة الثانية (١٨ أغسطس) وتشكيل نظارة رياض باشا الأولى (٢١ سبتمبر) .

— هل هو عود الى نظام الحكم المطلق أو بالأحرى عهد ما قبل « النظارة المسئولة » .

— أم هو كما ساد الاعتقاد « نظارة توفيقية ثانية » حقيقة ! ؟

يقتضى ذلك طرح قضية « النظارة المسئولة » ، ومفهوم « النظارة المسئولة » كما جاء فى الأمر العالى المؤرخ فى ٢٨ أغسطس عام ١٨٧٨ أن يكون أعضاء مجلس النظارة بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك أمر لابد منه : فالمسئولية هنا بمعنى التضامن فيها .

ولا شك أن مثل هذا المفهوم لا يثقف فى كثير مع المفهوم الأوروبى عن « مسئولية الوزارة » والذى يدور أساسا حول مواجهتها لهذه المسئولية أمام نواب الأمة المنتخبين .

يدعو ذلك الى تحديد نوعية « المسئولية النظرية » التى عرفت آنذاك فى مصر من المنطلقات الآتية :

١ — انه بعد أن كان هناك « نظار » مسئولين أمام الخديو أصبحت هناك « نظارة » غير مسئولة أمامه على حد تعبير مراسل التيمس فى الاسكندرية فى ٣٠ أغسطس عام ١٨٧٨ .

٢ — انه كان بمثابة استبدال حكم « حملة السندات » المطلق بحكم الخديو المطلق أيضا .

٣ — أن مسألة الترويج لما حدث من « ادخال المسئولية النظرية » مما سعت الصحافة الأوروبية الى القيام به لم يكن أكثر من ذر للرماد فى عيون الأوروبيين على أساس أن ما تقدمه أوروبا الى مصر يفضل كثيرا ما كان قائما فيها (١٥) .

يبقى بعد تحديد نوعية « المسئولية النظرية » الاجابة على التساؤل المطروح عن ماهية « النظام القائم » خلال ما اصطلح على تسميته بعهد النظارة التوفيقية الثانية .

(١٥) تيودور روتشتين : المصدر السابق ، ص ٦٣ .

تؤكد مجموعة الإجراءات التي أقدم عليها الخديو توفيق بعد خلع اسماعيل نيته على العودة الى نظام **((النظر المسئولين أمامه))** لا النظارة غير المسئولة .

من هذه الإجراءات رفضه « للمؤسسات الحرة والتمثيل الشعبى » ، على اعتبار أنهما لا يناسبان على الإطلاق أهالى البلاد ، وقد نظر بسبب ذلك الى الدستور الذى قدمه له شريف . بأنه ليس أكثر من **((ديكور مسرعى))** على حد تعبيره للقنصل البريطانى العام فى القاهرة وقتذاك (١٦) .

ومنها أيضا قراره بأن يتولى « مسئوليته عن حكم البلاد » والتي ارتآها فى مسئولية النظر أمامه باعتباره رئيسهم الأعلى سواء تفاوتت « درجة المسئولية » هذه بين أن يكون مجموع النظر مسئولين بالتضامن عن أى نصيحة يتقدمون بها له أو أن كل ناظر مسئول عن نظارته أمامه (١٧) .

ومنها كذلك نص التعليمات التي أصدرها توفيق لأعضاء نظارته الجديدة والتي تنص على « أن يجتمع مجلس النظر تحت رئاسة الخديو مرتين أسبوعيا ، وان على كل ناظر أن يكون مستعدا بالذكرات والموضوعات التي يرغب فى تقديمها الى المجلس والتي سوف تعرض للبحث الدقيق كما تقرر تسجيل محاضر هذه الجلسات حتى يكون كل ناظر مسئولا فى نظارته عن القرارات التي تم اتخاذها فى المجلس » (١٨) .

وقد تجسدت كل هذه الإجراءات فى **((الأمر الكريم الخاص بإلغاء مجلس النظر وإبطاله ومسئولية كل ناظر أمام مجلس برئاسة الخديو))** الصادر فى ١٨ أغسطس عام ١٨٧٩ ونصه :

« بما أن مجلس النظر صار لغوه وإبطاله وتقرر لدينا أن كل ناظر يكون مسئولا عن الأشغال المنوطة بإدارة نظارته وأن المواد التي كان جاريا تقديمها ورؤيتها بذلك المجلس هذه من الآن فصاعدا يكون النظر فيها بمجلس يجرى انعقاده بمعيتنا من النظر تحت رئاستنا . وكل من النظر اذا وجد عنده أشياء من هذا القبيل يستصحب معه أوراقها ومعلوماتها عند حضوره الى المجلس لأجل رؤيتها وحصول المداولة عنها حسب اللازم ، فعلى هذا وما هو معلوم لدينا فيكم من كمال اللياقة والأهلية وقد عيناكم ناظرا على ديوان . . وأصدرنا أمرنا هذا لكم للمعلومية والمبادرة فى مباشرة ادارة مأموريتكم هذه بكمال الاعتناء والاهتمام على الوجه المرغوب كما هو مطلوبنا » .

وقد الحق بهذا الأمر تعيين النظر الجدد على النحو الآتى :

Egypt No. 1 (1880) No. 87 Lascelles to Salisbury, Aug. 19, 1879. (١٦)

Egypt No. 1 (1880) No. 91 Lascelles to Salisbury, Aug. 21, 1879. (١٧)

Egypt No. 1 (1880) No. 92 Lascelles to Salisbury, Aug. 21, 1879. (١٨)

- تعيين حضرة دولتو منصور باشا لنظارة الداخلية
- تعيين حضرة سعادتلو على حيدر باشا لنظارة المالية
- تعيين حضرة سعادتلو ذى الفقار باشا لنظارة الحقانية
- تعيين حضرة سعادتلو مصطفى فهمى باشا لنظارة الخارجية
- تعيين حضرة سعادتلو محمد مرعشلى باشا لنظارة الأشغال العمومية
- تعيين حضرة سعادتلو عثمان رفقى باشا لنظارة الجهادية والبحرية
- تعيين حضرة سعادتلو محمود سامى باشا لنظارة عموم الأوقاف
- تعيين حضرة سعادتلو على ابراهيم باشا لنظارة المعارف العمومية (١٩)

ولكن على الجانب الآخر لم يكن توفيق صاحب « **الارادة الوحيدة** » فى اتخاذ مثل هذا القرار « **والنظارة المسئولة** » انما كانت أصلا وليدة التدخل الأوربى، ومن ثم فقد كانت « **الارادة الأوربية** » موجودة أيضا .

نتيجة لهذا الوجود فقد اتخذ الخديو توفيق مجموعة من الخطوات استهدفت احراز الموافقة الاوروبية على التغيير الذى قام به .

من هذه الخطوات حرصه البالغ على اطلاع القنصلين العامين الفرنسى والبريطانى على كل ما يفعله مقدما ومحاولة تقديم المبررات المقنعة فهو مثلا يؤكد لهما عدم حرصه على الاستمرار فى رئاسة النظارة — على عكس منطوق أمره الكريم — وأنه اذا ما عثر فى أى وقت على الشخص المناسب لتولى مثل هذا المنصب فانه سيوليه له بدون ابطاء .

ومنها ايضا محاولة ادخاله بعض العناصر المعروفة بكراهيتها الشديدة للحركة الدستورية وبميلها للتهاون مع التدخل الأوربى ، فالخديو قد حجز نظارة الداخلية لرياض باشا الذى كان هاربا فى هذا الوقت من مصر بعد سقوط الوزارة التوفيقية الأولى والتي وجهت اليه خلالها أقذع الاتهامات بالتعاون مع الأجانب (٢٠) .

ومنها أخيرا الالحاح لعودة نظام المراقبة الثنائية والذى عاد فعلا فى ٤ سبتمبر بعد أيام قليلة من تشكيل النظارة (٢١) .

بينما كان توفيق يسعى الى تطويع التدخل الأوربى فقد بادر فى نفس الوقت الى توجيه ضربة لجناح المثقفين المناهض لسياسة قمع الحريات التى بدأ يتبعها وذلك بقرار من مجلس النظار الذى يرأسه بنفى السيد جمال الدين الأفغانى « **لأنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا** » (٢٢) والذى تم تنفيذه فى ٢٤ أغسطس .

(١٩) الوقائع المصرية ، العدد ٨٢٥ .

(٢٠) Egypt No. 1 (1880) No. 92 Lascelles to Salisbury, Aug. 21, 1879.

(٢١) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ، ص ٤٠ — ٤١ .

(٢٢) أحمد أمين : المصدر السابق ، ص ٧٦ .



مصطفى رياض باشا

- ولد في سنة ١٨٣٤ بالقاهرة وتخرج في مدرسة المفروزة العسكرية وعين كاتباً بديوان المالية سنة ١٨٤٨ .
- تدرج في الوظائف حتى التحق كاتباً بالمعينة . وفي سنة ١٨٥٢ عين ياوراً بمعينة عباس الأول .
- ظل يترقى بعد ذلك حتى نال رتبة الاميرآلاى ثم عين مديراً للجيزة .
- في عهد الخديو اسماعيل عين عضواً في المجلس المخصوص الذى كان بمثابة مجلس نظار .
- عين بعد ذلك رئيساً للديوان الخديوى ثم ناظراً في أول نظارة مسؤولية (نوبار سنة ١٨٧٨) .

واذا كان توفيق قد نجح في عمله الأخير — ولو لفترة قصيرة حتى تفجرت الثورة العربية في مواجهته ومواجهة التدخل الأوروبى — الا انه لم ينجح في محاولته لتطويع التدخل الأوروبى .

ذلك انه في أعقاب عودة رياض باشا الى مصر بدعوة من الخديو لتولى نظارة الداخلية بدأت الضغوط — خاصة من الجانب البريطانى — بهدف أن يتخلى توفيق عن رئاسته للنظارة ليتولاها رياض وهى الضغوط التى لم يمض وقت طويل حتى أثمرت .

٦ — نظارة مصطفى باشا رياض الأولى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ — ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨١ :

في منتصف سبتمبر عام ١٨٧٩ وصل رياض باشا الى القاهرة بدعوة من الخديو توفيق للاشتراك في نظارته .

الا أنه كان واضحا أن للرجل رأيا آخر في قضية رئاسة توفيق للنظارة فقد طالب في أعقاب وصوله التفاهم مع الخديو حول طبيعة الاسس التى ستقوم عليها الحكومة (٢٢) .

وقد شهدت تلك الأيام ضغطا متواصلا من جانب القنصل البريطانى لاشراك رياض في النظارة الجديدة من ناحية (٢٤) ، ورفضاً متشدداً من رياض للاشتراك في النظارة المذكورة على شكلها القائم من ناحية أخرى (٢٥) .

وتحت الضغط وفي مواجهة الرفض دارت مفاوضات قصيرة بين توفيق ورياض انتهت بقبول الخديو العودة الى مرسوم ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ، مع بعض التعديلات الهامة .

أهم ما تضمنته هذه التعديلات حق الخديو في دعوة مجلس النظار وحقه أيضا في رئاسته في ظروف معينة (٢٦) .

وقد تبع ذلك صدور « الامر الكريم » الذى أقر التغييرات الجديدة .

تعريب الامر الكريم الصادر من الحضرة الفخمية الخديوية الى حضرة عطوفتو رياض باشا في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ (٢٧) .

عزيزى رياض باشا :

« انى لما أخذت أخيراً زمام رئاسة مجلس النظار بيدى لم يخطر بفقري إعادة الحكومة الشخصية وانما كان ذلك بالنظر لاحتياجات الوقت مع الرغبة في تقريب وتأييد العلاقة المحكمة بينى وبين أعضاء هيئة النظار ، ولم يخطر

(٢٢) Egypt No. 1 (1880) No. 117 Lascelles to Salisbury, Sept. 16, 1879.

(٢٤) Egypt No. 1 (1880) No. 97 Lascelles to Salisbury. Aug. 24, 1879.

(٢٥) Egypt No. 1 (1880) No. 117 Lascelles to Salisbury. Sept. 16, 1879.

(٢٦) Egypt No. 1 (1880) No. 116 Lascelles to Salisbury, Sept. 16, 1879.

(٢٧) الوقائع المصرية ، العدد ٨٢٩ .

ببالي أن يكون ذلك أمرا قطعيا ولا أمرا مخالفا للأصول التي اتخذتها منذ أخذى بزمام الحكومة أعنى الحكم بالاشتراك مع نظارى وبواسطتهم وهذه الأصول من مقتضى الأمر الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ ولا يتعلق بى الا تكون مرعية الاجراء على الدوام .

« ولا يخفى على سعادتكم ما انطوى عليه ضميرى فى هذا الخصوص كما لا يخفى عليكم افكارى المتعلقة بأمر الاستقامة والتقدم والنظام والاقتصاد التى أتمنى نجاحها وانتشارها فى ادارة المملكة . وانى لمتيقن انكم مشتركون معنا فى هذه الافكار والتصورات وانكم عازمون عزما قويا على بذل مجهودكم فى تنفيذ هذه الافكار بالتمام وانى لأعرف درجة اخلاصكم وحسن طويتكم بالنسبة لخدمة الوطن ومراعاة قوانينه ونظاماته مع رغبتكم فى بذل المجهود بحفظ حقوقه . ولهذا فانى مع ثقتى وحسن يقينى فيكم أكلفكم بتشكيل هيئة نظارة جديدة وأحلت رئاسة مجلس النظار على عهدتكم **حافظا لنفسى حق الحضور فى جلساته وتولى رياسته عند الاقتضاء** ، وانى لمتيقن انكم ستعتنون كل الاعتناء فى انتخاب رفقاءكم النظار ثم ترفع أسماؤهم لدينا لأصدق على توظيفهم . وبعد أن تشكل هيئة النظار تأخذ فى الاشغال على مقتضى ما نص عليه فى الأمر الصادر المؤرخ فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ فانه لا يزال مرعى الاجراء فى جميع أحكامه التى لايعتريها تغير بأمرنا هذا . وان المحافظين والمديرين ومأمورى الضبطيات ووكلاء النظارات وكتاب أسرارها ومفتشى الاقاليم ومديرى الادارات المهمة لا يكون تنصيبهم ولا عزلهم الا بعد المداولة فيه بمجلس النظار والتصديق عليه من لدنا ، واما باقى الموظفين فيكون تنصيبهم وعزلهم بمقتضى أوامر تصدر رأسا من نظارهم الذين هم تابعون لهم ، ولا يخفى عليكم أننا فى شاغل من المسائل المهمة . وقد دعتنى الحاجة الى أن أذكركم من جملة تلك المسائل بأهمية ترتيب ميزانية الإيرادات والمصروفات السنوية بطريقة منتظمة وبالترتيب النهائى المختص بالتحصيل الذى هو شديد الارتباط بالميزانية وتنظيم حالة المالية المتأخرة المتعلقة بها جميع المنافع المستدعية لحسن عنايتنا ومعظم هممنا ، وانى على يقين بانى اعتمد عليكم فى حل هذه المسائل وما شاكلها من الأمور المهمة . ولخبرتكم التامة وحبكم للوطن لا تهملون فى شىء يعود على القطر بالاصلاح الحقيقى الذى هو متمنى للجميع ويجب على كل منا أن يبذل غاية جهده فى تمهيد سبله » .

(محمد توفيق)

وتنبعث أهمية هذا « الأمر الكريم » من مجموعة من الاعتبارات :

١ — أنه قد استمر القاعدة التى تشكل على أساسها كافة النظارات والوزارات التى شهدتها مصر على امتداد ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن حتى اعلان الجمهورية فى ١٨ يونيه ١٩٥٣ .

٢ — كما أنه قد أنهى الانفصال بين القصر والنظارة الذى اقره الأمر العالى الصادر فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ، وهو قد وفر بذلك نوعا من الانسجام بين الطرفين كان اعتقاده من أهم أسباب عدم الاستقرار النظارى (٢٨) ، الذى شهدته الفترة السابقة ، ففى خلال عام وثلاثة أسابيع تألفت فى البلاد نظارات خمس .

٣ — تبع كل ذلك التغيير انعكاس لاثاره على الاوضاع القائمة فتقرر مع صدور الأمر الجديد تشكيل نظارة جديدة تنفيذا للأمر المذكور فكان تكليف مصطفى رياض باشا بتأليف نظارته والتي تشكلت على النحو الآتى :

- عثمان رفقى باشا
- مصطفى باشا فهمى
- على باشا مبارك
- فخرى باشا
- على باشا ابراهيم
- محمود باشا سامى
- ناظر الجهادية والبحرية
- ناظر الخارجية
- ناظر الاشغال
- ناظر الحقانية
- ناظر المعارف العمومية
- ناظر الأوقاف (٢٩)

وتبدو مظاهر الانسجام واضحة بين القصر ورئيس النظار الجديد فى أكثر من ناحية ، فالنظارة قد تشكلت — باستثناء ناظر واحد — من الرجال الذين اختارهم توفيق لنظارته ، كما أنه عندما اختير الناظر الوحيد الذى دخل النظارة مع رياض (فخرى باشا) فإن هذا الاختيار قد تم بمعرفة الخديو (٣٠) .

وقد عبر رياض باشا مع الأيام الأولى من تشكيل نظارته عن ارتياحه الشديد للطريقة التى يتعاون بها الخديو مع النظارة (٣١) ، كما عبر توفيق عن مشاعر مماثلة (٣٢) .

يضاف الى كل ذلك انه لما كان سقوط النظارة التوفيقية وتشكيل النظارة الجديدة وليدا للضغط الأوربية فإن نظارة رياض قد تمتعت بالرضا الأوروبى .

ومع ما ترتب على هذا الانسجام من طول عمر النظارة الرياضية والتي كانت أطول نظارات هذه الفترة عمرا فإنه قد صحبه — ثمنا للرضاء الأوروبى — مزيد من التدخل الأجنبى .

فقد تم خلال النصف الأول من عام ١٨٨٠ خطوة من أهم خطى التدخل الأجنبى فى مصر بتشكيل ما عرف « بلجنة التصفية » ، ويصف بعض المؤرخين ما تمخض عن نشاط هذه اللجنة من صدور قانون التصفية فى ١٩ يوليه من هذا العام بقولهم « استسلمت مصر للمرة الثانية فى أربعين عاما

(٢٩) الوثائق المصرية ، العدد ٨٢٩ .

(٣٠) Egypt No. 1 (1880) No. 117. Lascelles to Salisbury, Sept. 16, 1879.

(٣١) Egypt No. 1 (1880) No. 122 Lascelles to Salisbury, Sept. 25, 1879.

(٣٢) Egypt No. 1 (1880) No. 128 Lascelles to Salisbury, Sept. 30, 1879.

لارادة أوروبا التي فرضت وضعها الدولي عام ١٨٤١ ، ثم فرضت وضعها المالي عام ١٨٨٠ (٣٣) .

وقد سحب زيادة التدخل الاوروبى على هذا النحو تزايد العمل الوطنى برفضه ، فطلاب الأزهر يحاصرون مكان اجتماع لجنة التصفية والعرائض ترسل الى ولسون عضو اللجنة للمطالبة بعدم الغاء دين المقابلة والصحف تحتج والحزب الوطنى يعلن عن وجوده حين أصدر ٢٠ ألف نسخة من بيانه الذى احتوى على برنامج محدد لانقاذ مصر من ويلاتها وجماعة « مصر الفتاه » تصدر مشروعا اصلاحيا موجها للخديو (٣٤) .

ورد رباض على هذا المد الوطنى بأعمال قمع شديدة ، فهو ينفى الزعماء الموقعين على العرائض المرسله الى ولسون ، الى النيل الأبيض ، كما يصادر صحيفتى أديب اسحاق « مصر » و « التجارة » وفى نفس الوقت صودرت صحيفتا « مصر الفتاه » و « لاريفورم » الفرنسية التى أبدت العطف على القضية الوطنية . وصودرت الصحف التى كانت تنشر فى الخارج مثل « النحلة » و « أبونضارة » و « أبو صفارة » و « القاهرة » و « الشرق » . كما شددت الرقابة على الزعماء الذين اشتبه فيهم من أمثال شريف وسلطان وسليمان أباطه ، واعتقل ونفى الكثيرون (٣٥) .

وفى هذا الجو من القمع كان منتظرا أن تتحرك بعض عناصر المقاومة الوطنية ، وجاءت المبادرة من جانب « **أبناء الفلاحين** » من رجال الجيش المصرى ممن استهدف تحركهم أول ما استهدف النظارة المصرية فى (تشكيلها) مما أدخل تلك النظارة فى مرحلة جديدة .

(٣٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

الباب الأول

الفصل الثالث

النظارة بين الثورة العراقية والسلطة الخديوية

١٨٨١ — ١٨٨٢

— — —

بالرغم من المنطلق العسكرى الذى تفجرت منه الثورة العرابية حيث انها قد بدأت من بين « العناصر العسكرية » ولأسباب تتصل بالخلافات بين عناصر الجيش المصرية وغير المصرية . . بالرغم من ذلك فقد تجمعت سائر العناصر القادرة على الحركة كتفا بكتف مع العسكريين من مثقفين أو ملاك أراضى ليضفوا على هذا المنطلق أبعادا سياسية وفكرية واجتماعية جعل لها كل هذه المساحة فى البناية العامة لتاريخ مصر الحديث (١) .

ويتصل هذا التطور الذى أصاب الثورة المصرية ١٨٨١ — ١٨٨٢ بموقفها من السلطة ، فانه لما كانت الثورة بلا « سلطة » لا تزيد عن أن تكون « تمردا » فقد كان من الطبيعى أن يسعى الثوار الى ممارسة تأثيرهم على السلطة حتى حد الاستيلاء عليها .

والاستيلاء هنا يعنى أحد امرين :

فاما « الاستيلاء الكامل » بمعنى السيطرة على كافة مراكز السلطة ، وكانت فى هذا الوقت تتمثل فى الخديوية والنظارة . واما « الاستيلاء الجزئى » بمعنى السيطرة على أحد مراكز السلطة ، ويتمثل فى النظارة .

حقيقة قد تنادت بعض العناصر الثورية « بإعلان مصر جمهورية مستقلة ذات سيادة (٢) » ، ولكن كان يحول دون اتخاذ هذه الخطوة اعتبارات اكبر من تلك التى تحكم العلاقة بين الثورة والسلطة فى مصر لعل أهمها ما يمكن أن يصيب مركز مصر الدولى الذى حددته تسوية ١٨٤٠ — ١٨٤١ والذى استمد جانبا كبيرا من وضعه الممتاز من « حق التوارث » فى أسرة محمد على .

اذن فلم يكن أمام الثورة سوى النظارة تسعى الى التأثير فيها ثم تعمل على الاستيلاء عليها وهو ما حدث (!)

وتتداخل مراحل علاقة الثورة بالسلطة ممثلة فى النظارة — بالتأثير أو بالاستيلاء — تداخلا كبيرا ، وان كان بالإمكان التمييز بينها تمييزا نظريا . .

تمتد مرحلة (التأثير) خلال الفترة الواقعة بين إجبار الثوار للخديو على خلع عثمان رفقى من نظارة الجهادية فى أول فبراير ١٨٨١ حتى استقالة نظارة شريف الثالثة بعد ذلك بأكثر من عام قليلا (٤ فبراير ١٨٨٢) .

ثم مرحلة (الاستيلاء) والتى امتدت خلال الشهور التالية حتى انهاها

(١) انظر للكاتب : موقع الثورة العرابية فى التاريخ المصرى — الاهرام فى ١٩/٩/١٩٧١ .
(٢) Blunt, W.S. Secret History of English Occupation of Egypt p. 374.

الاحتلال البريطاني ، وتضم النظارتين المشهورتين : النظارة البارودية الاولى ،
والنظارة الراغبية الاولى ، وكانت كلتا النظارتين اولى واخيرة (!)

مرحلة التأثير :

والتي استهدفت أولا تغييرا جزئيا للنظارة ثم لم تلبث ان امتدت بالرغبة في
التغيير الكلى .

وبينما يرتبط التغيير الجزئى بالمنطلق العسكرى الذى بدأت منه الثورة
العرابية فان التغيير الكلى يرتبط بالمنطلق الوطنى الذى اصفاه عليها اشتراك
عناصر عديدة — غير عسكرية — فيها مما يوضح تأثير التطور الثورى على
العلاقة بين الثورة والسلطة .

ذلك انه ردا على استمرار محاولات « عثمان رفقى » ناظر الجهادية
في عزل الضباط المصريين واحلال الضباط الشراكسة محلهم تم ذلك التجمع
من كبار الضباط المصريين (عرابى ، على فهمى ، عبد العال) الذين تقدموا
في يناير ١٨٨١ بعريضة مشهورة يطالبون فيها بعزل ناظر الجهادية .

وقد تبع ذلك من الاحداث — مما هو معروف — محاولة محاكمة هذه
المجموعة من كبار الضباط المصريين في ثكنات قصر النيل والتي فشلت بعد
ان اتخذ هؤلاء التحركات اللازمة لانقاذهم في الوقت المناسب .

وكانت اول مواجهة بين الثورة وبين السلطة ، الثورة وقد استطاعت ان
تجمع اسباب القوة ممثلة في استقطاب كل « آلايات » الجيش العاملة وقتذاك ،
والسلطة وقد سلبتها سياستها تأييد القوة العسكرية والجموع الشعبية ،
وكما ذكر توفيق للمسيو « دى رينج » القنصل الفرنسى العام في القاهرة انه
لم يكن يملك أى قوة ليقاوم (٢) . ومن ثم لم يكن هناك من سبيل سوى
الاستسلام وقبول استعفاء عثمان باشا رفقى .

يستمرعى النظر انه بعد اخراج هذا الباشا الشراكسى من نظارة الجهادية
ان يصدر القرار باسناد هذه النظارة الى شركسى آخر هو « محمود سامى
البارودى » الى جانب عمله كناظر للاوقاف .

ويمكن تفسير ذلك من اكثر من زاوية :

أولا :

ان الحركة حتى هذا الوقت لم تطلب أكثر من تغيير عثمان رفقى دون أن
تملك بعد القدرة على فرض خليفته .

ثانيا :

ان البارودى رغم شركسيته كان مقبولا من رجال الدركة ، وقد وصفه عرابى وقتذاك بقوله « أنه من المتعلقين بالحرية . كان من أصل شركسى ولكن عائلته عاشت في مصر نحو ستمائة سنة (٤) » .

على أى الأحوال فان « البارودى » قد أصبح رجل الثورة بعد ذلك خاصة بعد أن تحول بعدها العسكرى الى بعد قومى ، وبالتالي لم يصبح للحساسيات القديمة نفس الحجم .

كان هذا النجاح في « التغيير الجزئى » خطوة مشجعة نحو « التغيير الكلى » وقد شهدت الشهور السبعة الممتدة بين فبراير وسبتمبر ١٨٨١ مجموعة من التطورات جعلت التغيير الكلى للنظارة في حدود الممكن .

اول هذه التطورات ما أصاب مركز عرابى من تحسن وما صاحب ذلك من تحول الحركة العسكرية التى بدأها الى انتفاضة شعبية .

فعرابى قد تحول بعد نجاحه في أول فبراير من مجرد قائد عسكرى الى زعيم وطنى انضوت تحت لواء زعامته عناصر مؤثرة رأت فيه محققا لآمالها خاصة من الأعيان والمثقفين . وقد انعكس هذا التحول على طبيعة مطالب الحركة ذلك أن عرابى قد أخذ في شهر مايو في جمع التوقيعات على عريضة تطالب بزيادة عدد الجيش الى ١٨ ألفا وفق ما نصت عليه الفرمانات ، وقيام مجلس تمثيلى تصبح الحكومة مسئولة أمامه ويكون من حقه مناقشة الميزانية . وقد لاحظ المسيو مونج - القائم الفرنسى بالاعمال - سرعة انتشار هذه الأفكار في أوساط المدنيين (٥) .

التطور الثانى : ما تأكد لدى زعامة الثورة من مسيرة الأحداث بأن تغييرا جزئيا سيكون وخيم العواقب ان لم يصحبه التغيير الكلى .

وفي البداية كانت هناك شكوك من جانب هذه الزعامة على اثر ما تواتر من اشاعات بأن ثمة تدبيرا لدس السم للضباط الثلاثة الذين قادوا الحركة مما دعاهم الى احاطة أنفسهم ودوزهم بحراس موثوق بهم .

تحولت هذه الشكوك الى يقين بعد صدور الأمر العالى المؤرخ في ١٤ أغسطس عام ١٨٨١ « بأنه بناء على ما تقرر واستحسن قد تعين سعادتلو داود باشا ناظرا للجهادية والبحرية (٦) » .

و « داود باشا » مع قرابته للخديو اذ كان صهره فقد كان في نفس الوقت شركسيا بالمولد . . . هذا من ناحية . .

Blunt, W.S. Op. Cit.

(٤)

(٥) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٤١ .

(٦) الوقائع المصرية العدد ١١٩٢ .

ومن ناحية أخرى فقد بادر هذا الباشا في أعقاب توليه للنظارة باتخاذ مجموعة من الاجراءات استهدفت كسر العمود الفقرى للحركة ممثلة في زعامتها العسكرية فأصدر أوامره الى « الآليات » التى اشتركت في أحداث فبراير بالخروج من القاهرة الى الاقاليم وكان نصيب عرابى وآليه من هذه الأوامر أن يخرج الى الاسكندرية (٧) .

وكان معنى ذلك أن « السلطة » قد حصلت على الوقت اللازم لالتقاط أنفاسها وانها قد استعدت للرد على ما فرض عليها في فبراير ، وكان على « الثورة » أن تتحرك أو تفقد كل شيء . .

تطور ثالث : أن النظارة الرياضية فقدت خلال تلك الشهور السبعة كثيرا من ألوان المساندة التى كانت تتمتع بها من قبل .

ففى سمر الرجل للدخول فى حلبة السباق مع الزعماء الجدد أصحاب الشعبية على انتزاع بعض هذه الشعبية منهم . . فى هذا السعى اتخذ إجراء أغضب قوى التدخل الأجنبى ، ففى أغسطس وأثناء غياب « السير أوكلاند كولفن » - المراقب الانجليزى - عن مصر انتهز رياض الفرصة ودون أن يستشير أحدا من الأوربيين لم يدع « بليير » - المراقب الفرنسى - الى جلسات مجلس النظار ، ثم أنه لما كتب له هذا عن بعض الارتباكات الناشئة فى نظارة الاشغال حاول أن يفهم الزاى العام ان المراقب الفرنسى يطالب باستقالة « على باشا مبارك » ناظر الاشغال وأعلن فى « الوقائع » أن على مبارك يتمتع بثقة الخديو . وكان لهذا الاضطدام « بالمراقبة الأوربية » اثره فى سحب جانب هام من رصيد التأييد الأوربى للنظارة .

وامتدت اصطدامات رياض للخديوية ، ففى بعض اجتماعات مجلس النظار التى رأسها توفيق تصدى له رياض بالمعارضة مما استشعر معه الخديو ان الرجل قد استنفد دوره (٨) .

على ضوء كل هذه التطورات أصبحت الظروف مواتية تماما « للثورة » لتتحرك خطوة أخرى فى دائرة « التأثير » فى السلطة وهو ما حدث فى مظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١ المشهورة التى تضمنت ثلاثة مطالب كان أولها « عزل رياض باشا » ولم يكن هناك مناص من الاستجابة للمطلب الثورى (!)

٧ - نظارة محمد شريف باشا الثالثة ١٤ سبتمبر ١٨٨١ - ٤ فبراير ١٨٨٢ :

اتسعت دائرة تأثير الثورة العرابية فى النظارة المصرية بعد ذلك النجاح الذى تم باسقاط وزارة رياض .

Dicey, Edward : The Story of the Khedivate. p. 263.

(٧)

(٨) د. أحمد عبد الرحيم : المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ .

وكان أهم مظاهر هذا الاتساع ما خولته قيادة الثورة لنفسها من حق اختيار رئيس النظار الجديد ، أكثر من ذلك تدخلها في مسألة تشكيل النظارة الجديدة .

فاختيار الرئيس الجديد « شريف باشا » تم بناء على رغبة عرابي وزملائه ، فالخديو كان يفكر في اسناد منصب الرئاسة لأحد رجلين : حيدر باشا يكن أو اسماعيل باشا أيوب ، وقد رفض عرابي مرشحي توفيق ، الأول لأنه شقيق داود باشا صهر الخديو وناظر الجهادية السابق ، والثاني لأن خبرته قد اقتضت على الشئون المالية (٩) .

وقدمت الزعامة الشعبية مرشحها .. الباشا العتيد « شريف » (١٠) صاحب مواقف الرفض الشهيرة والمتعددة ضد التدخل الأوربي ، ووافق توفيق على الاختيار .

تبع هذه الموافقة الخديوية زيارة عرابي لشريف في اليوم التالي مهنئا برئاسة النظارة مطالباً بالاعتناء « بانتخاب من يؤازرونه في سرعة تأليف مجلس النواب ونشر الحرية في البلاد (١١) » ، وكانت ايماء واضحة من زعيم الثوار تعبيرا عن الرغبة في التدخل في اختيار النظار الجدد .

وقد تأكدت هذه الرغبة من طلب عرابي باشارك محمود سامي البارودي في النظارة الجديدة ناظراً للجهادية ، ومصطفى فهمي ناظراً للخارجية « لما كان يعلم من ميلهما الى العدل والحرية » .

على الجانب الآخر رفض شريف هذا المطلب لأن الرجلين وكانا يشاركان في نظارته السابقة قد أخلا بوعده قطعا على نفسيهما بانه في حالة عدم قبول الخديو للائحتين المقدمتين له من النظارة (١٢) أن يتضامن جميع أعضائها في الاستقالة والا يقبل أى منهم الاشتراك في النظارة الجديدة ، ولكن كلا من البارودي ومصطفى فهمي قبلوا الاشتراك في نظارة رياض التي خلفت نظارة شريف المستقيلة .

ونشبت أزمة قصيرة انتهت باذعان شريف للمطالب العرابية بعد ضغط واضح من أحمد عرابي نفسه (١٣) وصدر قرار تشكيل النظارة الشريفة الثالثة على النحو الآتي :

— **ترجمة النطق السامي الصادر من الحضرة الفخيمة الخديوية الى دولتو شريف باشا رئيس مجلس النظار في ١٤ نوفمبر ١٨٨١ (١٤) .**

(٩) مذكرات عرابي — كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية بقلم أحمد عرابي (كتاب الهلال — فبراير ١٩٥٣) ج ١ ص ٨١ .
(١٠) Blunt, W.S. Op. Cit. p. 150.

(١١) مذكرات عرابي ج ١ ص ٨١ .

(١٢) انظر الفصل الثاني .

(١٣) مذكرات عرابي ج ١ ص ٨٢ .

(١٤) الوقائع المصرية العدد ١٢١١ .

« ان في قبولكم أمر تشكيل هيئة نظارة جديدة والقيام برئاستها ، حالة كون الوطن محفونا بالمصاعب دليلا قويا على اخلاصكم وحميتكم الوطنية .

« واني لم اكلفكم بتحمل اعباء هذه المأمورية الجسيمة الا لعلمي بغيرتكم ووثوقي باخلاصكم ، ولقد سرنى ما رأيته من اشتراك من يوثق بهم من ذوى المكانة والاحتشام مع وجوه البلاد وسائر أهاليها في اللاحاح عليكم بقبول المسند الجليل الذي دعتكم اليه ثقة العموم بكم .

« واني موافق على ما تضمنه تقريركم (١٥) من مهام الأمور ، وأرى كما ترون أنه متى عادت الطمأنينة الى الخواطر تهتم حكومتى في اجراء الاصلاحات الادارية والقضائية ، من تنظيم المحاكم ووضع القوانين المتناسقة المتقنة النظام الصريحة الأحكام وتحديد القوى العمومية وتعيين وظائف كل منها وانتظام سيرها ، والنظر في الأعمال المتعلقة بتحديد مدة المحاكم المختلفة ، وتوسيع دائرة المعارف ونطاق الأشغال العمومية والزراعة والتجارة ، وعقد ما يلزم من المعاهدات بشأن الجمارك والتجارة كل هذه المواد ذات المصلحة العمومية العائدة نفعها على البلاد ، واني على الدوام مستعد لمساعدتكم كل المساعدة على انجازها بصدق نية واخلاص طوية ، اما تمام الوفاق بين تفتيش المالية وبين حكومتى فهو أمر لازم يجب دوامه وتمكينه .

«ترجمة أمر كريم»

— نحن خديو مصر . .

— بناء على ما رفعه لدينا رئيس مجلس نظارنا :

قد أمرنا بما هو آت . .

المادة الأولى

— تعيين :

- | | |
|----------------------------|-------------------------|
| ● سعادة مصطفى باشا فهمى | ناظرا للخارجية |
| ● وسعادة حيدر باشا | ناظرا للمالية |
| ● وسعادة اسماعيل باشا أيوب | ناظرا للأشغال العمومية |
| ● وسعادة محمود باشا فهمى | ناظرا للجهادية والبحرية |
| ● وحضرة قدرى بك | ناظرا للحقانية |
| ● وسعادة محمد زكى باشا | ناظرا للمعارف والاوقاف |

(١٥) نص ترجمة التقرير المرفوع للحضرة الفخية من دولتو شريف باشا رئيس مجلس النظر بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٨٨١ - البوائع المصرية العدد ١٢١١ .

من الواضح أنه الى تشكيل نظارة شريف فان علاقة الثورة بالسلطة لم تتعد مرحلة التأثير الى مرحلة الاستيلاء . . يؤكد ذلك أكثر من حقيقة :

أولها :

أنه بالرغم من رفض عرابى قبول « حيدر باشا » أو « اسماعيل باشا » أيوب « مرشحى القصر لرئاسة النظارة فانهما قد شاركا فيها ، الأول ناظرا للمالية ، والثانى ناظرا للاشغال العمومية .

ثانيهما :

ان شريف قد تمنع عن قبول رئاسة النظارة الا بشروطه والتي كانت تستهدف أساسا « منع استمرار تدخل العسكريين في شئون السياسة » وقد تراوحت من هذا المنطلق بين الرغبة في عزل أمراء الآليات الثلاثة أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى من مناصبهم في نظير أن يكفل لهم الدفاع عن جميع حقوقهم (١٦) وبين انتزاع تعهد من هؤلاء يتضمن الخضوع التام له شخصيا (١٧) . . وقد انتزعه .

كما أنه لم يمض وقت طويل بعد تشكيل النظارة حتى استجاب « عرابى » للتعليمات التي أصدرها رئيس النظار بالخروج بآلايه من القاهرة الى « رأس الوادى » الواقعة بين الاسماعيلية والسويس فوصلها في ٦ أكتوبر ١٨٨١ (١٨) .

لكن رغم هذا الخروج فقد أثبتت الأحداث عدم امكان انسحاب العسكريين نهائيا من الحياة السياسية ، فهم وقد امتدت دائرة تأثيرهم لتشمل النظارة (في تشكيلها) فقد كان من المنتظر أن تتسع هذه الدائرة لتشمل النظارة (في عملها) في فترة من أخرج فترات المل السياسي المصرى

من ثم فقد شهدت الشهور الخمسة — عمر النظارة الشريفة — ألوانا من محاولات عرابى وزملائه بالامتداد بالتأثير الى العمل النظارى واجهتها في نفس الوقت محاولات مستمرة من النظارة للتملص من هذا التأثير .

وتتعدد المواقف التي توضح هذا الصراع ، منها ما اتصل بالمطلب الثانى من مطالب مظاهرات ٩ سبتمبر بزيادة عدد الجيش الى ١٨ ألفا فقد رفضه شريف ، ثم ما اتصل بهذا الرفض من رفض لمطلب القادة العسكريين بزيادة ميزانية الجيش والتي انتهت أخيرا بمحاولة للتوفيق نجح فيها المستر بلنت صديق العرابيين (١٩) .

(١٦) ميخائيل شاربويم : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٤٨ .
(١٧) Egypt No. 3 (1882) No. 10 Cookson to Granville, Sept. 14, 1881.
(١٨) Ibid No. 105 Malet to Granville, Oct. 9, 1881.
(١٩) Blunt : Op. Cit. p. 177.

ومنها ما اتصل بالذاكرة الانجليزية التي قدمها مالت — القنصل البريطاني العام في القاهرة — الى شريف في ٤ نوفمبر عام ١٨٨١ بهدف اظهار المقاصد البريطانية في مصر **بالحفاظ على « الأوضاع القائمة »** ومساندة الاصلاحات التقدمية فيها ، والتي تقبلها شريف باستحسان ورضاء بينما صدم المعلقون الاذكياء بما جاء في هذه الرسالة من حديث عن « حالة الفوضى » لا سيما ان وجود عرابي في القاهرة وقتذاك كان يخلق مثل هذه الحالة على حد رأى المسترمالت .

في نفس الوقت لم تتمكن النظارة الشريفة من ممارسة نفوذها على الجيش ، وفي أكثر من مناسبة بدأ الانفصام واضحا بين العسكريين وبين السلطة المدنية تمثلها النظارة ، ففي نوفمبر اضطرت قوات الشرطة الى الإفراج عن جنديين من الجيش كانت قد احتجزتهما لاخلالهما بالأمن وذلك تحت ضغط زملائهما ، وبعد ذلك بوقت قصير قررت الحكومة تغيير قائد آلاى المدفعية المعسكر بالقاهرة ولكن رجال الآلاى عارضوا هذا القرار ، ثم ان القوات الموجودة في السويس أعربت عن عدم رضائها نتيجة لمقتل واحد من رجالها على أيدي أحد الايطاليين (٢٠) .

كانت كل هذه الحوادث الصغيرة وغيرها تؤكد بازدواج السلطة مما دعا الى محاولة تجنب هذا الازدواج بتعيين عرابي **وكيلا لنظارة الجهادية** في أوائل ١٨٨٢ (٢١) .

ولكن لم تجد هذه المحاولة خاصة وان شريف في سعيه لايجاد نوع من التوازن بين سائر القوى السياسية قد اضطر أخيرا الى مواجهة الثورة فيما عرف بأزمة « النظر في الميزانية » .

ذلك انه بناء على المطلب الثالث من مطالب مظاهرة ٩ سبتمبر تم انتخاب مجلس جديد لشورى النواب عقد أولى جلساته في أواخر ديسمبر ١٨٨١ .

ولما كان هذا المجلس قد اجتمع على أساس دستور سنة ١٨٦٦ فقد تقدمت له النظارة بلائحة جديدة عكفت لجنة منه برئاسة « حسن باشا الشريعى » على درسها .

وقد رفض المجلس ما نصت عليه هذه اللائحة من حرمانه حق « النظر في الميزانية » ، واستقر رأى النواب على ضرورة تمتع مجلسهم بهذا الحق وأدخلوا تعديلا على اللائحة المذكورة بهذا المعنى ولكن « شريف » أبى التصديق على اللائحة على هذا النحو (٢٢) .

تمخض عن تلك المواجهة نتيجتان :

Cromer : Op. Cit. pp. 164 — 165.

(٢٠)

(٢١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المصدر السابق ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٢٢) د. عبد العزيز رفامى : فجر الحياة النيابية في مصر الحديثة ص ١٦٦ .

أولاهما : استقالة نظارة شريف الثالثة .

ثانيتها : دخول العلاقة بين الثورة والسلطة مرحلتها الثانية (باستيلاء)
الثورة على السلطة ممثلة في النظارة .

مرحلة الاستيلاء :

٨ — نظارة محمود سامي باشا البارودي الأولى (٤ فبراير — ٢٦ مايو
١٨٨٢) .

ففي ٢ فبراير عام ١٨٨٢ وبعد أن رفض « شريف » طلب مجلس شورى
النواب ادراج حق « النظر في الميزانية » ضمن اللائحة التي كانت تعد وقتذاك
طالبه وفد المجلس بالاستقالة ، فرد عليهم بأن الخديو هو الذي عينه وهو
الذي يملك الأمر بهذا لا أعضاء المجلس .

عندئذ توجه الأعضاء — وفي نفس اليوم — الى قصر الاسماعيلية متقدمين
بمطلبهم للخديو .

وقد ثارت في هذا الموقف مناقشة هامة توضح نوعية « المسئولية النظرية »
كما كان يدركها القصر في هذا الوقت ، فالخديو توفيق يسأل أعضاء المجلس
عن (القانون) الذي منحهم حق المطالبة باستقالة النظارة فيرد عليه هؤلاء ،
بأنها « رغبة المجلس » فيصرفهم توفيق بعد أن وعدهم بوضع هذه الرغبة
موضع الاعتبار (٢٣) .

وأعضاء مجلس شورى النواب في هذا — ولأول مرة في تاريخ النظارة
المصرية — سحبوا الثقة من النظارة الشريفة ، وقد نجح هؤلاء — بالدعم
العربي — من أن يضعوا « سحب ثقتهم » موضع التنفيذ .

أكثر من ذلك أن أعضاء شورى النواب قد تقدموا باقتراح في اليوم التالي —
٣ فبراير — باختيار رئيس النظار الجديد ، وقد وقع هذا الاختيار على
« محمود سامي البارودي » ناظر الجهادية في نظارة شريف وأكثر النظار
التصاقا بالحركة الثورية (٢٤) .

ولما لم يكن أمام توفيق سوى القبول فقد أرسل يستدعى محمود سامي
باشا ليكلفه بتشكيل النظارة الجديدة التي صدر مرسوم تشكيلها على
النحو الآتي :

Egypt No. 7 (1882) No. 20 Malet to Grey, Feb. 6, 1882.

(٢٣)

Ibid.

(٢٤)



محمود سامى البارودى

- ولد عام ١٨٣٩ وجده عبد الله بك الجركسى من الكشاف.
- اضيف الى اسمهم لفظ البارودى نسبة الى ايتاى البارود التى كانت فى التزام احد اجداده فى عهد الالتزام .
- تلقى علومه فى مدارس محمد على الحربية وترقى فى السلك العسكرى حتى وصل الى رتبة الاميرالاي .
- بعد اشتراكه فى القضاء على ثورة كريت وفى الحرب ضد روسيا رقى الى رتبة اللواء وتولى النظارة لأول مرة فى ٥ يوليو ١٨٧٩ (نظارة المعارف) .

خطاب الجناب الخديو المعظم (٢٥)

« عزيزى محمود سامى باشا

ان فى قبولكم تأليف هيئة نظارة جديدة مع ما فى ذلك من عظيم الاهمية دليلا قويا على حسن اخلاصكم وشدة غيرتكم وانى لم اكلفكم باحتمال اعباء هذا المسند العظيم الا لعلمى بحميتكم ووثوقى باخلاصكم التام بما اديتم من الخدمات الصادقة فيما تقبلتم فيه من المصالح المتنوعة . وانى موافق على ما احتواه تقريركم عن المبادئ المهمة التى هى اساس للعدل ورابطة للنظام وكافلة باستقرار الأمن وشموله جميع سكان الديار المصرية . وأرى مثل ما رأيتم أن من الضرورى ان تهتم حكومتى باجراء الاصلاحات القضائية والادارية ، وتأسيس قانون مجلس النواب على النحو المبين فى تقريركم وتوسيع دائرة المعارف العمومية والزراعة والتجارة والصناعة .

« وانى مستعد على الدوام لمساعدتكم كل المساعدة على تنجيز ذلك بصدق النية واخلاص الطوية ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه خير البلاد وراحة العباد » .

((محمد توفيق))

أمر كريم
نحن خديو مصر

بناء على ما رفعه الينا رئيس مجلس نظارنا أمرنا بما هو آت :

المادة الاولى :

- تعيين سعادتلو مصطفى فهمى باشا
- تعيين عزتلو أحمد عرابى بك
- تعيين سعادتلو محمود فهمى بك
- تعيين سعادتلو عبد الله فكرى باشا
- تعيين سعادتلو على صادق باشا
- تعيين سعادتلو حسن شريعى باشا
- ناظرا للخارجية والحقانية
- ناظرا للجهادية والبحرية
- ناظرا للمالية
- ناظرا للاشغال العمومية
- ناظرا للمعارف العمومية
- ناظرا للاوقاف

المادة الثانية :

رئيس مجلس نظارنا مكلف بتنفيذ أمرنا هذا ،

صدر بسرأى الاسماعيلية فى ١٥ ربيع الاول ١٢٩٩ (٤ فبراير ١٨٨٢) .

((محمد توفيق))

وكما بدأ (استيلاء) الثورة على النظارة من الطريقة التى تم بها تشكيلها
بدأ أيضا من طبيعة هذا التشكيل .

١ — فقد دخل أحمد عرابى النظارة الجديدة ناظرا للجهادية ، ولما كان
هذا المنصب من أهم المناصب النظرية وأكثرها رمزا للسلطة فقد كان موقع
عرابى فيه له دلالة (الاستيلاء) ومحتواه .

٢ — لم يدخل فى تلك النظارة من بين النظار القدامى سوى ناظرين ،
سامى البارودى رئيسا ومصطفى فهمى للخارجية والحقانية ، على الجانب
الآخر دخلها خمسة أعضاء يتولون لأول مرة منصب النظارة مما يدل على مدى
الشحوب الذى أصاب العناصر القديمة خاصة وأن من أختير من هذه
العناصر تحكم فى اختياره معيار ولائه للعهد الجديد .

٣ — ان **جناحى الثورة** قد مثلا فى النظارة الجديدة ، العناصر العسكرية
يمثلها كل من أحمد عرابى ومحمود فهمى ، وكبار الملاك ممن تصدوا للعمل
السياسى ودخلوا مجلس شورى النواب يمثلهم حسن الشريعى .

كان من الطبيعى والأمر على هذا النحو أن تتحرك النظارة الجديدة من
قاعدة التعبير عن طبيعتها الثورية ، وبدا هذا التعبير واضحا فى أكثر من
جانب ، فالنظارة قد شكلت مع مجلس شورى النواب ما يشبه المؤتمر الوطنى
الذى وضع نصب عينيه العمل على انفراد المصريين بحكم بلادهم مع المحافظة
على المراقبة الثنائية على أن لا تتعدى الشؤون المالية (وهو ما نص عليه
مرسوم انشائها) وانساح مجال العمل امامها كوسيلة لتجنب تدخل انجلترا
وفرنسا .

ثم أنها من جانب آخر وجهت اهتمامها الى الجيش واتخذت مجموعة من
الاجراءات لتقويته كانت تعبيرا عن ادراكها لاحتمالات التدخل العسكرى الأوربى
مما جعلها « وزارة دفاع قومى (٢٦) » .

وقد تركت مثل هذه الاجراءات بصمات قوية على العلاقة سنوء مع
« العناصر القديمة » أو مع « قوى التدخل الأجنبى » .

العناصر القديمة يمثلها « الضباط الشراكسة » الذين دبوا مؤامرة
اكتشفت فى أبريل ١٨٨٢ هدفها اغتيال النظار وكبار زعماء الحزب الوطنى
واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الثورة .

وكان موقف « توفيق » من هؤلاء المتآمرين يتسم بالعطف الواضح واستعان
على النظارة الوطنية بالسلطان العثمانى وبقوى التدخل الأوربى مما دعا

(٢٦) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المصدر السابق ص ١٩٢ ، ص ١٩٥ .

القنصل البريطاني العام أن يسجل في ١٨ مايو ١٨٨٢ « أن العلاقات قد تقطعت بين الخديو ووزرائه ، وأن الموقف قد أصبح خطيرا للغاية » (٢٧) .

من ناحية أخرى فقد حدث شرخ كبير في جدار الوحدة الوطنية عندما رفضت العناصر المدنية يمثلها كبار الملاك أعضاء مجلس شورى النواب السير في الشوط الوطنى الى آخره فانضم عدد منهم يتزعمهم رئيس المجلس الى العناصر القديمة (٢٨) .

ووصل الأمر بسلطان باشا — رئيس المجلس — الى أن يرجو الخديو في ١٤ مايو ١٨٨٢ ابعاد رئيس النظار واستبداله بأى رئيس آخر ، وتردد في هذا الصدد اسم « مصطفى فهمى » ناظر الخارجية (٢٩) .

وقوى التدخل الأجنبى : رأت الفرصة مواتية لضرب نظارة الثورة وكما كتب القنصل البريطاني العام فى القاهرة الى لندن فى ١٦ مايو يقول « لقد توفرت لنا فرصة ممتازة للدخول فى المعركة . فنحن نأتى لمساندة الخديو الذى يستند بدوره الى مجلس شورى النواب والرأى العام » (٣٠) .

تبع ذلك ان قامت الدولتان الكبيران — بريطانيا وفرنسا — بمظاهرة بحرية أمام الشواطىء المصرية عند الاسكندرية صحبتها بتقديم « مذكرة مشتركة » فى ٢٥ مايو الى محمود سامى البارودى رئيس النظارة كانت انذارا وقد تضمنت المطالب الآتية :

١ — رحيل عرابى مؤقتا من مصر مع احتفاظه برتبته ومرتبته .

٢ — رحيل على فهمى وعبد العال الى داخل البلاد بشروط مماثلة .

٣ — استقالة النظارة .

ولما توجه النظار الى الخديو يسألونه عما يراه بشأن الرد على هذه المذكرة أجابهم بأنه يقبل شروطها (٣١) .

وردت النظارة البارودية على ذلك بأن أرسلت خطابا الى الخديو تبلغه فيه باستقبالها « بالنظر لقبوله شروط انجلترا وفرنسا — ولأنه قد استسلم للتدخل الأجنبى مناقضا لشروط الفرمانات » (٣٢) .

Cromer : Op. Cit. p. 206.

(٢٧)

Blunt : Op. Cit. p. 269.

(٢٨)

Malet : Op Cit. p. 269.

(٢٩)

(٣٠) نقلا من د. أحمد عبد الرحيم ص ٢٠٥ .

(٣١) المصدر السابق ص ٢١٤ — ٢١٥ .

Egypt No. 8 (1882) No. 86. Malet to Granville, May 27, 1882.

(٣٢)

وأجاب الخديو على الفور بقبول الاستقالة « طالما انها رغبة الأمة » ،
أما فيما يتصل بنقض شروط الفرمانات . فقد رد توفيق عليها بأنها مسألة
« تخصه وتخص السلطان » فقط (٢٣) .

شهدت مصر بعد ذلك فترة غريبة من فترات تاريخها النظاري امتدت الى
١٧ يونية حين تم تشكيل نظارة اسماعيل راغب :

وقد امتدت هذه الفترة لعشرين يوما كفت خلالها نظارة البارودي بعد
استقالتها عن الاستمرار في تأدية عملها في الوقت الذي استمر ناظر الجهادية
في هذه النظارة « أحمد عرابي » في القيام بعمله ، وكان لهذا الوضع
الغريب أسبابه .

حاول توفيق أولا في أعقاب استقالة نظارة البارودي تكوين نظارة جديدة
برئاسة شريف ، ولكن كان لهذا الأخير شروط لقبول تكليف الخديو ، فقد
طالب بنفى عرابي ورفاقه خارج البلاد وحل الجيش المصرى واستقدام
قوات تركية لاعادة النظام (٢٤) .

ولما كان من الواضح أن تنفيذ هذه الشروط في حكم الاستحالة في ظل
الظروف القائمة فقد رفض شريف قبول رئاسة النظارة الجديدة متذعرا
بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا ذا قيمة هو أو أى سياسى آخر طالما أن
زعماء الحركة العسكرية باقون في مصر وما يستتبع ذلك من غلبة سلطة
الجيش على سلطة الحكومة (٢٥) .

اعتب ذلك الفشل أن أبرق ضباط الجيش والشرطة العسكريين في
الاسكندرية الى الخديو يبلغونه بأنهم لا يوافقون على استقالة عرابي وأنهم
يتركون له ١٢ ساعة للاستجابة الى مطالبهم باعادة الزعيم المصرى الى
منصبه وهددوا بأن أى تأخير بعد ذلك سيؤدى الى تخليهم عن حفظ الأمن
العام في البلاد (٢٦) .

وتحت هذا الضغط من ناحية ، ومدفوعا بمخاوف القناصل مما قد
يصيب رعاياهم نتيجة لما أصاب السلطة من تفكك أذعن توفيق لمطلب رجوع
عرابي الى نظارة الجهادية والبحرية في (ارادة سنية) صادرة في ٢٨ مايو
١٨٨٢ جاء فيها « ولو أنكم استعفيتم ضمن هيئة النظار التي استعفيت
لكن مراعاة لحفظ الراحة والأمنية ، استصوبنا بقاءكم على نظارة الجهادية
والبحرية ، وأصدرنا أمرا هذا لكم لتعلموه وتبادروا بإجراء ما فيه انتظام
أحوال العسكرية بالطريقة الكافلة لحفظ الأمنية العمومية على الوجه المرغوب
كما هو مقتضى ارادتنا (٢٧) .

Ibid. (٢٣)

Livres Jaune 1882 — 1884 .No. 105 Freycint à Noailles 28 May 1882. (٢٤)

Malorite, Baron D. Egypt-Native Rulers and Foreign Interference p. 306. (٢٥)

Egypt 8 (1882) No. 93 Malet to Granville May 27, 1882. (٢٦)

(٢٧) الوقائع المصرية العدد ١٤٢١ .

ويمكن أن يقال ان النظارة في هذا الوقت قد فقدت سمتها السياسية ولم يبق لها سوى سمتها العسكرية « كجهاز لحفظ الأمن » .. هذا من ناحية ، وسمتها الادارية لتصرف شئون الادارة اليومية من ناحية أخرى ذلك أن الخديو قد طلب من وكلاء النظارات أن يتولوا عمل النظار الى حين تشكيل نظارة جديدة (٢٨) .

ولم يكن متوقعا أن يستمر الوضع على ذلك !

٩ — نظارة اسماعيل راغب باشا ١٧ يونية — ٢١ أغسطس ١٨٨٢ :

بتقلص حجم نظارة الثورة في شخص عرابي وحده ، وباقتصار وظائفها على « حفظ الأمن » في البلاد فقد كان مطلوبا من أعداء الثورة عمل واحد يثبتون به فشل النظارة وجاء هذا العمل في صورة الاضطرابات العنيفة التي شهدتها الاسكندرية في ١١ يونية ١٨٨٢ والتي اصطلح على تسميتها بمذبحة الاسكندرية .

وبالرغم من تقاذف الاتهامات بين سائر أطراف الصراع السياسي في مصر وقتذاك (الخديو — التدخل الأجنبي — العرابيين) فإنه لم يثبت على نحو قاطع لمن كانت اليد الطولى في مثل هذا العمل المؤسف .

الا أن أهمية هذا الحدث تبدو هنا فيما أصاب عرابي (الناظر الوحيد الباقي) والعمل القائم عليه (حفظ الأمن) من خيبة أصبح الجو مهيا معها لتوجيه ضربة لبقية العناصر الثورية ممثلة في العسكريين .

تبع ما حدث في الاسكندرية أن بدت النيات واضحة من جانب أطراف النزاع المختلفة .

الدولتان الكبيرتان الساعيتان الى التدخل (بريطانيا وفرنسا) راتا أن ما حدث غير كاف وأنه يجب ترك الأمور تزداد تعقيدا حتى يمكن الوصول الى حل نهائي في صالح تدخلهما .

بقية الدول الأوربية وعلى وجه التحديد دول التحالف الثلاثي (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) رأت ضرورة الاسراع بمعالجة الموقف خوفا من مزيد من الأضرار بمصالحها ومزيد من المخاطر على رعاياها .

وهذا التناقض في الموقف وضح تماما حول قضية « النظارة » فبينما لم تكن الدولتان الغربيتان متحمستين للاسراع بتشكيل نظارة جديدة كان موقف دول التحالف على العكس .



اسماعيل راغب

— ولد ١٨١٩ فى بلاد المورة. ونشأ بهائم سافر الى الاناضول

— هاجر الى مصر ١٨٤٦ وتلقى العلم بالمكتب الاميرى وعين
مساعد ترجمة بمجلس الملكية .

— ظل يترقى فى مناصب الدولة الى ان اختير ناظرا للمالية .

— له عديد من الانجازات الادارية منها احدث الميزانية فى
مصر . وقانون ادارة الكتابة . وقانون الرواتب . واللائحة
السعيدية . وقوانين الزراعة . وعدة قوانين اخرى .

ولعل البرقية التي أرسلها القنصل البريطاني العام الى وزير خارجيته تجسد تماما هذا الموقف .. يقول مالت .

« لم نشارك أنا والمستر سنكفنز (القنصل الفرنسي العام) في توصيه الخديو بتشكيل نظارة برئاسة راغب باشا ، وقد اقتصر كلانا على نصحه بالاستماع الى نصائح درويش باشا (مبعوث السلطان) » .

وقد كلف الخديو راغب باشا بتأليف النظارة بناء على نصيحة مشددة بل أكثر من ذلك بناء على اجبار من جانب القنصلين النمساوي والالماني اللذين منحاه مهلة مدتها ٢٤ ساعة للاستجابة الى مطلبيهما . كما جاءت التعليمات للقنصل الايطالي من حكومته بأن يتبع نفس سياسة زميله النمساوي والالماني (٣٩) .

واسماعيل راغب باشا الذى كلف بتشكيل النظارة الجديدة كان من « العناصر القديمة » ، فهو من ناحية يمتد الى اصول غير مصرية فهو « مورى » الاصل جاء الى مصر أيام حرب « المورة » ، وهو من ناحية أخرى من رجال المعية القدامى عمل فيها كاتبا وظل يترقى حتى بلغ عهد سعيد منصب « الباشمعاون » وهو المنصب الادارى الذى عادل بعد ذلك منصب رئيس النظار (٤٠) .

وهو من ناحية ثالثة كان قريبا الى العناصر الوطنية ذلك أن صحيفة (التجارة) قد ذكرت في ٣ ابريل عام ١٨٧٩ أن البرنامج الوطنى الذى وضع قبل تأليف نظارة شريف المسئولة لأول مرة قد صيغ في منزل راغب (٤١) .

وهذا الاختيار يعبر تماما عن الاتجاه الى « التهدة بعد اضطرابات الاسكندرية » فراغب باشا لا يمثل الجناح المحافظ من العناصر القديمة كما أنه في نفس الوقت لا ينضوى تماما تحت لواء العناصر الثورية .

يتمثل أيضا الاتجاه الى « التهدة » في تعهد عرابى رسميا — بعد الضربة التى أصابته نتيجة لفشله في حفظ الأمن — باطاعة كل أوامر الخديو الذى أخذ على عاتقه ضمان الأمن العام ، وأن يضع حدا لعنف الصحف وخطباء المساجد (٤٢) .

وانعكس كل ذلك أخيرا على تشكيل النظارة نفسها الذى صدر به أمر عال في ١٨ يونيه (٤٣) جاء فيه .

Malet : Op. Cit. p. 423.

(٣٩)

(٤٠) محمود عزمى : اسماعيل راغب باشا — اول من وضع لوزارته في مصر برنامجا مقاله في : ٩٠ سنة على الثورة العرابية — اعداد عائدة العزب موسى ص ١٥٦ — ص ١٦٤ .

(٤١) د. احمد عبد الرحيم : المصدر السابق ص ٢٣٣ .

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٣٢ .

(٤٣) فيليب جلاد : قاموس الادارة والقضاء جزء ٢ ص ٣٠٤ .

« أنه بناء على أعراضكم لطرفنا بانتخاب النظار الذين استنسبتم تشكيل الهيئة الجديدة تحت رئاستكم ، قد استصوب لدينا استنسابكم في ذلك وهو بقاء نظارة الخارجية في عهدتكم علاوة على مقام الرئاسة ، وتعيين :

ناظرا للداخلية

● أحمد رشيد باشا

بنظارة الجهادية والبحرية

● وبقاء أحمد عرابي باشا

ناظرا للمالية

● وتعيين عبد الرحمن رشدي بك

ناظرا للحقانية

● وعلى ابراهيم باشا

ناظرا للنافعة

● ومحمود باشا الفلكي

ناظرا للمعارف

● وسليمان باشا اباطة

ناظرا للاوقاف

● وحسن شريعي باشا

وفي تاريخه صدرت أوامرنا للنظار المشار اليهم بذلك ، وهذا لعطوفتكم اشعار بما ذكر حسبما تعلقت به ارادتنا .

« ١٨ يونية ١٨٨٢ »

ومن الملاحظ في هذا التشكيل أن راغب باشا قد استعان بأحمد باشا رشيد وعبد الرحمن باشا رشدي وهما « من زمرة » على حد تعبير عبد السلام باشا المويلحي في مذكراته (٤٤) .

ويلاحظ أيضا أن العناصر الثورية قد تقلصت الى حد كبير فمن العسكريين لم يبق سوى عرابي ومن زعماء مجلس شوري النواب لم يبق سوى حسن شريعي .

أما بقية النظارة فقد كانت من العناصر النظارية التقليدية التي طالما أسهمت من قبل في العمل النظارى ، ومن ثم فقد أنصف صاحب تلك الترجمة القصيرة اسماعيل باشا راغب حين رأى في نظارته شكلا من أشكال الائتلاف (٤٥) .

برغم ذلك الشكل الذى استهدف منه التهدة إلا أن بلوغ هذه الغاية كانت تواجهه عقبتان :

أولاهما :

صعوبة استمرار الائتلاف والذي تصوره كل من طرفيه أنه سيطرة على الطرف الآخر ، وقد شكّا « راغب باشا » من عدم امكانه السيطرة على العنصر

(٤٤) محمود عزمى : المصدر السابق ص ١٥٧ .

(٤٥) المصدر السابق ص ١٦٢ .

العسكري في الوزارة ، وكان رأيهم ان الضباط اكثر ميلا للحرب ولا يقيمون وزنا
لاعبارات اقرار النظام أو اعادة الأمور الى طبيعتها(٤٦) .

ثانيتهما :

ان الدولتين الكبيرتين — بريطانيا وفرنسا — اللتين رفضتا هذه التهدة
خاصة الانجليز قد قررتا السير قدما في طريقهما بالتدخل الى غايته فشهد
عهد هذه النظارة الاحداث الجسام التي أدت في النهاية الى الاحتلال البريطاني
لمصر .

فقبل أن يمضي شهر واحد على تشكيل النظارة الراغبية ضرب الاسطول
البريطاني الاسكندرية في يوليو ، وكان لهذا الضرب وما ترتب عليه من انسحاب
القوات المصرية من هذا الميناء آثاره على السلطة في مصر .

فالخديو قد لجأ الى قصره في « رأس التين » محتما بالوجود البريطاني ،
والائتلاف الوزاري أخذ في التشقق .

فلم تكن قد انقضت أيام خمسة على ضرب الاسكندرية حين قرر توفيق
طرده عرابي من نظارة الجهادية(٤٧) ، وتبع ذلك أن بعث راغب باشا الى قائد
الاسطول الغازي برسالة يتنصل فيها هو والنظارة من المقاومة التي لقيها
أسطوله من عرابي ويؤكد أن هذا الأخير قد تصرف في ذاك الأمر ضد أوامر
الخديو وأوامر النظارة وأن مسئولية أعماله تقع عليه وحده(٤٨) ولم تنقض
الا بضعة أيام حتى أصدر مجلس النظار منشورا يدين فيه عرابي(٤٩) .

وهكذا انحازت النظارة الى الخديو والقوات الاحتلالية ، وكان على عرابي
أن يواجه تلك القوات خارجا عن اطار السلطة .

وبانحياز راغب باشا الى قوى الغزو ، وبوقوع النظارة المصرية في دائرة
التأثير الاحتلالي دخلت هذه النظارة في مرحلة جديدة من مراحلها التاريخية
هي مرحلة « النظارة في ظل الاحتلال » ،

Egypt No. 17 (1882) No. 57 Cartwright to Granville, June 28, (٤٦)
1882.

Egypt No. 17 (1882) No. 281 Cartwright to Granville, July 16, (٤٧)
1882.

Ibid No. 303 Cartwright to Granville, July 17, 1882. (٤٨)

Ibid No. 521 Cartwright to Granville, Aug. I, 1882. (٤٩)

الباب الثاني

النظارة في ظل الاحتلال

١٨٨٢ — ١٩١٤

الفصل الأول

عهد الاستسلام

١٨٨٢ — ١٨٩٢

واجهت « النظارة الراغبية » اهتزازات عديدة خلال الأيام التي صاحبت ضرب الاسطول البريطانى للاسكندرية او التي أعقبتها ، وامتدت هذه الاهتزازات لتصيب النظارة في تكوينها بالتخلص من أقوى عناصرها « احمد عرابى باشا » الذى صدر له أمر عال في ٢٠ يوليو ١٨٨٢ جاء فيه « انى أخلعكم من مهام وظيفتكم كناظر للحربية والبحرية » ، ولتصويبها في ولائها بما أعلنه رغب باشا في ١٧ يولية من عصيان عرابى وعدم استجابته لأوامر النظارة وقد أرسل خطابا بهذا المعنى لقائد الاسطول الغازى (١) .

ونتيجة لهذا الاهتزاز من ناحية ، ونتيجة لتغير الظروف عن تلك التي كانت قائمة أثناء تشكيل النظارة الراغبية بادر الخديو الى التقدم بعرض لشريف باشا لتأليف نظارة جديدة والذى وافق على العرض وان كان قد طلب من الخديو ان يبقى الاقتراح طى الكتمان (٢) . . ومضى على العرض ثلاثة أيام طويلة في وقت كانت مصر تتعرض فيه لاتهام عملية الاحتلال البريطانى لأراضيها .

١٠ - نظارة محمد شريف باشا الرابعة ٢١ أغسطس ١٨٨٢ - ١٠ يناير عام ١٨٨٤ :

في ٩ أغسطس تقدم توفيق باقتراحه لشريف لتأليف النظارة ، ولكن لم يكن الخديو وحده هذه المرة يتقدم بالعروض ويختار المرشحين فقد كان هناك الاحتلال الذى ما أن وصل ممثله القنصل البريطانى العمام فى القاهرة « المستر مالت » الى الاسكندرية حتى بادر بدوره الى العمل ، وكان بحركته وبمظلة القوة التي وفرها له الغزو البريطانى للاسكندرية وما حوالها أكثر فعالية من توفيق المحتمى بهذه المظلة .

في ١٢ أغسطس - يوم وصول مالت الى الاسكندرية - اتصل بشريف يسأله عن أسباب التأخير في تشكيل النظارة المقترحة عليه ، ويبلغه بضرورة الاسراع بهذا التشكيل لسببين (٣) :

أولهما :

الحاجة الى تشكيل نظارة تحوز الثقة البريطانية ونظارة راغب لا تحوزها

(١) انظر الفصل السابق .

(٢) Egypt No. 17 (1882) Cartwright to Granville Aug. 9, 1882.

(٣) Egypt No. 17 (1882) Malet to Granville, Aug. 12, 1882.

ثانيهما *

الحاجة الى نظارة قوية تراجعه المرحلة الحرجة التي كان منتظرا أن تواجهها مصر . . مرحلة العمليات الحربية بين القوات البريطانية والمصرية .

فيما يتصل ((بالثقة)) فمن الواضح أن شريف قد تمتع بها وهو قد عبر للقنصل البريطاني العام آنذاك عن إعجابه بالمعونة التي تقدمها انجلترا الى مصر في وقت شدتها .

وفيما يتعلق ((بالعناصر القوية)) فيكفي ما حدث من قبول رياض باشا لدخول النظارة الجديدة ناظرا للداخلية وهي بذلك قد جمعت شخصيتين من أكبر ثلاث شخصيات سياسية في مصر وقتذاك ، وإن كان مالت قد طمع أن تضم النظارة الشخصية الثالثة الكبيرة — نوبار باشا — لولا رفض الآخرين لهذا الضم (٤) .

وصدرت في ٢٨ أغسطس مراسيم وأوامر تشكيل النظارة الشريفة . . مرسوم اسناد دولة شريف باشا رئاسة مجلس النظار ونظارة الخارجية . « نحن خديوى مصر

» بعد الاطلاع على أرائتنا المؤرخة ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ — ٢١ سبتمبر عام ١٨٧٩ و ٢٠ أغسطس عام ١٨٨٢ .

رسمنا بها هو آت

» يعين سعادة شريف باشا رئيس مجلس نظارنا لنظارة الخارجية .

وامر عال بتشكيل هيئة النظارة الجديدة (٥) .

« نحن خديوى مصر

بناء على ما عرضه علينا رئيس نظارنا . .

نأمر بما هو آت

المادة الأولى

« قد تعين :

- | | |
|-------------------------------|-------------------------|
| ● دولتو أفندم مصطفى رياض باشا | ناظرا للداخلية |
| ● وسعادة أحمد خيرى باشا | ناظرا للمعارف العمومية |
| ● وسعادة على حيدر باشا | ناظرا للمالية |
| ● وسعادة عمر لطفى باشا | ناظرا للجهادية والبحرية |
| ● وسعادة على مبارك باشا | ناظرا للاشغال العمومية |
| ● وسعادة حسين فخرى باشا | ناظرا للحقانية |
| ● وسعادة محمد زكى باشا | ناظرا للاوقاف |

Malet, Egypt 1879 — 1883. pp. 411 — 442.

(٤)

(٥) الوقائع المصرية في ٢١ سبتمبر ١٨٨٢ .

أهم ما يلاحظ في عملية انتقاء أعضاء أول نظارة مصرية في ظل الاحتلال أنهم قد كانوا أساسا أما ممن أصابتهم أحداث الثورة بأضرار مباشرة وأما من المعروفين بنصرتهم للخديوية على طول الخط .

رياض أقال الحركة الثورية نظارته في سبتمبر ١٨٨١ ، وشريف ناله ما نال رياض في فبراير من العام التالي ، وعلى مبارك كان ناظرا في نظارة رياض التي اسقطتها الثورة كما كان أحد الأعضاء الذين أرسلوا الى الخديو من جانب الزعامة الثورية في القاهرة لتحديد موقفه عقب احتلال الانجليز للاسكندرية فتخلف هناك وانضم الى الخديو ، وحيدر باشا وزكى باشا وعمر لطفى باشا أهم ما يميزهم ولاؤهم القوي لتوفيق .

والعداء للثورة أو الولاء للخديو أو كلاهما كانا من أفضل معايير الانتقاء البريطاني خلال تلك المرحلة خاصة وأن أغلب أعضاء النظارة الجديدة قد أخذ الرأي فيهم قبل تعيينهم من جانب الممثلين البريطانيين في مصر (٦) .

ملاحظة أخرى وهى لا تنسحب على نظارة شريف بل تمتد الى سائر النظارات التي تشكلت على امتداد ربع القرن الذي أعقب الاحتلال البريطانى للبلاد عندما تم تعيين سعد زغلول ناظرا للمعارف ١٩٠٦ .

فبطول تلك الحقبة تمت العودة الى استبعاد « العناصر المصرية » التي كانت قد انت بها الثورة العربية الى النظارة مثل عرابى والشريعى ومحمود فهمى وقصر المناصب النظرية على العناصر التركية .

وقد برر بيرنج — اللورد كرومر — رجل بريطانيا. الأول في مصر في أغلب سنوات الحقبة المذكورة تلك السياسة بأنه قد تم سلوكها بسبب توقع المتاعب من « **العنصر المصرى** » الذى قام بالثورة وبأنه اذا ما أشرك فى السلطة فلن يكون « **مريحا** » على عكس احتمالات التعاون. البادية من العناصر القديمة .

وعندما قاد « بلنت » حملة فى لندن للدعوة لاشراك العناصر المصرية فى السلطة كتب بيرنج الى وزارة الخارجية يقول أن هذا الاشراك مثله مثل « تعيين أحد زعماء الهنود الحمر المتوحشين حاكما عاما على كندا (٧) » .



عاشت النظارة الشريفية زهاء عام ونصف شهدت خلالها أحداثا جساما ظلت تؤثر فى التاريخ المصرى على امتداد السنوات السبعين التى تلتها .

Egypt No. 18 (1882) No. 103 Malet to Granville, Aug. 29, 1882. (٦)

Lutfi Al-Sayyid, Afaf : Egypt and Cromer. pp. 60 — 61. (٧)

ففى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ دخل « الجنرال ولسلى » الى العاصمة المصرية بعد اندحار الثورة العرابية تماما ، ونزل بسرأى عابدين التى أمر الخديو باعدادها وأرسل الى وزارة الحربية البريطانية برقية جاء فيها « انتهت الحرب » وهكذا تم احتلال الانجليز للبلاد .

تبع ذلك صدور « دكريتو » من الخديو « بالغاء الجيش المصرى » واجراء محاكمات واسعة للعرابين نال زعماء الثورة من جرائمها مصادرة الأملاك والنفى المؤبد (٨) .

تم خلال نفس الفترة قدوم بعثة « دفرين » الى البلاد حيث وضعت التقرير المشهور باسم الرجل والذى أرسى أسس السياسة الاحتلالية فى مصر خلال السنوات التالية .

ومع كل ما كان يحدث فى مصر فقد شهدت الأراضى السودانية خلال نفس الوقت استثناء الثورة المهدية لتلتهم الوجود المصرى مبتدئة من الغرب زاحفة نحو المناطق النيلية متفجرة فى الشرق ، وكانت ظروف الاضطراب فى مصر فى صالح هذا الاستثناء تماما .

أثرت تلك الأحداث المتتالية على النظرة الشريفة مما أدى الى اهتزازها ثم الى سقوطها .

الاهتزاز حدث نتيجة لما ارتآه أشد العناصر خصومة للعرابين — رياض باشا — من رحمة لقيها هؤلاء أثناء محاكمتهم ثم ما تبع هذه المحاكمة من تخفيف للأحكام الصادرة فيها الى مصادرة الأملاك والنفى المؤبد بدلا من الاعدام وهى رحمة — فى رأى رياض باشا — لا يستحقها هؤلاء ، ومن ثم قدم الرجل استقالته وخرج من النظرة فى ١٠ ديسمبر ١٨٨٢ (٩) .

والسقوط حدث نتيجة للخلاف الذى اشتد بين أن تكون لمصر سياسة خاصة فى السودان وبين أن تملى بريطانيا عليها هذه السياسة .

فلأسباب عديدة قررت الحكومة البريطانية تبنى سياسة « اخلاء السودان » من المصريين ، وقد تمثلت هذه الأسباب فى :

١ — ظروف مصر المالية الصعبة خلال تلك الفترة وعجزها عن الانفاق على مجهود حربى كبير يمكنها فى النهاية من حصر الثورة المنتشرة ثم الاجهاز عليها (١٠) .

(٨) الوثائق المصرية فى ١٤ ديسمبر ١٨٨١ .

(٩) الوثائق المصرية فى ١١ ديسمبر ١٨٨١ .

(١٠)

Lutfi Al-Sayyid, Afaf : Op. Cit. p. 57.

٢ — ما يمكن أن يترتب على هذا الاخلاء من تواجد تهديد مستمر على الحدود المصرية الجنوبية يقدم المبرر المناسب لاستمرار الاحتلال البريطاني للبلاد (١١) .

على الجانب الآخر كان لشريف آراء مختلفة تقدم بها على صورة مقترحات محددة الى القنصل البريطاني العام في القاهرة في ٢ يناير ١٨٨٤ وقد تمثلت في :

١ — مطالبة استنبول بارسال عشرة آلاف رجل الى سواكن .

٢ — ابلاغ الباب العالي أن مصر قد قررت ارجاع ادارة سواحل البحر الأحمر وشرق السودان الى العثمانيين (وهى المناطق التى كان قد حصل عليها المصريون من هؤلاء على عهد اسماعيل) .

٣ — أن تقوم مصر بتجميع قوة قدرها ١٥ ألف رجل تعاون على السيطرة على مناطق نهر النيل الممتدة حتى الخرطوم لتحمى الأراضي المصرية (١٢) .

الا أن الحكومة البريطانية لم توافق على مذكرة شريف لأنها رأت عجز مصر عن الدفاع عن الخرطوم في تلك الظروف كما أنها رفضت عودة الوجود التركى الى شرق السودان وما يمكن أن يصحب هذه العودة من تزايد النفوذ العثمانى فى البحر الأحمر وهى حريصة كل الحرص على « تنظيف » هذا البحر من أى نفوذ آخر خصوصا بعد فتح قناة السويس مما جعله من أهم الممرات المائية العالمية .

ووقف كل طرف وقد تجمد على آرائه ، وفى تلك الظروف بعث اللورد جوانفيل بتبليغه المشهور الى شريف والذي أصبح بعد ذلك أساسا للتعامل بين الوجود الاحتلالى والنظارة المصرية .

جاء فى هذا التبليغ المؤرخ فى ٤ يناير عام ١٨٨٤ . « لا أرى حاجة الى أن أوضح لكم أنه من الواجب ، ما دام الاحتلال البريطانى المؤقت قائما فى مصر أن تتأكد حكومة جلالة الملكة من ضرورة اتباع النصائح التى ترى اسداءها للخديو فى المسائل الهامة التى تستهدف فيها ادارة مصر وسلامتها للخطر . ويجب على الوزراء والمديرين المصريين أن يكونوا على بينة من أن المسئولية الملقاة الآن على عاتق الحكومة البريطانية تضطرها الى أن تصر على اتباع السياسة التى تراها . ومن الضرورى أن يتخلى عن منصبه كل وزير أو مدير لا يسير وفقا لهذه السياسة . وأن حكومة جلالة الملكة لوائية من أنه اذا اقتضت الحال استبدال أحد الوزراء ، فهناك من المصريين ، سواء من شغلوا منصب الوزارة أو شغلوا مناصب أقل درجة من هم على استعداد لتنفيذ الأوامر التى قد يصدرها اليهم الخديو بناء على نصائح حكومة جلالة الملكة (١٣) » .

Zetland : Lord Cromer, p. 95.

(١١)

Egypt No. 1 (1884) Inc. In No. 204 Cherif Pasha to Sir Baring.

(١٢)

Jan. 2, 1884.

(١٣) رئاسة مجلس الوزراء : السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣ ص ٤



لورد کرومر

كان هذا التبليغ قمة التدخل البريطاني في الشؤون المصرية بعد الاحتلال اذ أنه في الواقع ترجم الاحتلال العسكرى الى سيطرة سياسية الى حد تصورت معه بعض الأطراف أنه خطوة لفرض سيطرة بريطانية دائمة على مصر ذلك أن القنصل البريطاني العام في القاهرة قد هدد في أعقاب تقديم هذا الانذار بأنه اذا لم يقبل احد من المصريين تشكيل النظارة الجديدة فإنه سوف يقوم بإدارة البلاد بنفسه وحرص على انتشار خبر هذا التهديد (١٤) .

وقد ترتبت على التبليغ المذكور نتيجتان :

١ — استقالة نظارة شريف باشا التي رفعها الى الخديو مساء ٧ يناير عام ١٨٨٤ (١٥) . وقد سجل فيها رأيه بأن اخلاء السودان انتهاك للفرمانات التي تمنع اتخاذ مثل هذه الخطوة « لأن تلك المديريات التابعة للباب العالي قد وضعها أمانة في أيدينا لنديرها ، فإذا أصرت بريطانيا على أن تكون توصياتها نافذة بغير معارضة منا كان هذا العمل متناقضا مع أحكام الدكراتو الخديوية الصادر في ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ الذي يشترط أن يحكم الخديو بواسطة وزرائه وبالأشترار معهم . لذلك نقدم استقالتنا لأنه قد حيل بيننا وبين أداء مهمتنا وفقا للدستور » (١٦) .

٢ — تسليم الخديو بكل ما طلبه الاحتلال ، فقد قبل استقالة النظارة الشريفة ، هذا من ناحية ، ثم انه من ناحية أخرى أبلغ القنصل البريطاني العام أنه يقبل — بروح ودية — ما تقرر من سياسة اخلاء كل السودان والتي يعتقد أنها قد تقرر لت تحقيق مصالح البلاد ، وأضاف الى ذلك ابداء كامل ثقته بأن أى نصيحة ستقدم بها الحكومة البريطانية انها تستهدف مصلحة مصر (١٧) .

وقد كان بيرنج محقا حين رأى انه قد تخلف عن هذه الأزمة أن أصبح الوجود البريطاني في مصر « أكثر وضوحاً » (١٨) ، كما أنها من ناحية أخرى قد أكدت أن حاكم مصر الحقيقي منذ ذلك الوقت قد أصبح القنصل البريطاني العام في القاهرة (١٩) .

١١ — نظارة نوبار باشا الثانية ١٠ يناير ١٨٨٤ — ٩ يونية ١٨٨٨ :

بدأ البحث عن أحد أقطاب العهد القديم ليخلف شريف في رئاسة النظارة وكان هناك رياض ونوبار ، وقد عرض الخديو المنصب أولا على رياض الذي رفضه مما دعاه الى أن يساير بعرضه الى السياسى الكبير الوحيد الباقي — نوبار باشا — الذى وافق على تشكيل النظارة الجديدة على قاعدتين :

Cromer : Modern Egypt. p. 297.

(١٤)

Egypt No. 1 (1884) No. 214 Baring to Granville, Jan. 7, 1884.

(١٥)

(١٦) رئاسة مجلس الوزراء : المصدر السابق ص ٤ .

Egypt No. 1 (1884) No. 221 Baring to Granville, Jan. 8, 1884.

(١٧)

Zetland : Op. Cit. p. 105.

(١٨)

Lutfi Al-Sayyid : Op. Cit. p. 58.

(١٩)

أولاهما :

قبول النصيحة البريطانية لاخلاء السودان .

ثانيتهما :

ان تتشكل نظارته من اهالى البلاد تماما (٢٠) وذلك بعد أن رفضت وزارة الخارجية البريطانية اقتراحا لبرنج مؤداه تشكيل نظارة من الانجليز بعد ان رفض رياض تكليفه بتشكيل النظارة الجديدة (٢١) .

وصدرت قرارات تأليف النظارة النوبارية الثانية على الوجه الآتى :

أمر عال

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على الامرين الصادرين بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ و ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ .

امرنا بما هو آت

تعين دولتو نوبار باشا رئيس مجلس النظار ناظرا للخارجية والحقانية

و أمر عال

نحن خديو مصر

بناء على ما رفعه الينا رئيس مجلس نظار حكومتنا

امرنا بما هو آت

المادة الاولى

- | | |
|------------------------------------|------------------------|
| ● تعيين سعادة ثابت باشا | ناظرا للداخلية |
| ● تعيين سعادة مصطفى فهمى باشا | ناظرا للمالية |
| ● تعيين سعادة عبد القادر حلمى باشا | ناظرا للحربية والبحرية |
| ● تعيين سعادة عبد الرحمن رشدى بك | ناظرا للأشغال العمومية |
| ● تعيين سعادة محمود باشا الفلكى | ناظرا للمعارف العمومية |

Egypt No. 1 (1884) No. 222 Baring to Granville, Jan. 8, 1884.

(٢٠)

Cromer : Op. Cit. p. 297.

(٢١)

وقد امتلأ عهد هذه النظارة الذى امتد لسنوات أربع أو أكثر قليلا بالصراع بين الوجود الاحتلالى الراغب فى تأكيد الحقائق التى فرضها فى اقالة النظارة السابقة وبين النظارة النوبارية الساعية الى منع سريان النفوذ الانجليزى الى كافة المراكز الحساسة من كيان الحكومة المصرية .

ويمكن تقسيم هذا الصراع الى مرحلتين اتسمت اولاهما (بالهجوم) من جانب نوبار على التقدم البريطانى واتسمت ثانيتهما (بالهجوم المضاد) من جانب المحتلين والذى نجح فى رد الهجوم بل والقضاء على النظارة النوبارية .

مرحلة (الهجوم) وكانت أسلحة نوبار خلال هذه المرحلة تتمثل فى :

١ - تزعزع الوجود البريطانى فى البلاد بعد بدء مفاوضات عثمانية بريطانية تستهدف تحديد ميعاد لجلاء القوات الانجليزية عن البلاد هى تلك المعروفة بمفاوضات مختار - درمندولف (١٨٨٥ - ١٨٨٧) .

٢ - انه - أى نوبار - كان الرجل الوحيد الذى قبل التعاون مع انجلترا ، ولما لم يكن أمام الوجود الاحتلالى من السياسة المصريين الكبار وقتذاك .سواه فقد كان هذا التفرد من أهم الأسلحة التى يستطيع أن يلعب بها .

أما ميدان الهجوم الذى اختاره نوبار فقد كان فى صراعه مع المستر « كليفورد لويد » مستشار نظارة الداخلية الانجليزية .

وكانت نقطة الصدام الرئيسية بين الطرفين هى مسألة « علاقة مديري المديرية بقوات الشرطة فى مديرياتهم » ، فقد قرر لويد فى مركزه فى نظارة الداخلية أن تتبع شرطة الاقاليم رئيسا خاصا بها فى كل مديرية ، وأن يكون هؤلاء مسئولين أمام المفتش العام بالداخلية وهو انجليزى ، وقد اعترض نوبار على هذه السياسة التى تضعف من سلطة مديري المديرية بل انه اعترض أساسا على دور « كليفورد لويد » كمستشار للداخلية اذ كان يؤمن أن نظارة الداخلية مسئولة عن « حياة البلاد الخاصة » وأن التدخل الأجنبى فى شئونها إنما يعنى ادخال ارتباكات عديدة على هذه الحياة (٢٣) .

وبالأسلحة المناسبة التى اختارها نوبار أحرز نصره بالتخلص من كليفورد لويد وخاء . أن مستشار الداخلية قد أساء الى مركزه عندما دخل فى صراع مع السير بنسون ماكسويل « مستشار نظارة الحقائق » .

جرت محاولة بعد ذلك لتعويض تلك الخسارة التى أصابت النفوذ البريطانى بتعيين مفتشين انجليزيين عامين ، ولكن أمام اصرار نوبار أخفقت المحاولة . وكانت ضربة قوية للنفوذ البريطانى احتاج الى وقت طويل لتعويضها (٢٤) .

Lutfi Al-Sayyid, Afaf : Op. Cit. pp. 70 — 71.

(٢٣)

Milner, Alfred : England In Egypt. pp. 92 — 93.

(٢٤)

يدعو ذلك الى محاولة التعرف على المناطق الذى شن منه نوبار (هجومه) على الوجود البريطانى وهو ليس بالتأكيد منطلق العداء الكامل لهذا الوجود ذلك أنه بينما كان يرى ضرورة استمرار « الوجود العسكرى البريطانى » فإنه كان يتشكك فى قيمة تشغيل الموظفين البريطانيين فى الادارة المصرية ، وكان يقول دائما « انى فى صف الاحتلال . . ولكن ليس الاحتلال الادارى » ، بمعنى أنه كان يريد المعونة لا النصيحة من الجانب البريطانى . وكان يرى أن هذا الجانب قدم له قدرا كبيرا من النصائح وقدرا قليلا من المعونة خاصة فيما يتصل بحماية مصر من الدول الأجنبية (٢٥) ، وكان أوضح مثل على هذا ما جرى فى حادثه جريدة « البوسفور اجبسيان » حين اضطر نوبار فى ١٨٨٥ الى الذهاب بكامل ملابسه الرسمية الى دار القنصلية الفرنسية ليقدم اعتذارا رسميا عن الاجراءات التى اتخذتها حكومته — بموجب النصح البريطانى ! — ضد تلك الصحيفة الفرنسية (٢٦) .

وقد تعددت مظاهر الرفض من جانب حكومة نوبار للنصيحة البريطانية :

١ — بالرغبة فى الحد من سلطات مفتشى الرى الانجليزى ، وكانت حجة نوبار فى هذا أن هؤلاء يتصرفون على أساس أنهم فوق القانون ، وقد رد السير كولن سكوت مونكرىف مستشار نظارة الأشغال على ذلك بأنه لابد أن يأخذ هؤلاء حق التصرف فى أيديهم وأنه بدون ذلك فلن يكون لقراراتهم فى الحالات العاجلة أى قيمة .

٢ — بالضيق من السياسة الانجليزية التى منحت الشئون المالية الاسبقية على ما عداها من شئون ، خاصة فى ظل التنظيم الجديد للخزينة المصرية الذى وضعه المحتلون . فبمقتضى هذا التنظيم أصبح « ادجار فنسنت » مستشارا للمالية وقد بادر بتشكيل ما أسماه « باللجنة المالية » والتى تشكلت من ناظر المالية واثنين من الانجليز (فنسنت وفترجرالد) ونمساوى (بلوم باشا) وفرنسى (مازوك) والتى أصبحت الهيئة المالية العليا فى البلاد . وكانت قرارات هذه اللجنة فى الشئون المالية تجب أى قرار حتى ولو كان صادرا من مجلس النظار .

وقد وصلت الامور خلال عام ١٨٨٧ الى صدام مكشوف بين الطرفين مما دعا نوبار الى أن يقوم برحلة الى لندن فى صيف ذلك العام ليطلب من الحكومة الانجليزية تخليص مصر من طغيان مستشار المالية وقنصلها العام فى القاهرة ولكنه فشل فى بلوغ هدفه بعد أن ساندت حكومة لندن رجالها (٢٧) ، وكان عليه أن يواجه (الهجوم المضاد) .

وقد تهيأت الظروف خلال عامى ١٨٨٧ ، ١٨٨٨ لشن هذا (الهجوم المضاد) ممثلة فيما يأتى :

Ibid. p. 105.

(٢٥)

(٢٦) د. عبد العزيز الشناوى : حادث جريدة البوسفور اجبسيان — المجلة التاريخية المصرية — مجلد ٩ ، ١٠ ص ١١٧ — ٢١٣ .

Milner, Op. Cit. pp. 106 — 112.

(٢٧)

أولا :

الافاق الذى أصاب معاهدة وولف — مختار مما أصبح معه .الاحتلال
البريطانى للبلاد غير محدد بأجل مسمى .

ثانيا :

ان السنوات التى مضت من عهد نوبار كانت قد غيرت من موقف ثالث
إقطاب السياسة المصريين ممن لم يتولوا رئاسة النظارة المصرية فى عهد
الاحتلال بعد — رياض باشا — ويصف أحد المعاصرين موقف هذا
السياسى المصرى عندما علم بتوتر العلاقات بين نوبار والمحتلين .. يقول
« أحس مصطفى رياض باشا بما وراء ذلك — يقصد التوتر — فعاد يومئذ
الى عمل المآدب للكبراء والأمراء وأصحاب الوظائف ، وبالف فى التودد الى
الناس والاقلاع عن التحجب فكثرت تردد المديرين وأعيان البلاد على بيته
تزلفا ، فلما كان شهر رمضان من سنة ١٣٠٥ هجرية جاء من مزرعنه بمحلة
روح الى القاهرة وأكثر من عمل تلك المآدب فقوى حينئذ ظهور المنحازين
له وظهرت جلبتهم وكثرت اجتماعاتهم » (٢٨) . ولم يكن بالامكان أن يغيب معنى
كل ذلك عن عيون سلطات الاحتلال التى أدركت انها قد عثرت على البديل
وأن نوبار لم يعد يتمتع بميزة التفرد .

ثالثا :

السخط العام الذى استقبل به مشروع نوبار للمحاكم الأهلية ولا شك
أن فشله فى هذا الميدان قد حسب عليه أكثر من أى ميدان آخر ، فهو من
ناحية فشل فى ميدان الإصلاح القضائى الذى كان نوبار يرى نفسه فيه
فارسا بغير منازع ، كما أنه من ناحية أخرى كان لا يستطيع الادعاء بالتدخل
الانجليزى ذلك أنه كان قد تخلص من (بنسون ماكسويل) مستشار الحقانية
الانجليزى منذ ١٨٨٤ ، ثم أنه من ناحية ثالثة ملأ المحاكم برجال عينهم بنفسه .
ومن ثم فان عجز القضاة من جانب ، وتأخر إجراءات التقاضى من جانب
آخر ، وتعيين بعض القضاة المسيحيين (سوريين وأقباط) من جانب
ثالث .. كل هذا قد فجر السخط العام ضده .



وكانت المعركة هذه المرة حول منصب « رئيس البوليس » وذلك أنه فى
أوائل ١٨٨٨ توفى « فالنتين بيكر » الذى كان يتولى هذا المنصب ، وانتفض
نوبار الفرصة لإعادة تنظيم قوات البوليس بهدف التخلص من الضباط
الانجليز فيها بإعادة تبعية هذه القوات الى مديرى المديرية والغاء مركزها
الرئيسى فى القاهرة (٢٩) .

(٢٨) ميخائيل شارونيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ج ٤ ص ٤٤٦ .
(٢٩) Milner, Op. Cit. pp. 112, 113, 115.

على الجانب الآخر وجدها بيرنج فرصته لدفع الخلاف الى ذروة الازمة والتخلص من نوبار « غير المتعاون » .

وقد قبل رئيس النظار التحدى واعتقد ان الفرصة ملائمة لانزال ضربة اخرى « بالاحتلال البريطاني الادارى » ، ذلك ان تلك الايام قد شهدت سفر الخديو السابق « اسماعيل » الى استنبول ، ولما كانت العلاقة بين توفيق وبين الباب العالي ليست على ما يرام تماما فقد اعتقد ان ظهور ابيه في هذا الوقت في العاصمة التركية قد يكون علامة على النية على خلعه ، ورأى انه يستطيع الاعتماد في موقف كهذا على نوبار .

ومدعوما بالتأييد الخديوى خاض نوبار معركته الأخيرة ضد بيرنج ووصل به الامر الى ارسال تيجران باشا وكيل الخارجية وزوج ابنته الى لندن ليشتكو من قنصلها العام ، ولكن الحكومة البريطانية وهى تعى بأبعاد الموقف الجديد وبأن نوبار أصبح في مركز ضعف لا مركز قوة ساندت قنصلها العام فلقيت البعثة النوبارية لدى وزارة الخارجية بلندن الاخفاق وفى نفس الوقت تم التنبيه على الخديو بأنه اذا كان يرغب فى الحصول على عون بريطانيا فى الشئون الخارجية فعليه أن يصفى الى نصائح ممثلها فى الشئون الداخلية . وكان على توفيق فى هذه الحالة أن يختار تأييد نوبار أو التأييد البريطانى واختار الأخير ، خاصة وأن بيرنج قد لوح له بأن « اسماعيل » على استعداد للعودة ! (٣٠) .

وحسمت قضية الخلاف لصالح القنصل العام هذه المرة . وقد تكرر فى هذه المناسبة المبدأ الذى كان قد وضعه اللورد جرانفيل بشأن اخلاء السودان بوجوب اطاعة النصائح البريطانية ، واستعيدت بذلك الأرض التى كانت قد فقدت خلال الصراع مع كليفورد لويد .

ولم يفق نوبار أبدا بعد هزيمته الأخيرة ، فالخديو أخذ بزمam الأمور فى يديه بذراس مجلس النظار على نحو شبه مستمر والتدخل فى كل أمر كبيرا كان أو صغيرا ، ذلك أنه لم يغفر لنوبار أبدا أنه قد جره الى معركة خاسرة ، كما أن بيرنج لم يكن مستعدا أن يقدم يد المعونة لرئيس النظار ، ولم يطل الوقت فلم يلبث أن بعث اليه فى ٩ يونية ١٨٨٨ خطاب اقالة جاء فيه « انه بناء على ما وقع فى جلسة المجلس بالأمس وما هو الا تكرار ما حدث أكثر من مرة من التباين فى الآراء مما رأيت معه استحالة بقائك فى منصبك فلماذا قد أقلتك منه » (٣١) .

وأحرز بيرنج بذلك نصره الثانى فى طريق تدعيم الوجود السياسى للاحتلال فى البلاد وأكد قولته المشهورة التى كان قد أطلقها مرة من « أننا لا نحكم مصر وإنما نحكم أولئك الذين يحكمون مصر ! » (٣٢)

Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Op. Cit. pp. 72 — 74.

(٣٠)

(٣١) ميخائيل شاروويم : المصدر السابق ج ٤ ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Op. Cit. p. 68.

(٣٢)

١٢ — نظارة مصطفى رياض باشا الثانية ٩ يونية ١٨٨٨ — ١٢ مايو ١٨٩١ :

لم يبق من الشخصيات الثلاث الكبيرة التي تولت رئاسة النظارة في مصر قبل الثورة العرابية سوى رياض الذى لم يتعامل معه بعد الوجود الاحتلالى .

وقد أبدى رياض باشا خلال فترة الصراع الأخيرة بين نوبار والمحتلين استعدادا لتأليف النظارة وهو ما لم يبدده عند سقوط شريف ١٨٨٤ ، بل ان استعداده هذا كان أحد مسببات الاسراع باسقاط نوبار — كما تمت الاشارة — ومن ثم فان اختياره كان جاهزا حتى قبل اسقاط سلفه .

ومن ثم فان مراسيم تشكيل النظارة الجديدة لم تستغرق وقتا ، فقد صدر في ٩ يونية الأمر العالى بتكليف رياض بالرئاسة ، ثم صدر بعد ذلك بيومين **الأمر العالى بتأليف النظارة (٣٣)** ، وقد جاء فيه انه :

قد تعين

- دولتو رياض باشا ناظرا للداخلية والمالية
- وسعادة مصطفى فهمى باشا ناظرا للحربية والبحرية
- وسعادة ذو الفقار باشا ناظرا للخارجية
- وسعاد محمد زكى باشا ناظرا للأشغال العمومية
- وسعادة حسين فخرى باشا ناظرا للأشغال العمومية
- وسعادة على مبارك باشا ناظرا للمعارف العمومية «

وقد كانت كل الظروف في صالح بقاء النظارة الرياضية الثانية لأطول أمد ممكن :

١ — فالأوضاع العامة للبلاد كانت أفضل كثيرا من الأوضاع التي تولى فيها نوبار أو شريف ، فالأزمة المالية كانت قد بدأت في الانفراج ، ثم انه بعد شهور من قيام النظارة أحرز الجيش المصرى انتصاره على المهديين في « طوشكى » — ١٨٨٩ — أخذ بعده المد المهدى ينحسر نحو الجنوب ، في نفس الوقت ثم تخفيض ضريبة الأتبان في المديرية الفقيرة بنسبة ٣٠ ٪ بينما أخذت الإيرادات تفوق المصروفات .

٢ — ان الرجل كان يملك من الامكانيات ما يمكن أن يوفر له شعبية كبيرة ، فهو (كمسلم غيور) له نفوذه الدينى في البلاد ، وهو (كمالك كبير) يدرك تماما ما يريده الناس وقادر على كسب ولاء المشايخ المحليين (٣٤) .

(٣٣) نص الأمر في الوثائق المصرية العدد ٦٩ لعام ١٨٨٨ .
(٣٤) Milner, Op. Cit. pp. 128 — 129.

٣ — بالإضافة الى كل ذلك فهناك تلك العلاقة القديمة التي ربطت بينه وبين الانجليز قبل الاحتلال اذ أنه لعب خلال توليه للمناصب النظرية آنذاك دورا يتسم بالولاء الواضح لهؤلاء .

الا ان كل تلك المواصفات والتي تصورها المحتلون في صف البقاء الطويل للنظارة الجديدة لم تمنع الرجل من ان يرفض استمرار التفلغل البريطاني في الادارة المصرية وهو في هذا لم يختلف كثيرا عن سلفه .

وقد انسحب الرفض هذه المرة على ميدان القضاء ، ذلك انه قبل شهور قليلة من تأليف نظارة رياض كان قد تم تعيين مدع عام بلجيكي هو المسيو « ليجيريل » طلب منه اجراء فحص شامل لعيوب الجهاز القضائي ، فكان اول ما اوصى به ، الغاء اللجان التي كان قد انشأها نوبار لمحاكمة قطاع الطرق ، وقد تبني بيرنج مطلب ليجيريل وسمى الى اخراجه الى حيز التنفيذ ونجح في ذلك في مايو ١٨٨٩ .

أدى الغاء هذه اللجان الى ضرورة التوسع في الجهاز القضائي ورأى بيرنج ان الوسيلة لذلك بتدعيم هذا الجهاز بعدد من القضاة الأوروبيين ، وقد قاوم رياض هذا الاتجاه الا أنه استسلم له في نوفمبر ١٨٨٩ عندما تم تعيين قاضيين انجليزيين في محكمة الاستئناف .

تبع ذلك أن اقترح القنصل البريطاني العام في القاهرة تعيين قاض من استغلوا في المحاكم الهندية لاعادة النظر في الجهاز القضائي المصري برمته ، وتم فعلا عام ١٨٩٠ مجيء « المستر سكوت » قاضي المحكمة العليا في بومباي للنظر في المسألة وتقرر تعيينه أولا لمدة عام واحد (٢٥) .

في نهاية ١٨٩٠ كان مستر سكوت قد أعد تقريره الذي اقترح فيه عدة تغيرات ، وحول هذا التقرير دارت المعركة ، فقد شكل فخري باشا ناظر الحقانية لجنة لدراسة المشروع أبدت عليه مجموعة من الاعتراضات (٢٦) .

ولكن وكما حدث من قبل فقد جاءت التعليمات من لندن لبيرنج بضرورة التمسك بمشروع سكوت بل اكثر من ذلك بضرورة تعيين الرجل في منصب يكون قادرا منه على متابعة تنفيذ مشروعه .

وقد تصور رياض أنه قادر على اشراك الخديو في هذا الصراع ، وبدا لأول وهلة أنه سينجح في ذلك ، ولكن ما أن تبين توفيق خجم الخلاف حتى بادر بالانسحاب بنفس الطريقة التي انسحب بها من قبل مع نوبار ، وب بنفس المشاعر غير الودية التي حملها للرئيس النظار السابق (٢٧) .

وقبلت اقتراحات المستر سكوت وعين الرجل في منصب مستشار الحقانية رغم أنف النظارة المصرية ، وقد حاول رياض بالاشتراك مع ناظر الحقانية

Ibid. pp. 130 — 131.

Lutfi Al-Sayyid, Afaf. Op. Cit. p. 77.

Milner, Op. Cit., p. 132.

(٢٥)

(٢٦)

(٢٧)



مصطفى فهمى باشا

— ابن حسين أفندى البكباشى التركى الأصل ولد فى كريت ١٨٤٠ أثناء إقامة والده بها .

— تكفل بتربيته خاله محمد زكى باشا ناظر ديوان الأشغال .

— تعلم بالمدرسة الحربية بالقلعة والتحق بالجيش وظل يترقى فى مناصبه حتى نال رتبة الفريق .

— عين مديرا للمنوفية ثم محافظا للقاهرة وبورسعيد وناظرا للخاصة الخديوية وسر تشريفاتى خديوى .

— قبل أن يتولى رئاسة النظارة اشتغل ناظرا لنظارات متعددة هى الأشغال ، والخارجية ، والحقانية ، والمالية ، والداخلية ، والحربية والبحرية .

احراج مركز هذا المستشار الجديد بأن أعلن فخري باشا أن سكوت لا يملك صلاحيات إدارية ، ثم تبع ذلك الإعلان أن عين رياض « هيربرت كنشور » رئيساً للبوليس على أمل أن يصطدم الرجلان ، ولكن لم يتحقق هذا الأمل فقد اشتركاً في وضع تقرير قدماه رأساً إلى الخديو متجاهلين في ذلك النظارة ورئاستها مما دفع رياض إلى الاستقالة في ١٢ مايو ١٨٩١ متذرعاً بسوء صحته (٣٨) .

١٣ — نظارة مصطفى فهمى باشا الأولى ١٤ مايو ١٨٩١ — ١٧ يناير ١٨٩٢ :

يؤرخ تشكيل هذه النظارة الانتصار الكامل لتغلغل الاحتلال البريطاني في الشؤون المصرية ، وإذا كانت موقعة التل الكبير في سبتمبر ١٨٨٢ تسجل استسلام مصر العسكري للغزو البريطاني فإن تشكيل نظارة مصطفى فهمى بعد ذلك بنحو تسع سنوات يسجل استسلامها السياسي .

ومصطفى فهمى ظل رجل الجميع لأنه كان يجيد تنفيذ الأوامر أكثر مما يجيد إصدارها ، ثم أنه من ناحية أخرى كان يعرف كيف يهرب من المواقف التي تستلزم مساندة أحد أطراف السلطة ، فهو مثلاً بالرغم من اشتراكه في نظارات الثورة العربية إلا أنه عندما تعقدت الأمور ترك البلاد بدعوى سوء صحته وسافر إلى أوروبا ولم يعد منها إلا بعد أن هدأت الأمور .

ولا شك أن المحتلين قد اختاروا الرجل لهذه الصفات التي تميز بها ، ويصف لورد ملنر هذا الاختيار بقوله أن نولى مصطفى باشا للسلطة أصاب طبيعة الحكومة المصرية بتغيير كبير « فهو أول رؤساء النظارات المصريين المتعاطفين مع الانجليز بلا تحفظ ذلك أنه مقتنع تماماً أن مصر تحتاج إلى الارتكان إلى دولة كبرى وأنه ليس مثل إنجلترا في هذا » (٣٩) ، وبيرنج يصف رئيس النظارة الجديد بأنه « أداة طيعة في أيدي الممثل البريطاني في القاهرة » (٤٠) .

ثم إن التجربة كانت في صف هذا الاختيار ، ذلك أن مصطفى فهمى كان ناظراً للحربية والبحرية خلال النظارتين السابقتين (نوبار ورياض) وهي أكثر النظارات التي شهدت تغلغلاً من جانب الاحتلال دون أن يبدى أي اعتراض على هذا التغلغل ، وعلى حد تعبير الصحيفة الفرنسية «لوسفنكس» التي كانت تصدر وقتذاك في القاهرة بأن الرجل « قد ارتضى لنفسه طيلة هذه السنين أن يتوارى خلف السردار ويتنازل عن وجوده وكيانه » (٤١) .

Milner, Op. Cit. p. 132.

(٣٨)

Milner, Op. Cit. p. 132.

(٣٩)

Lutfi Al-Sayyid, Afaf. Op. Cit. p. 78.

(٤٠)

(٤١) لوسفنكس في ١٧ مايو ١٨٩١ — نقلاً من :

محمود نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطاني والصحف الفرنسية ص ٩٦ .

وهكذا ومن منطلق الاستسلام الكامل تشكلت نظارة مصطفى فهمى الأولى في ١٤ مايو ١٨٩١ وصدر الأمر العالى (٤٢) بهذا التشكيل على النحو الآتى :

عين

- عطوفتلو مصطفى فهمى باشا
- وسعادة عبد الرحمن رشدى باشا
- وسعادة محمد زكى باشا
- وسعادة حسين فخرى باشا
- وسعادة يوسف شهدى باشا
- وسعادة تکران باشا
- ناظرا للداخلية
- ناظرا للمالية
- ناظرا للأشغال العمومية والمصارف
- ناظرا للحقانية
- ناظرا للحربية والبحرية
- ناظرا للخارجية

وكان من الطبيعى ورئيس النظار قد اختير من **منطلق الاستسلام** أن تكون نظارته **نظارة استسلام** ، فهى مع تشكيلها قبلت ما لم تقبله النظارة السابقة من حضور مستشار الحقانية البريطانى لجلساتها وما يمكن أن يعنيه هذا من سلب سلطة الناظر وضياع هيئته .

ولعل ذلك ما دعا بعض الدوائر فى ذلك الوقت — وبالأذات الدوائر الفرنسية — الى المطالبة بإلغاء مناصب النظار « ما داموا قد أصبحوا لا فائدة منهم (٤٣) » .

ولم تعد المشكلة بعد ذلك بالنسبة للوجود الاحتلالى تتمثل فى التغلب على معارضة النظارة لدخله فى الشئون المصرية بقدر ما تتمثل فى المحافظة على هذه النظارة وهو ما عبر عنه ممثله أدق التعبير فى احدى رسائله الى لندن بقوله « ان أهم ما يحتاجه النظار الشعور بالاحترام — ذلك أن المصريين يصفونهم بالدمى — وهو ما نسعى الى تقديمه لهم . والنتيجة على أى الحالين ستكون واحدة ولكن مع ارضائهم فان دولاب العمل سوف يسير نحو الأفضل (٤٤) » .

ولكن اذا كان المحتلون قد نجحوا فى فرض الاستسلام على أدوات السلطة المصرية فان نجاحهم فى ابقاء هذا « **الاستسلام المفروض** » كان مشكوكا فيه خاصة وأنه بعد شهور قليلة وفى مطلع ١٨٩٢ توفى الخديو توفيق وتولى خديو جديد كان له معهم شأن آخر (!) .

(٤٢) الوقائع المصرية العدد ٥٥ عام ١٨٩١ .

(٤٣) لوفار دالكساندرى فى ٢٣ مايو ١٨٩١ نقلا عن :

محمود نجيب أبو الليل : نفس المصدر السابق ص ٩٧ .

Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Op. Cit. p. 78.

(٤٤)

الباب الثاني

الفصل الثاني

عهد الشقاق الأول ١٨٩٢ – ١٩٠٧

—



عباس حلمی

باعتلاء « الخديو عباس حلمى باشا » لمسند الخديوية فى مطلع عام ١٨٩٢ بدا وكأن عهده استمرار لعهد أبيه الاستسلامى نحو الوجود الاحتلالى ، وقد دعمت مجموعة الأحداث التى وقعت خلال النصف الأول من تلك السنة هذا الظن .

فمن ناحية عاونت دار المعتمد البريطانى بالتعجيل فى تولية الشاب الصغير لعرش أبيه منذرعة فى ذلك بحساب عمره بالسنوات العربية لا الميلادية ومستهدفة من وراء ذلك منع استنبول من التدخل بشكل أو بآخر فى هذه التولية (١) .

ومن ناحية أخرى فان بريطانيا — بكل ثقلها السياسى — قد ساندت ، عباس الثانى فيما عرف بأزمة فرمان التولية ، وذلك حين حاول الباب العالى سلخ سيناء من مصر عندما حدد الأراضى المخول لعباس ادارتها بمقتضى فرمان الصادر بتوليته ، فوقف الانجليز موقف الرفض من هذا العمل مما دعا السلطان الى التراجع عنه فى ابريل عام ١٨٩٢ (٢) .

ومن ناحية أخيرة فقد حاول العثمانيون التدخل فى الشئون المصرية فى الأيام الأولى من عهد عباس مما أغضب الخديو بشدة وبدا واضحا أن رد الفعل المنتظر لهذا الغضب مزيد من الاعتماد على الوجود البريطانى .

ذلك أن مختار باشا القومسيير العثمانى فى القاهرة ضغط على عباس الثانى من أجل تغيير « نظارة مصطفى فهمى » يعاونه فى ذلك كل من القنصل الفرنسى والقنصل الروسى بهدف استقدام آخر أقل ولاء لانجلترا .

وكان رد حاكم مصر الجديد على ذلك أبعاد حرسه الخاص من الأتراك تعبيرا عن غضبه من التدخل التركى فى الشئون المصرية . وتبع ذلك بدعوته لنظارته كاملة كما دعا القومسيير العثمانى وخطب فيهم مؤكدا ثقته بالنظارة (٣) .

مع كل تلك الأحداث تصور الانجليز أن المكان الطبيعى « للخديو الصغير » فى أحضانهم ، ولكن قبل نهاية السنة — ١٨٩٢ — ومع مطلع العام التالى يتبدد هذا التصور تماما .

Cromer, The Earl of : Abbas II. p. 2.

(١)

Cromer, The Earl of : Modern Egypt, London 1908, Vol. II pp. 267 —

(٢)

269.

Zethand, The Marques of : Lord Cromer. pp. 193 — 194.

(٣)



حسين باشا فخرى

- * ابن الفريق جعفر صادق باشا الشركسى ولد بالقاهرة ١٨٤٣ .
- * بعد توظيفه ١٨٦٣ انتهز فرصة سفره الى باريس لدراسة القانون وعاد منها ١٨٧٤ حيث عمل في نظارة الحقانية .
- * ظل يترقى حتى عين ناظرا للحقانية في نظارة رياض باشا الاولى ثم في نظارة شريف باشا الرابعة وأخيرا في نظارة رياض باشا الثانية .
- * اخرج من هذه النظارة الاخيرة بسبب معارضته لمشروعات الانجليز القضائية .

وقد بدأ التطور الى الأسوأ في العلاقات بين القصر والانجليز بمجموعة من **الأشياء الصغيرة** — على حد تعبير المعتمد البريطاني في القاهرة — وقد أحصى عباس الثانى في مذكراته بعض هذه **الأشياء الصغيرة** فذكر أنه عند وصوله الى مصر بينما عزفت فرقة موسيقى الجيش المصرى السلام الوطنى المصرى عزفت فرقة موسيقى الجيش البريطانى السلام التركى مما كان علامة بأن بريطانيا تنظر اليه من خلال تبعيته للسلطان ، ضايق عباس أيضا الاعتقاد السائد بأنه من غير المسموح للنظار المصريين بزيارة القصر دون أن يكون فى صحبتهم المستشار المالى البريطانى ألوين بالمر Elwin Palmer ، ومن ثم فانه عندما قام عباس بجولة فى الوجه البحرى فقد رفض استصحاب بالمر معه .

أكثر من ذلك ما تردد من شائعات من أن مصطفى فهمى رئيس النظار يسعى الى تعيين مستشار بريطانى فى « المعية السنية » استكمالا لحلقات السيطرة البريطانية على البلاد (٤) .

وآذنت كل تلك « الأشياء الصغيرة » ببداية عهد جديد فى العلاقات بين الخديوية والوجود البريطانى يختلف عن سابقه هو ما اتفق على تسميته **بعهد الشقاق الأول** .

(١٥) **نظارة حسين فخرى باشا الأولى (١٥ يناير ١٨٩٣ — ١٨ يناير ١٨٩٣ :**

كانت **النظارة** أهم الميادين التى انعكس عليها صراع السلطتين الفعلية والشرعية وقد تصور كل منهما أن اثبات وجوده فى هذا الميدان مع ما يضافى عليه من صورة أنه يمثل **السلطة الحقيقية** فى مصر فانه يمتلك **الاداة** التى تدعم من نفوذه .

وعلى ذلك فقد شهد شهر يناير عام ١٨٩٣ أزمة نظارية يمكن القول أن عهد الاحتلال البريطانى كله (١٨٨٢ — ١٩١٤) لم يشهد لها مثيلا .

وقد نشبت الأزمة من رغبة الخديو تغيير نظارة مصطفى فهمى أو « السير مصطفى فهمى » على حد تعبير الصحف الفرنسية التى كانت تصدر فى مصر وقتذاك — بنظارة موالية .

وكان على عباس لتنفيذ رغبته :

١ — استخدام ظروف مواتية .

٢ — اتخاذ زمام المبادرة واصدار القرار .

٣ — تملك الوسائل اللازمة لتنفيذ القرار الذى أصدره .

فيما يتصل بالظروف المواتية فقد خلق عباس بعضها وخلقت الظروف بعضها الآخر .

ففى خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ١٨٩٢ ظهرت حملة فى الصحف المناوئة للوجود البريطانى(٥) تؤكد أن « الأمير هو المصدر الوحيد للسلطة فى البلاد » وكان واضحا أن عباس وراء هذه الحملة .

وفى أواخر نفس السنة ظهر كتاب ملتر المعروف « انجلترا فى مصر » وقد دافع فيه مؤلفه عن احتلال بريطانى دائم لمصر مما أثار موجة من الاحتجاجات من جانب المصريين وأوجد مناخا مصرية مناسبة لمحاولة ضرب الوجود البريطانى(٦) :

ثم أنه فى أغسطس ١٨٩٢ وبعد اجراء انتخابات عامة فى انجلترا تولت وزارة الأحرار السلطة بعد وزارة سولسبرى المحافظة ، ولما كان معلوما أن الأحرار أو قسما منهم على الأقل راغب فى جلاء عاجل عن مصر ، وهو ما كان قد بدا فى تصريحات جلادستون رئيس الوزراء الجديد أيام كان زعيما للمعارضة(٧). فقد وفر ذلك مناخا بريطانيا للاجراء الذى رغب الخديو فى اتخاذه .

يأتى بعد ذلك القبض على زمام المبادرة واستخدامه فيما يريد . وقد سنحت لعباس فرصة هذا القبض عندما أرسل « كولس باشا Coles » رئيس البوليس منشورا الى مديرى المديريات دون أن يمر على الناظر المختص مما دعا الخديو أن يمسك بدليل لا يقبل الجدل على اتهاماته المتكررة لنظارة مصطفى فهمى بالضعف(٨) .

وانطلاقا من هذا الموقف أرسل عباس أحد رجاله لمصطفى باشا يدعوهُ الى الاستقالة فاعتذر الرجل وأكد أنه لا يستطيع الأقدام على ذلك دون استشارة كرومر مما أدى الى أن يستشيط الخديو غضبا ويصدر قرارا بإقالة النظارة ، ويذكر كرومر أن ابلاغه بقرار الخديو كان مفاجأة كاملة له(٩) .

وتبع ذلك — امعانا فى التحدى — اختيار حسين فخري باشا رئيسا للنظارة الجديدة ، وكان وراء هذا الاختيار قبل أى شىء موقف سابق لفخري باشا ضد المشروع البريطانى لاصلاح القضاء المعروف بمشروع سكوت مما أدى الى ابعاده وقتها عن منصبه كناظر للحقانية قبيل وفاة الخديو توفيق بأيام قليلة(١٠) .

(٥) البوسنور اجسيان فى ٢٥ نوفمبر والاهرام فى أول ديسمبر .
Lutfi Al-Sayyid : Op. Cit. pp. 100 — 101. (٦)
Cromer : Abbas II pp. 12 — 13. (٧)
Lutfi Al-Sayyid : Op. Cit. pp. 106 — 107. (٨)
Cromer : Abbas II. p. 21. (٩)

(١٠) ١٤ ديسمبر ١٨٩١

في نفس الوقت وفي تشكيل النظارة الجديدة الذي تم على النحو الآتي :

- حسين فخري باشا ناظرا للداخلية
- تكران باشا ناظرا للخارجية
- محمد زكي باشا ناظرا للأشغال العمومية والمعارف العمومية
- يوسف شهدى باشا ناظرا للحربية والبحرية
- بطرس غالى باشا ناظرا للمالية
- أحمد مظلوم باشا ناظرا للحقانية (١١) .

فانه في هذا التشكيل قد تم استبعاد ناظر المالية « عبد الرحمن رشدي باشا » وناظر الحقانية « ابراهيم فؤاد باشا » والذي كان قد حل محل فخري باشا بعد ابعاد الأخير . وكانت التهمة الأساسية الموجهة للرجلين والتي ترتب عليها استبعادهما هي ما أبدياه من **تعاون ودي** — على حد تعبير كرومر — مع الموظفين البريطانيين كل في نظارته (١٢) .

بقى بعد كل هذا وضع القرار موضع التنفيذ والذي كان المعيار الاساسي لمكانة الخديوية ولامكانياتها في هذا الصراع .

وعند هذا انتقل زمام المبادرة الى كرومر ليفسد كل ما أقدم عليه الخديو وما أسماه « بالانقلاب *Coup d'etat* »

فهو أولا انتزع وعدا من عباس بعدم نشر مراسيم تأليف الوزارة الجديدة في الجريدة الرسمية قبل استشارة لندن ، ثم تبع ذلك — زيادة في الحيلة — بارسال قوات بريطانية كافية الى المطبعة التي تطبع فيها هذه الجريدة لمنع نشر المراسيم اذا أخل الخديو بوعده (١٣) .

وواكب هذا الاجراء امتناع الموظفين الانجليز العاملين في الحكومة المصرية عن الذهاب الى مكاتبهم خلال أيام الأزمة (١٤) .

في نفس الوقت هددت « النايمز » اللندنية ذات العلاقات الوثيقة بدوائر وزارة الخارجية البريطانية بأنه اذا لم يتراجع الخديو في الوقت المناسب فان الانجليز سوف يضعون أيديهم على كل المرافق والمصالح التي ما زالت تتمتع بنوع من الاستقلال (١٥) .

(١١) الأهرام في ١٦ يناير ١٨٩٣

Cromer : Abbas II. p. 21.

(١٢)

Lutfi Al-Sayyid : Op. Cit. p. 109.

(١٣)

Le Bosphore Egyptien 18 Janvier 1893.

(١٤)

نقلا من محمود نجيب أبو الليل : الصحف الفرنسية والاحتلال البريطاني ص ١٢٠

(١٥) أبو الليل : المصدر السابق ص ١٢٦

ووصل الأمر الى التفكير في احتلال القوات البريطانية لنظارات الداخلية والمالية والحقانية لمنع النظار الجدد من دخولها لولا الخوف من أن يؤدي هذا العمل الى تداخلات من الدول الأوربية (خاصة فرنسا وروسيا) في هذه المسألة التي رغب الانجليز في حصارها في نطاق الازمة الداخلية (١٦).

وبلغت الازمة ذروتها بالقرار الذي اتخذته مجلس الوزراء البريطاني في ١٧ يناير وأبرق به الى كرومر في القاهرة لتقديمه الى عباس الثاني وكان نصه :

« ان الحكومة البريطانية تنتظر ان يؤخذ رايها في المسائل الخطيرة مثل مسألة تغيير النظار ، وأنه في الوقت الحاضر لا تبدو أى ضرورة للتغيير ، لذلك لا تستطيع الحكومة البريطانية أن توافق على تعيين فخرى باشا » .

ومع هذا الانذار التحريرى تقدم كرومر بأنذار شفوى بأنه في حالة عدم استجابة عباس للنصيحة البريطانية فان الموقف سيتخذ طابعا خطيرا ومعقدا (١٧) .

وقد وصف عباس الرسالة الانجليزية بأنها كانت برنامجا مفروضا (١٨) .

وكان لابد من حل . . ففى عصر نفس يوم تقديم الانذار — ١٧ يناير — جرت مناقشات طويلة بين بطرس غالى وتيجران ممثلين للخديو وبين المعتمد البريطانى تم في نهايتها التوصل الى حل الازمة .

(١٦) نظارة مصطفى رياض باشا الثالثة ١٩ يناير ١٨٩٣ — ١٥ ابريل ١٨٩٤ :

وقد تضمن هذا الحل الذى تم التوصل اليه اربعة قرارات :

١ — ألا يعود « مصطفى فهمى » الى رئاسة النظارة استجابة لطلب الخديو وحفاظا لماء وجهه .

٢ — أن يستقيل حسين فخرى باشا من رئاسة النظارة وفي الحال استجابة لطلب كرومر ونزولا على « الانذار البريطانى » .

٣ — أن يقدم الخديو للورد كرومر بلاغا رسميا وضعه المعتمد البريطانى بنفسه وجاء فيه أنه يرغب رغبة شديدة في أن يوجه عنايته لايجاد اصدق العلاقات الودية مع انجلترا وأنه يسير بكل رضاء بموجب نصيحة الحكومة الانجليزية في كل المسائل الهامة في المستقبل (١٩) .

Lutfi Al-Sayyid : Op. Cit. p. 109.

(١٦)

Cromer : Abbas II. pp. 24 — 25.

(١٧)

(١٨) مفكرات الخديو عباس حلمى الثانى ، صحيفة المعري في ٣ مايو ١٩٥١ .

(١٩) أحمد شفيق : مفكراتى في نصف قرن ج ٢ — القسم الاول ص ٥٩ — ٦٠ .

{ — تعيين « رياض باشا » رئيسا للنظار ، وقد وافق كرومر على اختيار الرجل لأنه يتمتع بسمعة طيبة « كمسلم متعصب » — على حد تعبيره — مما يضمن معه تأييد المسلمين لتغيير فخرى باشا (٢٠) .

ومن ثم صدرت قرارات تشكيل نظارة رياض الثالثة وقد جاء فيها :

أمر عال (٣١)

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على الأمر العالى الصادر فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس النظار .

أمرنا بما هو آت

— عين

- دولتلو رياض باشا
- وسعادة محمد زكى باشا
- وسعاد يوسف شهدى باشا
- وسعادة تکران باشا
- وسعادة بطرس باشا غالى
- وسعادة أحمد مظلوم باشا
- ناظرا للداخلية
- ناظرا للاشغال العمومية والمعارف العمومية
- ناظرا للحربية والبحرية
- ناظرا للخارجية
- ناظرا للمالية
- ناظرا للحقانية

المادة الثانية

على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا

صدر بسر اى عابدين فى ١٩ يناير ١٨٩٣

عباس حلمى

بأمر الحضرة الخديوية

رئيس مجلس النظار — رياض

بدلاً من أن ينهى الحل الوسط الذى تم التوصل اليه الازمة فان الموقف الذى وقفه الخديو الشاب في مواجهة الوجود الاحتلالى بغض النظر عما انتهى اليه قد أثر تأثيراً بالغاً في رأى عام مصرى متلهف بعد أكثر من عشر سنوات عجاف من الاستسلام الكامل للمحتلين مما أثار موجة وطنية جارفة تردد صداها في طول البلاد وعرضها ، وقد كتب أحد قناصل إنجلترا في الوجه البحرى يقول « ان أن الآمال قد تزايدت باقتراب وقت التخلص من الانجليز » (٢٢) .

كما أنه من ناحية أخرى قامت المظاهرات في القاهرة احتجاجاً على بريطانيا ، ومن وسط هذه المظاهرات ظهر الحزب الوطنى الذى قاد حركة النضال في تلك المرحلة من مراحل التاريخ المصرى ذلك أن طلاب مدرسة الحقوق الذين تظاهروا أمام دار صحيفة المقطم باعتبارها الصحيفة الناطقة بلسان الاحتلال كان يقودهم شاب لم يتجاوز عمره الثمانية عشر عاماً . . ولم يكن هذا الشاب سوى مصطفى كامل (٢٣) .

ولمواجهة هذا الموقف كان على كرومر أن يتحرك بسرعة ، ومن ثم فانه ضغط على الحكومة البريطانية للموافقة على « زيادة قوات الاحتلال في مصر » ونجح « روزبرى » وزير الخارجية في انتزاع قرار من الوزارة البريطانية بهذه الزيادة في ٢٣ يناير طير الى المعتمد البريطانى لابلغه للخديو في الحال .

ويقول كرومر أن تأثير هذا الابلاغ كان مفيداً لأبعد الحدود إذ تغير اتجاه وزارة رياض نحو المصالحة كما هدأت التظاهرات التى كانت قد سادت البلاد في الفترة السابقة (٢٤) .

ولكن لم يكن هذا كل ما يبتغيه الرجل فقد كان راغباً في أن يلتقى على الخديو درساً ، وواتته الفرصة لذلك بعد نحو عام فيما عرف بحادث الحدود .

ذلك أنه في زيارة عباس الثانى لحدود مصر الجنوبية أبدى بعض الملاحظات على بعض (أورط) الجيش المصرى في استعراض تم أمامه في وادى حلفا مما أدى الى ثورة كتشنر الذى كان يشغل وظيفة السردار وقتذاك وتهديده بالاستقالة .

واهتبل كرومر الفرصة وصمم على أن يمرغ كرامة عباس الثانى في الوحل فهدد بخلعه اذا لم يصدر بياناً رسمياً يسحب فيه انتقاداته في نفس الوقت الذى قدمت فيه للخديو برقية من وزير الخارجية البريطانية جاء فيها أنه

Lutfi Al-Sayyid : Op. Cit. p. 110.

(٢٢)

Goldschmidt, Arthur, The Egyptian Nationalist Party 1892 — 1919. p. 310.

(٢٣)

Cromer : Abbas II. pp. 38 — 39.

(٢٤)

« اذا رفضت مصر اجابة المطالب الانجليزية اضطررنا الى اتخاذ الوسائل الفعالة لوضع الجيش المصرى تحت قيادة جيش الاحتلال » (٢٥) .

ومع ما نتج عن هذه الازمة من اهانة مقصودة للخديو فانها فى نفس الوقت قد اودت بالوزارة الرياضية الثالثة ، ونترك عباس الثانى يروى فى مذكراته القصة بنفسه . . يقول . .

كم كانت دهشتى عندما وصلت الى الفيوم فى طريق عودتى الى القاهرة اذ ارى رئيس مجلس وزرائى رياض باشا يهرع لاستقبالى ليبلغنى بامتعاض اللورد كرومر الشديد لوقوع ذلك الحادث مع كتشنر ، وليقدم لى — للذوقيع — امرا يوميا صيغ فى عبارات مذلة للبلاد ولشخصى .

وعبثا حاولت اقناع رياض باشا بانى لا أستطيع ان اتصرف بما يجافى الحقيقة وانى سأكون بالقاهرة بعد ظهر اليوم نفسه وأرى من الضرورى ان أقابل اللورد كرومر قبل ان أضع توقيعى . . وعبثا جعلت الفت نظير رئيس وزرائى الى ما فى ذلك التصريح من خدش لشخصى ولمصر . . فلقد أبى ان يستمع الى قولى ، ولم يحاول ان يفهمنى . . ولم تكن عنده غير فكرة ثابتة : ان يطيع . . لا أوامرى ، بالرغم من انى انا مولاه ، بل أوامر كرومر الذى كان يجب ان يكون بالنسبة له ، اجنبيا (٢٦) .

ومع ما اصاب نظارة رياض من **عدم الرضاء السامى** نتيجة لموقفه من ناحية ، ومع الموقف الفاتر لسلطات الاحتلال من البداية نحو هذه النظارة من ناحية اخرى لا سيما انها لم تبد تعاونا كاملا معها فى اكثر من مسألة مثل مسألة قلم الرقيق الذى كان يريد النظار الغاءه ويريد الانجليز بقاءه ، ومثل تعيين مفتش انجليزى فى مصلحة الصحة العامة لم تر النظارة ضرورة لتعيينه . . وأمور اخرى شبيهة (٢٧) .

مع كل هذا ومع شعور النظار بعدم ارتياح عباس اليهم قدم رياض باشا استقالته فى ٤ أبريل ١٨٩٤ موقعا عليها من كل من بطرس غالى باشا وتجران باشا ، وبنوا هذه الاستقالة على كونهم « آنسوا من الجناب العالى عدم الارتياح وانهم لا يستطيعون ان يعملوا عملا الا اذا كانوا حائزين لتمام رضائه وكامل ثقته » .

ويذكر « شفيق باشا » ان ذكر هذه الأسباب الصريحة كان مدعاة لتردد الخديو قليلا فى قبول هذه الاستقالة ، ولكن بعد المداولة مع كبار رجال المعية تقرر قبولها (٢٨) .

(٢٥) احمد شفيق : المصدر السابق ص ١٢٣ — ١٢٥ .

(٢٦) المصرى فى ١٩٥١/٥/٤ .

(٢٧) احمد شفيق : المصدر السابق ص ٧٩ .

(٢٨) المصدر السابق ص ١٢٨ — ١٢٩ .

١٩ - نظارة نوبار باشا الثالثة (١٥ ابريل ١٨٩٤ - ١٢ نوفمبر ١٨٩٥) :

لم يحاول الخديو مرة أخرى أن ينفرد بقرار تشكيل النظارة ويتعرض لمخاطر مثل هذا التصرف مما دعاه الى أن يستدعى كرومر يطلب رأيه بعد استقالة نظارة رياض .

وتقدم المعتمد البريطاني بمجموعة من الاقتراحات لتشكيل النظارة الجديدة :

فأولا :

اختار لرئاسة النظارة « نوبار باشا » الأرمنى ورئيس النظار السابق ذا الميول الانجليزية القوية .

وبالرغم من انه قبل ذلك بأقل من عامين رفض كرومر تعيين « تيجران باشا » ناظرا للخارجية فى نظارة مصطفى فهمى الثانية ما للنظارة بدلا من مصطفى باشا الذى كان يمر بأزمة صحية وقتذاك بدعوى أرمنيته الا أنه كان هذه المرة مستعدا لعودة رجل بريطانيا العتيد نوبار باشا مرة أخرى بعد أن أثبتت التجربة عدم امكان تطويع المسلمين « برئيس نظار ذى ميول اسلامية متشددة » على حد تعبير كرومر .

ثانيا :

تم فى نفس الوقت اختيار « مصطفى فهمى باشا » و « ابراهيم باشا فؤاد » وكليهما من أكثر المتعاونين مع الاحتلال فى النظارة المقترحة .

وثالثا :

لارضاء الخديو تم على الجانب الآخر اختيار « حسين فخرى باشا » صاحب ازمة يناير المشهورة (٢٩) .

وبعد تردد قليل وافق القصر على كافة المقترحات التى تقدم بها المعتمد البريطانى مما ترتب عليه تشكيل نظارة توفيقية - على حد تعبير الصحف الصادرة فى مصر وقتذاك (٢٠) على اعتبار انها قد استهدفت أساسا

Le Bosphore Egyptien 16 et 17 Avril 1894.

(٢٩)

Le Bosphore Egyptien 16 et 17 Avril 1894.

(٣٠)

نقلا عن نجيب ابو الليل ص ١٣٧ .

التوفيق بين جناحي السلطة الخديو والاحتلال ، وصدرت مراسيم تأليف
الوزارة في ١٥ أبريل ١٨٩٤ على النحو الآتي :

• امر عال (٣١) •

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على الامر العالى الصادر في ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ وبناء
على ما عرضه علينا رئيس مجلس النظار .

أمرنا بما هو آت

المادة الاولى

عين :

- دولتو نوبار باشا ناظرا للداخلية
- وسعادة مصطفى فهمى باشا ناظرا للحربية والبحرية
- وسعادة حسين فخرى باشا ناظرا للأشغال العمومية والمعارف العمومية
- وسعاد بطرس باشا غالى ناظرا للخارجية
- وسعادة أحمد مظلوم باشا ناظرا للمالية
- وسعادة ابراهيم فؤاد باشا ناظرا للحقانية

المادة الثانية

على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا

صدر سراى عابدين في ١٦ أبريل سنة ١٨٩٤

عباس حلمى

بأمر الحضرة الخديوية

رئيس مجلس النظار (نوبار)

ولم تقتصر محاولة التوفيق على تشكيل النظارة النوبارية الثالثة
بل امتدت الى طبيعة عملها حيث ان كل جهودها خلال العام والنصف وهو
العمر الذى أمد بها قد كرسست — كما قال كرومر — للتوفيق بين الموظفين

(٣١) الوقائع المصرية عدد ٤٢ في ١٥ أبريل ١٨٩٤ .

Cromer : Abbas II. p. 62.

(٣٢)

المصريين والموظفين البريطانيين والتي يرى المعتمد البريطاني انها قد كللت بالنجاح والذي بدا على وجه الخصوص في اعادة تنظيم نظارة الداخلية (٢٢) .

ولكن شهد عام ١٨٩٥ أحداثا ثلاثة كبيرة اودت بحياة آخر النظارات النوبارية .

أول هذه الأحداث ما أصاب صحة رئيس النظار من تدهور خطير مما اضطره الى التغيب فترة غير قصيرة عن البلاد عاد بعدها بحالة صحية غير طيبة مما دعاه الى التعبير للمعتمد البريطاني في القاهرة عن رغبته في اعتزال الحياة العامة تماما (٢٣) .

الثاني : يتمثل في أحداث أرمينيا حين أجرى الأتراك مذابح كبيرة بين الأرمنيين في أواخر سبتمبر ١٨٩٥ ، وقد ترتب على هذه المذابح ان اتخذت حكومة لندن موقفا عنيفا حيال الدولة العثمانية (٢٤) .

وكان استمرار نوبار باشا الأرمني في رئاسة النظارة المصرية بكل ما يثيره من حساسيات من جانب المصريين من ناحية. بالإضافة الى الموقف الانجليزى نحو استنبول يمكن أن يحدث تراكمات كان الاحتلال فى غنى عنها (٢٥) .

الثالث : ما شهدته مطلع عام ١٨٩٥ من تفاقم المرض على الخديو اسماعيل ، وكان عباس راغبا فى عودة جده الى مصر ليقضى فيها أيامه الأخيرة ، ولكن نظارة نوبار اتخذت موقفا صلبا بالرفض لهذه الرغبة والذي استمر على صلابته — بالرغم من تعدد محاولات اثنائها عن هذا الموقف — على ضوء أن هذه العودة « يمكن أن تحدث شيئا من الارتباك مع الانجليز (٢٦) » .

ومع عدم ارتياح الخديو لهذا الموقف ، ومع وفاة اسماعيل بعد ذلك بأقل من شهرين فان مشاعر النفور قد ملأت نفس عباس الثانى نحو نوبار مما كان دافعا الى تفكيره فى التخلص من نظارته لولا أن كرومر تدخل فى الأمر ورأى الخديو أن تشدده قد يؤدي الى أزمة أخرى قريبة الشبه بأزمة عام ١٨٩٣ مما دعاه الى ترك الأمر لفرصة أخرى (٢٧) .

Ibid. p. 62.

(٢٢)

Goosch, G.P. History of Modern Europe 1878 — 1919, pp. 239 — 242

(٢٤)

L'Echo D'Orient 7 Nov. 1895.

(٢٥)

نقلا عن نجيب أبو الليل ص ١٥٨

La Reforme 14 Fev. 1895.

(٢٦)

(٢٧) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٢١٠ .

١٨ — نظارة مصطفى فهمى باشا الثالثة (١٢ نوفمبر ١٨٩٥ — ١١ نوفمبر ١٩٠٨) :

وصلت رغبة عباس الثانى فى النخلص من نوبار الى الحد الذى قرر معه « اقتراح » مصطفى فهمى **صديق الانجليز الوفى** رئيسا جديدا للنظار وذلك حتى يغرى دار المعتمد البريطانى على قبول اقالة النظارة النوبارية .

وقد لقيت رغبة الخديو هذه المرة قبولا من الجانب البريطانى ترتب عليه تعجيل نوبار بتقديم استقالته وتكليف مصطفى فهمى باشا بتأليف نظارته على النحو الآتى :

امر عال

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على الامر العالى الصادر فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس النظار

امرنا بما هو آت

المادة الاولى

- | | |
|----------------------------|---|
| ● عطوفتلو مصطفى فهمى باشا | ناظرا للداخلية |
| ● وسعادة أحمد مظلوم باشا | ناظرا للأشغال العمومية
والمعارف العمومية |
| ● وسعادة بطرس باشا غالى | ناظرا للخارجية |
| ● وسعادة أحمد مظلوم باشا | ناظرا للمالية |
| ● وسعادة ابراهيم فؤاد باشا | ناظرا للحقانية |
| ● وسعادة محمد عبانى باشا | ناظرا للحربية والبحرية |

المادة الثانية

على رئيس مجلس النظار تنفيذ امرنا هذا
صدر بسرأى القبة فى ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣١٣ (١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥) .

عباس حلمى (٣٨)

وواضح من هذا التشكيل الجديد أن الأمر اقتصر تقريبا على اخراج نوبار باشا واحلال مصطفى فهمى محله ودخول عبانى باشا فى المنصب الذى خلا بتعيين مصطفى باشا رئيسا للنظار .

وكانت هذه النظارة **أطول النظارات المصرية عمرا** فقد عمرت ثلاث عشرة سنة كاملة يمكن أن نرصد خلالها أحداثا كبيرة دخلت الحياة السياسية فى مصر بعدها مرحلة جديدة من مراحلها .

١ — فقد تم خلال عهد هذه النظارة استعادة السودان واستقاط الدولة المهدية (١٨٩٦ — ١٨٩٨) .

ولكن بدلا من أن تؤدى هذه الاستعادة الى التمهيد للتخلص من الاحتلال البريطانى على أساس أن من أهم المبررات التى نذرع بها البريطانيون للبقاء خلال تلك السنوات تعرض مصر للأخطار من الجنوب اذا بها على العكس تؤدى الى **انتشار** الوجود البريطانى فى مصر والسودان بدلا من مصر وحدها وذلك بعد توقيع اتفاقية الحكم الثنائى فى يناير ١٨٩٩ والتى قام البريطانيون بمقتضاها بدور **الشريك الأرجح** فى الجنوب .

وبذلك ازدادت مشكلة التخلص من الوجود البريطانى صعوبة بعد أن تشعب بطريقة أخطبوطيه ليشمل السودان مع مصر .

٢ — ضعفت خلال تلك الفترة حدة **دولية المسألة المصرية** وذلك بعد خروج فرنسا من ميدان المنافسة حولها .

حقيقة أنه فى أواخر القرن قد وصلت هذه الحدة الى ذروتها بحادثة فاشودة الشهيرة (١٨٩٨ — ١٨٩٩) الا أنه بعد تراجع فرنسا فى تلك الازمة أخذت هذه الحدة فى الانحسار حتى وصلت أخيرا الى ما هو معروف « بالوفاق الودى » المنعقد بين بريطانيا وفرنسا فى أبريل ١٩٠٤ والذى كان أهم ما تضمنه اعتراف حكومة باريس بالوجود البريطانى فى مصر وتعهدا بعدم عرقلته .

وكان من الطبيعى أن يصحب ما ترتب على الوفاق الودى من زيادة استقرار الوجود البريطانى فى مصر زيادة فى سلطة الانجليز على مختلف المؤسسات السياسية والادارية فى البلاد وعلى رأسها النظارة .

٣ — الا أنه على الجانب الآخر فقد شهدت تلك الفترة أيضا تصاعد الحركة الوطنية المصرية يقودها مصطفى كامل والحزب الوطنى المصرى .

وقد تعددت مظاهر هذا النمو وان كان تأسيس اللواء عام ١٩٠٠ كصحيفة ناطقة بلسان جماعة الوطنيين يعتبر نقطة تحول واضحة فى مسيرة الحركة الوطنية التى وصلت الى قمته بالنجاح الكبير الذى أحرزته هذه الحركة فى حادثة دنشواى عام ١٩٠٦ ، بفضح أساليب الاحتلال ودعاويه بأن وجوده يقترب بالاصلاح ، فقد ثبت من تلك الحادثة أن هذا الوجود يقترب بالارهاب .

وقد أدت هذه التطورات في مجموعها الى نتائج هامة انعكس بعضها على
النظارة وانعكس البعض الآخر على **الوجود الاحتلالى** .

فيما يتصل **بالنظارة** فان التغيير الوحيد الذى أصابها على عمرها الطويل كان ما حدث في ٢٨ أكتوبر عام ١٩٠٦ بفصل « نظارة المعارف العمومية » عن « نظارة الاشغال العمومية » وتعيين سعد باشا زغلول ناظرًا لها .

وواضح ان هذا التعيين قد استهدف به كرومر — قبل أى شىء — مواجهة المصاعب التى نشأت أمام الاحتلال من جراء حادثة دنشواى من ناحية ، ولما كان معروفًا عن سعد من كراهية للخديو من ناحية أخرى (٣٩) ، ومن ثم كان تعيينه محسوبًا للوجود الاحتلالى لا عليه .

أما فيما يتصل **بالاحتلال** فمع اشتداد ساعد الحركة الوطنية أصبح واضحًا أن الأسلوب الذى ظل يستخدمه كرومر ضدها لن يمكن الاستمرار فيه ، كما أصبح واضحًا أيضًا ضرورة الفصل بين الخديو وبين الحركة الوطنية مما كان اللورد كرومر لا يستطيع فى إطار علاقته القديمة « بعباس » أن يفعله .

ومن ثم كان لابد من التغيير الذى امتدت يده الى السياسة البريطانية فى مصر وإلى رجلها الذى طالما قام على تنفيذها مما آذن ببداية عهد جديد فى تاريخ الوطن المصرى انعكس أثره على النظارة المصرية .

(٣٩) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول — دوره فى السياسة المصرية حتى ١٩١٤
ص ٤٦ — ٤٧ .

الباب الثاني

الفصل الثالث

عهد الوفاق ١٩٠٧ – ١٩١١

—

١٩ — نظارة بطرس باشا غالى (١٣ نوفمبر ١٩٠٨ — ٣١ فبراير ١٩١٠) :

بتخلّى « اللورد كرومر » عن منصب المعتمد البريطانى فى القاهرة عام ١٩٠٧ بعد أن ظل يحتله لما يناهز ربع قرن ، وباحتلال « السير البدون جورست » لهذا المنصب بدأت حقبة جديدة من تاريخ مصر فى ظل الاحتلال البريطانى هى التى أطلق عليها سياسيو العصر « **عهد الوفاق** » لما اتسمت به من تزايد مؤثرات التفاهم بين المعتمد البريطانى الجديد وبين الخديو عباس الثانى وما ترتب على ذلك من تغييرات هائلة فى مختلف ميادين السياسية المصرية كان لابد أن تصيب أول ما تصيب « النظارة المصرية » باعتبارها أهم ميادين الاتفاق أو الاختلاف بين سلطة الخديو وسلطة احتلال .

ومع تبلور « **سياسة الوفاق** » أدرك « مصطفى فهمى باشا » رئيس نظار أطول نظارات تاريخ مصر الحديث (١٨٩٥ — ١٩٠٨) أن لا مكان له فى هذا المنصب وهو رجل كرومر الذى لم ينل سياسى فى مصر ثناء قدر ما ناله من اللورد فى خطبته الشهيرة التى القاها فى الأوبرا بمناسبة تخليه عن منصبه والمعروفة بخطبة الوداع فى ٤ مايو عام ١٩٠٧ (١) .

ومن هذا الإدراك قدم « مصطفى باشا فهمى » استقالته فى ١١ نوفمبر عام ١٩٠٨ متذرعاً بسوء صحته (٢) .

وتشكلت أول نظارة فى عهد الوفاق وهى تلك التى رأسها « بطرس باشا غالى » ناظر الخارجية فى النظارة المستقلة .

ولما كانت **النظارة الجديدة** إنما تعبر فى النهاية عن **السياسة الجديدة** فقد كان من الطبيعى أن تتكون من منطلقات جديدة .

وتبدو جدة هذه المنطلقات من أكثر من حقيقة :

أولاً :

أن فرصة **الاختيار** قد تركت كاملة للخديو عباس الذى اختار « بطرس باشا » ، وبالرغم من تخوف المعتمد البريطانى مما قد يترتب على اختيار رئيس نظار قبضى من ردود فعل فى الدوائر الوطنية فإن الخديو قد أصر على اختياره متعللاً فى إصراره بأن كفاءة الرجل تجب أى اعتبار آخر مؤكداً بأن الرجل مصرى أولاً وأخيراً وأنه بهذا يختلف جد الاختلاف عن « نوبار باشا » الأرمنى . وقد أبدى جورست اقتناعاً كاملاً بآراء الخديو (٣) .

(١) نص الخطبة فى المقطم واللواء والمؤيد والجريدة فى ٥ مايو عام ١٩٠٧ .
(٢) Lloyd : Egypt since Cromer Vol. I, p. 72.

(٣) أحمد باشا شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ — القسم الثانى ص ١٥٩ .



بطرس باشا غالى

— ولد فى بنى سويف عام ١٨٤٧ أكبر أبناء غالى بك نيروز
الذى كان موظفا فى الدائرة السنية .

— بعد عودته من أوربا عين كاتباً فى مجلس التجارة
ثم سكرتيراً له وبعد تأسيس المحاكم المختلطة تولى
منصب رئيس كتابها عام ١٨٧٤ .

— فى عام ١٨٨٢ عهد اليه بسكرتارية مجلس النظار ثم
أصبح وكيلاً للحقانية ، وكان من أهم واضعى قانون
المحاكم الأهلية .

— فى عام ١٨٩٣ تولى نظارة المالية ثم الخارجية عام ١٨٩٥

من جانب آخر فهما لا شك فيه أنه قد شجع الخديو على اختيار بطرس باشا غالى ما أشاعه الدستور العثمانى فى ذلك الوقت من ايمان بالحرية والمساواة والكفاءة « دون مراعاة للاعتبارات القديمة (٤) » .

يضاف الى كل ذلك أن رئيس النظار الجديد ظل طوال عمله كناظر خلال الخمس عشرة سنة السابقة حريصا على ابقاء حسن الروابط سواء مع الاحتلال أو مع القصر (٥) بالرغم من الاختلاف بين الجانبين ولعل سعيه الى هذا قد نتج عن أن دخوله النظارة لأول مرة عام ١٨٩٣ (نظارة فخرى باشا القصيرة العمر) قد تم باختيار من الخديو .

وكان اختيار بطرس باشا رئيسا للنظار وهو على هذه الروابط الحسنة مع الطرفين صاحبى القرار انما يمثل تجسيدا ناما لسياسة الوفاق .

ثانيها :

ان النظارة الجديدة قد تشكلت وليس بها من نظار النظارة السابقة التى خدمت الوجود الاحتلالى لثلاث عشرة سنة متوالية سابقة سوى ناظرين ، أولهما بطرس باشا غالى نفسه وثانيهما سعد باشا زغلول .

وحتى فى استمرار « سعد باشا » فى نظارة المعارف فان أسبابا ملحة هى التى فرضت هذا الاستمرار يمكن أن نعددها فيما يلى :

١ — ان تعيين سعد زغلول فى نظارة المعارف عام ١٩٠٦ انما كان ايماءة لتغيرات هامة وتعبيرا عن تعديل مواقع القوى الاجتماعية بنمو طبقة كبار ملاك الاراضى الزراعية المصريين وترجمة هذا النمو بالمشاركة فى النظارة المصرية التى كانت قد اقتضرت حتى هذا الوقت تقريبا على طبقة « الأعيان التركية » ، ومن ثم فقد لقى تعيين سعد ترحيبا بالغا سواء من طبقة الأعيان الجديدة أو من قطاعات عريضة من الشعب المصرى .

٢ — من جانب آخر فان سعد زغلول قد اكتسب شعبية كبيرة خلال العامين اللذين قضاها فى نظارة صهره مصطفى فهمى وذلك لمجموعة من المواقف بدا منها روح التحدى والرفض للهيمنة البريطانية على نظارة المعارف ممثلة فى مسندشارها « المستردلوب » .

ومن ثم لم يكن ابعاد سعد ضمن من تقرر التخلص منهم من نظار النظارة السابقة فى حدود الممكن السياسى ، وان كان قبول هذه الحقيقة لم يعن منذ البداية الاستعداد للاذعان لها ويبدو هذا فى التعهد الذى قطعه بطرس

(٤) المقطم فى ١٦/١١/١٩٠٨ .

Les Nouvelles 13 Nov. 1908.

(٥)

نقلا عن د. محمود نجيب أبو الليل : الامانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية (القاهرة ١٩٥٣) ص ١٢٣ .

باشا غالى على نفسه مع تشكيل النظارة بأن يتركوا له سفدا « وأنا أعرف ما أفعله لأخراجه (٦) » .

ثالثها :

ان البعض ممن دخلوا النظارة لأول مرة دخلوها ليس لسبب سوى ولائهم للخديوية ، ولدينا المثل على هذا في « أحمد حشمت باشا » الذى عين ناظرا للمالية فى النظارة الجديدة ، وكان « حشمت باشا » من أقوى المناصرين للخديوية أمام القوى الوطنية التى كانت وقتذاك أما تناصب عباس الثانى العداء أو على الأقل فترت علاقاتها به .

ويبدو موقع حشمت باشا السياسى من أنه كان قبل أن يعين ناظرا للمالية وكيلا « لحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » وهو الحزب الذى نشأ برياسة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وقد رفع شعار (مساندة الخديوية (٧)) .

على ضوء هذه الحقائق تعبيرا عن المرحلة الجديدة .. مرحلة الوفاق .. صدرت قرارات تشكيل « الوزارة البطرسية » على النحو الآتى :

الارادة السنية الصادرة فى ١٨ شوال ١٣٢٦

١٢ نوفمبر ١٩٠٨

—

« سعادتلو بطرس غالى باشا حضرتلرى

بناء على ما هو معلوم فيكم من الكفاءة والدراية ، ووثوقنا بكم قد وجهنا لعهدتكم مسند رئاسة مجلس نظار حكومتنا ، وعلى هذا نكلفكم بتشكيل هيئة نظارة جديدة .

وكونوا على يقين من تعاضيدنا ومساعدتنا اياكم فى جلال الأعمال التى عهدنا بها اليكم ، ونسأل الحق جلست قدرته أن يوفقنا جميعا لما فيه خير البلاد ورفاهية العباد ، انه نعم المولى ونعم النصير » .

عباس حلمى

(٦) أحمد شفيق : المصدر السابق ج ٢ — القسم الثانى ص ١٦٠ .

(٧) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ص ٢٦ — ص ٣١

أمر عال (٨)

نحن خديو مصر

« بعد الاطلاع على الأمر العالى الصادر فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس النظر .

أمرنا بما هو آت

المادة الأولى

عين :

- سعادة بطرس غالى باشا ناظرا للمعارف العمومية
- وسعادة سعد زغلول باشا ناظرا للداخلية
- وسعادة حسين رشدى باشا ناظرا للمالية
- وسعاد محمد سعيد بك ناظرا للحقانية
- وسعادة اسماعيل سرى باشا ناظرا للأشغال العمومية
والحربية والبحرية
- وسعادة أحمد حشمت باشا ناظرا للخارجية

المادة الثانية

على رئيس مجلس النظر تنفيذ أمرنا هذا .
صدر بسرأى عابدين فى ٨ شوال سنة ١٣٢٦ (١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨) « .

عباس حلمى

رئيس مجلس النظر

بطرس غالى

وكما يعبر تشكيل الوزارة « البطرسية » عن طبيعة التغيير الذى طرأ
على علاقات مراكز القوى فانه يؤرخ لمرحلة من أهم مراحل الحركة الوطنية
فى عهد الاحتلال ، وهى مرحلة اتسمت بتعدد الجماعات الوطنية وبتشعب
الميادين التى مارسست فيها عملها الوطنى (٩) .

(٨) الوقائع المصرية العدد ١٢٩ فى ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ .

(٩) د. يونان لبيب : المصدر السابق .

وواضح منذ البداية أن عددا من هذه الجماعات قد رفضت قبول « النظارة الجديدة » ، وقد نشأ هذا الرفض أحيانا من منطلقات دينية وصدر من آخرين لأسباب وطنية ، وقد عبرت إحدى صحف الحزب الوطنى الصادرة فى أعقاب تأليف الوزارة أصدق تعبير عن هذا « الرفض » بمانشيت صحفى كبير جاء فيه ست كلمات فقط وهى « لتسقط وزارة بطرس غالى القبطى الاحتلالى (١٠) ! » .

ويمكن أن تسمى الفترة التى عاشتها نظارة بطرس باشا (عام وبضع عام) **بسنوات المواجهه** بين ما مثله تلك النظارة من تحالف السلطه وبين الحركة الوطنية النامية . وفى تلك المواجهة استخدم الطرفان كل ما سمحت به الظروف من وسائل الضغط .

فهيئة النظارة أعادت احياء قوانين القمع وأهمها « قانون المطبوعات » الصادر فى نوفمبر عام ١٨٨١ وكان قد بطل استخدامه منذ عام ١٨٩٤ فأعيد الى الحياة على عهد تلك النظارة (٢٥ مارس ١٩٠٩) وهو قانون يقيد حرية الصحافة الى حد كبير (١١) .

كما أن ممثلى الحركة الوطنية استحدثوا أساليب ضغط جديدة لم تكن معروفة من قبل فى ميدان العمل السياسى المصرى مثل التظاهر أو المعارضة داخل المؤسسات شبه النيابية التى كانت معروفة وقتذاك ونعنى هنا بالذات « مجلس شورى القوانين » .

وقد زاد من حدة المواجهة ما حدث فى استنبول فى مايو ١٩٠٩ من محاولة انقلاب ضد رجال الاتحاد والترقى الذين كانوا قد نجحوا فى الاستيلاء على السلطة منذ يولية من العام السابق ، وقد ترتب على فشل هذا الانقلاب الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثانى .

ولطبيعة العلاقة الخاصة بين القاهرة واستنبول حتى هذا الوقت ، ولما ترتب على بلوغ رجال « تركيا الفتاة » لأهدافهم فى النهاية أمام سلطة « السلطان عبد الحميد الثانى » .. لهذين السببين كان من الطبيعى أن ينسحب هذا **الحدث العثمانى** على نوعية المواجهة فزداد حدة ، ذلك أنه مما لا شك فيه أن أحداث استنبول قد منحت **إرادة التحدى الوطنى** فى مصر دفعات قوية زادت صمودا وصلابة .

ومع زيادة حدة **المواجهة** كان من المنتظر أن يحدث أى شئ ، وقد حدث هذا الشئ وذلك باغتيال أحد الشبان المتطرفين (ابراهيم ناصف الوردانى) لرئيس النظار بطرس باشا غالى فى ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ (١٢) .

(١٠) القطر المصرى فى ٢٠ نوفمبر ١٩٠٨ .

(١١) د. يونان لبيب : أثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية فى مصر ١٩٠٩ — ١٩١٢ —
المجلة المصرية للجمعية التاريخية مجلد ١٤ .

(١٢) تفاصيل الحادثة وظروفها . محمد أمين عبده الحامى : قضية الوردانى عام ١٩١٠ —
مجلة الشباب العدد العاشر فى ٢٠/٤/١٩٣٦ .

ويمكن النظر الى هذا الحدث الهام في تاريخ مصر المعاصر في ثلاثة اطر :

اولها :

اطار تاريخ مصر الحديث والمعاصر عامة فهو بمثابة ثانی جريمة اغتيال سياسی كبریة حدثت في البلاد لأسباب وطنية وذلك بعد اغتيال سليمان الحلبي لكبير يفصل بين الحادثتين نحو مائة وعشر سنوات .

ثانيها :

اطار تاريخ الوزارات المصرية فهي أول جريمة اغتيال لرئيس وزارة مصرية تكررت بعد ذلك خلال الأربعينات باغتيال كل من الدكتور أحمد ماهر باشا ثم بعده محمود فهمي النقراشي باشا .

ثالثها :

اطار الفترة موضع الدراسة فان هذه الجريمة كانت بمثابة نقطة تحول بارزة في « مرحلة الوفاق » تم التخلي فيها عن سياسة المواجهة الى سياسة جديدة هي سياسة القمع بدت واضحة في خطة الوزارة الجديدة التي تشكلت بعد الوزارة البطرسية .

٢٠ — نظارة محمد سعيد باشا الأولى (٢٣ فبراير ١٩١٠ — ٥ أبريل ١٩١٤) :

سقطت النظارة البطرسية بمقتل رئيسها ، وكان هذا السقوط بمثابة اسدال الستار على مرحلة المواجهة بين السلطة والحركة الوطنية بعد أن وصلت هذه المواجهة الى ذروتها ،

ومن جانب آخر فان ما ترتب على حادثة الاغتيال من ارتباك مؤقت في صفوف السلطة كان داعيا لاعادة النظر في الموقف برمته . . فالخديوية أمسك بتلابيبها مشاعر الخوف على العرش وقد أخذت قوائمه في الاهتزاز . ودار المعتمد البريطاني أهدقت بها الحملات (١٣) المنددة بسياسة التساهل مع رجال الحركة الوطنية .

وفي هذا المناخ السياسي (تشكلت) نظارة محمد باشا سعيد الأولى ، وبتأثيره أيضا تطورت خطتها في الحكم .



محمد سعيد باشا

- ولد بالاسكندرية عام ١٨٦٣ ونال شهادة القانون بتفوق فعين وكيلا للنياية في محكمة الاستئناف المختلطة عام ١٨٨٢ .
- نقل بعد ذلك الى نيابة المحاكم الاهلية ثم اسندت اليه رئاسة محكمة الاسكندرية الكلية .
- في عام ١٨٩٥ نقل مفتشا في لجنة المراقبة القضائية .
- أصبح مستشارا في محكمة الاستئناف ١٩٠٥ .
- تولى نظارة الداخلية عام ١٩٠٨ .

من حيث التشكيل : فقد كان اختيار « محمد باشا سعيد » لرئاسة النظارة الجديدة داعيا للتساؤل اذ كان معلوما انه من المتعاطفين مع الحزب الوطنى .

الا انه يمكن تفسير هذا الاختيار على ضوء الاعتبارات الآتية :

- ١ — منح الحركة الوطنية احساسا مؤقتا بالأمان .
- ٢ — محاولة نثر بذور الشقاق بين زعامات هذه الحركة مما يؤدي الى اختلال الموازين واختلاط الأمور امام هذه الزعامات .
- ٣ — أن محمد سعيد باشا كان من جناح الحزب الوطنى الذى استمر على تعاطفه مع الخديو بالرغم من تغير موقف هذا الأخير بعد سياسة الوفاق ويبدو هذا الدأيد والتعاطف حتى منذ اختياره ناظرا للداخلية فى نظارة بطرس باشا غالى فان الخديو فى هذا الاختيار قد تخطى غيره من الموظفين القدامى الأكفاء فى النظارة المذكورة (١٤) ، ومن ثم فان هذا الاختيار كان له معيار أساسى الا وهو معيار الولاء لمسند الخديوية .

ألا انه مع وضع هذه الحقائق موضع الاعتبار فيجب عدم اغفال احتمال آخر تخوفت سلطات الاحتلال البريطانى من تحققه وهو أن يستمر رئيس النظار الجديد فى تعاطفه مع الحركة الوطنية مما يخلق موقفا صعبا للغاية امامها وقد أعرب السير الدون جورست عن بعض هذه المخاوف للخديو عباس الثانى ولكن هذا الأخير قد بدد من مخاوف المعتمد البريطانى بوعسد منه بأنه سوف يقوم على الفور باقالة النظارة السعيدية اذا ما بدا من رئيسها أى نزوع عن التعاون مع سلطات الاحتلال ، فى نفس الوقت تم ابلاغ رئيس النظار الجديد أن بقاءه فى منصبه مرهون بمدى اخلاصه فى هذا التعاون (١٥) .

ملاحظة أخرى على تشكيل النظارة الجديدة هو ما حدث من تغير بعض مواقع نظار النظارة السابقة .. وبالأذات ابعاد « سعد باشا زغلول » عن نظارة المعارف الى نظارة الحقائق .

ولا شك أنه كانت هناك رغبة قوية فى التخلص من هذا الناظر استمرارا لنفس الرغبة فى التخلص منه التى سادت وقت تشكيل النظارة البطرسية بل أن هذه الرغبة قد ازدادت مع موقف سعد المتصلب نوعا من عودة احياء قانون المطبوعات فى مارس ١٩٠٩ والتى وصلت الى حد التهديد بالاستقالة (١٦) .

(١٤) مثل ابراهيم باشا نجيب انظر : المقطم فى ١٢/١١/١٩٠٨ .
(١٥) F.O. 407/175 No. 22 Sir Eldon Gorst to Sir Edward Grey, Feb. 21, 1910. Tel. No. 9 Conf.

(١٦) أحمد شفيق : المصدر السابق — ٢ — القسم الثانى ص ١٧٥ .

الا أن تنفيذ هذه الرغبة كان مما يتناقض مع « الاحساس بالأمن المؤقت » الذى رغبت السلطات فى اشاعته ، ومن ثم فقد تقرر الإبقاء على سعد مع وضعه فى الموقف الحرج .

وما نعينه **بالوضع فى الموقف الحرج** بتعيين سعد باشا زغلول فى نظارة الحقانية .. ذلك انه لما كانت النية متجهة الى استصدار مجموعة من قوانين القمع ضد الوطنيين ، ولما كانت النظارة المسئولة عن هذا الاستصدار هى نظارة الحقانية فقد كان أمام سعد زغلول طريقان كلاهما يؤدي الى التأثير فى سمعة الرجل السياسية :

الطريق الأول :

أن يستجيب سعد الى مطالب السلطة فيكون يدها فى اصدار مجموعة القوانين المطلوبة وهو بهذا يفقد كل مكانة شعبية استطاع تكوينها خلال السنوات الأربع السابقة (١٧) .

الطريق الثانى :

• أن يقف الى جانب رفض تقديم مثل هذه القوانين وهو بهذا يتعرض لتهمة **عدم التعاون** فضلا عن تهمة **عدم الشعور بالمسئولية** التى طالما رددتها خصومه بتركه حبل الفوضى والارهاب على غاربه .

الملاحظة الثالثة :

انه اذا كان قد صحب تأليف النظارة الجديدة تبادل مواقع النظار فى النظارة السابقة الا انهم هم انفسهم الذين شكلوا النظارة الجديدة فيما عدا بطرس باشا غالى الذى حل محله « يوسف سابا باشا » وقد شغل منصب ناظر المالية .

هذا عن **طبيعة تشكيل** النظارة السعيدية الاولى اما عن **كيفية التشكيل** فلم تختلف كثيرا عن « الوزارة البطرسية » فان الوزارتين قد تم تشكيلهما فى مناخ سياسى واحد ، وكما كان اختيار بطرس باشا بمبادرة خديوية كان اختيار « محمد باشا سعيد » بمبادرة خديوية أيضا .. وكما بدا لون من التردد من سلطات الاحتلال ازاء اختيار بطرس باشا غالى لكونه من الاقلية القبطية بدا هذا التردد مرة ثانية من نفس السلطات ازاء رئيس النظار الجديد بسبب ميوله الوطنية وان كان هذا التردد ما لبث أن تبسدد

(١٧) عبد الخالق محمد لاشين : سعد زغلول — دوره فى السياسة المصرية حتى ١٩١٤ ص ١٥٩ .

بوعد من الخديو باقالة محمد باشا سعيد اذا ما بدا من عمله في النظارة
تأثره بهذا الميول (١٨) .

ثم مع طبيعة التشكيل وكيفيته تبقى مراسيمه .

ارادة سنية صادرة ل محمد سعيد باشا في ١٣ صفر

١٣٢٨ (٢٣ فبراير ١٩١٠) (١٩)

« انه لوفاة المأسوف عليه المرحوم بطرس غالى باشا الذى كان رئيسا
لمجلس النظار ، ولما هو معلوم لدينا فيكم من الكفاءة والدراية ، وبما لنا من
ثقة بكم قد وجهنا اليكم رئاسة المجلس المشار اليه ، وعليه نكلفكم بتشكيل
هيئة نظارة جديدة ، وكونوا على يقين من تعاضدنا ومساعدتنا اياكم ونسأل
الحق جلت قدرته أن يوفقنا جميعا لما فيه خير البلاد ورفاهية العباد انه
نعم المولى ونعم النصير » .

عباس حلمى

أمر عال

« نحن خديوى مصر

» بعد الاطلاع على الأمر العالى الصادر فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ وبناء على
ما عرضه علينا رئيس مجلس النظار .

**أمرنا بما هو آت
المادة الأولى**

عين :

- | | |
|----------------------|---|
| ● محمد سعيد باشا | ناظرا للداخلية |
| ● وسعد زغلول باشا | ناظرا للحقانية |
| ● وحسين رشدى باشا | ناظرا للخارجية |
| ● واسماعيل يسرى باشا | ناظرا للأشغال العمومية وللحربية
والبحرية |
| ● وأحمد حشمت باشا | ناظرا للمعارف العمومية |
| ● ويوسف سبابا باشا | ناظرا للمالية |

المادة الثانية

— على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا

— صدر بسرأي عابدين في ١٢ صفر ١٣٢٨ (٢٣ فبراير ١٩١٠) « .

عباس حلمي
بأمر الحضرة الخديوية
رئيس مجلس النظار
محمد سعيد

وقد تطورت خطة هذه النظارة كما تميز عهدها بسمتين أساسيتين :

أولاهما :

احتواء الحركة الوطنية .

ثانيتهما :

عودة الشقاق بين قصر عابدين من جانب وبين قصر الدوبارة من جانب آخر .

فيما يتعلق بالسمة الأولى بدأت نظارة « محمد سعيد » بتقديم تنازلات أساسية للحركة الوطنية المصرية . . ذلك أنه قبل اغتيال بطرس باشا كانت « الشركة العالمية لقناة السويس » قد تقدمت باقتراحها لد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى بعد عام ١٩٦٨ وهو عام نهاية أجل امتيازها الأول ، وقد خلق تقديم هذا الاقتراح جوا من الاثارة أدى في النهاية الى اغتيال رئيس النظار .

وقد استهلكت النظارة الجديدة عهدها بالاستمرار فيما كان قد تعهد به رئيس النظار السابق بعرض المسألة على الجمعية العمومية والالتزام بقرارها فيها .

ولما كان من المعلوم مسبقا طبيعة موقف الجمعية بالسلب من المشروع المذكور فان تفسيراً لابد أن يقدم لموقف النظارة السعيدية .

ويتدافع أكثر من تفسير : أول هذه التفسيرات معارضة الحكومة الانجليزية نفسها للمشروع على أنها كانت راغبة أن يتحمل النظار المصريون مسئولية الدفاع عنه أمام الجمعية العمومية وذلك حتى لا تتحمل أمام الرأي العام الأوربي مسئولية رفض مد الامتياز (٢٠) .

(٢٠) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ٤٥ — ص ٤٦ ، عبد الخالق لاشين : المصدر السابق ص ١٧٩ .

ويتصل التفسير الثانى بالرغبة فى محاولة احتواء المد الوطنى .

أما التفسير الآخر فيتصل بتهيئة المناخ المناسب لاقتناع الراى العام الأوروبى وخاصة فى فرنسا أن ترك الأمور على غاربها لم يؤد فقط الى جريمة منكرة وإنما يمكن أن يؤدى الى ما هو أكثر من ذلك بتعريض المصالح الأجنبية فى مصر للخطر .

ويمكن فهم قيمة هذا التفسير اذا لاحظنا أنه فى تلك الشهور بالذات التى سبقت اغتيال بطرس باشا غالى تعرض تطبيق « قانون المطبوعات » على الصحف المصرية التى يملكها أجنبى لمقاومة صلبة من جانب كل من فرنسا وألمانيا . ولما كان هذا القانون من أول القوانين التى رغبته السلطة فى مصر فى استخدامها فى مواجهة الحركة الوطنية فقد كانت الرغبة فى إسقاط أى عوائق تعرقل حركة هذا القانون جارفة .

وعلى ضوء هذه التفسيرات يمكن فهم اتجاهات السلطة نحو مواجهة الحركة الوطنية وزعاماتها .

بالنسبة « للزعامات » فقد صدر فى منتصف يونية — أى بعد تكوين النظارة السعيدية بشهور أربعة — قانون نظر الجرائم الصحفية أمام محاكم الجنايات لا محاكم الجنح (٢١) .

واستخدما لهذا القانون صدر الحكم على الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء بالحبس ثلاثة شهور فى أغسطس عام ١٩١٠ ، وعلى محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى بالحبس ستة شهور فى يناير من العام التالى ، وكانت التهمة الموجهة للزعيمين تقريظ كتاب « وطنيتى » الذى كتبه الشيخ الغاياتى ورات السلطة أنه « يحض على كراهة الحكومة والازدراء بها » .

ثم فى أول مايو عام ١٩١٢ يصدر حكم على رئيس الحزب الوطنى بالحبس سنة أفلت منه بعد أن كان قد غادر البلاد قبل صدوره ، وحذا حذو الزعيم عدد من قادة الحزب الآخرين على رأسهم الشيخ جاويش .

ثم بالنسبة لمواجهة الحركة الوطنية فقد كان هناك الانقضااض على الصحافة الوطنية ، ففى خلال فترة تزيد عن عام قليلا تم تعطيل أربع من صحف الحزب (٢٢) ، من جانب آخر فقد عملت على الحد من النشاط الطلابى فصدر قانون « المواظبة والسلوك » (!) فى أكتوبر عام ١٩١٠ والذى خول نظارة المعارف حق فصل أى طالب بسبب عدم انتظامه فى الدراسة أو لسوء سلوكه ، وقد منح هذا القانون للسلطة على ذلك النحو تأثيرا هائلا على قدرة الطلاب على الحركة السياسية . كما شمل أخيرا انتشاء العمل الوطنى نحو السرية فصدر قانون « الاتفاقات الجنائية » الذى حدد عقوبات معينة بهدف متابعة الجمعيات السرية وصبغها بعدم الشرعية (٢٣) .

(٢١) مجموعة محاضر مجلس شورى القوانين ١٩٠٩ — ١٩١٠ ص ٦٥٥ — ص ٦٥٦ .
(٢٢) هى على التوالى مصر الفتاة فى ٥ أكتوبر ١٩١١ ، ووادى النيل فى ٧ أبريل ١٩١٢ ، واللواء فى أول سبتمبر من نفس السنة ، والعلم بعد ذلك بنحو شهرين أنظر : يونان ليبب : أثر قانون المطبوعات هو ٤١٤ .

(٢٣) يونان ليبب : الحياة الحزبية ص ٢١٢ — ص ٢١٦ .

وتبع هذا حدثان كبيران أثر أحدهما في تشكيل النظارة ذاتها وأثر الآخر في نوعية العلاقة بين السلطتين الخديوية من جانب والاحتلال البريطاني من جانب آخر ..

فيما يتصل بالتأثير في تشكيل النظارة فان الظروف الموضوعية التي دعت الى قبول عضوية سعد باشا زغلول في النظارة السعيدية قد زالت بعد أن صدرت تشريعات القمع والمحافظة على الأمن .

وبالرغم من المبررات التي سبقت حول « قبول استعفاء » سعد باشا في أول أبريل ١٩١٢ (٢٤) فان هذا الخروج كان أمرا مقررًا منذ اشتراك سعد في الوزارة البطرسية ولم تكن المسألة من ثم سوى مسألة انتظار الوقت المناسب لهذا الخروج ، وقد حان هذا الوقت بالفعل وقد كان الخديو وكنتشنر متفقين عليه (٢٥) .

وفيما يختص بالعلاقة بين عابدين وقصر الدوبارة فهي لا شك تمثل حلقة من سلسلة متصلة الحلقات إحدى حلقاتها الحركة الوطنية وحلقة أخرى النظارة المصرية .

ويتضح ما نعينه بهذا اذا لاحظنا أن الحركة الوطنية صعودا أو هبوطا قد أثرت في العلاقات بين مركزى السلطة في البلاد بالتلاحم أو التنافر ، وأن نوعية هذه العلاقات قد أثرت بالتالى في تشكيل النظارة وسياستها .

وعلى ذلك فإنه اذا كان نمو الحركة الوطنية المتزايدة خلال السنوات السبع الأولى من العقد الأول من القرن العشرين قد أدى في النهاية الى مرحلة جديدة من مراحل العلاقات بين الخديوية وسلطة الاحتلال البريطاني هي مرحلة الوفاق فان مواجهة هذه الحركة في مطلع العقد الثانى قد أزال الظروف التي فرضت مثل هذا التحالف بين طرفين يحاول كل منهما أن يستأثر بالسلطة في البلاد ويستغلها لمصلحته أولا ولما يعتقد أنه المصلحة العامة بعد ذلك .

والواقع أنه لا يمكن رسم خط فاصل حاسم بين المرحلتين التاريخيتين موضع الدراسة .. مرحلة الوفاق ومرحلة الشقاق الثانى ، فنهاية المرحلة الأولى التي اتسمت ببلوغ حالة الانقضا ذراها وبداية المرحلة الثانية التي عاد خلالها فتور العلاقات بين مركزى السلطة قد تواكبنا ، وان كانت هناك نقطة معينة مرغوب اتخاذها كنقطة بدء فهي تولية اللورد كنتشنر لمنصب المعتمد البريطانى في البلاد بما له من سمعة باطشة تراكمت من تاريخ عسكرى طويل مما كان ايماءة ببلوغ الانقضا منتهاه وبما له من ماض فى مصر . اتسم بالصراع مع الخديو (٢٦) مما كان ايماءة بعودة الشقاق .

(٢٤) بينما يذكر أحمد شفيق أن هذه الاستقالة قد ترتبت على الشروع فى محاكمة محمد فريد بتهمة تحريضه على الحكومة دون استشارة سعد بوصفه وزيرا للحقانية (مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ - القسم الثانى فى ٢٧١) يذكر عباس العقاد أن سبب الاستقالة ما حدث من خلاف بين سعد من جانب وبين قيم على أملاك أميرة مصرية وتزوجت من روسى مسيحي - مسنودا من الخديو - الذى كان هذا القيم أحد رجاله ضد ناظر الحقانية (سعد زغلول - سيرة وتحية ص ١٢٨ - ١٢٩) .

(٢٥) عبد الخالق الاشين : المصدر السابق ص ١٥٦ - ص ١٥٩ .

(٢٦) فكتشنر هو بطل حادثة الحدود المشهورة التى أجبر فيها عباس الثانى على الاعتذار .

أنظر Cromer : Abbas II pp. 51 — 59.

الباب الثاني

الفصل الرابع

النظارة في عهد الشقاق الثاني

١٩١١ — ١٩١٤

—

على امتداد الجيل الذى عاشه الاحتلال البريطانى فى مصر (١٨٨٢ — ١٩١٤) لم يتول رجل قوى منصبا قويا كما حدث عندما تولى « الفيكونت كتشنر أوف خرطوم » منصب « قنصل عام ومعتد الحكومة البريطانية » فى القاهرة .

فمن ناحية كان وراء « كتشنر » تاريخ لم يكن وراء سلفيه ، فبينما أحرز هذا انتصارات عديدة فى استعادة السودان مرة وفى هزيمة البوير مرة أخرى لم يكن السير بيرنج — اللورد كرومر منذ ١٨٩١ — عند توليه المنصب عام ١٨٨٣ أكثر من سكرتير خاص لنائب الملك فى الهند ، ولم يكن السير جورست عام ١٩٠٧ سوى أحد كبار موظفى الخارجية البريطانية وبينما أتى كل منهما ليصنع له تاريخا فى مصر فإن كتشنر قد جاء يحمل على كتفيه تاريخه .

ومن ناحية أخرى فإن منصب « المعتد البريطانى » عندما تولاه بيرنج ١٨٨٣ لم يكن يفضل كثيرا مناصب سائر المعتدين فى مصر الا فيما يتصل بالوجود المؤقت — أو مما كان يتصور الجميع أنه مؤقت — لقوات بريطانية فى البلاد .

كما أنه عندما تولى جورست نفس المنصب ١٩٠٧ فإنه كان يهتز بشدة بعد ما بدا وكأن رحيل كرومر إنما قد حدث نتيجة لما جرى فى دنشواى خلال العام الذى سبقه وما صاحب ذلك من تزايد الحركة الوطنية وفعاليتها الواضحة فى التعبير عن نفسها .

ولكن مع مجيء كتشنر الى قصر الدوبارة فى سبتمبر عام ١٩١١ فإن منصب المعتد البريطانى أصبح وقد اعترف به الجميع على أنه منصب **الحاكم الحقيقى لمصر** ، كما أن الحركة الوطنية نتيجة لسياسات القمع التى اتبعت ضدها لم تعد تملك من الوسائل ما تستطيع أن تسبب به حرجا يذكر لصاحب هذا المنصب .

ومن هذين المنطلقين : **الرجل القوى و المنصب القوى** عاد عهد الشقاق ذلك أن هذه « القوة » كانت لابد أن تترجم نفسها الى واقع سياسى بالاستئثار بمزيد من السلطة ، وكان هذا الاستئثار لابد أن يتم على حساب الطرف الآخر — الخديو — ، ومع كل هذا كان طبيعيا أن يعود الشقاق .

فإنه لما كان جانب من « قوة الرجل » يستمد من تاريخ سابق ، ولما كانت مرحلة من مراحل هذا التاريخ قد اتسمت بالصراع بينه وبين الخديو (١) فقد كان منتظرا أن تنسحب ذكرى هذا الصراع على الموقف الجديد .

Lord Lloyd : Egypt Since Cromer Vol. 1. p. 129.

(١)

فى نفس الوقت فان مبادراته فى التعامل مع الآخرين قد فاقت « اللورد » المحنك « والسير » الحذر ، وىروى « أحمد شفق » أنه منذ عىن معتمدا فى مصر لم يفتأ يهتم بأبسط المسائل وىزور البلاد وىتحدث مع أهلها وىسمع اقتراحاتهم كأنه **الحاكم الشرعى للبلاد** وكانت استقبالاته من ذوى الحاجات لا تدع مجالا للشك فى أنه **قابض على كل السلطة فى مصر (٢) »** .

ولم يكن متوقعا أن ىتقبل عباس الثانى هذا السلوك من المعتمد الجدىد بأى رضاء .

من ثم فقد عاد عهد « الشقاق » بىن السلطتىن الشرعية والفعلىة وان اختلف هذا العهد الجدىد عن « عهد الشقاق الأول » فى أكثر من جانب :

فمن ناحية بىنما بدأ عهد الشقاق الأول ونجم عباس فى صعود فان هذا العهد الآخر قد بدأ ونجمه يأفل ؛ ذلك ان الصورة الشعبىة النى حظى بها الخدىو عباس حلمى فى بداية عهده والآمال اللى عقدت علیه لىكون نصىر الحركة الوطنىة . . الصورة شحبت والآمال تبددت بعد تعدد المواقف « اللأ وطنىة » من الرجل وبعد أن انضح أنه ىعمل لحساب نفسه لا لحساب الوطن مما تأكد تماما فى ظل سىاسة الوفاق بىنه وبىن جورست المعتمد الراحل .

صحب هذا من ناحية أخرى أن تهاوت أى احتمالات للتعاون بىن الخدىوىة وبىن الحزب الوطنى وهو ما كان قائما خلال عهد الشقاق الأول .

فالزعامات الوطنىة بعد النجربة المرىة التى خاضتها مع الخدىو الذى شارك فى ضرب الحزب الوطنى خلال سنوات الوفاق لم تكن مستعدة أن نمد أىديها مرة أخرى لعباس تناضل معه ضد الوجود الاحتلالى وقد حاول الرجل أكثر من مرة العوذة الى خطة التعاون مع هذه الزعامات (٣) ولكن الوقت كان متأخرا للغاية .

وعلى ذلك فقد كان الخدىو ىحارب هذه المرة وظهره الى الحائط مما دفعه الى الاعتكاف خلال أغلب سنوات الشقاق الثانى فى قصر القبة « وامتنع عن التدخل فى أمور البلاد ولم ىنزل الى سراى عابدىن الا للضرورة القصوى ولم ىرأس مجلس النظار الا نادرا (٤) » !

انعكست عوذة الشقاق على « النظارة » فى أكثر من جانب . . . فى الشكل وفى التشكىل ، وفى العلاقة بالمؤسسات الأخرى .

(٢) أحمد شفق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ - القسم الثانى ص ٢٧٤ .
(٣) نفى صىف عام ١٩١٢ حاول أن ىرسل لمحمد فرىد فى استنبول مبلغا من المال رفضه هذا ، كما أنه تمت محاولة أخرى للصلح بىن الرجلین فى سبتمبر عام ١٩١٣ ولكنها أخفقت أيضا . مذكرات محمد فرىد ص ٢٤ - ص ٢٥ ، ص ٤٩ .
(٤) أحمد شفق : المصدر السابق ص ٢٧٥ .



محمد فرید

أولا - في الشكل :

ففى ٢٠ نوفمبر عام ١٩١٣ صدر مرسومان بإنشاء نظارتين أحدهما للأوقاف ، والأخرى للزراعة . . ولهذا الإنشاء قصة .

فقد كانت الأوقاف تتبع قبل ذلك إدارة تحت إشراف الخديو مباشرة ، وقد اشتهرت هذه الإدارة بسمعة سيئة للغاية مما دعا جورست الى أن يتدخل عام ١٩١١ ويطالب بطرد « أحمد بك ديلاور » الذى كان مسئولا عن دخل هذه الإدارة ، و « محمد بك أباطة » الذى كان مسئولا عن مصروفاتها ، واستجاب الخديو الى طلب المعتمد البريطانى (٥) .

رغم ذلك فقد استمرت الاقاويل عن تصرفات خديوية فى أموال الأوقاف خاصة ما تردد من أن تلك الأموال تستخدم فى تدبير أعمال الاثارة ضد الوجود الاحتلالى (٦) .

وبادر كتشنر الى العمل فحصل على تصريح من لندن بتحويل تلك الإدارة الى نظارة تخضع لإشراف هيئة النظارة ، فى نفس الوقت ولما « للأوقاف » من حساسية دينية خاصة فقد سعى المعتمد البريطانى للحصول على موافقة الصدر الأعظم وشيخ الاسلام ، ولما كان « البرنس سعيد حليم باشا » ابن عم عباس الثانى وعداؤه للخديو معروف . يتولى منصب الصدر الأعظم فى هذا الوقت فقد كللت المساعى البريطانية بالنجاح وتم احراز الموافقة المطلوبة (٧) .

تبع ذلك أن تقدم كتشنر فى ٧ نوفمبر عام ١٩١٣ بمطلبه للخديو « بتحويل إدارة الأوقاف الى نظارة يتولاها ناظر مسلم » .

وقابل عباس الثانى المطلب البريطانى بطريقة تدل على عدم استعدادده للاستجابة اليه مما دعا ممثل الاحتلال الى أن يبلغه أن المسألة قد نقررت وليست محل مناقشة وان ما هو مستعد للبحث فيه هو مجرد النواحي الاجرائية الخاصة بتنفيذ القرار ، وطلب عباس الثانى مهلة لأسبوع يستطيع أن يتخذ خلاله قرارا (٨) .

وشهد اليومان التاليان صراعا عنيفا بين السلطتين الفعلية والشرعية يمكن القول انه كان بمثابة ذروة الشقاق فى عهده الثانى فقد وصل الأمر الى حد الرغبة فى خلع الخديو فى وقت من الاوقات .

F.O. 407/181 No. 31 Kitchener to Grey Nov. 21, 1913 Desp. No. (٥)
129.

Lloyd : Op. Cit. p. 171. (٦)

(٧) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٢٩٧ .

F.O. 407/181 No. 24 Kitchener to Grey. Nov. 7, 1913 Tel. No. 99. (٨)

فعباس من جانبه جمع مجلس النظار في اليوم التالي — ٩ نوفمبر — وأبلغه بعدم قبوله لطلب المعتمد البريطاني وأنه قرر اعداد مذكرة بأسباب الرفض ليرفعها مباشرة الى وزارة الخارجية البريطانية (٩) .

في نفس الوقت فقد سعى الخديو الى استغلال الصبغة الدينية للمسألة فتم تدبير الاجتماعات في بعض المنازل للاحتجاج على التدخل الانجليزي في هذه المسألة ، وقد اكدت الاخبار الواردة الى قصر الدوبارة أن هذه الاجتماعات قد تمت بتحريض من بعض رجال المعية السنية وبرئاستهم ، كما انه من ناحية أخرى أرسلت برقيات الاحتجاج الى استنبول ولندن ووزعت المنشورات بين رجال الدين بهدف اثاره الشغب ، وقد تأكد أيضا أن أحد موظفي القصر (١٠) كان وراء هذه الأعمال (١١) .

وكتشنر من جانبه أيضا سعى الى اجبار الخديو على قبول القرار البريطاني ورأى أن سبيله الى ذلك تهديد الخديو بالخلع أن لم يذعن لمطلب انشاء النظارة الجديدة .

وقد حرص على اقناع لندن بهذه الخطة على أساس أن عباس الثاني قد أصبح مكروها في مصر ، في نفس الوقت تمكن من الحصول على وعد من استنبول مؤداه انه « اذا ما كان ضروريا لمصلحة مصر عزل عباس الثاني فان الحكومة العثمانية ترحب بمثل هذا الاجراء وسوف تتعاون في تنفيذه (١٢) » .

وبتلك المساندات القوية لقرار كتشنر تقدم بانذاره الى الخديو الذي لم يكن أمامه ، وقرار العزل يحلق فوق رأسه ، سوى الخضوع .

وصدر القرار بانشاء نظارة للأوقاف بدلا من ديوان عموم الأوقاف وهذا نصه :

امر عال

بانشاء نظارة للأوقاف بدلا من ديوان عموم الأوقاف

—

« نحن خديو مصر

» بعد الاطلاع على امرنا الصادر في ١٣ يوليو ١٨٩٥ بالتصديق على لائحة الأوقاف .

(٩) F.O. 407/181 No. 25 Kitchener to Grey. Nov. 9, 1913 Tel. No. 100.

(١٠) هو حانظ عوض

(١١) F.O. 407/181 No. 27 Kitchener to Grey. Nov. 11, 1913 Tel. No. 102

(١٢) F.O. 407/181 No. 25 Kitchener to Grey. Nov. 9, 1913 Tel. No. 100.



لورد كيتشنر
المعتمد البريطاني

ومراعاة لرغبتنا في زيادة تحسين السير في جميع المصالح العمومية بحكومتنا وتمكين رعايانا من الاشتراك في مراقبة مرافق الأمة طبقا للقوانين النظامية .

ونظرا للازدياد الذي طرأ على الأعمال القائم بها ديوان عموم الأوقاف ، واتساع نطاق الأمور الموكولة اليه وتعددتها ، فضلا عما هو منظور لها من النماء .

ونظرا للفائدة التي تترتب حينئذ على جعل هذا الديوان نظارة يتولى شؤونها ناظر بعنوان « ناظر الأوقاف » يدخل في هيئة مجلس النظار ، ويعطى له توكيل منا بالصيغة المقررة من قديم الزمان ، ويدير الأعمال التي من اختصاصات ديوان عموم الأوقاف بنفس المسؤولية الملقاة على عاتق سائر النظار في نظاراتهم بحيث يبقى لمصلحة الأوقاف استقلالها الذاتي ، وتكون ميزانياتها قائمة بنفسها على حدتها ، ويكون على هذا الناظر السهر على حسن سير تلك المصلحة واستعمال أموالها في شئون الأمة الإسلامية ، والمحافظة على الاحترام الواجب للشروط والقيود المدونة في الوقفيات طبقا لأحكام الشرع الشريف ، مع الاهتمام بأقامة الشعائر الدينية والأعمال الخيرية المتعلقة بها كما يجب ، والرجوع الى المحكمة الشرعية في جميع الأحوال التي نصت اللائحة المالية على الرجوع فيها اليها .

ولما كان من الضروري البحث في التعديلات والتحسينات التي قد تدعو الحاجة الى ادخالها في نظام مصلحة الأوقاف ، ومن المفيد أن يضم الى الناظر المشار اليه مجلس يعاونه في هذه المهمة ويحل محل مجلس الأوقاف الأعلى الحالى بنفس الاختصاصات المخولة له ، بحيث تبلغ نتيجة هذا البحث الى مجلس النظار ، كما أن كل تعديل في النظام الحالى يجب تقديمه الى الجمعية التشريعية للمناقشة فيه ، ثم عرضه علينا لصدوره في صيغة قانون .

فبعد موافقة مجلس النظار

أمرنا بما هو آت

المادة الأولى

تنشأ نظارة للأوقاف يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة ، وتحل محل ديوان عموم الأوقاف .

المادة الثانية

يتألف المجلس الأعلى من ناظر الأوقاف بصفة رئيس ، ومن شيخ الجامع الأزهر ، ومن مفتى الديار المصرية ، ومن ثلاثة أعضاء آخرين ، يكون تعيينهم منا بناء على طلب مجلس النظار .

فإذا حدث مانع لناظر الأوقاف تكون رئاسة المجلس الأعلى لوكيل نظارة الأوقاف .

وإذا حدث مانع لواحد من العالمين المشار اليهما فيقوم مقامه عالم آخر يعينه مجلس النظار .

وتكون مداولات المجلس صحيحة إذا حضره أربعة من الأعضاء على الأقل .

وعند انقسام الآراء يكون رأى الرئيس مرجحا .

المادة الثالثة

تكون ميزانية الأوقاف نافذة المفعول بمقتضى إرادة خديوية تصدر من بناء على طلب ناظر الأوقاف وتصديق المجلس الأعلى ، وبعد أخذ رأى الجمعية التشريعية .

ويقدم للجمعية التشريعية أيضا الحساب الختامى لكل سنة بعد انقضائها .

المادة الرابعة

تلغى جميع النصوص المخالفة لأمرنا هذا .

وفى جميع النصوص الأخرى يكون اسم « ناظر الأوقاف » و « نظارة الأوقاف » بدلا من « مدير عموم الأوقاف » و « ديوان عموم الأوقاف » .

المادة الخامسة

على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا ، ويسرى العمل به بمجرد نشره فى الجريدة الرسمية .

صدر بسرأى القبة فى ٢١ ذى الحجة ١٣٣١ (٢٠ نوفمبر ١٩١٣) .

عباس حلمى
رئيس مجلس النظار
بأمر الحضرة الخديوية
محمد سعيد (١٢)

(١٢) الوقائع المصرية — العدد ١٣ فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٣ .

ويذكر كتشنر أن نشر هذا « الأمر العالى » قد استقبل بترحيب كامل من الراى العام المصرى وباهتمام واضح من الصحف الاسلاميه وفى نفس الوقت وصل فيض من برقيات التأييد من المديريات الى المعتمد البريطانى (١٤) .

واكب انشاء **نظارة الأوقاف** اقامة نظارة للزراعة ، وكان قد تم انشاء **ادارة للزراعة** كاحدى الادارات الملحقه بنظارة الاشغال العمومية منذ عام ١٩١٠ ، وقد أثبتت هذه الادارة اهميتها الهائلة خلال السنوات القليلة التى أعقبت قيامها مما دعا الى اتجاه النية الى استصدار القرار بتحويلها الى نظارة فى يناير ١٩١٤ (١٥) .

ولكن ومع صدور القرار الخاص بقيام نظارة الأوقاف روعى ان الفرصة مناسبة ليصدر فى نفس الوقت القرار الخاص بانشاء نظارة الزراعة والذي صدر فعلا فى اليوم نفسه وكان نصه ..

أمر عال **بانشاء نظارة الزراعة**

« نحن خديو مصر

» بعد الاطلاع على الأمر العالى الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بتوزيع مصالح الحكومة بين النظارات .

وبعد الاطلاع على القانون نمرة ٣٤ لسنة ١٩١٠ بانشاء مصلحة للزراعة .

وبما ان رغائبنا متجهة على الدوام الى البحث والتنقيب عن كل الوسائل التى تؤدى الى ازدياد الثروة فى هذه البلاد .

ونظرا للحالة الخاصة بهذا القطر الذى هو قطر زراعى بطبيعته بحيث يجب بذل أقصى الاهتمام بتنظيم أعمال مصلحة الزراعة وتوسيع نطاقها ، حتى يكون لها أثر فعال فى السير بالبلاد فى طريق الرفاهية والارتقاء أكثر من ذى قبل .

فبعد موافقة رآى مجلس النظار

أمرنا بما هو آت **المادة الاولى**

تكون مصلحة الزراعة نظارة يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة .

F.O. 407/181 No. 31 Kitchener to Grey. Nov. 21, 1913 Desp. (١٤)
No. 129.

F.O. 407/181 No. 29 Kitchener to Grey. Nov. 15, 1913 Tel. No. 108. (١٥)

المادة الثانية

على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا ، ويكون العمل به بمجرد نشره في الجريدة الرسمية .

صدر بسرأى القبة في ٢١ ذى الحجة ١٣٣١ (٢٠ نوفمبر ١٩١٣) « .

عباس حلمى

بأمر الحضرة الخديوية — رئيس مجلس
النظار

محمد سعيد (١٦)

ومع ما استهدفه انشاء « نظارة الزراعة » من مصلحة عامة الا انه كان من ناحية أخرى مظهرا لزيادة النفوذ البريطانى فى الادارة المصرية فقد تم تعيين بريطانيين فى أهم المناصب حساسية فى النظارة الجديدة : هاينز J. Haines سكرتيرا مساعدا للنظارة ، ودوديغبون G. Dudgeon مستشارا فنيا لها ، بالإضافة الى أن ناظرها « محمد محب باشا » قد اختير من جانب المعتمد البريطانى لما رآه فيه من « حيوية وذكاء كبيرين أبداهما فى كثير من أمور الاصلاح فى مديرية الغربية التى ظل يديرها لعدة سنوات (١٧) » .

وكان حصيلة هذه التغييرات فى **الشكل** أن زاد حجم النظارة المصرية من ست الى ثمانى نظارات .

أما عن **التشكيل** فانه مع تفكك وحدة السلطة نتيجة لعودة سياسة الشقاق كان من الطبيعى أن ينعكس ما أصاب العلاقات بين سائر الأطراف السياسية فى مصر من تغير على « تشكيل النظارة » مما تسبب فى النهاية فى سقوط نظارة سعيد باشا الذى تأسست على عهد الوفاق فى أبريل عام ١٩١٤ .

والواقع أنه قد ترتب على « عودة الشقاق » موقف لا يحسد عليه محمد باشا سعيد أو نظارته .

فالرجل قد تولى رئاسة النظارة بعد اغتيال بطرس باشا غالى انطلاقا من الأيمان بقدرته على مواجهة الموقف الصعب الذى ترتب على هذا الاغتيال بحكم علاقته الطيبة بسائر أطراف الصراع السياسى خاصة الخديوية من جانب والحزب الوطنى من جانب آخر (١٨) .

(١٦) الوثائق المصرية — العدد ١٢٠ فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٣ .

(١٧) F.O. 407/181 No. 32 Kitchener to Grey. Nov. 22, 1913 Desp. No. 130.

(١٨) F.O. 407/182 No. 21 Kitchener to Grey. March. 28, 1914 Desp.

No. 55 Conf.

ولكن مع مجيء كتشنر وفتور العلاقات بين القصرين ، عابدين والدوبارة ، كان لابد لرئيس النظار أن يتخذ جانبا في سائر مواقف الصراع التي نشبت ، وقد اختار سعيد باشا الجانب الأقوى ، يتضح ذلك من موقفين محددين :

١ — مسألة خط حديد مريوط :

ذلك انه بعد يومين فقط من وصول كتشنر الى القاهرة ليتولى منصبه الجديد شنت ايطاليا حربها بهدف الاستيلاء على طرابلس مما شغل المعتمد البريطاني الجديد سعيا لتأمين حياد مصر خلال هذه الحرب التي انتهت بتوقيع معاهدة « أوشى لوزان » بين ايطاليا والدولة العثمانية في أكتوبر عام ١٩١٢ .

وبالرغم من الانسحاب العثماني فان حركة الكفاح ضد الوجود الايطالي قد اشتدت يحمل لواءها « أحمد السنوسي الكبير » مما دعا الايطاليين الى عرض شراء خط حديد مريوط الذي كان يمتلكه الخديو منذ ١٨٩٩ — والذي كان يمتد غرب الاسكندرية بمسافة ٢٨٠ كيلومترا — بهدف منع وصول الامدادات التركية عن طريقه الى السنوسيين في الداخل وقد رحب الخديو بالعروض الايطالية (١٩) .

ولكن كتشنر على الجانب الآخر رفض أى صفقات من هذا النوع تؤدي الى تدعيم النفوذ الايطالي في اراضي مصر الغربية ، وقد التزمت النظارة السعيدية بنفس موقف كتشنر وقدمت اعتراضها على مفاوضات الخديو مع بنك روما على أساس انه يبيع ما لا يمتلكه لأن الخط الحديدي قد تم بناؤه على أرض تملكها الحكومة المصرية (٢٠) .

وأعقب ذلك أن تقدمت سلطات الاحتلال بتحذير حاد للخديو تبعه استسلام عباس وبيع الخط الحديدي الى الحكومة المصرية بمبلغ ٣٩٠ ألف جنيه ، ويقول أحد رجال الخديو انه — أى الخديو — قد رأى « أن هذه الصفقة لم تأت بالربح المناظر لأن محمد سعيد باشا رئيس النظار لم يساعده فيها فحنق عليه لذلك (٢١) » .

٢ — أزمة انشاء نظارة الاوقاف :

فقد وضع خلال تلك الأزمة الموقف المنحاز تماما من جانب سعيد باشا للمصلحة العامة وذلك خلال الجلسات التي عقدها الخديو مع مجلس النظار لبحث الموقف في أعقاب تقديم المعتمد البريطاني لانهذاره لعباس الثاني .

(١٩) د. جمال زكريا قاسم : موقف مصر من الحرب الطرابلسية — المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٣ (١٩٦٧) ص ٢٢٢ — ٢٢٣

Lloyd : Op. Cit. p. 171.

(٢٠)

(٢١) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٣٠٩ .

أكثر من ذلك يذكر كitchener في إحدى رسائله السرية للغاية لوزارة خارجية البريطانية أن العمل خلال تلك الأزمة ضد الخديو كان يتم بتنسيق كامل بينه من ناحية وبين كل من رئيس النظار وناظر الحقانية من ناحية أخرى (٢٢) .

* * *

وكذلك وقف محمد سعيد باشا موقف المساندة للاحتلال في بعض القضايا الأخرى وبنوه المعتمد البريطاني في هذا الشأن بجهود سعيد باشا خلال الحرب الطرابلسية ثم خلال حرب البلقان ، ويرى أنه قد فعل كل شيء من أجل تهدئة الرأي العام وكسر حدة التعصب وذلك باستغلاله لعلاقاته الوثيقة مع كبار المشايخ من ناحية ومع بعض العناصر الوطنية من ناحية أخرى (٢٣) .

ولكن تحول رئيس النظار والتزامه بموقف المساندة للسلطة الفعلية لا يعنى أن أعضاء نظارته ممن تم اختيارهم في ظروف سياسة الوفاق قد سايروه ، وتمخض عن ذلك أن أصاب **الوحدة النظرية** التي كانت قائمة قبل مجيء كitchener تشققات عديدة ، ويبدو أن هذا الأخير لم يتفهم حقيقة الظروف التي نتجت عنها هذه التشققات وأن كان قد سجل في كتاباته أنه منذ مجيئه « وسعيد باشا » يسمح لنفسه بالدخول في صراعات مع زملائه النظار (٢٤) .

* * *

يبقى بعد ذلك العلاقة مع المؤسسات السياسية الأخرى ، فقد واجهت النظارة البعديّة على عهد الشقاق نوعاً جديداً من العلاقات أثر في استقرارها أشد التأثير مما يمثل في علاقاتها مع « الجمعية التشريعية » التي تم تكوينها وقتذاك (١٩١٣ - ١٩١٤) .

ذلك أنه مع نمو العمل الحزبي ونجاحه في أن يفرض وجوده بشكل مؤثر على المجالس شبه النيابية القديمة (الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين) فقد سعى كitchener إلى القضاء على هذه المجالس وإحلال مجلس جديد واحد محلها — هو الجمعية التشريعية — مستهدفاً من وراء ذلك العمل إضعاف موقف طبقة كبار الملاك فيها ، عماد العمل الحزبي واستبدالها بمتوسطى وصغار ملاك الأراضي الزراعية (٢٥) .

وسعيًا وراء تحقيق هذا الهدف فقد تضمن قانون الجمعية التشريعية تغييرين :

F.O. 407/181 No. 28 Kitchener to Grey. No. 21, 1913 Desp. No. 126 (٢٢)
Very Conf.

F.O. 407/182 No. 21 Kitchener to Grey, March 28, 1914 Desp. (٢٣)
No. 55 Conf.

F.O. 407/178 No. 146 Kitchener to Grey, April 14, 1912 Desp. (٢٤)
No. 41.

Ibid.

(٢٥)

١ — توسيع قاعدة التصويت فبلغ عدد المقيدین في جداول الانتخابات الجديدة ٢ مليون مصرى .

٢ — التوسع في الصلاحيات الاستشارية عما كان للمجلسين القديمين فأصبح من حق الجمعية تأخير أى قانون ، كذا عقد لجان مع الممثلين الحكوميين في أى مسألة محل خلاف ، وحق مساءلة الحكومة تحريرا وشفاهة ، بالإضافة الى حق تقديم اقتراحات القوانين لتعبر بها عن رغبات ممثلى الشعب (٢٦) .

وكان وراء التوسع في الصلاحيات الاستشارية الرغبة في اضعاف الأهمية على الطبقات الجديدة التى تصور المعتمد البريطانى انها ستدخل الجمعية التشريعية مما يضعف من الدور السياسى الذى استمرت تقوم به طبقة كبار الملاك في معارضة الاحتلال خلال السنوات السابقة .

ولكن أتت النتيجة مخيبة تماما للآمال الانجليزية ذلك أن نفس الطبقة التى استهدف الاحتلال ابعادها قد دخلت الجمعية التشريعية أيضا ولكن بقدر أكبر من الشعبية وفره لها اتساع قاعدة التصويت وقدر أكبر من الصلاحيات وفره لها القانون الجديد يدل على ذلك طبيعة المناقشات الحادة التى حفلت بها جلسات الجمعية التى بدأت منذ ٢٢ يناير ١٩١٤ (٢٧) .

وقد أثرت هذه النتيجة على نظارة « محمد سعيد » التى كان عليها أن تواجه كتلة معارضة قوية يزعمها « سعد زغلول » ناظر الحقانية السابق ووكيل الجمعية المنتخب والتى دأبت على احراج النظارة السعيدية بمختلف الوسائل يدعمها في ذلك اهتمام واضح من قطاعات عريضة من المصريين وامكانيات لمساءلة النظار لم تكن متوفرة لدى المجالس الشورية السابقة (٢٨) .

ومن الواضح أن « النظارة » بافتقارها للوحدة من ناحية وباخفاق رئيسها عن محاجة سعد وأنصاره من ناحية أخرى قد سجلت عجزا بالغا في مواجهة الموقف الجديد ، وقد أدرك المعتمد البريطانى في القاهرة هذه الحقيقة مما دعاه الى أن يشكو من فشل محمد باشا سعيد « في التعامل مع الجمعية التشريعية » وذلك بعد حوالى شهرين فقط من قيام هذه الجمعية (٢٩) .

وكان منتظرا والأمر على هذا النحو أن ينقضى عمر النظارة السعيدية الذى امتد لأربع سنوات .

(٢٦) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية في مصر من ١٨٧ — ١٨٨ .

(٢٧) انظر الجمعية التشريعية ، مجموعة محاضر دور الاعتقاد الاول ١٩١٣ — ١٩١٤ القاهرة ١٩١٤ .

(٢٨) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول — دوره في السياسة المصرية حتى ١٩١٤ من ١٩١ — ص ٢١٤ .

(٢٩) F.O. 407/182 No. 21 Kitchener to Grey, March 28, 1914 Desp. No. 55 Conf.

٢١ - نظارة حسين رشدي باشا الاولى ٥ ابريل - ١٩ ديسمبر ١٩١٤ :

في ٢٣ مارس ١٩١٤ وفي لقاء بين الخديو عباس الثاني وبين اللورد كتشنر اعرب الاول عن أن النظارة السعيدية قد فقدت ثقته تماما وعن رغبته في تغييرها في أقرب وقت ممكن .

وبنفس الخطة التي استخدمها من قبل لتغيير نظارة نوبار باشا عام ١٨٩٥ (٣٠) اقترح مصطفى باشا فهمي - نفس الرجل الذي اقترحه من قبل - كبديل لرئيس النظارة المرغوب في التخلص منه وذلك لاغراء سلطات الاحتلال على قبول التغيير (٣١) .

وكان أمام دار المعتمد البريطاني والخارجية في لندن احتمالان :

اولهما :

بقبول مطلب عباس الثاني على أساس وجود بعض المسائل المعلقة ومقتذاك مع استنبول مما خلق الرغبة في العزوف عن أي تعقيدات مع الخديوية المصرية يمكن أن تمنح فرصة لتدخل عثمانى (٣٢) .

ثانيهما :

برفض مطلب قصر عابدين على ضوء أنه متأثر أساسا بالأهواء الشخصية بالإضافة الى الاحتمالات التي يمكن أن تترتب على اقالة النظارة في وقت تتزايد فيه معارضة الجمعية التشريعية ويتزايد فيه تأثيرها مما يمكن أن يؤدي الى اضطرابات تعاني منها السلطة (٣٣) .

ونتيجة لعدم امكان المفاضلة بين الاحتمالين فقد أعد المعتمد البريطاني بالاشتراك مع مستشاري المالية والداخلية ردا رسميا على الطلب الخديو كان هذا نصه :

« ان تغييرا واحدا يمكن قبوله والترحيب به وهو ذلك الخاص بمصطفى باشا .

« ولكن الحكومة البريطانية التي استشرتها برقياسا - بناء على رغبة سموكم لا ترى ان المصلحة العامة تستدعي التغيير المطلوب في الوقت الحالي، وقد طلب مني ابلاغ سموكم ان الحكومة البريطانية ترى أن عليكم الأخذ بنصيحتها في مثل هذا الأمر .

(٣٠) انظر الفصل الثاني من هذا الباب .

(٣١) F.O. 407/182 No. 16 Kitchener to Grey, March 23, 1914 Tel. No. 22. (٣١)

(٣٢) F.O. 407/182 No. 17 Grey to Kitchener, March 25, 1914 Tel. No. 22. (٣٢)

(٣٣) F.O. 407/182 No. 16 Kitchener to Grey, March 23, 1914 Tel. No. 22. (٣٣)

« من ناحية أخرى فانه يلزم مرور بعض الوقت حتى يستطيع مصطفى باشا أن يستعيد صحته كاملة ويتحمل أعباء المنصب .

« وفي هذه الظروف فلا يمكن سوى تأجيل مطلب سموكم (٢٤) » .

وقد عبر كitchener عن رأيه في الموقف فبعث الى لندن يقول « عندما حضرت الى مصر وجدته — أى سعيد باشا — في منصبه وقدمت له كل معونة ممكنة لإدارة شئون البلاد . ولكن مع الوقت تزايدت لدى مشاعر عدم الاطمئنان نحو طريقته في الإدارة مما أضعف من رغبتى في تقديم كل المعونة القلبية التى كنت أمنحها له من قبل (٢٥) » .

كما أن تأجيل الاستجابة لمطلب الخديو كان يستهدف قبل أى شىء إفهام عباس حقيقة لم تغب وهى أن ما تقرر منذ عام ١٨٩٣ من أن تغيير النظارة إنما يتم بإرادة الاحتلال لم يزل قائما وأن ما حدث على عهد الوفاق من ترك حرية الاختيار لقصر عابدين لا يعنى أن السلطات الاحتلالية قد تخلت عما خولده لنفسها من حق التغيير أو الاختيار .

على أى حال فإن هذا التأجيل لم يستمر طويلا ، فقبل أن ينتهى نفس الشهر — مارس ١٩١٤ — كان قد تم الاتفاق بين السلطتين الفعلية والشرعية على أن تبدأ كل منهما مشاوراتها مع مصطفى فهمى باشا لتشكيل النظارة الجديدة وذلك فى أعقاب العودة المنتظرة لمصطفى باشا من رحلته للاستشفاء فى الصعيد فى أوائل الشهر التالى (٢٦) .

الا أن أكثر من عقبة حالت أخيرا دون تشكيل رجل الاحتلال العتيـد مصطفى فهمى لنظارته الرابعة التى لم يقدر له أن يشكلها قط .

العقبة الأولى : استمرار سوء الحالة الصحية للرجل فقد اشترط أطباؤه لقبوله رئاسة النظارة أن يتولاها فقط ولا يتولى معها أعباء أى نظارة أخرى ، كما اشترطوا أيضا أن يقوم بكافة أعماله من منزله (٢٧) .

العقبة الثانية : رغبة مصطفى باشا فى إطلاق يده فى تشكيل النظارة الجديدة ، وقد رفض فى هذا الصدد ما أوصت به دار المعتمد البريطانى من إشراك ناظرين هما حشمت باشا ومحب باشا فى هذه النظارة (٢٨) .

وبالرغم من كل المحاولات التى بذلها السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية لاقتناع مصطفى فهمى باشا بالاستجابة للمطالب الانجليزية فانها لم تثمر

F.O. 407/182 No. 18 Kitchener to Grey, March 27, 1914 Tel. No. 23. (٢٤)

F.O. 407/182 No. 21 Kitchener to Grey, March 28, 1914 Desp. (٢٥)
No. 55 Conf.

Ibid.

F.O. 407/182 No. 23 Kitchener to Grey, April 5, 1914 Tel. No. 25. (٢٦)

Lloyd : Op. Cit. p. 173. (٢٧)

(٢٨)



حسين رشدي باشا

— ابن محمود حمدي باشا طبوزاده محافظ القاهرة
ووكيل الداخلية .

— أتم تعليمه في السربون حيث حصل منها على شهادة
الحقوق وعاد للقاهرة ليفتح مكتباً للمحاماة نال شهرة
طيبة .

— عمل مفتشاً للغات الأجنبية في نظارة المعارف ثم
قاضياً في المحاكم المختلطة فبرز فيها .

— تولى نظارة الحقانية في نظارة بطرس غالي ١٩٠٨ ثم
تولى نظارة الخارجية في نظارة محمد سعيد ١٩١٠ حتى
خرج سعد زغلول من الحقانية فعاد إليها حتى تشكيل
نظارته الأولى في ٥ أبريل ١٩١٤ .

جميعا مما دعا سلطات الاحتلال الى الاعتقاد بأن رجلها القديم واقع تحت تأثير زوج ابنته سعد باشا زغلول (٣٩) أو على الأقل قد منح وعدا للآخر بعدم ادخال الناظرين المذكورين (٤٠) .

على ذلك فقد تقرر البحث عن رئيس جديد للنظار وكان أمام سلطات الاحتلال والخديو مرشحان من أعضاء نظارة سعيد باشا ، سرى باشا ناظر الأشغال العمومية ورشدى باشا ناظر الحفانية .

والأول وان كان يتميز بالولاء للوجود الاحتلالى بالاضافة الى كفاءة تشهد له بها المعتمد البريطانى فى القاهرة الا أنه كان رجلا فنيا لا يصلح للعمل السياسى .

أدى ذلك الى ترجيح كفة حسين باشا رشدى الذى زكاه المعتمد البريطانى بقوله أنه « قانونى قدير ومحدث لبق مما يصلح معه لمواجهة الموقف الحالى » .

وتبع موافقة رشدى على رئاسة النظارة الجديدة تأليفها وقد ضمت من الشخصيات الجديدة « عدلى باشا يكن » الوكيل المعين للجمعية التشريعية، واسماعيل صدقى وعبد الخالق ثروت اللذين تم اختيارهما « لأنهما من أقدر الرجال وسوف يقوى وجودهما الوزارة بالاضافة الى انهما من المتحدثين المفيدى فى الجمعية التشريعية حيث تتعرض الحكومة لهجمات المعارضة (٤١) » .

لم يبق بعد ذلك سوى موافقة الخديو وموافقة الخارجية البريطانية اللتين تم الحصول عليهما (٤٢) وصدر الأمر العالى بتشكيل النظارة ، الجديدة على النحو الآتى :

أمر عال (٤٣)

بتشكيل النظارة الجديدة

« نحن خديو مصر »

« بعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس النظار .

Storrs, Ronald : Orientations pp. 117 — 118.

(٣٩)

F.O. 407/182 No. 23 Kitchener to Grey, April 5, 1914 Tel. No. 25. (٤٠)

F.O. 407/182 No. 23 Kitchener to Grey, April 5, 1914 Tel. No. 25. (٤١)

F.O. 407/182 No. 23 Grey to Kitchener, April 6, 1914 Tel. No. 23. (٤٢)

(٤٣) الوقائع المصرية — العدد ٤٢ فى ٥ أبريل ١٩١٤ .

أمرنا بما هو آت المادة الأولى

« عين :

- حسين رشدي باشا
- واسماعيل سري باشا
- وأحمد حلمي باشا
- ويوسف وهبه باشا
- ومحمد محب باشا
- وعدلي يكن باشا
- وعبد الخالق ثروت باشا
- واسماعيل صدقي باشا
- ناظرا للداخلية
- ناظرا للأشغال العمومية والحربية والبحرية
- ناظرا للمعارف العمومية
- ناظرا للمالية
- ناظرا للأوقاف
- ناظرا للخارجية
- ناظرا للحقانية
- ناظرا للزراعة

المادة الثانية

« على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا

« صدر بسراي عابدين في ٩ جمادى الأولى (١٣٣٢ — ٥ ابريل — ١٩١٤)

عباس حلمي
بأمر الحضرة الخديوية
رئيس مجلس النظار
حسين رشدي

ولم يمض وقت طويل على تشكيل هذه النظارة حتى سافر الخديو في مايو الى الخارج وكانت رحلته الأخيرة التي لم يعد بعدها الى مصر .

على أي حال فإن تلك المدة القصيرة من ناحية ورحيل كتشفر بعده من ناحية أخرى ثم تفجر الحرب العالمية الأولى بعد ذلك بشهور قليلة من ناحية ثالثة قد آذن بدخول مصر في مرحلة تاريخية جديدة مما جعل نظارة حسين رشدي آخر عهد البلاد بالنظارات (١) .

الباب الثالث

الوزارة تحت الحماية

١٩١٤ - ١٩٢٢

الفصل الأول

الوزارة أثناء الحرب العالمية الأولى

تبدو الوزارة المصرية طوال السنوات الاربع الممتدة بين اعلان الحماية (ديسمبر ١٩١٤) ونهاية الحرب الاولى (نوفمبر ١٩١٨) وكأنها قد تمتعت بقدر كاف من الاستقرار ، وبقدر قليل من الحركة .

ذلك أنه لم يحدث خلال هذه السنوات سوى أن « حسين باشا رشدي » رئيس آخر وزارات عهد الاحتلال قد أعاد تأليف وزارته مرتين . مرة مع اعلان الحماية في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ، ومرة ثانية مع وفاة السلطان حسين وتولية خلفه السلطان أحمد فؤاد في ١٠ أكتوبر ١٩١٧ .

وفي المرتين فإن الوزارة قد تألفت على نحو مطابق لما كانت عليه قبل ذلك فيما عدا « محمد محب باشا » ناظر الأوقاف الذي كان بصحبة الخديو عباس في استنبول بعد خلعه وبقي فيها .

ويظهر الأمر على هذا النحو وكأن الوزارتين اللتين الفهما رشدي خلال الحرب امتداد لوزارته الأولى قبلها ، ومن ثم لا يزيد الأمر عن أن يكون تغييرا شكليا استلزمته ظروف تغير الوضع القانوني بعد اعلان الحماية عام ١٩١٤ وظروف وفاة سلطان وتولية آخر عام ١٩١٧ .

الا أن النظر لتاريخ الوزارة المصرية في تلك السنوات بهذه البساطة يسلبها من كل مضمون حركي مما يفقد هذا التاريخ موضوعيته ، ذلك أن التنفيذ تحت سطح الأحداث يؤكد أن الوزارة المصرية قد شهدت حركة متنوعة وممتدة خلال هذه الفترة .

من حيث النوعية فقد بدأت الوزارة في تغير سماتها قبل شهور من اعلان الحماية ، وعلى وجه التحديد في أغسطس ١٩١٤ ، ففي هذا الشهر وجد رئيس النظارة المصرية حسين باشا رشدي نفسه في موقف لم يواجهه رئيس نظار من قبل ، ذلك أنه لأول مرة منذ الاحتلال البريطاني للبلاد عام ١٨٨٢ بدأ واضحا أن السلطات الثلاث التي ظلت تتحكم في مصر كل تلك السنوات على حافة صدام مصير .

والسلطات الثلاث التي نعنيها هي السلطة الفعلية المثلة في الاحتلال البريطاني ، والشرعية ممثلة في الخديوية ، والقانونية ممثلة في الدولة العثمانية .

أما ما نعنيه بصدام المصير فهو ما اتضح بعد تفجر الحرب في أغسطس ١٩١٤ من أن إحدى هذه السلطات القانونية تنوى الدخول في الصراع القائم ضد سلطة أخرى (الفعلية) ومن أن ممثل السلطة الثالثة (الخديو) ينوى أن يتخذ جانب السلطة الأولى في الصراع المنتظر .

حقيقة لم تخلو السنوات السابقة من صدامات مستمرة بين السلطات الثلاث إلا أنها كانت في النهاية صدامات محدودة تستهدف من كل جانب تدعيم نفوذه على حساب الجانب الآخر كما حدث خلال ١٩٠٦ في أزمة العقبة بين السلطتين القانونية والفعلية أو ما حدث على طول عهدي الشقاق

بين السلطتين الشرعية والفعلية (١) ، ولكن لم تصل الأمور أبدا إلى **صدام المصير** كما حدث بدخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب دول الوسط ضد بريطانيا وبالتزام الخديو عباس الثانى بمساندة العثمانيين فى حربهم عموما وضد الوجود البريطانى فى مصر على وجه الخصوص .

وكان من الطبيعى أن يصحب هذا الصدام ويترتب عليه آثار بالغة الأهمية على الوزارة المصرية ، فقد وجدت وزارة حسين رشدى الأولى — القائمة آنذاك — نفسها متحررة من ارادة القصر مشتركة فى تشكيل مستقبل مصر ، ومن ثم تصورت أن لها أن تلعب دورا لم تلعبه نظارة سابقة فى تقرير مصير البلاد السياسى .

ولا شك أنه كان لهذا التصور أسبابه . .

فمن ناحية رأت الوزارة نفسها القوة المحلية الوحيدة الباقية على المسرح السياسى فى فترة التغيير المصرى التى واجهت البلاد ، وذلك بعد أن اختفت سائر القوى . . الخديو فى استنبول وقد بدأ واضحا إنه لن يعود إلى القاهرة بحال ، وقد تأكدت رغبة الاحتلال فى التخلص منه ، ثم **الجمعية التشريعية** فى غير دورة انعقادها وكل الظروف — خاصة ما تعلق منها بالحرب — تشير إلى أنها لن تعقد دورة أخرى على الأقل طوال فترة الحرب القائمة ، وأخيرا **الحركة الوطنية** قد وهنت قواها ولم تعد أى مجموعة من مجموعات أو أى حزب من الأحزاب السياسية قادرة أو قادرا على أن يقوم بأى دور فعال يجعل بالإمكان استشارته أو دخوله كطرف من أطراف تقرير المصير .

ومن ناحية أخرى فقد وعت الوزارة أن السلطة الاحتلالية لن تتمكن من القيام منفردة بالتغيير المترتب على صدام المصير ، ذلك أن الانفراد بالتغيير سيؤدى فى النهاية إلى وقوع هذه السلطة فى محاذير عديدة كانت حريصة بالقطع على توقيها ، ولعل أهم هذه المحاذير ما يمكن أن يترتب على هذا الانفراد من ردود فعل اسلامية واسعة بين الجماهير المصرية خاصة وأن تقرير المصير سيتبعه الفصل بين مصر ودار الخلافة الاسلامية هذا من جانب . . ثم من جانب آخر فإن المد الاسلامى فى مصر كان قد شهد ارتفاعا واضحا قبيل الحرب وذلك خلال الاشتباكات العثمانية — الإيطالية فى طرابلس بعد ما أصابه من تقلص واضح فى أعقاب سيطرة الاتحاديين على الحكم فى استنبول ١٩٠٨ — ١٩٠٩ .

ويبدو الالماس الواسع من جانب رشدى باشا رئيس النظار بكل حقائق المواقف السابقة عندما تقدم فى أواخر أكتوبر ١٩١٤ — فى حديث شخصى مع جراهام مستشار الداخلية وفى حديث رسمى مع شيتام القائم بأعمال المعتمد البريطانى فى القاهرة آنذاك . . تقدم مطالبا بأن يقترن قيام الحرب بين بريطانيا وتركيا باعلان اجراء واسع للحكم الذاتى فى مصر . ثم لوح

(١) انظر الفصلين الثانى والرابع من الباب الاول .



السلطان حسين كامل

بأن بقاءه هو وزملاءه في الوزارة وتعاونهم مع الوجود البريطاني سوف يتقرر بناء على طبيعة هذا الاعلان . وقال انه « يستطيع أن يبقى في منصبه لأطول فترة ممكنة طالما يحكم برضاء المصريين وليس بقهرهم وانه يخشى أن ينمو شعور ديني موال لتركيا في حالة عدم الوعد بالحكم الذاتي (٢) » .

ويقدر الطرف البريطاني من جانبه حقائق الموقف ويحث شيتام حسين رشدي باشا والوزراء على الاستمرار في مناصبهم (٣) ويوافق هؤلاء بشرط إرسال مذكرة رسمية الى رئيس الوزراء تتضمن اعلانا قصيرا من القائد العام بقيام الحرب مع تركيا وأن بريطانيا تتحمل كل مسؤولية بالدفاع عن البلاد ، وأن يرد رئيس الوزراء على هذه المذكرة بقبوله هو وزملاءه مسؤولية الادارة المدنية (٤) .

ويتضح من ذلك أن الوزارة باعتبارها القوة المحلية الوحيدة الباقية في مصر بأحاساسها بالموقف الذي لم تواجهه وزارة من قبل رأت أنها تستطيع من خلال هذا الموقف أن تبادر وأن تطلب بل وأن تهدد بالبقاء أو بالخروج .

والحقيقة فان رشدي باشا قد حاول أن تستفيد مصر من هذا الموقف بتوسيع قاعدة الاستقلال المصري ، فقد رأى أن التخلص من السيادة العثمانية يقدم لمصر فرصة معقولة للتخلص من أحد ساداتها وما يمكن أن يصاحب هذا من تأثير بالإيجاب نحو تحقيق مزيد من اسباب الاستقلال للبلاد ولكن على الجانب الآخر فان بريطانيا لم تشارك رئيس الوزارة المصرية نظرته ورأت أن ابعاد الدولة العثمانية عن المشاركة في السيادة على مصر يجب أن يحسب قبل أي شيء لرصيد النفوذ البريطاني فيها ، وكما جاء في أحد التقارير البريطانية المكتوبة في أول سبتمبر ١٩١٤ من أنه سيترتب على الوضع الجديد « أن الوزراء سيكونون أكثر اعتمادا على الاحتلال ولن يتمزقوا بينه وبين القصر كما كانوا خلال العام السابق » (٥) .

وقد ترتب على ذلك أن تضمن قرار اعلان الحماية الصادر في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ذلك الوعد الباهت « بسرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي » (٦) .

حقيقة أن رشدي باشا لم يبلغ اهدافه بالحصول على وعد قاطع بالاستقلال الذاتي الا أنه على الجانب الآخر فان الوزارة قد أكدت ذاتيتها خلال فترة الصراع التي سبقت اعلان الحماية ، ذلك أن بريطانيا لم تستطع الاستغناء عن الوجود الوزاري رغم الموقف المتصلب نوعا الذي وقفه رشدي باشا منها وقد كان من أهم اسباب عزوف المسؤولين البريطانيين عن اتخاذ القرار « بالضم » بديلا عن القرار « بالحماية » ما جاء في أحد تقارير المسئول

(٢) F.O. 407/183 No. 29 Cheetham to Grey Oct. 30, 1914 Tel. No. 232.

(٣) Ibid No. 37 Cheetham to Grey Nov. 3, 1914 Tel. No. 239.

(٤) Ibid No. 39 Cheetham to Grey Nov. 5, 1914 Tel. No. 244.

(٥) Ibid No. 7 Cheetham to Sir E. Crowe Sept. 1, 1914.

(٦) نص القرار في : هـ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٦٨ — ٧٢ .

البريطاني الأول في القاهرة وقتذاك — المسنر شيتام — من « أن مخاطر جسيمة ستترتب على عدم الحكم بوساطة الوزراء من تقطع أسباب الاتصال مع العناصر الدينية ، ممن يمكن أن تؤدي أعمالهم في المستقبل الى مناعب خطيرة قد لا يمكن مواجهتها » (٧) .

وكان هذا التأكيد بداية لتغير جلد الوزارة من الطبيعة الادارية الى الطبيعة السياسية مما تأكد بعد ثورة ١٩١٩ ، ويمكن العثور بامتداد السنوات الأربع فترة الحرب على أكثر من علامة في طريق هذا التغير .

من هذه العلامات ذلك الدور الذي لعبه رشدي باشا رئيس الوزراء وعدلى يكن زميله في الوزارة في المفاوضات التي جرت خلال سبتمبر ١٩١٧ أثناء مرض السلطان حسين كامل لنقل حق وراثة العرش من الأمير كمال الدين ابن السلطان الى الأمير أحمد فؤاد أخيه (٨) .

ومنها أيضا مطالبات رئيس الوزراء المستمرة بالاقرار السريع لمسألة وراثة العرش وهي من المسائل التي تركت معلقة مع اعلان الحماية وكان آخرها مطالبته في أغسطس ١٩١٧ (٩) .

ومنها كذلك مذكرات رشدي باشا المتتالية بالمطالبة بايجاد « جنسية مستقلة » للمصريين حتى جاءه الرد من لندن في يولييه ١٩١٧ بأن هذا الطلب سيكون محل الاعتبار بعد الحرب (١٠) .



مع كل تأثير الأوضاع الجديدة على « الوزارة » ودورها في الحياة السياسية فان الوجود الاحتلالي ظل حريصا على أن تكون له الكلمة الأخيرة في كل مايتعلق بهذه المؤسسة من مؤسسات السلطة في البلاد : أكثر من ذلك ان ممثلى بريطانيا في القاهرة قد راوا ان اعلان الحماية لابد ان يصحبه مزيد من تشديد القبضة على الوزارة وهو ما عبر عنه ممثل المعتمد البريطاني في مصر من انه « مع الحفاظ على المؤسسات المصرية قائمة بدون تغيير فانه يجب أن تزداد السيطرة البريطانية عليها » (١١) .

وقد عبر البريطانيون عن سياستهم هذه رسميا أثناء المفاوضات التي جرت بينهم وبين الأمير حسين كامل بهدف توليته العرش خلفا لأخيه فقد .

(٧) د. يوانان لبيب رزق ، قضية الحماية البريطانية على مصر — السياسة الدولية — العدد ٢٨ ، ص ١٠٢ .

(٨) F.O. 407/183 No. 122 Wingate to Balfour Sept. 24, 1917.

(٩) Ibid No. 116 Wingate to Balfour, Aug. 19, 1917 Desp. No. 184 Secret.

(١٠) Ibid No. 107 Hardinge to Wingate, July 25, 1917 Private.

(١١) F.O. 407/183 No. 68 Cheetham to Grey Dec. 2, 1914 Tel. No. 300 Urgent.

أبلغوا الأمير وبوضوح — على حد تعبير أحد التقارير البريطانية — بأن حكومة لندن « تنظر الى مسألة تعيين الوزراء كمسألة من الضرورى أن يؤخذ فيها رأيها خاصة بالنسبة لمسئوليتها عن المصالح الأجنبية في مصر التى يمكن أن تتأثر بشكل الحكومة » (١٢) .

ومع ما يبدو من أن هذا التبليغ لم يصف كثيرا الى السلطة التى ظل يتمتع بها الوجود الاحتلالى الا أن الممارسة أكدت ان المحتلين قد فرضوا كل السيطرة على حركة الوزارة المصرية ، فمثلا كان الجالس على العرش يستطيع التخلص من وزرائه أو بعضهم عند حدوث المتناقضات الحادة بين الطرفين فجاء العهد الجديد وحرمه من ممارسة هذا الحق بدون إذن بريطانى كما حدث فى الأزمة المعروفة بأزمة فتحى باشا مما سيكون محل دراسة فى هذا الفصل .



أثر أيضا اعلان الحماية على بنية الوزارة المصرية التى تقلصت بالغاء وحدة من أهم وحداتها واحد رموز السيادة الوطنية المصرية وهى نظارة الخارجية المصرية .

تبدو أهمية هذه الوزارة من أكثر من حقيقة : منها أن شاغلها كان غالبا ما يصبح رئيس النظار التالى (١٣) ، من ناحية أخرى فان توسيع اختصاصات هذه النظارة ظل مرتبطا بتوسيع قاعدة الاستقلال المصرى مما أصبحت معه رمزا لهذا الاستقلال ، ومن ثم فان الغاءها مع كل تأثيره على الشكل الوزارى فانه كان بمثابة طعنة لآمال الحرية المصرية مما يكسب هذا الالفاء كل أهمية .

وقد واكب التفكير فى الحماية التخطيط لالفاء نظارة الخارجية فكما جاء فى إحدى برقيات وزير الخارجية البريطانى الى القاهرة فى منتصف أكتوبر ١٩١٤ « ان اعلان الحماية يحتم اشرافنا على العلاقات الخارجية المصرية » (١٤) .

ومع اتفاق رجال الوكالة البريطانية فى القاهرة مع حكومتهم على الاشراف البريطانى على العلاقات الخارجية المصرية فانهم قد تقدموا بعدة اقتراحات للتنفيذ على النحو الآتى :

١ - ان تتم الاتصالات بين الحكومة المصرية وبين ممثلى الدول الأجنبية فى القاهرة من خلال ممثل الحكومة البريطانية فى العاصمة المصرية ما

Ibid No. 56 Cheetham to Grey Nov. 23, 1914 Tel. No. 283.

(١٢)

(١٣) فمن بين عشرة نظار تولوا الخارجية قبل ١٩١٤ نوبار ، وذو الفقار ، وشريف ومصطفى فهمى ، اسماعيل راغب ، وتكران ، وبطرس غالى ، وحسين رشدى ، ويوسف وهبه ، وعدلى يكن . . من بين هؤلاء العشرة تولى ثمانية رئاسة الوزارة .

F.O. 407/183 No. 24 Grey to Cheetham, Oct. 17, 1914 Tel. No. 266. (١٤)

٢ — الإبقاء على الهيكل القائم لنظارة الخارجية للقيام ببعض الاعمال الادارية تحت اشراف رئيس الوزراء المصرى وذلك باعتبارها « هيئة تتعامل فى المسائل الخارجية من وجهتها المصرية » .

٣ — كما اثار هؤلاء مسألة الاتصال بممثلى الدول الاجنبية صاحبة الامتيازات وراوا انه اذا طلب من هؤلاء ان يتصلوا فى كافة الاحوال بالممثل البريطانى فانهم سوف يفقدون الميزات العديدة التى ظلوا يتمتعون بها من وراء اتصالهم المباشر بالحكومة فى مسائل عديدة مثل العقود وغيرها .

ومن ثم فقد اقترحوا ان يطلب من ممثلى الدول صاحبة الامتيازات الاتصال بوكيل للشئون الخارجية المصرى فى كافة الامور التى يرون عدم ضرورة الاتصال بالممثل البريطانى بشأنها .

وقم دعموا اقتراحهم هذا بأن هيئة موظفى الوكالة البريطانية القائمة لا تستطيع مواجهة كل الأعباء المترتبة على القاء مسئولية العلاقات الخارجية المصرية على عاتقها (١٥) .

حسم هذه الاقتراحات والمناقشات البرقية التى ارسلها وزير الخارجية البريطانى الى القاهرة قبل اعلان الحماية بأربعة أيام والتى أصبح محتواها دستورا لطبيعة العلاقات الخارجية المصرية خلال الحرب مما يدعو الى اثباتها بنصها :

« ردا على البرقية رقم ٣١٨ »

« روح الحماية ان الدولة الحامية وحدها ومباشرة هى المسئولة عن العلاقات الخارجية للدولة المحمية وان حكومة جلالته تعنى ان المندوب السامى سيصبح وزيرا للخارجية كما هو الحال فى تونس ومراكش .

« ويمكن ان تستمر ادارة الخارجية بالرغم من التغييرات التى ستترتب على اعلان الحماية ولكن يجب ان تقتصر اتصالات ممثلى الدول الأجنبية على وزير الخارجية فقط وهو المندوب السامى ، وفى حالة غيابه يتم الاتصال بممثل المندوب السامى وليس بوكيل الشئون الخارجية أو رئيس الوزراء .

« والمندوب السامى بصفته وزيرا للخارجية يبعث بها يصله من مراسلات الى الإدارات المختصة مع تعليماته بشأنها مما يستوجب تنظيم طريقة للاتصال بينه وبين ادارة الخارجية (١٦) » .

وبهذه التعليمات المحددة تم الغاء وزارة الخارجية وتم فى نفس الوقت ابلاغ الممثلين الأجانب فى القاهرة بأن اتصالهم بالحكومة المصرية يجب ان يتم من خلال المندوب السامى البريطانى فى العاصمة المصرية (١٧) .

Ibid No. 80 Cheetham to Grey Dec. 14, 1914 Tel. No. 318 Conf. (١٥)

Ibid No. 82 Grey to Cheetham Dec. 15, 1914 Tel. No. 425. (١٦)

Ibid No. 84 Grey to Cheetham Dec. 17, 1914 Tel. No. 428. (١٧)

٢٢ - وزارة حسين رشدي الثانية ١٩ ديسمبر ١٩١٤ - ٩ أكتوبر ١٩١٧ :
بقى بعد ذلك اعادة تشكيل الوزارة المصرية في ظل النظام الجديد
وقد تحكمت عدة اعتبارات في اختيار الوزارة الجديدة .

اولها : انه كان من المرغوب فيه ان تستمر الوزارة الرشدية خاصة
بعد ان اسهمت في احداث التغييرات - من الاحتلال الى الحماية - وعاونت
على حصر ردود الفعل المحتملة من وراء هذا التغير .

ثانيها : انه لما كانت بعض العناصر الوزارية لا يطمأن الى ولائها
تماما ، فقد عزل بعض منها كما حدث بالنسبة لمحب باشا ناظر الأوقاف والذي
كان بصحبة الخديو في استنبول أثناء الاحداث التي أدت الى اعلان الحماية
على البلاد ، كما أبعد البعض الآخر عن الوزارات ذات الحساسية الخاصة
كما حدث بالنسبة لعدلى يكن الذي تم ترشيحه أولا لوزارة الداخلية بديلا
عن وزارة الخارجية التي ألغيت (١٨) فرفضت حكومة لندن الاقتراح خوفا من
« ميول يكن التزكية » على حد تعبير تعليماتها الى القاهرة واختارت للرجل
منصبا اقل حساسية وزيرا لوزارة المعارف (١٩) .

ثالثها : رفضت السلطات البريطانية على مختلف مستوياتها ادخال أى
عناصر اشتهرت بمناوئتها للوجود الاحتلالى الى الوزارة . فقد اقترح كل
من السلطان حسين كامل ورئيس وزرائه حسين رشدي ادخال سعد
زغلول فى الوزارة الجديدة على أساس أن مجموع مواقفه كوزير أو كوكيل
مستخب للجمعية التشريعية توفر رداء شعبيا مناسباً تتقدم به أول وزارة
فى ظل الحماية الى الشعب المصرى ، ولكن من قال ان سلطات الحماية
ترغب فى أن يعتمد السلطان أو الوزارة على غيرها ومن ثم فقد كان رد لندن
حاسما فقد جاء فيه « لا يجب أن يدخل سعد زغلول الوزارة على وجه
التأكيد (٢٠) » .

وبالنظر الى كل هذه الاعتبارات تشكلت وزارة حسين رشدي الثانية
على النحو الآتى :

المرسوم السلطانى بتشكيل الوزارة الرشدية الثانية :

« نحن سلطان مصر

« بعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ (٢١) .

« وبعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر فى هذا اليوم .

« وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء .

Ibid No. 78 Cheetham to Grey Dec. 12, 1914 Tel. No. 316.

(١٨)

Ibid No. 79 Grey to Cheetham Dec. 15, 1914 Tel. Private.

(١٩)

Ibid.

(٢٠)

(٢١) الوقائع المصرية العدد ١٧٢ .

أمرنا بما هو آت

المادة الأولى :

« عين حسين رشدي باشا وزيرا للداخلية ، اسماعيل سرى باشا وزيرا للأشغال العمومية والحربية والبحرية ، أحمد حلمى باشا وزيرا للزراعة ، يوسف وهبه باشا وزيرا للمالية ، عدلى يكن باشا وزيرا للمعارف العمومية ، عبد الخالق ثروت باشا وزيرا للحقانية ، اسماعيل صدقى باشا وزيرا للأوقاف » لا توجد وزارة خارجية لخضوع البلاد للحماية البريطانية .

المادة الثانية :

« على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا .

« صدر بالقاهرة في ٢ صفر سنة (١٩١٤) ديسمبر سنة ١٩١٤ » .

حسين كامل

بأمر الحضرة السلطانية

رئيس مجلس الوزراء

حسين رشدي

ويلاحظ الباحث أن السنوات الثلاث — أو نحوها — عمر الوزارة الرشدية الثانية قد تميزت بالاستقرار الكامل ولجموعة من الاعتبارات أوجدت بالضرورة هذا الاستقرار نسجها على النحو التالي :

١ — تعرض البلاد للحملات العثمانية ١٩١٥ — ١٩١٦ وما صاحب هذا التعرض من تعبئة كل الجهود الداخلية — على مستوى مؤسسات السلطة على الأقل — لمواجهة ما اضعف كل احتمالات الخلاف بين هذه المؤسسات .

٢ — وقوع الشعب المصرى تحت الأحكام العسكرية وخنق كل وسائل التعبير عن الراى السياسى والنضيق على كل منظمات العمل السياسى مما أدى الى اختفاء أهم عوامل الضغط على الوزارة ، ومن ثم ظلت مؤسسات السلطة ومنها الوزارة تعمل متعاونة دون أى تأثيرات محسوسة يمكن أن تؤثر في طبيعة هذا التعاون .

٣ — ما تميزت به العلاقة بين السلطان حسين كامل وبين سلطات الحماية من ود ملحوظ كان لابد بالضرورة أن ينسحب على علاقة الوزارة بنفس السلطات ، ذلك أنه كان من الصعب رغم كل شيء أن يتخذ رشدي باشا أو رفائقه موقفا مخالفا لسلطة الاحتلال ولسلطة القصر في آن واحد .

وعلى ضوء كل هذه الاعتبارات فلا عجب لهذا الاستقرار الذى ساد على طول عمر الوزارة الرشدية الثانية والذى لم يهتز الا لفترة قصيرة جدا عند خروج اسماعيل صدقى وزير الاوقاف وحلول ابراهيم فتحى باشا محله فى ٢٠ مايو سنة ١٩١٥ ، الا أن هذا التغيير لم يحدث على الاطلاق لأسباب سياسية (٢٢) .

ولكن لا يدوم هذا الاستقرار بعد وفاة السلطان حسين كامل وتولية السلطان أحمد فؤاد وتأليف الوزارة الرشدية الثالثة .

٢٣ — وزارة حسين رشدى الثالثة ١٠ أكتوبر ١٩١٧ — ٩ ابريل ١٩١٩ :

اختلفت الظروف الموضوعية لتأليف الوزارة الرشدية الثالثة عن ظروف سابقتها فى أكثر من جانب :

١ — ففىما يتصل بتطورات الحرب تلاشت التهديدات التى ظلت تحلق على الأرض المصرية خلال السنوات السابقة وتحول البريطانيون من الدفاع الى الهجوم حيث كانت قوات « اللبى » قد بدأت سيرها مقتحمة الاراضى العثمانية فى الشرق ، وقد خلق هذا التحول فى العمليات العسكرية مناخا مناسباً للنقاش بل وللإختلاف بين مؤسسات السلطة وهو المناخ الذى افتقده العمل السياسى خلال الفترة السابقة .

٢ — وفيما يتصل بشخصية الحاكم الجديد فلا شك أن شخصية فؤاد اختلفت الى حد كبير عن شخصية حسين كامل ، فقد تميز الأول بصلابة ارادة افتقر لها الثانى كثيراً .

وبدا تأثير هذه الاعتبارات حتى قبيل وفاة السلطان حسين ذلك أنه خلال المفاوضات التى جرت لتولية فؤاد العرش خلفاً لأخيه كان من ضمن طلباته ادخال تغيير فى الوزارة الجديدة التى تقرر أن تشكل مع توليته لسلطاته الدستورية ، وقد دار طلب التغيير حول ابعاد فتحى باشا وزير الاوقاف الذى وصفه الأمير أحمد فؤاد بأنه « غير اخلاقى » ، ولكن تقرر تأجيل المسألة الى ما بعد تولية السلطان الجديد العرش ، وقد تعطل المندوب السامى فى قرار التأجيل بامرین :

أولهما .. أن اتهامات السلطان المنتظر لفتحى باشا « تحتاج الى مزيد من التحرى » ، وثانيهما .. « أن الوقت غير مناسب للتغيير » (٢٣) .

ورضخ السلطان المنتظر للقرار البريطانى وصدرت مراسيم تشكيل الوزارة الرشدية الثالثة على نفس النحو الذى كانت مشكلة عليه من قبل (٢٤) .



(٢٢) محمد سيد كيلانى : السلطان حسين كامل ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٧٠ .
(٢٣) F.O. 407/183 No. 125 Wingate to Balfour Oct. 9, 1917 Dec. No. 232.

(٢٤) الوقائع المصرية ، العدد ٨٦ .

لم يمض وقت طويل على بداية عهد السلطان أحمد فؤاد حتى عادت أزمة التغيير الوزارى تفرض نفسها على العلاقات بين القصر والوزارة من جانب وبين سلطات الحماية البريطانية من جانب آخر .

فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ وبعد شهرين من تولية السلطان فؤاد الأول تقدم رشدى باشا — بالاتفاق مع السلطان — باقتراحات واسعة لتغيير وزارى وان كان من الملاحظ أن جوهر هذه الاقتراحات كان العمل على ابعاد فتحي باشا ، نفس المطلب الذى تقدم به فؤاد قبيل توليته .

تضمنت هذه الاقتراحات أمورا ثلاثة :

أولها : استبعاد كل من فتحي باشا وزير الأوقاف وحلمى باشا وزير الزراعة من الوزارة .

وكان واضحا أن طلب ابعاد وزير الزراعة وهو شخصية لا قيمة لها على حد تعبير التقرير البريطانى السرى الذى تناول الأزمة . . كان واضحا أن هذا الطلب قد استهدف من ورائه أن يبدو الأمر وكأنه مطالبة بتغيير وزارى جزئى وليس مقصودا به فتحي باشا بالذات .

ثانيها : المطالبة بتعيين كل من سعد باشا زغلول وعبد العزيز فهمى محل الوزيرين المبعدين .

ثالثها : واكب المطالبة بالتغيير الوزارى مطالبة بتحديد حجم التدخل البريطانى فى شئون الوزارة يمكن أن نذكرها فى نصها الرسمى الذى بعثت به دار المندوب السامى فى القاهرة الى لندن . . جاء فى هذه المطالبة « يجب تحديد حقوق بريطانيا العظمى فى التدخل خاصة فيما يتصل بالنواحى المالية والعلاقات الخارجية والجيش ، وربما العدل » ، كما وصف تدخل الحكومة البريطانية فى اختيار الوزراء بأنه تعسف ورأى أن المستشارين البريطانيين فى الوزارات يجب أن يقتصر عملهم على تقديم الاستشارة الفنية والا يتدخلوا فى السياسة (٢٥) .

وكان رد الجانب البريطانى على تلك المقترحات الوزارية على النحو الآتى :

— فيما يتصل بالمطالبة بتحديد حجم التدخل البريطانى فى شئون الوزارة فقد وصفها وزير الخارجية البريطانية بأنها « لا يمكن أخذها مأخذ الجذ » (٢٦) وقد تخلى رشدى باشا عن هذه المطالبة عند أول مواجهة بينه وبين المندوب السامى فى القاهرة (٢٧) .

F.O. 407/183 No. 127 Wingate to Balfour, Dec. 9, 1917 Tel. (٢٥)
No. 1320 Conf.

Ibid No. 128 Balfour to Wingate, Dec. 13, 1917 Tel. No. 1195. (٢٦)

Ibid. No. 131 Wingate to Lord Hardinge, Dec. 24, 1917 Private. (٢٧)

— من اخلال سعد زغلول وعبد العزيز فهمى فقد جاء عن الأول بالحرف الواحد في خطاب لوينجت « أن سياسته — أى زغلول — في مهاجمة الوزارة على عهد أسلافى دعت حكومة جلالته الى أن تقرر استبعاد من أى مشاركة في العمل الرسمى في البلاد. اذ معنى هذا الاشراك تشجيع الآمال الوطنية المصرية » (٢٨) أما عن عبد العزيز فهمى فقد وصفه المندوب السامى في خطاب آخر بأنه « ليس لديه أى خبرة ادارية (٢٩) » .

— لم يبق بعد ذلك محل أخذ ورد سوى مسألة استبعاد الوزيرين المرغوب استبعادهما أو بالأحرى فتحى باشا وزير الأوقاف .

ولم يتمسك السلطان ورئيس وزرائه رشدى باشا بمقترح كما تمسكوا بهذا المقترح الأخير ، وقد ترددت السلطات البريطانية في الاستجابة اليه وأثارت المناقشات حول قضية هامة ألا وهى قضية حق السلطان في التخلص من وزرائه من غير المرغوب فيهم ، وقد ذكر رشدى باشا للمندوب السامى البريطانى أن هذا الحق لم يكن محل مناقشة في أى وقت مضى .

السلطان أيضا أكد حقه في التخلص من وزرائه غير المرغوب فيهم ودل على ذلك بما فعله أخوه السلطان الراحل بالتخلص من اسماعيل صدقى .

وبعد مناقشات طويلة أمكن التوصل الى حل وسط بأن يقوم أحد الوزراء — ووقع الاختيار على ثروت باشا — بمحاولة اقناع فتحى باشا بأن السلطان غير متعاطف معه وبإستحالة استمرار الموقف القائم ومن ثم فإن عليه تقديم استقالته في مقابل الا ينشر شيء مما يقصد التشهير به أو أهانتة .

وقد وافق المندوب السامى على هذا الحل ورأى أنه مخرج من موقف لم يعد محتملا .

ولكن رفض فتحى أن يقدم استقالته قبل أن يرى « وينجت » الذى أبلغه إستحالة استمرار الموقف القائم وموافقته على الحل المقترح (٣٠) .

وتقدم ابراهيم فتحى باشا باستقالته في ١٩ ديسمبر وكان نصها :

« الآن وقد اكتمل لى دولتكم أن التحقيق الذى جرى على أثر الوشايات التى وصلت الى علم دولتكم قد تبين منه عدم صحتها أقدم لدولتكم استقالتي

Ibid.

Ibid No. 122 Wingate to Balfour, Dec. 9, 1917 Tel. No. 1320 Conf. (٢٨)

Ibid No. 131 Wingate to Lord Hardinge, Dec. 24, 1917 Private. (٢٩)

التي عقدت النية على تقديمها منذ بلغنى خبر الشروع فى هذا التحقيق ، ولم
أؤجلها الى اليوم الا خشية ما يخطر على الذهن من ان ذلك كان تفاديا من
حصول هذا التحقيق .

« وانى ارفع لدولتكم مع رجائى فى قبولها خالص الشكر على التعضيد
الصادق الذى لقيته من دولتكم اثناء اشتغالى معكم » .

وجاء رد رشدى باشا على الوزير المستقيل بقبول الاستقالة ، ونصه :

« ان اصرار معاليكم على تقديم استقالتكم بعد الذى اكدته لكم من ان
التحقيق الذى أجرите عن المطاعن التى وصلت الى عن تصرفات معاليكم
فى بعض مسائل وزارتكم قد أثبت فساد تلك المطاعن لم يسعنى معه الا تقديمها
مع مزيد الاسف للعتبات السلطانية وقد قبلتها .

« وانى انتهز هذه الفرصة لابلاغ معاليكم فائق شكرى على التعضيد
الصادق الذى بذلتموه فى مدة هذه السنوات وارجو قبول عظيم احترامى (٣٢) .

وحل أحمد زيور باشا محافظ الاسكندرية محل الوزير المستقيل فى وزارة
الاوقاف وانتهت الأزمة (٣٣) .

تبع هذه الأزمة تغير كبير اصاب نوعية العلاقات التى ظلت سائدة بين
قوى السلطة على عهد السلطان حسين كامل .

فمن ناحية لم تستمر العلاقة بين السلطان ورئيس وزرائه على ما يرام
بعد الأزمة وذلك لسببين أولهما ما شعر به السلطان من أن رشدى باشا
لم يقدم للقصر المعونة المنتظرة خلال الأزمة وثانيهما ما شاع وقتذاك من
أن رئيس الوزراء كان يفضل الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين على
عرش مصر بدلا من أحمد فؤاد .

من ناحية أخرى فقد أغرى النجاح فى ابعاد فتحي باشا السلطان على
مزيد من أسباب التدخل فى الشؤون الوزارية مما أدى الى نشوب الخلاف
بين فؤاد ووزرائه .

وزير الحقانية عبد الخالق ثروت رفض المحاولة السلطانية للتأثير على
قضاة المحكمة الشرعية فى قضية تخص أحد المقربين للقصر وهو أمين باشا
يحيى مما فجر الخلاف بينه وبين السلطان .

(٣١) الوقائع المصرية ، العدد ١٠٧ .

(٣٢) فى هذا الوقت كان منصب محافظ القاهرة خاليا وكان مفروضا أن يتولاه زيور باشا ،
ولما كان هذا المنصب يدر على صاحبه دخلا طيبا بسبب تنظره على وقف قاسم باشا فقد تقرر
منحه لفخرى باشا تمهيدا لمصاهرته للسلطان ، وارضاه لزيور الذى فقد المنصب والدخل
فقد حصل على وزارة الاوقاف (١) انظر حسن الشريف الرجال اسرار ص ٢٥

وزير الأشغال اسماعيل سرى باشا تقدم بالشكاوى المريرة من سلوك موظفى القصر معه ، ذلك انه لما كانت وزارته مسئولة عن تأثيث قصر عابدين ونتيجة لما حدث من استنفاد موظفى القصر لكافة الاعتمادات المخصصة لهذا التأثيث واستمرار مطالبهم بمزيد من الاعتمادات فقد كان لابد من ايقافهم وقد قام بهذا الدور مستشار الوزارة البريطانى مما تمخض عنه جفوة بين السلطان وبين الوزير بدت فى المعاملة التى ظل يلقاها سرى باشا من القصر (٣٣) .

ربما كانت الوزارة الوحيدة التى لم يجد القصر أى مقاومة لتغلغله فيها هى وزارة الأوقاف ، ذلك انه بعد استقالة فتحي باشا من هذه الوزارة وتعيين أحمد زيور أحد المخلصين للسلطان فيها مما أمكن معه تعيين عدد كبير من رجال القصر فى هذه الوزارة (٣٤) .

ولا شك أن دار المندوب السامى كانت تغذى الخلافات بين أحمد فؤاد ووزرائه كما يبدو من تقارير « وينجت » الى لندن (٣٥) .

ولكن ومع هذه الخلافات فقد سعى القصر من جانب آخر الى استقطاب بعض العناصر الوزارية منها زيور باشا وزير الأوقاف ويوسف باشا وهبه وزير المالية ، أكثر من ذلك محاولة ضم أحمد حشمت باشا وزير الزراعة ، وكان قد سعى السلطان من قبل الى استبعاده خلال أزمة فتحي باشا (٣٦) .

كان الموقف على هذه الصورة عندما تم اللقاء المشهور بين سعد زغلول ورفاقه وبين المندوب السامى البريطانى فى القاهرة فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ مما كان ايذانا بتفجر ثورة ١٩١٩ ودخول الوزارة المصرية فى مرحلة جديدة من مراحلها التاريخية .

F.O. 407/183 No. 134 Wingate to Balfour, Aug. 31, 1918 No. 201 (٣٣)
Very Conf.

Ibid No. 137 Wingate to Balfour, Oct. 8, 1918 Desp. No. 239 (٣٤)
Very Conf.

Ibid. (٣٥)

Ibid No. 134 Wingate to Balfour, Aug. 31, 1918 No. 201 Very Conf. (٣٦)

الباب الثالث

الفصل الثاني

ثورة ١٩١٩ والوزارة

في نفس يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وبينما يلتقي سعد زغلول ورفاقه مع السير « ريجنالد وينجت » المندوب السامي البريطاني في القاهرة يتحدثون معه عن مستقبل مصر بعد الحرب كان رشدي باشا رئيس الوزراء يرفع الى السلطان أحمد فؤاد تقريراً يبلغه فيه ما استقر عليه رأيه من السفر الى لندن مصحوباً بعدلى باشا يكن « لبسط آراء عظمتكم وآراء حكومتكم في مصر مصر السياسي لحكومة صاحب الجلالة البريطانية مباشرة (١) » .

وبهذا التنسيق في الحركة بين الوزارة الرشيد الثالثة وبين مجموعة الرجال التي شكلت زعامة ثورة ١٩١٩ وقعت تلك الوزارة في دائرة التأثير الثوري حتى تم قبول استقلالها بعد ذلك بنحو خمسة شهور في ٩ أبريل ١٩١٩ .

تتأكد هذه الحقيقة من متابعة الأحداث على امتداد تلك الشهور الخمسة . فقد جاء رد الحكومة البريطانية على طلب رشدي وعدلى بالسفر بأن الوقت ليس مناسباً لهذه الزيارة على أساس أن المبتدر « بالفور » وزير الخارجية كان يعد عدنه للسفر الى باريس لحضور مؤتمر الصلح الذي تقرر انعقاده فيها . في نفس الوقت تم رفض الطلب المماثل الذي تقدم به سعد زغلول ورفاقه .

وكان معنى هذا الرفض انهيار الخطة التي وضعها رشدي بالاتفاق مع زغلول ومؤداهما سفر الوفدين الرسمي والشعبي الى لندن لبدء رأي مصر في مصيرها بعد الحرب ، ثم ان معنى تأجيل سفر وفد الوزارة الى ما بعد مؤتمر باريس الذي سوف يتقرر فيه مصير عالم ما بعد الحرب الأولى — ومنه مصر — ان يفقد هذا السفر كل معنى له .

دعا ذلك رئيس الوزراء الى أن يتقدم في ٢ ديسمبر ١٩١٨ بأولى استقالاته هو وزميله عدلى باشا ، وقد بنى هذه الاستقالة على ما جاء في الرد البريطاني من « تسويق الى ما بعد الصلح » بينما يرى هو وزميله « ان الوقت الحاضر هو الذي ينبغي فيه عرض ما لمصر من الأمانى القومية (٢) » .

استقبل ممثلو بريطانيا في القاهرة استقالة رشدي وعدلى بدهشة بدت في مراسلاتهم مع لندن .

(١) أحمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية الجزء الاول من التمهيد ص ١٧٢ — ص ١٧٣ .

(٢) نص الاستقالة في : عبد الرحمن الرافعي : ثورة سنة ١٩١٩ ج ١ ص ١٥٤ — ١٥٥ القاهرة ١٩٥٥ .



سير ريجينالد وينجيت
المعتمد البريطاني

تصوروا في البداية ان كل هذا ما كان ليحدث لولا تعضيد السلطان أحمد فؤاد ومعاونته ، وقد أسسوا هذا التصور على أكثر من دليل :

١ — ان السلطان قد صدق مسبقا على سفر وزيريه وذلك قبل أن يتشاور مع دار المندوب السامى .

٢ — ان الملك فؤاد عند توليته حاول أن يدخل الى الوزارة كلا من سعد زغلول وعبد العزيز فهمى « الرجلين المسئولين عن الاضطرابات » على حد تعبير مراسلة سرية من وينجت الى لندن في ١٨ ديسمبر ١٩١٨ (٣) .

وعلى ذلك فقد التقط المندوب السامى في القاهرة اقتراحا من ثروت باشا بضرورة اتخاذ « خطوة كبيرة » من الجانب البريطانى لمنع تفاقم الأمور ، وقد تمثلت هذه « الخطوة الكبيرة » في رأى ثروت في خلع السلطان ، التقط هذا الاقتراح وبعث به الى لندن وقد منحه كل تأييد (٤) .

ولكن بينما كان بالفور يستعد للسفر الى باريس وينتوى أن ينتزع من مؤتمر السلام فيها اقرارا باستمرار الحماية البريطانية على مصر فلم يكن من المصلحة وقتذاك تفجير المسألة المصرية بمثل هذا العمل العنيف .. خلع السلطان ، من ناحية أخرى فلا شك أن المزاج السياسى للخارجية البريطانية كان أقل بعدة من مزاج رجالها بين القاهرة مما دعاها الى أن تستقبل فكرة خلع أحمد فؤاد بفطور واضح وتوصى بتجنبها ما أمكن (٥) .

تبع احباط أول ردود الفعل التى تمخضت عن استقالة الوزارة الرشدية أن بدأ البريطانيون في تنفيذ سياسة طويلة المدى متعددة المسالك بهدف الخروج من المأزق الذى وضعتهم فيه تلك الاستقالة التى لم تكن بحال استقالة عادية ولاكثر من سبب :

أولا : انها قدمت — ولأول مرة في تاريخ الوزارة المصرية — تضامنا مع مد ثورى آخذ في التصاعد مما أكسبها قوة وشهرة لم تحظ بهما استقالة أى وزارة مصرية من قبل أو من بعد .

ثانيا : انه كان من الصعب ان لم يكن من المستحيل — وفي ظل هذا الجو من تصاعد المد الثورى — أن يقبل بعض أولئك الذين تمرسوا بالعمل الوزارى من قبل أو حتى بعض المصريين من ذوى المكانة أن يشتركوا في تأليف وزارة جديدة .

من ثم لم يكن أمام السلطات البريطانية في القاهرة الا تنفيذ سياسة « طويلة المدى متعددة المسالك » .

F.O. 407/183 No. 158 Wingate to Balfour, Dec. 18, 1918 Tel. (٣)
No. 1901 Conf.

Ibid. (٤)

F.O. 407/183 No. 159 Balfour to Wingate, Dec. 23, 1918 Tel. (٥)
No. 1558.

طول المدى يبدو من تعليق استقالة رشدي وعدلى لأكثر من أربعة شهور (٢ ديسمبر ١٩١٨ — ٩ أبريل ١٩١٩) حاولت خلالها أن تتقدم بأكثر من حل للأزمة فيما أسميناه بتعدد المسالك .

أول هذه المسالك السعى الى كسب الوقت بهدف الفت في عضد الوزيرين المستقلين وهى سياسة بريطانية قديمة استخدمتها قبل ذلك في مصر ومع حسين رشدي بالذات أثناء العمل على فرض الحماية على البلاد (سبتمبر — ديسمبر ١٩١٤) ونجحت في تحقيق أغراضها (١) .

وتتأكد سياسة كسب الوقت من الوثائق البريطانية ، ففى ٢٣ ديسمبر تكتب الخارجية من لندن الى مندوبها السامى في القاهرة توصيه « بعدم ابداء اللهفة على حل الأزمة الوزارية طالما أن الأعمال الحكومية تسير في مجراها ، وأن بعض الصبر قد يؤدي الى اعتدال مزاج السلطات المحلية (٧) » ! .

وفى ٢٦ من نفس الشهر تكتب القاهرة الى لندن بأن « الوزراء يتحققون مع الوقت بأنهم قد ذهبوا بعيدا في مطالبهم وانهم يتمنون التراجع لو عثروا على ما ينقذ ماء وجوههم أمام الراى العام (٨) » .

ثم بعد ذلك بنحو شهرين وعلى وجه التحديد فى ٢٤ فبراير ١٩١٩ يبلور ممثل المندوب السامى في القاهرة نتيجة سياسة كسب الوقت فيقول في رسالة له الى الخارجية البريطانية « ان الانتظار الطويل لرشدي وعدلى لقبول استقالتيهما قد أفقد هذه الاستقالة كل شعبية مما أفقد الوزيرين أيضا أى نجاح أحرزاه من وراء هذه الاستقالة (٩) » .

وبينما كان العمل على كسب الوقت قائما كانت الجهود تبذل على الجانب الآخر لاثناء رشدي وعدلى عن استقالتيهما كمسلك آخر من مسالك الخروج من الأزمة ، وقد استمرت هذه الجهود بطول الشهور الأربعة التى علقت الاستقالة خلالها حتى أن دار المندوب السامى قد ظلت تضغط على السلطان الذى كان يدعم موقف وزيريه في البداية حتى غير موقفه أخيرا وشارك في محاولة اقناع وزيريه للتخلي عن استقالتيهما (١٠) ، ولكن بدون طائل .

وتمثل المسلك الثالث في محاولة تشكيل وزارة جديدة ، وقد تفرع هذا المسلك الى طريقتين :

(٦) د. يونان لبيب : قضية الحماية البريطانية على مصر — السياسة الدولية العدد

٢٨ ص ١٠٦ .

F.O. 407/183 No. 159 op. cit.

(٧)

F.O. 407/183 No. 143 Wingate to Balfour Dec. 26, 1918 Tel.

(٨)

No. 1944.

F.O. 407/184 No. 55 Cheetham to Curzon Feb. 24, 1919

(٩)

Tel. No. 294.

F.O. 407/183 No. 157 Wingate to Balfour, Dec. 18, 1918. Tel.

(١٠)

No. 1900.

١ — باقناع بعض العناصر القوية من خارج الوزارة بتشكيل هذه الوزارة ، وقد وقع الاختيار في هذا الصدد على « مظلوم باشا » رئيس الجمعية التشريعية (١١) . وكان الهدف من وراء هذا الاختيار ضرب دعوى سعد زغلول بتمثيل الشعب المصرى باعتباره الوكيل المنتخب لهذه الجمعية ، ذلك أن وجود مظلوم باشا رئيسها على رأس الوزارة الجديدة يجب دعوى سعد .

٢ — بمحاولة عزل الوزيرين المستقلين وتشكيل وزارة تعتمد أساسا في عضويتها على وزراء الوزارة الرشدية .

وقد بدأت هذه المحاولة بنشر روح التذمر بين الوزراء ضد رئيسهم ، فقد بدا الغضب على هؤلاء من رشدى باشا . لأنه أبلغهم باستقالته بعد تقديمها فعلا وقد شكوا أربعة من هؤلاء* للمندوب السامى أن رئيسهم لم يبلغهم مقدما بهذه الاستقالة (١٢) .

تبع ذلك محاولة جس نبض كل من عدلى وثروت — باعتبارهما اقوى عناصر الوزارة القائمة — لتشكيل الوزارة الجديدة وذلك من خلال « برونيات » مستشار الحقانية ، وقد رفض كلاهما العرض البريطانى .

عدلى رد بأن مركز الوزراء المصريين أصبح صعبا للغاية في ظل الحماية وانهم تحت السيادة التركية كان لهم حقوق معينة وهم يتوقون الى معرفة ماهية حقوقهم في مواجهة الحماية البريطانية .

ثروت اعتذر بعجزه عن تشكيل وزارة دون زميله المستقلين وأن كان قد أدان من أسماهم بالمتطرفين ، أى الوفد ورجاله (١٣) .

مع مطلع ١٩١٩ بدا واضحا أن كل المسالك قد سدت أمام محاولات الخروج من الأزمة الوزارية ، في نفس الوقت كانت الروح الثورية أو أعمال الاضطراب والعنف على حد تعبير التقارير البريطانية تتصاعد يوما بعد يوم .

دعا ذلك المندوب السامى البريطانى والخارجية البريطانية الى سلوك آخر السبل التى تصورت أنها ستؤدى الى انفراج الأزمة ، ففى لقاء للسير وينجت بالوزيرين المستقلين فى منتصف يناير اقترح تقديم دعوة لهما لزيارة لندن .

وقد أحبطت هذه المحاولة الأخيرة لاعتقاد الوزيرين المستقلين أن هذه الدعوة جاءت متأخرة للغاية اذ أن الحكومة الانجليزية سوف تكون خلال

(١١) F.O. 407/183 No. 158 Wingate to Balfour, Dec., 18, 1919 Tel. No. 1901 Conf.

١ هم سرى ووهبه وثروت وزيور .
(١٢) F.O. 407/183 No. 158 Wingate to Balfour, Dec. 18, 1918 Tel. No. 1901 Conf.

(١٣) F.O. 407/183 No. 158 Wingate to Balfour, Dec., 18, 1918 No. 1901 Conf.



لورد اللنبى
المعتمد البريطانى

هذا الوقت قد استصدرت قرارا بقبول الحماية من الدول المشتركة في مؤتمر السلام ومن ثم سوف يكون مركزهم ضعيفا جدا عند السفر الى العاصمة البريطانية (١٤) .

من ناحية أخرى فقد رآيا أن لا قيمة للتصريح بسفرهم الى لندن ان لم يقترن هذا التصريح باجراء يعيد لهم بعض شعبيتهم ، وقد أكدوا أن موقفهم سيصبح ميئوسا منه اذا لم يسافر سعد زغلول الى لندن ويعود منها خاوى الوفاض وهو ما كانت الحكومة البريطانية على غير استعداد لقبوله (١٥) .

رأى البريطانيون بعد فشل هذه المحاولة الأخيرة أن استمرار الموقف على ما هو عليه بدلا من أن يفت في عضد الوزراء المسنقلين فانه يشجع استمرار الانتفاض على الوجود البريطاني مما أدى الى ارسال تحذير الى رثيدى باشا بهذا المعنى ولكن لم يلق هذا التحذير آذانا صاغية مما دعا ممثل المندوب السامي في القاهرة الى أن يطلب من السلطان قبول استقالة الوزارة الرشدية الثالثة (١٦) ، وصدرت الارادة السلطانية بهذا القبول في أول مارس ١٩١٩ وقد جاء فيها :

« عزيزى رثيدى باشا

« ان استقالة دولتكم التى رفعتموها الينا كانت من أشد بواعث الأسف
« لدينا ، فمع الشكر لدولتكم ولحضرات زملائكم على ما قمتم به من
« الخدمات الصادقة ، أرجو الاستمرار فى ادارة الأعمال الى أن يتم
« تأليف الوزارة الجديدة والله المستعان (١٧) » .

لم يمه قبول استقالة وزارة حسين رثيدى الثالثة الأزمة الوزارية التى ظلت قائمة منذ تقديم هذه الاستقالة فى أوائل ديسمبر ١٩١٨ ، بالعكس فان هذا القبول كان بداية أسبوع من الصراع سعت خلاله كل من السلطة البريطانية من جانب والحركة الوطنية من جانب آخر الى تأكيد غلبتها ، وكانت الوزارة ميدان المعركة .

السلطة البريطانية حاولت التعجيل بتشكيل وزارة جديدة فعقد شيتام فى ٢ مارس اجتماعا مع أقوى عناصر الوزارة الرشدية المستقلة (اسماعيل سرى وعبد الخالق ثروت ويوسف وهبه) حيث تم ابلاغهم انه يقع على عاتقهم تشكيل الوزارة الجديدة (١٨) .

(١١) F.O. 407/184 Inc. In No. 31 Notes on Conversations on Jan. 14 and 15, 1919.

(١٥) F.O. 407/184 No. 23 Wingate to Curzon Jan, 16 1919 Tel. No. 89.

(١٦) F.O. 407/184 No. 60 Cheetham to Curzon March 2, 1919 Tel. No. 333

(١٧) أحمد شفيق — المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(١٨) F.O. 407/184 No. 60 Cheetham to Curzon March 2, 1919 Tel. No. 333

وقد اشترط كل من سرى ووهبه للاشتراك في الوزارة أن يؤلفها ثروت مما أدى الى توجيه كل الضغوط البريطانية عليه ليقبل ولكنه أمام كل التطورات البسادية على مسرح السياسة المصرى صمد أمام تلك الضغوط ونصح الجانب البريطانى أن يفرض إدارة مباشرة على البلاد في ظل الأحكام العرفية لمدة كافية مما يتأكد معه الشعب المصرى أن لا جدوى من الوعود التى قدمتها له الزعامات الوطنية ، ورأى ثروت أنه سوف يستتبع هذا هدوء الموقف مما سوف يمكن من تشكيل وزارة جديدة وأضاف أنه بعد ذلك على استعداد لتأليف الوزارة وليس قبله (١٩) .

في نفس الوقت دخلت زعامة الثورة معركة الوزارة الرشدية بكل ثقلها فقدم الوفد ما يشبه الانذار للسلطان أحمد فؤاد في اليوم التالى لقبوله استقالة الوزارة جاء فيها التعبير عن دهشة الأمة . فقد ورد في كتاب الوفد بالنص « كيف فات مستشاريكم ان عبارة استقالة رشدى باشا لاتسمح لرجل مصرى ذى كرامة ووطنية أن يخلفه في مركزه ؟ كيف فاتهم ان وزارة تؤلف على برنامج مضاد لمشئنة الشعب مقضى عليها بالفشل (٢٠) ؟ » .

واتبع الوفد هذا الانذار للقصر باحتجاج قديمه الى معتمدى الدول الأجنبية في القاهرة ، وقد جاء فيه « ان الوزارة التى اندفعت بوطنيتها الى انتهاج ما يوافق القضية المصرية اضطرت للاستقالة لأنها لم تستطع المتابعة على مثل هذا الانتهاك اللاحق بأقدس حقوقنا ، ونحن نعتقد أنه لا يوجد مصرى واحد جدير بأن يدعى مصرىا يستطيع أن يؤلف وزارة يكون مضروبا عليها حتما أن تسير على برنامج يرمى الى خنق البلد والقضاء على البقية الباقية لها من الحقوق (٢١) » .

ونجحت الزعامة الوطنية بالفعل في منع تشكيل وزارة جديدة مما دعا الوجود البريطانى الى انتهاج ما حرص على تجنبه خلال الشهور السابقة ، أسلوب العنف الذى بقى أمامه لينتهجه .

في ٦ مارس ١٩١٩ استدعى قائد القوات البريطانية في مصر بالنيابة رئيس الوفد وأعضاءه والقى عليهم بلاغا رسميا حذرهم فيها من العقوبات التى ينشرونها في طريق تشكيل الوزارة الجديدة وأتذرهم بأنهم سوف يتعرضون « للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » اذا استمروا على سياستهم .

ولما لم ينصع زعماء الوفد للأنذار كانت الخطوة التالية باعتقالهم في ٨ مارس ١٩١٩ ونفيهم من البلاد .

تصورت السلطات البريطانية في القاهرة أن هذا العمل العنيف سوف يخمد كل صوت للمعارضة ، وكما كتب شيتلم ممثل المندوب السامى في

(١٩) F.O. 407/184 No 63 Cheetham to Curzon, March, 15, 1919 Tel. No. 347

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

البلاد في ٩ مارس الي لندن يقول « ان نفى سعد زغلول سيسهل الموقف » ، ويتوقع أن يوافق سرى باشا أو وهبه باشا على تأليف الوزارة الجديدة (٢٢) .

ولكن لم تلبث أن خابت تصورات السلطات البريطانية وتوقعات رجالها عندما اندلعت في نفس اليوم الذي بعث فيه شيثام برسالته السابقة الى لندن — ٩ مارس — أعمال العنف مبشرة بقيام احدى ثورات عظيمة في تاريخ مصر الحديث .

٢٤ — وزارة حسين رشدي الرابعة — ٩ — ٢٢ أبريل ١٩١٩ :

بالرغم من أن تسجيل تطورات المقاومة الوطنية (٩ مارس — ٨ أبريل ١٩١٩) مكانه ليس هنا الا أنه من الجدير تسجيل مجموعة من الملاحظات عن ذلك الشهر الذي عاشت فيه مصر بلا وزارة :

١ — ان ما تصوره شيثام ان ما قام به من عمل عنيف باعتقال سعد وزملائه سوف يؤدي الى حل الازمة الوزارية اذا به يؤدي الى مواجهته بأعمال عنف وطنية مما استتبعه تفاقم الازمة الوزارية بدلا من حلها .

٢ — ان الوزارة خلال هذا الشهر كانت رمزا للاستجابة للمطالب الوطنية بمعنى أن تشكيل وزارة جديدة كان من المستحيل اتمامه دون هذه الاستجابة ، وعندما وصل الجنرال بلفن لقيادة قوات الاحتلال في مصر في منتصف مارس كان من أول طلباته « الاسراع بتشكيل وزارة مصرية لتتعاون مع الجيش في تهدئة البلاد (٢٣) ولكن ما كان بالامكان الاستجابة لهذا الطلب دون الرضوخ للمطالب الوطنية والافراج عن الزعماء المعتقلين وهو ما ادركه شيثام في هذا الوقت .

٣ — ان الازمة على هذا النحو أصبحت تدور في فراغ ، فاستمرار الاعمال الثورية يمنع تشكيل الوزارة ، وبقاء البلاد بلا وزارة يشجع على استمرار الاعمال الثورية .

ولم يكن بالامكان الخروج من هذه الدائرة المفرغة الا بقرار جرىء ، وكان ما حدث حين أصدر اللنبى الذي وصل الى مصر في ٢٥ مارس ١٩١٩ مندوبا ساميا فوق العادة .. أصدر في ٧ أبريل بلاغا يصرح لمن يشاء من المصريين بمبارحة البلاد وبالافراج عن سعد زغلول وزملائه الثلاثة والنصر يح لهم بالتوجه الى حيث يرغبون (٢٤) .

F.O. 407/184 No. 69 Cheetham to Curzon March 9, 1919 No. 364. (٢٢)

F.O. 407/184 No. 63 Cheetham to Curzon, March 15, 1919 Tel. (٢٣)

No. 403 very urgent.

(٢٤) نص البلاغ في : احمد شفيق : المصدر السابق ص ٣١٠ — ص ٣١١ .

وبالرغم من الهجوم الذى تعرض له هذا البلاغ من جهات بريطانية عديدة (٢٥) إلا أنه كان المخرج الوحيد من الموقف المتأزم الذى واجهه الوجود البريطانى فى مصر طوال الشهر المنصرم .

ولما كان قد تم التوصل الى هذا القرار من خلال مفاوضات مع أطراف مصرية كان منها الوزارة الرشدية المستقلة فإنه لم يكن أمام حسين باشا رشدى بعد ذلك أى حجة يتذرع بها لاستمرار رفضه تأليف وزارة جديدة .

ومن ثم فإنه لم ينقض يوم أو يومان بعد صدور بلاغ اللبى حتى تشكلت الوزارة الرشدية الرابعة فى ٩ أبريل ١٩١٩ على النحو الآتى :

- حسين رشدى باشا للرياسة والمعارف بصفة مؤقتة
- عدلى يكن باشا للداخلية
- يوسف وهبه باشا للمالية
- عبد الخالق ثروت باشا للحقانية
- جعفر والى باشا للأوقاف
- حسين حسيب باشا للشغال الحربية والبحرية
- أحمد مدحت يكن باشا للزراعة (٢٦)

ومن الملاحظ أن هذه الوزارة قد اختلفت من حيث التشكيل عن سابقتها فى اختفاء بعض العناصر التى اشتهرت بولائها المطلق للوجود البريطانى على رأسها « اسماعيل سرى » الذى كثيرا ما وصفه الانجليز فى رسائلهم بأنه « رجلنا فى مصر » ، كذا بعض العناصر الضعيفة الأخرى ليحل محلها جعفر والى باشا الذى كان وكيلا لوزارة الداخلية ، وأحمد مدحت يكن باشا الذى كان محافظا للاسكندرية ، وحسن حسيب باشا الذى كان مديرا للمغربية .

ويتفق هذا التغيير تماما مع مفهوم الانجليز من تشكيل الوزارة الجديدة باعتبارها وزارة تهدئة ، ومن ثم كان من الطبيعى أن تضم رجالا أقوياء ، أو على حد تعبير اللبى فى رسالة له الى لندن غداة تأليف الوزارة الرشدية الرابعة أنها « تشكلت من أقوى العناصر » (٢٧) .

ولكن لم تجد المحاولة الانجليزية فان الروح الثورية كانت أشبه بالمارد الذى خرج من القمقم وكان من أشد الأمور صعوبة اعادته اليه .

(٢٥) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، ص ١٥١ .

(٢٦) الوثائق المصرية ، العدد ٣٣ .

(٢٧) F.O. 407/184 No. 161 Allenby to Curzon, April, 9, 1919 Tel. No. 359 Urgent.

فقد تشكلت في القاهرة وقتذاك لجنة من ٣٢ عضوا من موظفي الحكومة أطلقت على نفسها اسم « لجنة مندوبي موظفي وزارات الحكومة ومصالحها » وكان أول أعمالها قرار أصدرته في ١٠ أبريل باضراب جميع الموظفين عن العمل ابتداء من يوم السبت ١٢ أبريل حتى تجاب المطالب الآتية :

١ — أن تصرح الوزارة بصفة الوفد الرسمية .

٢ — أن تعلن الوزارة أن تشكيلها لا يفيد الاعتراف بالحماية .

٣ — الغناء الاحكام العرفية وسحب الجنود البريطانية المسلحة من الشوارع ومن البنادق والقوى وتفويض حفظ الامن والنظام الى رجال البوليس المصرى .

وفشلت كل جهود وزارة التهدة في انهاء اضراب الموظفين الذى انتشر ليصبح اضرابا عاما في منتصف الشهر حين انضم اليه ارباب المهن الحرة وأصحاب الصناعات (٢٨) .

ومن الغريب أن رشدى باشا دافع عن نفسه امام وفد صحفى في ١٥ أبريل بانه ما كان يستطيع أن يعترف بصفة الوفد الرسمية لان هذا الاعتراف كان يعنى الاخلال بالاتفاق الذى كان قد أبرمه مع الجنرال اللنبى والذى على أساسه أطلق سراح زعماء الوفد (٢٩) ، من الغريب أن يصرح رشدى باشا بهذا بينما تؤكد الوثائق البريطانية أنه تقدم الى اللنبى في ٢٠ أبريل يدعوه الى اعتبار سعد زغلول ممثلا لمصر كما طالب الموظفون .

ويؤكد اللنبى أن هذا المطلب هو الذى قصم ظهر الوزارة الرشدية الرابعة وجعل استقالتها مسألة وقت — على حد تعبيره — كما أن هذا الطلب أيضا هو الذى دعا السلطان أحمد فؤاد بدوره الى التعجيل بقبول استقالة وزارة حسين رشدى الرابعة (٣٠) في ٢٢ أبريل ١٩١٩ وذلك قبل أن تكمل أسبوعين من عمرها ، وقبل حتى أن تملا بعض الوظائف الشاغرة فيها . . في وزارة المعارف التى كان رشدى يقوم بأعبائها بصفة مؤقتة ووزارة المواصلات التى كان قد تقرر انشاؤها وقتذاك (٣١) .

٢٥ — وزارة محمد باشا سعيد الثانية ٢٠ مايو — ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ :

مرة أخرى ولشهر آخر تبقى مصر بدون وزارة في الفترة بين استقالة وزارة رشدى الرابعة (٢٢ أبريل) وتأليف وزارة سعيد باشا الثانية (٢٠ مايو) .

(٢٨) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٢٩) نص الحديث في : أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص ٣٤٢ — ٣٤٧ .

(٣٠) F.O. 407/184 No. 86 Cheetham to Curzon March 17, 1919 Tel. No. 639.

(٣١) F.O. 407/184 No. 161 Allenby to Curzon, April 9, 1919 Tel. No. 359 Urgent.

ويبدو أن السلطات البريطانية قد أخفت هذه المرة بنصيحة قديمة كان قد أسداها لها ثروت باشا خلال الازمة الوزارية السابقة بحكم البلاد حكما مباشرا فصدر في ٢٨ أبريل قرار من المندوب السامي بأن يؤدي كل وكيل وزارة جميع أعمال الوزير في الوزارة التابع لها ، كما انتحل المندوب السامي لنفسه سلطات مجلس الوزراء وباشر المهام التي كان يقوم بها هذا المجلس (٣٢) .

ثم وفي خلال هذا الشهر تتابعتم اجراءات اعادة احكام السيطرة على البلاد فعاد الموظفون الى دواوينهم والمحامون الى ممارسة أعمالهم وعمال العنابر الى عنابرهم ، وتم أيضا في نفس الوقت اصلاح السكك الحديدية واعادة البريد كما انتزع البريطانيون في تلك الاثناء اعتراف الرئيس ويلسون بالحماية ثم اعتراف مؤتمر الصلح بها (٣٣) .

وكانت خاتمة هذه الاجراءات التصريح الذي ألقاه اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطاني في مجلس العموم في ١٥ مايو ١٩١٩ والذي جاء فيه « أن حكومة جلالة الملك لا تنوى مطلقا أن تجهل أو تتخلى عن القيود والتبعات التي تحملتها عندما وضعت مهمة حكم مصر على عاتقها ، وهذه القيود والتبعات قد تأيدت باعلان حمايتنا على البلاد » .

كما جاء في جانب آخر من التصريح الاعلان عن نية الحكومة البريطانية على ارسال « لجنة عظيمة » الى مصر « تحدد صفة الحماية الجديدة وتعرض رأيها فيما يختص بادارة البلاد في المستقبل » (٣٤) .

وكان مطلوبا بعد هذا التصريح تأليف وزارة جديدة تقبل به من جانب وتستقبل « اللجنة العظيمة » والتي عرفت بلجنة ملنر من جانب آخر .

ووقع الاختيار في هذا الصدد على محمد باشا سعيد رئيس النظار السابق والذي رأى انه أنسب من يقوم بهذه المهمة لأكثر من سبب .

١ - انه لم يكن في أي وقت من المنضمين الى سعد زغلول وجماعته ، فقد كان معلوما أن سعيد باشا قد انضم الى أصحاب اتجاه الحزب الوطني بهدف مناوأة الشعبية الجارفة التي كان قد اكتسبها سعد خلال الفترة

٢ - كان بين الرجلين (سعيد وسعد) خصومة قديمة بدأت منذ أن احتل سعيد منصب رئيس الوزراء خلفا لبطرس غالي ١٩١٠ وهو المنصب الذي كان يطمع فيه سعد ، ثم زادت بخروج سعد من الوزارة السعيدية ، واستحكمت بمواقف سعد العدائية من هذه الوزارة أثناء وكالته للجمعية التشريعية ، وقد رأى الانجليز استغلال هذه الخصومة .

٣ - قبول سعيد باشا للحماية البريطانية على البلاد أساسا لتأليف الوزارة الجديدة (٣٥) متمشيا في ذلك مع تصريح كيرزون .

(٣٢) أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣٣) عبد الرحمن الرافعي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣٤) نص التصريح في : أحمد شفيق المصدر السابق ، ص ٣٦٥ - ٣٧٣ .

وتألفت الوزارة السعيدية الثانية على النحو الآتى :

محمد سعيد باشا للرئاسة والداخلية .. اسماعيل سرى باشا للاشغال العمومية والحربية والبحرية .. يوسف وهبه باشا للمالية .. أحمد زيور باشا للمعارف العمومية .. عبد الرحيم صبرى باشا للزراعة .. أحمد ذو الفقار باشا للحقانية .. محمد توفيق نسيم بك للاوقاف .. وفى ٢ يونيه صدر مرسوم بتعيين أحمد طلعت باشا وزيرا للمعارف العمومية ، وأنشئت وزارة المواصلات فى نفس اليوم وعين لها أحمد زيور باشا .

ويوافق أغلب من أرخ لتلك الفترة على ما أعلنه سعيد باشا عند قيام وزارته بأنها وزارة إدارية ، ويرون أنها فاتحة وزارات ثلاث من هذا النوع (سعيد وهبه ونسيم) وذلك على أساسين :

أولهما : أن هذه الوزارات قد تشكلت بهدف تسير دفة الأمور الإدارية فى البلاد ، أما الشئون السياسية فهى تتركها للوفد فى أوروبا يقرر مصيرها مع حكومة لندن .

ثانيهما : الحديث الذى أدلى به محمد باشا سعيد فى ٢٢ مايو بعد يومين من تشكيل وزارته التى تجرودة مصر صرح فيه ببرنامج وزارته ومن بين ما جاء فيه « أن مهمة الوزارة هى تسير الأمور المعطلة وإعادة النظام الداخلى الى السلطة المدنية والاجتهاد فى عودة الجمعية التشريعية الى الانعقاد والسعى فى رفع الأحكام العرفية والغاء الرقابة على الصحف والغاء قانون المطبوعات » (٣٦) .

وتبدو الوزارة السعيدية على هذا النحو وكأنها وزارة إعادة الأمور الى مجاريها دون أن يكون لها أى برنامج سياسى ، إلا أن الوثائق البريطانية لاتلبث أن تبدد هذا الوهم الشائع مما ينفى تلك الصبغة الإدارية التى حرصت الوزارة أو المحتلون على صبغها بها .

فقراءة هذه الوثائق تؤكد أنه كان لتلك الوزارة برنامج سياسى تمثل فى السعى فى تدعيم ما أسماه اللبى « بالتيار المعتدل » (٣٧) وذلك بأن يسعى سعيد باشا الى تأليف جماعة سياسية جديدة تمثل هذا التيار وتتعاون مع الوجود الاحتلالى لتواجه الوفد أو من نظرت اليهم السلطات البريطانية باعتبارهم جماعات المتطرفين .

وتتأكد الصبغة السياسية للوزارة السعيدية من الخطة التى انتهجتها والتى أدت فى النهاية الى استقالتها بعد سنة شهور من تأليفها .

(٣٥) F.O. 407/184 Allenby to Curzon, May 23, 1919 Tel. No. 833 Urgent.

(٣٦) مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة بالاهرام : ٥٠ عاما على ثورة

١٩١٩ ، ص ٣٧٢ .

(٣٧) F.O. 407/184 No. 350 Allenby to Curzon, May 24, 1919 Tel. No. 833

Urgent.

ذلك أنه كان على وزارة سعيد باشا مع تأليفها أن تعد لاستقبال لجنة ملنر — كما أشرنا — ولكن كان رأى رئيس الوزراء تأجيل قدوم اللجنة الى أن يتمكن من تنفيذ برنامجه السياسى ، وكما جاء بالحرف الواحد فى احدى مراسلات ممثل المندوب السامى فى القاهرة الى وزير الخارجية البريطانية « أن سعيد باشا يصر على أن وصول لجنة ملنر فى المستقبل القريب يعنى تدمير جهوده لاقامة حزب معارض لسعد زغلول » .

من جانب آخر تشير نفس المراسلة أن سعيد باشا سوف يتعرض من جراء قدوم اللجنة الى هجوم شديد من جانب دوائر الوطنيين وصحفهم على أساس أنه يعاون من أجل استقبال البعثة (٣٨) .

والواقع أن سياسة الوزارة السعيدية بخلق شرح بين أعضاء الوفد تنفذ منه لتحطيم حركته كانت قد بدت تؤتى بعض أكلها باستقالة بعض أعضاء الوفد فى باريس (٣٩) لا سيما إذا لاحظنا أن رئيسها قد تعرض فى ٢ سبتمبر الى اعتداء على حياته عندما التقى أحد الوطنيين قبله على موكبه فى الاسكندرية انفجرت فى المركب ولكن لم تصب محمد سعيد بأذى (٤٠) .

ومن ثم فقد رأى أن قدوم لجنة ملنر سيؤدى الى تحطيم كل الجهود التى بذلت ، فمع إخبار هذا القدوم عادت صفوف الوفد للالتئام ، وعادت الحركة الوطنية للتصاعد ، بالإضافة الى كل ذلك فقد أدرك سعيد أنه سوف يتمخض عن قرارات هذه اللجنة تشكيل مجلس دستورى سيستتبعه حتما خروجه من الحكم حيث أن الوزارة الجديدة لابد أن تنبثق عن هذا المجلس (٤١) .

وعلى ذلك وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ عندما قرأ اللبى على محمد سعيد المذكرة التى تضمنت ما قرره الحكومة البريطانية من سياسة فى مصر والتى أشارت الى القرار بارسال لجنة ملنر رد رئيس الوزارة المصرية على ذلك بأنه لا يمكن أن يستمر فى منصبه مع وصول اللجنة الذى يعنى الاضطراب وسفك الدماء .

وطالب بهلة يجتمع خلالها بوزرائه للتشاور فى الموقف وتقدم محمد سعيد باستقالته للسلطان فؤاد الاول الذى قبلها فى ١٧ نوفمبر (٤٢) ومن الملاحظ أن استقالة الوزارة السعيدية لم تنشر فى الوقائع الرسمية . كما لم ينشر مرسوم قبول هذه الاستقالة (٤٣) والتى كانت آخر عهد محمد سعيد بالوزارة .

(٣٨) F.O. 407/184 No. 190 Cheetham to Curzon Sept. 1919 Tel. No. 1410.

(٣٩) أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ :

(٤٠) عبد الرحمن الراعى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٤١) F.O. 407/185 No. 239 Allenby to Curzon Nov. 14, 1919 Tel. No. 1582.

(٤٢) F.O. 407/185 No. 296 Allenby to Curzon Nov. 17, 1919 Tel. No. 1594.

(٤٣) لا توجد أى وثائق رسمية خاصة بهذه الاستقالة بالوقائع المصرية التى تم البحث فى الاعداد بين ١٠٣ و ١١٧ منها كما لم ينشر نص كتاب الاستقالة ولا خبر عن قبولها فى أى مصدر آخر (شفيق ص ٥٦٠) .



يوسف وهبه باشا

- ولد في سنة ١٨٥٢ بالقاهرة .
- تلقى علومه بمدرسة البطريركية القبطية وأتقن اللغات والعلوم الرياضية .
- اشتغل بنظارة المالية ثم الحقانية .
- عام ١٨٨٣ عين كاتب سر لجنة التحقيق مع العربيين .
- ظل يترقى حتى عين مستشارا في محكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية .
- عام ١٩١٤ عين وزيرا للمالية وكان أول وزير مصرى يوقع أوراقا مالية مصرية هي التي صدرت خلال الحرب .

٢٦ - وزارة يوسف باشا وهبه الأولى ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ - ٢١ مايو ١٩٢٠ :

عرضت الوزارة مرة أخرى بعد استقالة محمد سعيد على مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية السابق ، وللمرة الثانية رفض الرجل هذا المنصب (٤٤) .

وقف اسماعيل سرى نفس موقف مظلوم من قبول رئاسة الوزارة وان أعرب عن استعداده لقبول الاشتراك في الوزارة الجديدة فعرض المنصب على يوسف وهبه الذى قبله بشرط أن يتمكن من تأليف الوزارة (٤٥) .

وتمكن بالفعل ونجح في مهمته بتشكيل الوزارة السادسة والعشرين من الوزارات المصرية على النحو الآتى :

- | | |
|--|------------------------|
| رئيسا ووزيرا للمالية | ● يوسف وهبه باشا |
| وزيرا للأشغال العمومية وللحربية والبحرية | ● اسماعيل سرى باشا |
| وزيرا للمواصلات | ● أحمد زيور |
| وزيرا للحقانية | ● أحمد ذو الفقار باشا |
| وزيرا للداخلية | ● محمد توفيق نسيم باشا |
| وزيرا للزراعة | ● محمد شفيق باشا |
| وزيرا للمعارف العمومية | ● يحيى ابراهيم باشا |
| وزيرا للأوقاف (٤٦) | ● حسين درويش بك |

نترك الوثائق البريطانية بعد ذلك تتحدث عن أسرار تشكيل وزارة يوسف وهبه يتحدث اللنبى في التقرير الذى كتبه عن هذا التشكيل عن سبب استمرار يوسف وهبه في الاحتفاظ بوزارة المالية فيذكر أن هذا قد حدث تلبية لرغبة وهبه باشا نفسه ، وعن أسباب نقل توفيق نسيم الى وزارة الداخلية لأنه أبدى جهودا طيبة في وزارة الأوقاف من ناحية ولأنه يحظى بالثقة الكاملة لرئيس الوزراء من ناحية أخرى .

ثم ينتقل التقرير بعد ذلك الى الوزراء الجدد .

محمد شفيق باشا أحد موظفى الرى والذى أدار بنجاح الدائرة الخاصة الخديوية والذى كان وكيلا لوزارة الأوقاف عند انشائها ومعروف عنه اخلاصه وتعاطفه مع البريطانيين .

يحيى باشا ابراهيم الذى ترك رئاسة محكمة الاستئناف الأهلية ليصبح وزيرا للمعارف ، وقد أبدى - على حد تعبير التقرير البريطانى - « شجاعة فائقة في مقاومة الاثارة الوطنية في المحاكم خلال اضطرابات الربيع الماضى » .

(٤٤) F.O. 407/185 No. 296 Allenby to Curzon Nov. 19 1919 Tel. No. 1610.

(٤٥) F.O. 407/185 No. 305 Allenby to Curzon Nov. 19, 1919. Tel. No. 1610.

(٤٦) الوثائق المصرية العدد ١٠٦ ، في ٢٢ نوفمبر ١٩١٩ .

حسين درويش بك القاضى والذى اختير لوزارة الاوقاف بسبب سمعته الطبية وقدرته الخاصة على القيام بأعباء هذه الوزارة .

وأخيرا يتحدث التقرير عن الوزراء المستقيلين مع محمد سعيد :

أحمد طلعت باشا وذلك بسبب ضعفه فى مواجهة اضطرابات طلاب المدارس العليا — على حد تعبير التقرير أيضا — وقد رُئى بسبب سمعته القضائية أن يشغل مركز رئيس محكمة الاستئناف الذى خلا بخروج يحيى باشا .

وعبد الرحيم باشا صبرى صهر السلطان والذى اثبت قليلا من الكفاءة ، ومن ثم سارعت السلطات بالاستجابة لرغبته فى عدم الاشتراك فى الوزارة الجديدة (٤٧) :

ويتهى تقرير اللبى الى وزارة الخارجية البريطانية ليؤكد ان معيار الاختيار كان الولاء للإنجليز ومعيار البقاء كان مدى النجاح فى تثبيت الوجود البريطانى من ناحية أخرى فقد رأت زعامة الحركة الوطنية فى هذا الوقت — وهى على حق — ان اختيار يوسف وهبه بالذات لرئاسة الوزارة قد استهدف من ورائه ضرب الوحدة الوطنية المصرية والتي كانت أهم سمات ثورة ١٩١٩ مما دعاها الى اختيار مرقس حنا وكيلا للجنة الوفد المركزية « لیتراس اللجنة » رادين بذلك كيد المصلطين فى نحرهم ، ولتثبت لهم ان هذه السفاسف أصبحت بعيدة عن أفكارنا « (٤٨) .

وقد شهد عهد هذه الوزارة مجيء ملئر بكل المد الوطنى الذى واجه هذا المجيء مما استتبعه ان تعرض اعضاؤها الى سلسلة من الاعتداءات لم يتعرض لها أعضاء أى وزارة سابقة .

فى ١٥ ديسمبر ١٩١٩ وبعد تأليف الوزارة بأقل من شهر تعرض يوسف وهبه نفسه للاغتيال من طالب قبطى بكلية الطب هو يوسف عريان سعد ، وفى ٢٨ يناير ١٩٢٠ ألقى مجهول قنبلة على اسماعيل سرى باشا انفجرت الى جوار سيارته ولكنه نجا من الإصابة ، وفى ٢٢ من الشهر التالى ألقيت قنبلة على محمد شفيق وزير الزراعة انفجرت ولكن لم تصبه أيضا وضبط من ألقيها وهو طالب يدعى عبد القادر شحاته ، وفى ٨ مايو من نفس السنة ألقيت قنبلة أخرى على وزير الاوقاف حسين درويش الذى أصيبت سيارته بأضرار (٤٩) .

دعا ذلك الى محاولة استرضاء الوزراء فصدر فى عهد هذه الوزارة القانون الذى منح الوزير لقب صاحب معالى من يوم تعيينه بالوزارة ويبقى له بعد ذلك معاش ، وجعل للوزير أيضا من ساعة قبوله الوزارة معاشا

F.O. 407/185 No. 388 Allenby to Curzon Nov. 3 24, 1919 Desp. (٤٧)
No. 584.

(٤٨) من عبد الرحمن نهى الى سعد زغلول فى ٣ ديسمبر ١٩١٩ . د. محمد انيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .
(٤٩) عبد الرحمن الرامى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

ألفا وخمسمائة جنيه يستمتع بها طيلة حياته ، ويستمتع بها أبنائه وورثته من بعده (٥٠) .

ولكن لا يمكن القول بنجاح محاولة الاسترضاء ، ففي أول فبراير يكتب المندوب السامي الى لندن أن رئيس الوزراء وسرى باشا قد أرجفتها التهديدات باغتيالهما (٥١) وفي ٢١ فبراير يقدم سرى استقالته ويضطر المسئولون البريطانيون الى قبول هذه الاستقالة (٥٢) .

وبينما كانت الوزارة تتداعى على هذا النحو كانت لجنة ملنر تتفاوض مع عدلى فى القاهرة والذي نجح فى انتزاع تنازلات منها تمثلت فى استعدادها للمفاوضة على أساس الاستقلال التام على أن تكون هذه المفاوضة مع حكومة مسئولة لا مع الوفد مما دعا سعد زغلول الى المطالبة بتكوين « وزارة ثقة » برئاسة عدلى باشا ، ولكن عدلى رفض الفكرة تخوفا من الفشل مما يمكن الوفد منه (٥٣) .

نتج عن ذلك أن وافق ملنر أخيرا على التوجه الى لندن لمفاوضة الوفد وبدلا من أن تؤدي هذه النتيجة الى تبديد مخاوف الوزارة الوهبية أدت الى الشعور بأنها سيضحى بها على مذبح هذه المفاوضات مما أضاف مزيدا من أسباب تداعيتها .

أكثر من ذلك أن العلاقة بين يوسف وهبه وبين القصر كانت قد فترت على امتداد شهور عمر الوزارة بسبب النجاح الذى أحرزه وزير الداخلية توفيق نسيم فى سياسته فى « حشد الناس الى التشريفات » وهو أسلوب كان لا يوافق عليه رئيس الوزارة (٥٤) .

مدفوعا بكل تلك الظروف تقدم يوسف وهبه باستقالة وزارته فى ١٩ مايو ١٩٢٠ مدعيا أنها لأسباب صحية ، ويؤكد اللبى فى رسالته الى لندن صحة هذه الأسباب (٥٥) .

٢٧ — وزارة محمد توفيق نسيم باشا الأولى ٢١ مايو ١٩٢٠ — ١٦ مارس ١٩٢١ :

بينما كان للقصر اليد الطولى فى استقالة يوسف وهبه كانت له أيضا نفس اليد فى اختيار خلفه توفيق نسيم ، فهذا الاختيار قد تم باقتراح من السلطان الى المندوب السامي الذى رأى انه « خدم بكفاءة فى وزارة الداخلية وله تأثير واضح على زملائه وعلى السلطان نتيجة لخلاصه ولوضوحه » (٥٦) .

(٥٠) د. محمد حسين هيك : مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ص ٩٣ .

(٥١) F.O. 407/186 No. 47 Allenby to Curzon Feb. 1920 Tel. No. 89.

(٥٢) F.O. 407/186 No. 68 Allenby to Curzon Feb. 21, 1920 Tel. No. 154.

(٥٣) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ — ٢٥٥ .

(٥٤) حسن الشريف : الرجال أسرار ، ص ١٩ — ٢٢ .

(٥٥) F.O. 407/186 No. 255 Allenby to Curzon May, 19, 1920 Tel. No. 440.

(٥٦) F.O. 407/186 No. 302 Allenby to Curzon June, 1, 1920 Desp. No. 578.



محمد توفيق نسيم باشا

- ينتمى لأسرة تركية موطنها في الأناضول .
- تعلم في مصر وتخرج في مدرسة الحقوق الخديوية بالقاهرة
- عين في النيابة وتقلب في عديد من الوظائف حتى عين وزيرا للأوقاف في الوزارة السعيدية الثانية .
- تولى بعد ذلك وزارة الداخلية في وزارة يوسف وهبه مما مهد له الطريق لرياسة الوزارة .

ومنذ البداية كان توفيق نسيم يأمل في أن تضم وزارته نفس عناصر وزارة يوسف وهبه إلا أنه لم يقبل الاشتراك من هؤلاء الوزراء سوى أحمد زيور . دعا ذلك رئيس الوزراء الجديد الى طلب ضمان من السلطات البريطانية تتأكد بمقتضاه الصبغة الادارية للوزارة والذي حصل عليه وكان نصه « سوف لا يتم البت في مصير جميع المنظمات أو المؤسسات الهامة ذات الصبغة السياسية في مصر الا بعد ان يتم الاتفاق عليه بين الحكومتين » (٥٧) .

وبعرض هذا الضمان على أعضاء الوزارة السابقة وافقوا جميعا على الاشتراك في الوزارة الجديدة فيما عدا يحيى ابراهيم باشا الذي صمم على الاستقالة لسوء صحته ولأسباب عائلية (٥٨) .

ومن ثم فقد تشكلت وزارة توفيق نسيم على النحو الآتى :

- | | |
|------------------------|--------------------------|
| ● محمد توفيق نسيم باشا | للرئاسة والداخلية |
| ● أحمد زيور باشا | للمواصلات |
| ● أحمد ذو الفقار باشا | للحقانية |
| ● محمد شفيق باشا | للاشغال الحربية والبحرية |
| ● حسين درويش باشا | للاوقاف |
| ● محمد توفيق رفعت باشا | للمعارف العمومية |
| ● محمود فخرى باشا | للمالية |
| ● يوسف سليمان باشا | للزراعة (٥٩) |

والوزراء الجدد في هذه الوزارة هم محمد توفيق رفعت الذي كان يعمل نائبا عاما ، وفخرى باشا الذي كان محافظا للاسكندرية ، ويوسف سليمان وهو قاض قبلى في محكمة الاستئناف استهدف من اختياره أن يحل محل يوسف وهبه في تمثيل الأقباط في الوزارة .

ومن الواضح من الضمان الذى سعت الوزارة النسيجية الى الحصول عليه مع تشكيلها ، ومن طبيعة هذا التشكيل أنها « وزارة ذات صبغة ادارية تامة » (٦٠) ومن ثم لم يكن امامها سوى انتظار ما يمكن أن يتمخض عنه الموقف السياسى .

وقد استغرقت المفاوضات بين الوفد ولجنة ملنر كل عمر هذه الوزارة والتي نتج عنها ، أخيرا بالرغم من فشلها ، التبليغ البريطانى بأن « الحماية علاقة غير مرضية » مما انسحب أثره على الوزارة وأدى الى تغيير هويتها .

(٥٧) F.O. 407/186 No. 270 Allenby to Curzon May 27, 1920 Desp. No. 516.

(٥٨) F.O. 407/186 No. 302 Allenby to Curzon June 1, 1920 Desp. No. 578.

(٥٩) الوقائع المصرية العدد ٢١٣ .

(٦٠) F.O. 407/186 No. 302 Allenby to Curzon June 1, 1920 Desp. No. 578.

الباب الثالث

الفصل الثالث

بداية عهد الوزارة السياسية

فتح تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الصادر عن الحكومة البريطانية بأن الحماية لم تعد علاقة مرضية مع مصر ، صفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين البلدين مما انسحب اثره على طبيعة الوزارة المصرية بصيغها بالصيغة السياسية .

وكما سبقت الاشارة فان الوزارة قد سعت خلال عهد الحماية وبالأذات وزارات رشدى وسعيد ، الى انتزاع بعض الصلاحيات السياسية ولكن وبالرغم من ذلك فانه طالما استمر نظام الحماية قائما فقد ظلت سلطاته هي فى النهاية التى تخطط لاصدار القرارات السياسية كما انها بقيت فى كل الأحوال صاحبة القرار السياسى ، بمعنى آخر أن دور الوزارة قد اقتصر على القبول بتنفيذ ما تقرره سلطات الحماية فى نهاية الأمر وهو دور تغلب عليه الصيغة التنفيذية بلا شك .

فى نفس الوقت فان الوزارة لم تنبثق عن أى تجمع سياسى بل انبثقت دائما من ارادة دار الحماية ، أو على أحسن الأحوال من الاتفاق بين المندوب السامى والسلطان .

ومع صدور تصريح ٢٨ فبراير وقد تضمن اعتراف بريطانيا بالقبول بانتهاء الحماية على مصر فان هذا الاعتراف كان لابد أن يتبعه تغيير فى طبيعة الوزارة ، وللاسباب الآتية :

١ - فمن ناحية فان الهدف الرئيسى من وراء تشكيل الوزارة الجديدة كان أن تتولى المفاوضات مع الجانب البريطانى لتحديد نوعية العلاقات المصرية - البريطانية ، وما يمكن أن يترتب على ذلك من تحديد مستقبل الوطن المصرى ذاته ، بمعنى آخر ان الوزارة الجديدة كانت ستتشكل للقيام بعمل سياسى لا شك فيه ، وهل هناك أمر ذو صبغة سياسية أكثر من تحديد مستقبل مصر ؟

٢ - ومن ناحية أخرى فان اختيار أعضاء هذه الوزارة قد تم لأسباب سياسية تماما .

٣ - من ناحية ثالثة فربما لم تتمتع الوزارة الجديدة بتأييد سعد زغلول نفسه ولكنها تمتعت بتأييد جناح هام من أجنحة الوفد أقوى الجماعات السياسية المصرية القائمة ، ثم ان تشكيلها قد أدى فى النهاية الى ذلك الانقسام الذى أصاب الوفد والذى استمر يؤثر على الحياة السياسية فى مصر حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، ويسجل الأستاذ شفيق غربال تلك الحقيقة فيقول ان حوادث ذلك الانقسام « قد طبعت الحياة السياسية فى بلادنا بالبعد عن القصد والاعتدال فى التفكير والحكم ، وطبعتها بتوخى المنفعة والمصلحة القريبة جدا فى الخطة السياسية ، فلا ينظر الزعيم الا الى الاثر

المباشر لعمله ، وأصبح العمل في السياسة وفي الإدارة وفي التعليم وفي العلم مجرد « مناورة » تدفع شيئاً أو تجلب شيئاً ، وأصبحت الحياة في مصر معركة أو سلسلة معارك . . « (١) .

ولا شك أن كل هذه الأسباب كانت أمام ناظرى المعاصرين مما دعاهم الى اعتبار وزارة عدلى يكن أول وزارة سياسية في تاريخ مصر الحديث .

٣٨ - وزارة عدلى يكن باشا الأولى ١٦ مارس ١٩٢١ - ٢٤ ديسمبر ١٩٢١

سعت بريطانيا بعد اصدار تصريحها بالاعتراف بالحماية كعلاقة غير مرضية بين البلدين الى تشكيل « وفد مصرى محترم » يوقع معها المعاهدة التى ستقرر طبيعة العلاقات الجديدة بينها وبين مصر ، وقد وضع البريطانيون ثلاث مواصفات للوفد المقترح تشكيله كانت على النحو الآتى ، كما جاء فى احدى برقيات المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى لندن :

١ - أن تكون فى يد هذا الوفد السلطة اللازمة للسيطرة على الموقف فى البلاد ابان المفاوضات .

٢ - أن يكون لديه أقوى احتمال ممكن للحصول على موافقة الهيئة النيابية المستقبلية على الاتفاقية المزمع عقدها .

٣ - أن يكون موافقا بصفة عامة على السياسة التى تتبناها الحكومة البريطانية (٢) .

ومن المباحثات التى جرت حول تشكيل هذا الوفد تأكدت حقيقة مؤداها أن استمرار وزارة توفيق نسيم القائمة امكانية غير محتملة مما دعا بعد أكثر من أسبوعين استغرفتهما تلك المباحثات الى استقالة تلك الوزارة وتأليف وزارة عدلى الأولى .

يدعو ذلك الى متابعة ، ولو سريعة ، لتلك المباحثات ، ليس لأنها كانت وراء اسقاط وزارة وقيام وزارة جديدة فقط ، بل لأنها هى التى حددت مستقبل الوزارة العدلية ، سواء فى الدور السياسى الذى قامت به لتحديد مستقبل العلاقات المصرية البريطانية ، أو فى علاقتها بالقصر ، أو فى علاقتها بالوجود الاحتلالى .

رشح السلطان أول من رشح أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية لرياسة الوفد ، والذي رأى أن الوفد يجب أن يضم نسبة تصل الى الثلث

(١) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ ص ٨٧ .
(٢) F.O. 407/188 No. 164 Allenby to Curzon March 8, 1921 Tel. No. 147.



عدلى يكن باشا

— ولد عام ١٨٦٤ . وهو ينتمى بصلة القربى لمحمد على الكبير .

— درس مبادئ العلوم فى الاستانة ثم عاد الى مصر وتلقى تعليمه فى مدارس الارساليات بها .

— الحق سنة ١٨٨٠ بقلم الترجمة بوزارة الداخلية ثم قلم المطبوعات ثم أصبح سكرتيرا لنوبار باشا وزير الخارجية .

— بدأ منذ عام ١٨٩١ يترقى فى المناصب الادارية فعين وكيلا لمديريات المنوفية ثم المنيا ثم محافظة القنال ، ومديرا للفيوم فالمنيا فالشرقية فالدهلية فالغربية ثم محافظا للقاهرة فمديرا لعموم الأوقاف .

— فى عام ١٩١٤ ارتقى الى منصب الوزارة فى الخارجية ثم المعارف فالداخلية .

على الأقل من أعضاء هذه الجمعية ، كما رأى أيضا أن يشترك فيه وزيران أو ثلاثة . ثم حتى يقطع على الحكومة البريطانية حاجتها بأن المفاوضات لن يمكن اتمامها دون وجود سعد زغلول فقد قرر السلطان دعوته الى المشاركة في الوفد بالرغم من شكوكه في قبول زغلول لمثل هذه الدعوة (٢) .

وكان واضحا منذ البداية أن لكل من دار الحماية والقصر موقفين متناقضين في نظرتهم الى حجم عدلى باشا يكن السياسى .

ذلك أن ما قام به الرجل من وساطة بين لجنة ملنر والوفد المصرى ، وما بذله من جهد أثناء مباحثات الهيئتين ، للتوفيق بينهما وتذليل الصعوبات ، رشحه في نظر الحكومة الانجليزية ليكون الزعيم المصرى الذى يقبل التسوية التى ينوى البريطانيون تقديمها (٤) .

على الجانب الآخر لم ينظر السلطان لعدلى باشا نفس النظرة الانجليزية ، وفى أكثر من مناسبة ظل يحذر المندوب السامى البريطانى من المبالغة فى أهمية الرجل .

يوم ٢٤ فبراير ١٩٢١ عندما بحثت لأول مرة فكرة تكوين الوفد المصرى بعد أن علم السلطان بالنية البريطانية على اصدار التصريح الذى صدر بعد ذلك بيومين قال اللبى : « أن عدلى باشا لا يمثل أى حزب حقيقى فى البلاد ، وأنه من الخطورة الاسراف فى الاعتماد عليه أكثر مما ينبغى » .

وفى يوم ٤ مارس يقول اللبى بالحرف الواحد وفى احدى مذكراته الى لندن أن السلطات « قد أسهب فى التحذير من اعطاء عدلى تنازلات أكثر مما ينبغى مؤكدا مرة أخرى بأنه لا يجب الاعتماد عليه فى السيطرة على الموقف فى البلاد ابان المفاوضات الرسمية » (٥) .

ولكن والحكومة البريطانية كانت قد استقر رأيها على أن عدلى باشا هو الرجل المناسب ، وقد دعم من هذا الاستقرار علمها بأن الرجل ذو علاقات وثيقة مع قسم مهم من أعضاء الوفد المصرى ، وأنه قادر بقوة هذه العلاقات على محاصرة سعد زغلول والحد من خطر مغاضته لآى اتفاق قادم ، وهى المعارضة التى يحسب كل الأطراف حسابها ، باستقرار لندن على هذا الراى فقد اصمت آذانها عن **صيحات النصيح الملكية** وببادرت، بمنح عدلى الأهمية التى رأتها فيه .

فى اللقاء الذى تم بين المندوب السامى وبين السلطان فى ١٤ مارس وقد رأى الأول أن القصر يسعى لتشكيل الوفد المقترح دون أن يكون لعدلى دور

F.O. 407/188 No. 222 Allenby to Curzon, 18 March 1921 Desp. (٢)
No. 225.

(٤) شفيق غريال : المصدر السابق ص ٢٢٢ .
F.O. 406/188 No. 222 Op. Cit. (٥)

أساسي فيه نبه اللبني بضرورة اعطاء « كل الاهتمام لآراء عدلى باشا فيما يتعلق بتشكيل الوفد الرسمي » .

ثم في نفس اليوم يبادر المندوب السامي الى دعوة عدلى باشا لستمع الى آرائه ، وكانت هذه الآراء التي اخذ بها الجانب البريطاني نقطة تحول سواء في التخلص من الوزارة القائمة ، أو في احباط مساعي القصر لتشكيل الوفد على النحو الذي ارتآه ، أو في تكوين الوفد الجديد .

راى عدلى باشا أن الوفد على النحو الذى فكر فيه السلطان ، يستوفى في تشكيله الشرط البريطانى بأن يكون قادرا على الحصول على موافقة الجمعية التشريعية على الاتفاقية التى سوف يتوصل اليها ، كما رأى أن عدد أعضاء الوفد يجب أن يكون محدودا وأن يتكون من رجال يحترمهم الراى العام في البلاد على أن يكونوا متعاطفين بوجه عام مع السياسة البريطانية .

تبع ذلك أن دبرت دار الحماية بالقاهرة لقاء مشتركا لكل من عدلى باشا ورئيس الوزراء توفيق نسيم ، وفي هذا اللقاء أعرب عدلى للمسؤولين البريطانيين ، وفي مواجهة رئيس الوزراء عن رايه بأن الوزارة القائمة لن تتمكن من الوفاء بالشرط البريطانى بتمرير الاتفاق المزمع التوصل اليه في الهيئة التشريعية القادمة .

وبدلا من أن يعترض توفيق نسيم على ذلك الراى أو يدافع عن استمرار وزارته اذا به يوافق تماما عليه ، ويذكر أنه كان يرى دائما أن وزارته قد شكلت لأسباب إدارية وبناء على ذلك ، فإنه كان يرى أيضا أنه عندما يحين الوقت لأجراء المفاوضات الرسمية فإنه يجب أن تاتى وزارة أخرى ذات لون سياسى أقوى ، ثم أكد كل هذا بتذكير المجتمعين برفضه القيام بأى دور في المفاوضات السياسية وهو ما لوحث له به دار الحماية خلال شهر يونيو من العام السابق .

وبهذا القرار من جانب توفيق نسيم والذى نتج عن مبادرة عدلى باشا أصبح للمهمة جانبان : يتعلق أحدهما بتأليف الوفد ، ويتعلق الثانى بتشكيل الوزارة .

وتصور الوثائق البريطانية وجود جماعتين ذات مواقف متناقضة من جانبى المهمة ، أولاها جماعة القصر يمثلها الباشوات مظلوم وسرى ووهبه ومحمد سعيد تعمل برأى السلطان وبدعمه ، وثانيتهما جماعة المعتدلين من رجال التيار الوطنى يمثلها الباشوات عدلى ورشدى ولما كانت بريطانيا قد عقدت على هذه الجماعة آمالها في التوصل الى التسوية فقد ألقت بثقلها ورائها .

وتتعدد قضايا الصراع بين الجماعتين . . أول هذه القضايا ما دار حول اشراك محمد سعيد في الوزارة الجديدة ، وعن النية على تركه في منصب رئيس الوزراء بالنيابة خلال سفر بقية أعضاء الوزارة للتفاوض في لندن ،

فقد رفضت الجماعة الثانية قبول تلك النية ، على أساس أن سعيد باشا ، وهو رجل مؤامرات كما رآه عدلى ورشدى ، سوف يسعى الى بث المراقيل أمامهما في مصر بينما هما يسعيان الى الوصول الى تسوية مع الحكومة البريطانية في لندن ، وأيد المندوب السامى هذا الراى ، وبعد تردد من جماعة القصر اضطرت الى الموافقة على عدم اشراك سعيد باشا .

القضية الثانية تتصل باختيار أعضاء الوزارة أو أعضاء الوفد ، فبينما تصورت جماعة القصر انه يكفى عدلى ورشدى اختيارهما عضوين فان الرجلين رفضا ذلك ، واشترطا لقبولهما تلك العضوية أن يكون لهما رأيهما في اختيار بقية أعضاء الوفد ، وعلى حد تعبير السلطان أحمد فؤاد للمندوب السامى البريطانى « ان عدلى باشا يحاول أن يفرض نفسه على » .

بين العقبات التى أخذ عدلى باشا يبيثها في طريق جماعة القصر ، وبين ضغوط « اللبى » المتوالية على السلطان للاسراع بتشكيل الوفد والوزارة وضرورة الاستماع الى آراء عدلى باشا والتى وصلت الى نوع من الانذار قدمته سلطات الاحتلال الى القصر في ١٤ مارس ١٩٢١ — استدعى السلطان عدلى باشا يكن لتأليف أولى وزاراته وذلك بعد أن تخلى مظلوم باشا عن محاولة تأليفها (٦) . وتألفت وزارة عدلى باشا يكن على النحو الآتى :

حسين رشدى نائبا لرئيس مجلس الوزراء ، وعبد الخالق ثروت وزيرا للداخلية ، واسماعيل صدقى للمالية ، وأحمد زيور للمواصلات ، وجعفر ولى للمعارف العمومية ، وأحمد مدحت يكن للاوقاف ، ومحمد شفيق للاشغال العمومية والبحرية ، ونجيب بطرس غالى للزراعة ، وعبد الفتاح يحيى للحقانية (٧) .

ومع ما يلاحظ على هذا التشكيل من أن عدلى باشا قد أبعد مجموعة الرجال الأقوياء المتعاونين مع السلطان ، أو كما اسميناها « جماعة القصر » ممثلة في مظلوم ونسيم وسعيد وسرى ووهبه بل أكثر من ذلك بتعيين وزراء كان القصر يرفض تعيينهم (ثروت وصدقى) (٨) فإنه في نفس الوقت ، وعلى حد تعبير التقرير البريطانى الذى تناول الأزمة ، « لم يضم الى وزارته احدا من الزغلوليين » (٩) .

أهم من طبيعة تشكيل الوزارة العدلية البرنامج الذى تقدمت به والذي يعتبر أول برنامج سياسى لأول وزارة مصرية سياسية مما يدعو الى اثبات بعض ما تضمنه بنصه .

Ibid.

(٦)

(٧) الوقائع المصرية العدد ٢٧ لسنة ١٩٢١

F.O. 407/190 No. 73 Allenby to Curzon, Sept. 7, 1921 Desp. No. 773. (٨)

F.O. 407/188 No. 222 Allenby to Curzon, March 18, 1921 Desp. No. 225. (٩)

جاء في هذا البرنامج « ان الوزارة ستجعل نصب عينيها في المهمة السياسية التي ستقوم بها لتحديد العلاقة الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر ، وستجرب في هذه المهمة متشعبة بما تتوق اليه البلاد ، ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة . وستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا الغرض .

« وما يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بأن المفاوضات ستجرب على أساس الغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة فان ذلك التصريح الذى يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدعو الى الامل بأن المفاوضات التي ستحصل بهذه الروح ، ستفضي الى اتفاق محقق للأمانى الوطنية ، ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق .

« وبما ان هذه الجمعية ستكون أيضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادئ الحديثة للأنظمة الدستورية ، وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها ، وتنظم بكيفية تحقق تمثيل رأى الامة تمثيلا صحيحا .

« وفي هذا المقام تعرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام العادى ، وانها ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الأحكام العسكرية ، والغاء الرقابة في القريب العاجل ، وانا نعتد على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذى يحقق نجاحه أعز أمانى الوزارة » (١٠) .

وبما كان معلوما من ان الوزارة العدلية تحوز ثقة الوفد المصرى وبما تضمنه برنامجها من الاشارة الى دعوة سعد زغلول الى الاشتراك في عملها ، فقد استقبلت استقبالا حافلا من جموع الشعب المصرى يصنفه أحمد شفيق فيقول « ظلت البلاد في هرج ومرج مظهره شعورها بهذا الحادث الجديد — أى تأليف الوزارة — ربحا من الزمان لا يقل عن الاسبوع والناس في حبور وسرور » (١١) .

وينتهى الحبور والسرور ويبدأ العمل ، وكان على عدلى باشا ووزارته السياسية ان يتعاملوا مع القوى السياسية الثلاث صاحبة التأثير في البلاد ، القصر والوفد وسلطات الاحتلال ، ولا شك ان هذا التعامل هو الذى شكل مسيرة تلك الوزارة ، كما انه هو الذى حدد مصيرها .

١ — فيما يتصل بالقصر كان موقفه واضحا منذ البداية ، اذ انه قد أرغم وتحت تهديد الانذار البريطانى على قبول تأليف عدلى لوزارته ، ومن ثم لم

(١٠) الوقائع المصرية العدد ٢٧ لسنة ١٩٢١ .

(١١) أحمد شفيق : تهديد حوليات مصر السياسية ج ٢ ص ٣١ .

يكن السلطان أحمد فؤاد راضيا أى وقت عن الوزارة العدلية أو عن رئيسها الى الحد أنه اثناء وقوعه تحت الضغط البريطاني قال للمندوب السامى ما نصه « ان وزارة برياسة عدلى قد تنهار خلال اسبوع حيث ان عدلى تنقصه الشجاعة » (١٢) .

وعلى ذلك فمنذ البداية يمكن اعتبار القصر فى صف أعداء الوزارة وقد وقف منها موقف التريص .

٢ — فيما يتصل بالوفد المصرى برئاسة سعد زغلول فان كل التأييد الشعبى الذى حصلت عليه الوزارة مع تأليفها كان مطلوبا ليستمر أن يستمر معه تعاون سعد زغلول واتفاقه معها .

فى ٤ ابريل وصل زعيم ثورة ١٩١٩ الى ارض الوطن ليستقبل استقبالا شعبيا لم تعرفه مصر من قبل دعا ذلك المندوب السامى فى القاهرة الى أن يتساعل فى خطاب له الى لندن فى ٨ ابريل عما اذا كانت الوزارة ستستطيع أن تتحكم فى الموقف بعد ذلك وان كان قد اجاب على هذا التساؤل بأنه على أى الاحوال لن يسمح بالاساءة الى القانون أو النظام ، خاصة وأنه ليس من المستبعد أن يقوم سعد باشا « بانقلاب شبيه بذلك الذى قام به عرابى باشا » (٣) .

ولم تلبث الأحداث أن جققت مخاوف دار الحماية ، بعد الفشل فى ضم عدلى باشا لسعد زغلول الى صفه ، أو بالأحرى الى صفوف المعتدلين ، وبعد أن أعقب هذا الفشل انفجار الموقف بين الطرفين الى صراع .

لم يكن قد مضى وقت طويل على عودة سعد باشا الى ارض مصر حين بدأت مفاوضاته مع عدلى بهدف انضمامه الى « هيئة المفوضين الرسميين » ، وقد وضع لهذا الانضمام الشروط الآتية كما جاءت فى حديث أدلى به الى جريدة الأهرام :

أولا : الوصول الى الغاء الحماية الغاء تاما صريحا ، أى الغاء الحماية التى وضعت على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، والتى وردت فى معاهدة فرساي ومعاهدات الصلح الأخرى التالية لها .

ثانيا : الاعتراف باستقلال مصر استقلالا دوليا عاما سواء كان فى الداخل أو الخارج مع مراعاة ارادة الأمة التى أبدتها بالتحفظات المدخلة على مشروع اللورد ملتر عند ما عرض عليها قبل الدخول فى المفاوضات .

ثالثا : الغاء الأحكام والمراقبة الصحفية قبل الدخول فى المفاوضات .

رابعاً : أن تكون غالبية المفوضين الرسميين للوفد وأن تكون رئاسة الهيئة المفاوضة من الوفد (١٤) .

ويفكر عدلى باشا يكن أنه قد تم تسوية الشروط الثلاثة الأولى ، على أساس أن برنامج الوزارة قد تضمن أول شرطين ، ثم أنها تسعى من ناحية أخرى لتحقيق الشرط الثالث . وبقي رابع الشروط الخاص برئاسة الوفد موضع الخلاف .

وقد تصور عدلى أنه سوف ينجح في إجبار سعد على التخلي عن هذا المطلب ، وكانت خطته في ذلك ، كما جاء في حديث له مع اللبى ، أن يوجه خطاباً رسمياً للسلطان يبلغه فيه بموافقة سعد زغلول على تسوية شروطه الثلاثة الأولى ، ولا يكون أمام زغلول بعد ذلك إلا السير يدا بيد مع وزارة لا تقل رغبة عنه في تحقيق الآمال الوطنية ، أو يعادى هذه الوزارة لأنها لم تقبل شرطه الرابع بتوليته رئاسة الوفد ، وهو شرط يغلب على الرغبة في تحقيقه الطابع الشخصى ، مما يؤدي على حد تعبير عدلى باشا ، الى أن « يستنتج الراى العام في هذه الحالة أن لزغلول أهدافاً شخصية » (١٥) .

من ناحية أخرى كان عدلى يعلم أن سعدا لن يتمكن من استصدار قرار من الوفد بعدم الثقة بوزارته ، لأن أغلبية الوفد كانت في صفه (١٦) .

ومتسلحاً بتلك الاعتبارات رفض رئيس الوزراء مطلب زعيم الثورة برئاسة وفد المفاوضات متذرعاً بأن « التقاليد السياسية في جميع البلاد لا تسمح بحال من الأحوال أن يدخل رئيس حكومة في مفاوضة سياسية ولا يكون رئيس الهيئة الرسمية التى تتولى المفاوضة » ، ونشر هذا الرفض في حديث له الى « الأهرام » في ٢٥ أبريل رداً على حديث زغلول معرباً عن نيته على السير في المفاوضة حتى بدون الوفد (١٧) .

والواقع أن مثل هذا الرفض إنما يدل على عدم فهم كامل لعقلية سعد باشا زغلول بكل ما اتسمت به هذه العقلية من صلابة في مواجهة التحديات مهما كان حجمها .

ففى نفس يوم نشر رفض عدلى باشا لرئاسة سعد زغلول للوفد الرسمى المقرر تشكيله ، وبالرغم من رفض أعضاء الوفد المصرى لمطلب رئيسهم بسحب الثقة من الوزارة ، كما توقع عدلى ، فى نفس اليوم — ٢٥ أبريل — ألقى سعد زغلول باشا خطبة شهيرة فى شبرا رداً فيها على رئيس الوزارة مفنداً فيها ما ذكره عدلى عن توليته لرئاسة الوفد على أساس « أن الوزارة فى مصر لا تمثل الأمة لا حقيقة ولا حكماً . بل تمثل سلطة الحماية المضروبة

(١٤) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٥٣ — ٥٤ .
F.O. 407/189 No. 39 Allenby to Curzon, April 15, 1921 Tel. (١٥)
No. 243.

(١٦) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ الى ١٩٢٦ ص ٣٢٢ .
(١٧) نص الحديث فى : أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٥٧ — ٦٠ .

عليكم رغم انوفكم » وخرج من ذلك بأن رئاسة عدلى باشا لوفد المفاوضات
تعنى أن « جورج الخامس يتفاوض مع جورج الخامس » (١٨) .

وكانت هذه الخطبة اعلانا صريحا من جانب سعد زغلول بسحب التأييد
الذى كان قد منحه من قبل للوزارة العدلية . حقيقة حدث الانقسام الشهير
بعد ذلك في الوفد بخروج أغلب أعضائه منه ، وفي الأمة بالانقسام بين سعديين
وعدليين الا أن سعد باشا ، وكعادته ، سار في طريقه لا يلوى على شيء
يشن حربا لا هوادة فيها على الوجود الاحتلالى وعلى الوزارة العدلية .

حاول عدلى راب الصدع بالتوصل الى حل وسط باقتناع سعد زغلول
بمصاحبة الوفد الرسمى الى لندن دون أن يكون عضوا فيه ، ولكن رفض
البريطانيون تلك المحاولة على أساس أنه في حالة قبول سعد لها ، وهو
أمر استبعدوه ، فإن ذلك سوف يمنحه مركزا غير رسمى « لا يلبث أن
يصبح رسميا وأعلى مقاما من وفد المفاوضات » (١٩) .

ونصح المندوب السامى البريطانى عدلى باشا بأن يمضى في طريقه دون
الاهتمام بسعد زغلول (٢٠) ، وقد رئيس الوزارة النصيحة ولكنه خسر مع
هذا القبول ، وتما ، أى أمل في استمرار تأييد الوفد ، وبالعكس كان عليه
أن يواجه عداء سعد ، وعداء القاعدة الشعبية العريضة التى يمثلها معه .

٣ — بقيت القوة الثالثة ممثلة في « الاحتلال » ، وبدلا من أن يحسب
الخلاف بين عدلى وسعد لحساب العلاقة بين الوزارة والخارجية البريطانية
إذا به يحسب عليها .

فبالرغم من أن « دار الحماية » هى التى نصحت عدلى باشا رئيس
الوزارة ورئيس الوفد المصرى بعدم الاذعان لسعد الا أن ما ترتب على الصدام
بين الرجلين قد أفقد عدلى أهم ما اشترطه الإنجليز فيمن سيتولى مفاوضاتهم
سواء من قدرة « على السيطرة على الموقف في البلاد أثناء المفاوضات »
أو امكانه الحصول « على موافقة الهيئة النيابية المستقبلية على الاتفاقية » .

فقد تبينت الحكومة البريطانية أن سعد زغلول ، على غير ما توقعت قد
سيطر على الموقف الداخلى تماما واكتسح خصومه مما لم يدع مجال للامل
بنجاح عدلى في تنفيذ أى اتفاق يمكن أن يتوصل اليه في مفاوضاته في لندن (٢١) .

من جانب آخر فقد خف الضغط على الوجود البريطانى بعد أن تحول العمل
الوطنى في مصر الى نفسه فأخذ الزعماء الوطنيون يهاجمون بعضهم البعض

(١٨) نص الخطبة في : أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٦١ — ٦٩ .
(١٩) F.O. 407/189 No. 104 Allenby to Curzon, May 10 1921, Tel. No. 816.
Ibid.

(٢٠) Ibid.
(٢١) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٣٢٧ .

وبدأت التشققات التي أصابت الحركة الوطنية وظلت السمة المميزة على امتداد النصف الأول من هذا القرن .

من ناحية ثالثة فإن ما أصاب بعض الأجانب ، خاصة في الاسكندرية من خسائر نتيجة لصداماتهم مع المواطنين قد خلق جوا مواتيا لاستمرار التمسك البريطاني بوجود عسكري في البلاد .

وهكذا ، وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات ، تغير موقف سلطات الحماية من وزارة عدلى ومن فكرة المفاوضة الى حد كبير كما يبدو من مجموعة الحقائق الآتية :

١ — فبينما كان الجانب البريطاني متلهفا في البداية الى التعجيل باجراء المفاوضات الى الحد الذى وجه معه انذارا للسلطان عندما تلقا في تشكيله الرسمى اذا به يسوف في القبول ببديئها ، فبينما كان عدلى يلح في المطالبة بالسفر للقيام بهذه المفاوضات كان المندوب السامى على الجانب الآخر ينصح ببعض التأخير ويسأل رئيس الوزراء عما يمكن أن يحدث اذا ما استمرت الاضطرابات والمسؤولين عن ادارة البلاد غائبين عنها (!) (٢٢) .

٢ — ثم وفي الاعداد للسفر تصور عدلى أن الحكومة البريطانية يمكن أن تقدم له تنازلا يقوى من موقفه ، فطلب من المندوب السامى في اواخر مايو الموافقة على تعيين وزير خارجية في وزارته (٢٣) ، على أساس أنه وهو في طريقه الى مفاوضات سياسية لابد وأن يتضمن وفده وزيرا للخارجية ، وأن كان الأهم من ذلك أن إعادة وزارة الخارجية الى الوجود باعتبارها رمزا للسيادة والاستقلال الوطنيين كانت بلا شك ، لو وافق الانجليز على اعادتها ، من أهم المكاسب التي لو أحرزها عدلى لدعمت من موقفه داخل البلاد الى حد بعيد يضاف الى كل ذلك أن مثل هذا العمل يجب دعوى سعد زغلول التي ذكرها في خطابه الشهير بشبرا بقوله « ليس لمصر وزارة خارجية الآن وسياستها الخارجية بيد الدولة الحامية فلا يمكن لرئيس الوزارة أن يدعى أنه يدير سياسة مصر الخارجية حتى يكون له وجه في أن يكون رئيسا لمأمورية سياسية متعلقة بمستقبل الأمة بعلاقتها مع الحكومة الانجليزية (٢٤) .

ولكن وبرغم كل هذه الاعتبارات التي لم تكن لتغيب عن الحكومة البريطانية فقد جاء ردها بأن « التسليم بتعيين وزير خارجية لمصر يتعارض مع الأسس التي وضعتها وزارة الخارجية البريطانية للمفاوضات » (٢٥) ! وتم بذلك احباط محاولة أخرى من جانب عدلى لتدعيم مركزه .

٣ — وأخيرا في المفاوضات التي جرت في لندن بين الجانبين المصرى والبريطانى والتي استغرقت أكثر من أربعة شهور (١٦ يوليو — ١٩ نوفمبر

Lloyd : Op. Cit. p. 44.

(٢٢)

F.O. 407/189 No. 135 Allenby. to Curzon, May 23, 1921 Tel.

(٢٣)

No. 135.

(٢٤) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٦٧ .

F.O. 407/189 No. 146 Curzon to Allenby, May 25 1921, Tel. No. 302.

(٢٥)

(١٩٢١) وقد عرفت بمفاوضات عدلى - كيرزون ، فقد انعكس ضعف المفاوضات المصرى ، كذا موقف الحكومة البريطانية الجديدة من عدلى على طبيعة مقترحات كيرزون التى وصفها رئيس الوفد المصرى بأنها كانت « مختلفة جد الاختلاف عما اقترحته لجنة لورد ملنر » وقد أبدى دهشته من أن « الحكومة الانجليزية تفكر جديا فى ارضاء المصريين والوصول معهم الى اتفاق على أساس أقل مما عرض عليهم فى العام الماضى » (٢٦) .

لم يبق بعد ذلك للوزارة العدلية أى من قوى التأثير السياسى تعتمد عليها فى بقائها فى السلطة ، ومن ثم غانه فى أعقاب عودة عدلى الى أرض الوطن (٥ ديسمبر) لم يلبث أن تقدم باستقالته الى السلطان (٨ ديسمبر) .

لم يسع أى من أطراف التأثير السياسى الى أثناء الوزارة العدلية عن استقالتها ، بالعكس فقد رأت كل هذه الأطراف أنها استقالة طبيعية كل ما فى الأمر أن السلطان حاول تأخير قبول الاستقالة حتى يتم العثور على البديل المناسب ، هذا من ناحية ، وحتى يمكن تقرير مصر سعد زغلول الذى استمر عقبة أمام نجاح السلطة فى القضاء على ما أسمته بالاضطرابات وذلك بما اتخذ من قرار نفيه الى سيشل لينفذ هذا القرار فى ظل الوزارة المستقيلة ، من ناحية أخرى .

وقد تنبه عدلى الى تلك الاحتمالات مما دعاه فى كتاب بعث به الى السلطان الى الإلحاح فى قبول استقالته حتى لا يرمى بأن له فى تصرف الانجليز ، بالقبض على سعد ومن معه ، يدا أو رايا (٢٧) . وقبيلت الاستقالة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ وكان على مصر أن تواجه أزمة وزارية أخرى .

ومرة أخرى تتعرض مصر للبقاء بدون وزارة لأكثر من شهرين مما دعا اللبى الى أن يصدر « اعلانا » بعد قبول استقالة الوزارة بثلاثة أيام جاء فيه « قد رخص بموجب هذا لكل وكيل وزارة للقائم مقامه بأن يؤدى فى الوزارة التابع لها جميع أعمال الوزير ، وأن يتولى سلطته فى المسائل الادارية ، بما فى ذلك حق تمثيل الوزارة أمام جميع المحاكم وذلك بصفة وقتية ولحين تشكيل وزارة جديدة » (٢٨) .

وفى خلال هذين الشهرين ظلت قضية تأليف الوزارة تدور فى دائرة مفرغة ، فالسلطات البريطانية ، خاصة بعد إعادة نفي سعد تحتاج الى وزارة مشكلة من عناصر قوية من المعتدلين ذات علاقات طيبة بطرفى السلطة ، القصر والحماية ، ثم أن هذه العناصر القوية رفضت قبول الاشتراك فى العمل الوزارى قبل أن تنجح فى تحقيق بعض المطالب الوطنية ، على الأقل حتى لا تحرق بقية جسورها ، مع الشعب المصرى ، وتحقيق تلك المطالب يحتاج الى ترحيح الجانب البريطانى عن بعض موقفه .

(٢٦) من نص التقرير الرسمى الذى رفعه الوفد الرسمى الى السلطان عن المفاوضات - احمد شوقي : المصدر السابق ص ٥٠٥ - ٥١٩ .

(٢٧) د. حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ١٢٧ .

(٢٨) الوقائع المصرية العدد ١١٥ لسنة ١٩٢١ .

وكان لابد ، لانتهاء مثل هذا الموقف ، ان يأخذ أحد الاطراف بزمam المباداة ،
وقد أخذ اللنبى بهذا الزمام (!) .

ولنبدا الدائرة من نقطة البدء ..

فقد رشح المندوب السامى فى القاهرة ، بعد استقالة الوزارة العدلية ،
عبد الخالق ثروت باشا وزير الداخلية فى الوزارة المستقلة لتأليف الوزارة
الجديدة ، وقد بنى اللنبى هذا الترشيح على أساسين :

١ - ان ثروت باشا اصبح اقوى ممثلى تيار المعتدلين حيث انه نجح فى
وزارة انداخلية فى وقت تحملت فيه تلك الوزارة عبء المحافظة على الأمن
ضد محاولات سعد زغلول لتدمير هيئة الحكومة واستقاطها كما انه من ناحية
أخرى استطاع ان يصمد أمام الهجمات الضارية التى شنّها الوفد اثناء توليه
« مقاليد رئاسة مجلس الوزراء » على امتداد الشهور التى بقيها عدلى فى
لندن ، وقد تعددت المناسبات التى كالت فيها دار المندوب السامى فى القاهرة
المديح « لثبات وقدره الطريقة التى يدير بها مجلس الوزارة بقيادة ثروت
باشا القائم بعمل الرئيس الامور فى البلاد » (٢٩) ، ثم ان ثروت وهو لم يشترك
فى وفد المفاوضات فانه لم يتحمل تبعه أى فشل منى به هذا الوفد على
اختلاف الامر مع كل من عدلى ورشدى .

٢ - تحسن العلاقات بين ثروت والسلطان أحمد فؤاد ، ومن الغريب
ان تلك العلاقات حتى قيام الوزارة العدلية كانت سيئة الى حد كبير الى
الدرجة التى كان السلطان يرفض معها قبول الرجل كأحد أعضاء الوزارة .

ولكن ، وفى الفترة التى تولى فيها ثروت رئاسة الوزارة ، يذكر السلطان
لممثل المندوب السامى انه قد ظهر له خلالها « مزايا لا يشك فيها فى ادارة
الحكم عند ذلك السياسى » ، وواضح ان الرجل قد نجح فى الاستجابة الى
كثير من الرغبات الشخصية للسلطان لعل أهمها ما فعله فى تحميل اعتمادات
الدولة لاصلاحات قصر المنتزة والذى كان يرغب الملك فؤاد فى استخدامه ،
مما جعل القصر أخيرا ينظر لثروت باشا باعتباره الخليفة المنتظر لعدلى (٣٠) .

الا ان ثروت باشا ما كان ليقبل مثل هذا الاشتراك الا بشروط معينة
نشرت فى ٣٠ يناير ، وكان نصها :

أولا : عدم قبول مشروع كرزون والمذكرة التفسيرية الملحقه به .

ثانيا : تصريح الحكومة البريطانية بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال
مصر بداءة ذى بدء .

F.O. 407/190 No. 73 Allenby to Curzon, Sept. 7, 1921, Desp. (٢٩)
No. 773.

Ibid.

(٣٠)

- ثالثا : اعادة وزارة الخارجية وتمثيل خارجى من سفراء وقناصل .
- رابعا : انشاء برلمان من هئتين (مجلس نواب ومجلس شيوخ) تكون له السلطة العامة على أعمال الحكومة وتكون الحكومة مسئولة أمامه .
- خامسا : اطلاق يد الحكومة بلا مشارك فى جميع أعمال الحكومة .
- سادسا : لا يكون للمستشارين فى الوزارات الا رأى استشارى . وان يبطل ما للمستشار المالى من حق حضور جلسات مجلس الوزراء .
- سابعا : حذف وظائف المستشارين ما عدا مستشار المالية ومستشار الحقانية فانهما يظلان الى ما بعد ظهور نتيجة المفاوضات الجديدة . —
- ثامنا : استبدال الموظفين الأجانب بموظفين مصريين . واخذ العدة من الآن وتعيين وكلاء مصريين للوزارات (المالية والصحة والزراعة والأشغال والمواصلات والخارجية) .
- تاسعا : رفع الأحكام العسكرية والسعى من جانب الوزارة ، اعتمادا على حسن موقف الأمة ، فى سحب كل ما أتخذ من الإجراءات بمقتضى الأحكام العرفية بما فى ذلك الافراج عن المعتقلين واعادة المبعدين .
- عاشرا : الدخول فى مفاوضات جديدة بعد تشكيل البرلمان ، مع الحكومة الانجليزية بواسطة هيئة يعتمدها البرلمان للنظر فى ما لا يتنافى مع استقلال البلاد من الضمانات لانجلترا والأجانب . ولحل مسألة السودان بشرط الاتكون هذه المفاوضات مقيدة بقيد أو شرط مما جاء فى مشروع كرزون . ويكون القول الفصل فى ذلك للأمة الممثلة ببرلمانها .
- حادى عشر : يكون قبول هذه الشروط ثابتا بمقتضى وثائق مكتوبة من الحكومة الانجليزية (٣١) .
- ولا شك ان النبى كان موافقا على تلك الشروط والا ما سمح بنشرها بل يمكن القول ان صياغتها قد تمت بالاتفاق بينه وبين كل من عدلى وثروت ، وقد سعى بعد ذلك الى اقناع حكومته والضغط عليها لقبولها مما تمخض عنه أخيرا نجاحه فى انتزاع ما عرف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ من لندن (٣٢) والذي ترتب عليه تشكيل وزارة ثروت الأولى ، وأهم من ذلك اعلان مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، مما انتقل بتاريخ مصر والوزارة المصرية الى احدى مراحلها الجديدة .

(٣١) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٧١٢ — ٧١٤ .
(٣٢) شفيق غريبال : المصدر السابق ص ١٠٩ — ١١٠ .

الباب الرابع

وزارات عهد الملك فؤاد
١٩٢٢ - ١٩٣٦

الفصل الأول

نحو صدور دستور ١٩٢٣

مهد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، من جانب واحد ، الى تغييرات كبيرة في ميدان السياسة المصرية يتم هنا الاقتصار على تسجيل ما اتصل منها بالوزارة :

١ — فلأول مرة في التاريخ المصرى الحديث يتم الاعتراف بمصر « دولة مستقلة ذات سيادة » ، وقد استتبع هذا ، ولأول مرة أيضا ، تسليم كافة قوى التأثير السياسى فى البلاد « للوزارة » بأنها قد أصبحت طرفا أصيلا فى العمل السياسى ، وقد تمخض عن هذا التسليم نتيجة هامة الا وهى أن الوزارة لم تعد بالضرورة تمثل ، وبصورة مبهمه ، ارادة الاحتلال أو سياسة القصر ، كما كان الحال من قبل ، بل وجب عليها أن تكون ذات لون سياسى محدد ، وكان هذا اللون فى الغالب حزبيا .

ربما حاول القصر أو الوجود البريطانى استخدام بعض الأحزاب لاهدافها أو ضد بعضها البعض ، ولكن غالبا ما لاحظنا أن تلك الأحزاب كثيرا ما تمردت لاعتبارات خاصة بها ، على الملك أو على المندوب السامى البريطانى .

بمعنى آخر ، انه حتى فى الحالات التى تشكلت فيها الوزارات تنفيذا لسياسة ملكية أو احتلالية فإن هذا التشكيل إنما قد تم على صورة « تحالف » مع حزب أو أكثر ، لا بناء على مجرد « ارادة » من القصر أو « رغبة » من الانجليز .

٢ — ومع هذا التغيير مما كان حتميا أن يصيب « طبيعة الوزارة » فقد كان هناك تغيير آخر لابد أن يصيب « بنية الوزارة » ، . . وبالذات فيما اتصل بعودة « وزارة الخارجية » تعبيرا عن الاعتراف بالاستقلال والسيادة على أساس أن تلك الوزارة إنما كانت فى النهاية « رمزا » لهما .

وان كان هناك أكثر من ملاحظة حول هذه العودة ، « فوزارة خارجية ١٩٢٢ » التى عادت غير « نظارة خارجية ١٩١٤ » التى ألغيت .

ذلك أن النظارة الملغاة إنما كانت مقتصرة فى اتصالاتها على الممثلين الأجانب فى القاهرة وذلك تبعا لوضع مصر القانونى وقتذاك والذى كان يضعها فى مرتبة التابع لا طرفا أصيلا فى العلاقات الخارجية .

أما الوزارة التى أعيدت فقد تأسست من منطلق الاستقلال الوطنى وذلك بعد أن سقطت التبعية المصرية لاستنبول وسقطت الحماية البريطانية عن البلاد ، ومن ثم كان طبيعيا أن يكون لوزارة الخارجية الجديدة الصلاحيات المعروفة لسائر وزارات الخارجية فى العالم خاصة ما اتصل منها بارسال الممثلين السياسيين لشتى العواصم التى تستدعى المصلحة المصرية اقامة تمثيل دبلوماسى معها .



الملك فؤاد

٣ — يضاف الى كل تلك التغييرات التى تسجل تحولات هامة فى طبيعة الوزارة وفى بنيتها فان الوزارة ، او مجموعة الوزارات التى تشكلت بعد تصريح ٢٨ فبراير وقد بلغ مجموعها ثلاثا ، كانت وزارات . . ذات مهمة خاصة .

فقد كان على هذه الوزارات أن تشرع فى مهمة مزدوجة جانبها الأول بالسعى لاقامة الهيكل التنظيمى والسياسى لمصر المستقلة ، وجانبها الثانى بالعمل على تسوية كافة المسائل المعلقة التى تخلفت عن عهد ما قبل الاستقلال .

بمعنى آخر أن المرحلة التى امتدت لعامين من تاريخ الوزارة المصرية والممتدة بين تشكيل أول وزارة بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وبين تأليف أول الوزارات الدستورية فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ انما كانت تمثل « مرحلة انتقال » بين النظام القديم و « العصر الجديد » على حد تعبير البرنامج الذى أعده ثروت باشا ووجهه للملك مع تشكيل وزارته فى أول مارس ١٩٢٢ (١) .

وكان من الطبيعى أن يصيب الاستقرار الوزارى من جراء هذه المرحلة ما أصابه .

بريطانيا تصورت أن اعلان الاستقلال المصرى سيقترتب عليه تكسر موجة المد الوطنى وانهيار شعبية من أسمتهم « بالمطرفين » على أن يتم ذلك لحساب من رأت فيهم « الاعتدال » مما سيوفر مناخا من الاستقرار السياسى والتعاون بين المحتلين والمعتدلين مما أفقدته البلاد خلال السنوات الثلاث السابقة .

القصر رأى أن ما تنازلت عنه بريطانيا من مظاهر السيادة او جوهرها يجب أن يتم لحسابه ، والاستقلال بهذا المعنى انما كان فكاً لاسار الملك من الوصاية الانجليزية ليصبح مطلق الحرية فى التصرف فى الشؤون المصرية .

أما القوى الوطنية فقد رأت من جانبها ان التنازلات التى تمت من جانب المحتل ، وان لم ترضها ، الا أنها تمت كنتيجة لجهادها وثمره لتضحياتها ، ومن ثم فقد اعتقدت أن تلك الثمرة يجب أن تكون من نصيبها .

ويسجل تاريخ الوزارات الثلاث (ثروت الأولى ، وتوفيق نسيم الثانية ، ويحيى ابراهيم الأولى) . ما عانته من تمزق بين القوى المتنازعة والذى كان السمة المميزة لتلك الفترة من التاريخ الوزارى .

٢٩ — وزارة عبد الخالق ثروت الأولى أول مارس — ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ :

كان نشر شروط ثروت باشا لقبول تأليف الوزارة الجديدة فى ٣٠ يناير ١٩٢٢ (٢) بالاضافة الى تصريح ٢٨ فبراير بمثابة الخطى التمهيدية لتأليف الرجل لأولى وزاراته والتى تشكلت فى أول مارس من نفس السنة وذلك بعد يوم واحد من صدور التصريح المشهور .

(١) نص جواب ثروت باشا بقبول تأليف الوزارة — الوقائع المصرية العدد ٢١ سنة ١٩٢٢

(٢) انظر الفصل السابق .



عبد الخالق ثروت

- ابن اسماعيل باشا عبد الخالق ولد عام ١٨٧٣ فكان أصغر من تولى رئاسة الوزارة .
- امتاز بالتفوق في مراحل دراسته وتخرج من مدرسة الحقوق في سن مبكرة .
- اشتغل بالقضاء حتى عين مديرا لاسيوط ثم نائبا عموميا .
- عين وزيرا للحقانية على تعدد الوزارات التي امتدت بين ٥ ابريل ١٩١٤ ، ٢٢ ابريل ١٩١٩ ثم وزيرا للداخلية من مارس الى ديسمبر ١٩٢١ .

وقد تضمن البرنامج^(٣) الذى قبل بمقتضاه ثروت باشا تأليف الوزارة مجموعة من الحقائق يجدر تسجيلها :

١ — فهو من ناحية قبل تشكيل الوزارة الجديدة على أساس تصريح ٢٨ فبراير اذ رأى « ان الشعور القومى أصاب ترضية » من ذلك .

٢ — وهو من ناحية أخرى يرى أن من مهام الوزارة الجديدة « اعداد مشروع دستور طبقا لمبادئ القانون العام الحديث ، وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسئولية الوزارية ، ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسى المقبل » .

٣ — النية على الغاء الأحكام العرفية مما يقتضيه انفاذ الدستور .

٤ — اعادة منصب وزير الخارجية وما سيتمخض عن ذلك من العمل « لتحقيق التمثيل السياسى والقنصرى لمصر فى الخارج » .

٥ — اعتزام الوزارة « أن تتولى الأمر بنفسها وبلا شريك فى الحكم » .

وقد احتفظ ثروت باشا بوزارتي الداخلية والخارجية بالإضافة الى رئاسة مجلس الوزراء ثم وزعت بقية المناصب الوزارية على النحو الآتى :

● اسماعيل صدقى باشا	وزارة المالية
● جعفر والى باشا	وزارة الأوقاف
● محمد شكرى باشا	وزارة الزراعة
● حسين واصف باشا	وزارة الأشغال العمومية
● ابراهيم فتحى باشا	وزارة الحربية والبحرية
● مصطفى ماهر باشا	وزارة المعارف العمومية
● مصطفى فتحى باشا	وزارة الحقائنية
● واصف سمكة بك	وزارة المواصلات(٤)

ويستوجب هذا التشكيل ابداء مجموعة من الملاحظات :

أولاًها :

انه مع عودة منصب وزير الخارجية فقد اختفى منصب نائب رئيس مجلس الوزراء والذى كان قائما خلال الوزارة السابقة ويبدو انه قد أنشئ خصيصا ليشغله رشدى باشا رئيس الوزراء الأسبق فلما استقال الرجل اختفى معه المنصب .

(٣) نص البرنامج فى : الوقائع المصرية العدد ٢١ لسنة ١٩٢٢ .

(٤) المصدر السابق .

ثانيتهما :

ان ثروت باشا ومعه صدقى ووالى وابراهيم فتحى كانوا من ضمن أعضاء الوزارة السابقة ، وكان معنى هذا التأكيد بغلبة التيار المعتدل من رجال العمل الوطنى وهو التيار الذى تزعمه عدلى باشا والذى كان وراء إصدار تصريح ٢٨ فبراير من ناحية ثم وراء قبوله من ناحية أخرى .

ثالثتها :

ان بقية الوزراء ممن شكلوا أكثر من نصف الوزارة قد تولوا مناصبهم الوزارية لأول مرة ، ولعل ثروت باشا قد أراد من وراء ادخال هذه الغالبية من الوجوه الجديدة فى وزارته ان يؤكد على نوعيتها المختلفة عن كل النظارات والوزارات السابقة التى تشكلت فى ظل التبعية للدولة العثمانية أو فى ظل الاحتلال أو الحمائية .

على أى الأحوال فقد كان لهذا العمل الأخير من جانب ثروت « بغالبية جديدة » فى وزارته أثره السيئ فيحكم « المندوب السامى البريطانى » فى القاهرة فى تقرير سرى طويل له مؤرخ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٢٢ بعد نحو سبعة شهور على تشكيل الوزارة الثروتية . . يحكم على كافة الوزراء الجدد حكما قاسيا فيقول بالحرف الواحد ان الوزراء الخمسة الجدد « الذين كان يرجى منهم بعض الخير قد فشلوا فى القيام بالدور المرتجى منهم كاملا » .

وتصف نفس المذكرة وزراء المواصلات فى عهد وزيرها الجديد بأنها قد « أصبحت مقلوبة رأسا على عقب » وترى فى واصف سمكة انه « رجل مهذب سلبى ذو ميل معروف الى محاباة الأقارب » أما وزير الحقانية فيصفه المندوب السامى بأنه « رجل ليس له كبير وزن » ، ووزير المعارف « رجل ذكى ولكن لا يملك أى كفاءة ادارية » ، ثم لم تجد المذكرة بالنسبة للوزيرين الآخرين الا أن تصف وزير الزراعة « بالسمعة الطيبة » ووزير الاشغال العمومية « بالظرف » (٥) .

ولا يمكن فى هذا الصدد اتهام « اللبى » بالتحامل ومعروف عنه انه كان متعاطفا مع الوزارة الثروتية سامعيا الى دعمها .

تأتى بعد ذلك محاولة وزارة ثروت لتنفيذ برنامجها ، وهى فى سعيها نحو ذلك قد اصطدمت بكافة القوى ذات التأثير فى البلاد .

يدعو ذلك الى محاولة تبين الخطوط الأساسية لمختلف المواقف والعلاقات مع الأيام الاولى من تأليف الوزراء رقم ٢٩ من النظارت والوزارات المصرية .

بالنسبة لقوى السلطة فلا شك أن « الوجود البريطاني » كان يساند تماما وزارة عبد الخالق ثروت نظرا الى الامال التي كانت تعقدها دار المنسذوب السامى فى القاهرة على تدعيم « الخط المعتدل » الذى كائت تمثله الوزارة .

أما عن « القصر » فليس فى الوثائق البريطانية على الإطلاق ما يشير الى ما شاع وظل فى مرتبة البديهة من أن الملك فؤاد قد أرغم على قبول ثروت باشا رئيسا للوزراء ، بالعكس تؤكد احدى هذه الوثائق انه كان من الأمنيات الملكية فى ديسمبر ١٩٢١ « أن يخلف ثروت عدلى فى رئاسة الوزارة » (٦) .

ويمكن تعليل هذا التمنى من جانب القصر بأكثر من سبب ، منها الرغبة الجارفة للملك فى التخلص من عدلى وأن يتم ذلك بالتلويح بأخر يكون مقبولا من البريطانيين وهى لعبة قديمة طالما لعبها القصر قبل ذلك ، ومنها ذلك التقارب الواضح من الملك فؤاد الذى نجح ثروت فى أحراره بخطوات واسعة خلال فترة قيامه بعمل رئيس الوزراء أثناء غياب عدلى فى لندن مما تمت الإشارة اليه من قبل (٧) . ولكن هل كان مقدرا استمرار تلك العلاقة الطيبة التى قامت نتيجة للرغبة فى التخلص من الوزارة البسابقة أو لعلاقة موقوته ! ؟ ..

على مستوى القوى السياسية الأخرى فقد كان هناك الوفد بشعبيته الجارفة ، ثم التيار المعتدل الذى تنتمى اليه حكومة ثروت .

منذ البداية وقف الوفد موقف العداء المتشددة من الوزارة الجديدة ، بدا ذلك من الاضطرابات الخطيرة التى شهدتها طنطا فى اليوم التالى لتأليفها (٢ مارس) ، ثم ما أعقب ذلك من قرار المحامين بالاضراب خمسة أيام ، وما صاحب هذا القرار من مظاهرات الطلاب (٨) .

ولا شك أنه كان وراء هذا الموقف أسباب عديدة منها ما كان معروفا بما بين سعد و ثروت من خصومة وخاصة أن الآخر عندما كان وزيرا للداخلية فى وزارة عدلى كان مسئولا عن حوادث الضغط التى وقعت فى عهد تلك الوزارة على سعد وأنصاره (٩) .

من ناحية أخرى فان موقف الوفد بالعداء الحاسم لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذى وصفه سعد زغلول بأنه « أكبر نكبة على البلاد » كان لابد وأن يستتبعه عداء حاسم أيضا لحكومة تعلن أنها قد تشكلت على أساس التصريح المذكور .

على الجانب الآخر كان هناك التيار المعتدل يتزعمه عدلى باشا ممن رأى رجاله أن تصريح ٢٨ فبراير أساس طيب للاستقلال المصرى والذى تبلور فى حزب الأحرار الدستوريين فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٢ ، ولا شك أن ثروت كان جزءا من هذا التيار بالرغم من كل ما يقال من أنه لم يكن يحظى تماما بتأييد عدلى ،

(٦) F.O. 407/195 No. 30 Allenby to Curzon Oct. 15, 1922. Desp. No. 836.

(٧) انظر الفصل السابق .

(٨) Lloyd : Egypt Since Cromer Vol. II pp. 64 — 65.

(٩) عبد الرحمن الرافعى : فى اعقاب الثورة المصرية ج ١ ص ٦٥ .

ويكفى في هذا الصدد رد ثروت على تساؤل للمندوب السامى عن سيتولى رئاسة الوزارة الجديدة بعد الانتخابات عدلى أم ثروت . . قال رئيس الوزراء في رده وبالنص « ما يمكننى أن أقوله أن ثروت هو عدلى وأن عدلى هو ثروت » (١٠) .

اذن كان الموقف مع تأليف وزارة ثروت . . الانجليز وجماعة المعتدلين برئاسة عدلى يساندونهم ، والملك يوافق عليها ، والوفد وراءه الجموع الشعبية وحدهم في صف المعارضة لها ، فماذا جرى خلال شهور عمرها التسعة مما أدى الى استقالتها في النهاية وذلك قبل أن تنجز الجانب الاساسى من مهمتها بإصدار دستور للبلاد وأجراء انتخابات عامة تتألف بعدها أول وزارة مصرية نابعة من ارادة الأمة ؟

المساندون للوزارة أولا . . ففيما يتصل بجماعة المعتدلين من الساسة المصريين على رأسهم عدلى باشا فلا شك أنهم قد ظلوا على مساندتهم للوزارة الثروتية ولكن ومع الوقت كان يتأكد أن قواعدهم الشعبية محدودة للغاية وذلك نتيجة لعجزهم عن إيقاف « أعمال الاضطراب والفوضى » التى بقيت على انتشارها كما رأت دار المندوب السامى ، خاصة وأن الانجليز كانوا قد علقوا على هؤلاء المعتدلين آمالا واسعة في اقرار الأمن والنظام « وكسب الموقف » سيما أنهم كانوا قد أدخلوا لهم الميدان بنفى سعد وزملائه ثم بأعمال القمع الموجهة للقيادات الوفدية المتتالية وذلك على أساس أن الأحكام العرفية كانت لا زالت معلنة وأن القائد العسكرى البريطانى كان لا يزال هو القائم على تنفيذها .

فيما يختص بالانجليز فمن الواضح من مجموع الوثائق البريطانية المتوفرة لدينا أن وزارة عبد الخالق ثروت قد فقدت أرضا غير قليلة خلال ما انتضى من بقائها في السلطة . . ولأسباب عدة ، أهمها عجز تلك الوزارة عن توفير مناخ الاستقرار بالأمن الذى طمع فيه الوجود البريطانى والذى من أجله قدم أهم التنازلات على امتداد تاريخ بقاءه في مصر في تصريح ٢٨ فبراير .

يبدو هذا العجز من تعدد العمليات الوطنية ضد الشخصيات البريطانية العاملة في مصر ، وبالرغم من محاولة دار المندوب السامى في بداية الأمر كبح جماح نفسها وذلك حتى لا تخرج الوزارة الا أنها لم تلبث أن أبدت تبرمها من استمرار تلك العمليات في احتجاج رسمى قدمته الى حكومة عبد الخالق ثروت وذلك قبل انقضاء ثلاثة شهور على تأليفها وكان مما جاء في هذا الاحتجاج « أن الحكومة البريطانية تجد نفسها تلقاء هذه الحالة مضطرة لأن تعتبر الحكومة المصرية مسئولة عن تعويض من يقع عليه اعتداء من الأجانب أو تعويض ورتته أن أدركته الوفاة . كما أنها تحتفظ بحق تقدير ما اذا كان التعويض الذى تمنحه الحكومة المصرية كافيا أو غير كاف » (١١) .

(١٠) F.O. 407/195 Inc. In No. 30 Allenby to Curzon Oct. 15, 1922.

(١١) أحمد شوقي : حوايات مصر السياسية الجزء الثالث من التمهيد ص ٢١٤ .

يضاف الى ذلك الخلافات التي احتدمت بين ثروت (والنبى) فى وقت ما على تقدير مبلغ التعويض اللازم للموظفين الأجانب ممن تقرر أن يتركوا خدمة الحكومة المصرية (١٢) الى الحد الذى دفع الجانب البريطانى الى التفكير فى وقت ما فى فرض اشرافه على مصدر من مصادر الدخل المصرية ورئى أن يتم ذلك بالاشراف على مصلحة الأملاك الأميرية (١٣) .

ثم جاءت قضية تلقيب ملك مصر « بملك مصر والسودان » والتي بدأ بحثها فى لجنة الدستور ، وكان أن رفض الجانب البريطانى هذا الاتجاه وأبلغ هذا الرقض الى ثروت باشا على أساس أن « السودان » بقى أحد التحفظات الأربعة بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير الذى قبلت به بل وقامت عليه الوزارة الثروتية ، وعلى أساس أن اتفاقية ١٨٩٩ لم تنص على تلقيب « عباس حلمى » بخديو مصر والسودان وأنه لو كان الأمر كذلك « لأصبح هناك مبرر قوى لتسمية صاحب الجلالة الملك جورج (ملك السودان) (!) (١٤) .

وكان موقف ثروت فى هذه القضية حرجا للغاية بين الملك الذى « يتهم كل من يحاول حزماته من نصف مملكته بالخيانة » ، وبين الأغلبية الشعبية التى ما كان بالإمكان أن تصمت على التفريط فى « جزء لا يتجزأ من الوطن المصرى » ، أضف الى ذلك جماعة المعتدلين المساندين للوزارة من حزب الأحرار الدستوريين الذى اتخذ قرارا فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٢ « بإيقاف مساندته للوزارة اذا استجابت لمطالب المندوب السامى الخاصة بمواد الدستور المتعلقة بالسودان (١٥) » .

على ضوء كل تلك المواقف والاعتبارات فان الجانب البريطانى كان مستعدا للتفريط فى وزارة ثروت ، ويبدو هذا الاستعداد منذ وقت مبكر وقبل استقالة تلك الوزارة بأكثر من ثلاثة شهور ، ففى وثيقة سرية كتبها « النبى » الى حكومته فى ٨ أغسطس ١٩٢٢ يقول بالحرف الواحد « ان اهتمامنا الأساسى بخصوص استقالة ثروت باشا هو أن نضمن من خليفته المنتظر جميع الضمانات المحددة بأنه سيأخذ على عاتقه كل تعهدات ثروت باشا على الأقل ، مع احترام المسائل التى تم الاتفاق عليها خارج تصريح ٢٨ فبراير خصوصا ما يتعلق منها بأعمال المستشارين المالى والقضائى ، ونتائج المعاهدات ، وقواعد تعويض الموظفين الأجانب » (١٦) .

يأتى بعد ذلك دور **الموافقين** ، وهو الدور الذى لعبه القصر ، وكما سبقت الاشار فان موافقة القصر على تشكيل عبد الخالق ثروت للوزارة انما نبعت من الرغبة فى التخلص من عدلى ، وكان من الطبيعى والأمر هذا الا تستمر ولوقت طويل هذه الموافقة .

(١٢) المصدر السابق ص ٧٠٧ .

(١٣) F.O. 407/194 No. 55 Curzon to Allenby, Aug. 16, 1922 Tel. N. 210.

(١٤) F.O. 407/195 No. 34 Curzon to Allenby, 25, 1922 Tel. No. 272.

(١٥) F.O. 407/195 No. 98 Allenby yto Curzon, Nov. 28, 1922 Tel. No. 418.

(١٦) F.O. 407/194 No. 52 Allenby to Curzon, Aug. 8. 1922 Desp. No. 640 Conf.

تشير مصادر القصر الى أن الخلافات بين الملك ورئيس وزرائه قد بدأت قبل انقضاء شهر واحد على تشكيل الوزارة وذلك حين منعت حكومة ثروت اجتماعا دعا اليه أمير يوسف كمال في ٢٤ مارس كان المبنى الذي تأسس عليه برنامجه « الاخلاص للعرش » ، كما يقول أحمد شفيق (١٧) . — —

أما المصادر البريطانية فتذكر ان الخلافات بين القصر والوزارة قد طغت على السطح خلال شهر يوليو وذلك نتيجة لان عبد الخالق ثروت لم يقيم بابلاغ الملك بالنية على اعتقال أعضاء الوفد قبل اتمام هذا الاعتقال ، كذا تعطيل الوزارة لصحيفة « الليبرتيه » التي وان كانت ذات ميول وفدية الا أن القصر كان يستخدمها في كثير من الاحيان « في اغراض الدعاية » ، كما يقول المندوب السامي في إحدى رسائله الى لندن (١٨) .

أهم من ذلك كسبب للخلاف ، تؤكد كافة المصادر — مصرية وبريطانية — ما ارتآه القصر من أن لجنة الدستور التي شكلتها الوزارة قد ذهبت بعيدا في تقييدها لسلطاته ، وان ذلك انما يتم برعاية ثروت وتشجيعه .

ودعا ذلك الملك فؤاد الى انتهاج سياسة بث **العراقيل** في طريق الوزارة المصرية مما بدأ واضحا في رفضه لانعقاد مجلس الوزراء لبضعة أسابيع مما ترتب عليه « تعطيل سير الأعمال الحكومية الى حد خطير » (١٩) .

وقد وصل الأمر الى حد المواجهة المباشرة بين الطرفين عندما ظهر في « الأهرام » مقال افتتاحي بعنوان « أوصلونا الى الدستور لفرتاح » وقد تضمن تلميحات واضحة الى أن القصر يسعى الى تعطيل استكمال لجنة الدستور لعملها (٢٠) .

فقد صمم الملك فؤاد بعد هذا المقال على اغلاق « الأهرام » ورفض ثروت باشا تنفيذ الرغبة الملكية مما دعا الى مطالبة القصر لبريطانيا بالتصريح له بالتخلص من الوزارة (٢١) .

وتوسط المندوب السامي بين الطرفين واستطاع أن يضغط على الملك لمنع اقالة وزارة ثروت في هذا الوقت بالذات على أساس انه لم تمض سوى فترة قصيرة على اعتقال أعضاء الوفد في ٢٥ يوليو ثم محاكمتهم التي تقرر في ٩ من الشهر التالي (٢٢) وقد رأى الجانب البريطاني أن المصريين سوف يربطون بين الحدين .

(١٧) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٢١٨ .

(١٨) F.O. 407/194 No. 52 Allenby to Curzon, Aug. 8, 1922 Desp. No. 640 Conf.

(١٩) F.O. 407/194 No. 47 Allenby to Curzon, Aug. II, 1922 Tel. No. 278.

(٢٠) الأهرام في ٨ أغسطس ١٩٢٢ .

(٢١) F.O 407/194 No. 52 Allenby to Curzon, Aug. 8, 1922 Desp. No. 640 Conf.

(٢٢) عبد الرحمن البرامى : المصدر السابق ص ٦٨ .

من ناحية أخرى فإن اللبى لوح للملك بأن أحدا لن يصدق أنه اقال الوزارة بسبب « مقال في صحيفة » ومن ثم فلن يبقى سوى الافتراض الآخر من أن الملك فؤاد قد بدأ في التبرم من تقدم أعمال لجنة الدستور .

ونتيجة لهذه الوساطة — أو الضغط — من الجانب البريطانى توصل القصر والوزارة الى تسوية اللازمة بقرار بتعطيل « الاهرام » ثلاثة أيام ، وبعودة صحيفة « الليبرتيه » الى الصدور ، وبالاتفاق على انعقاد مجلس الوزراء دون أمهال . وتم بذلك اجتياز أزمة يوليو — أغسطس (كما يسميها المندوب السامى البريطانى) الا أن ذلك لم يعن — على حد تعبيره أيضا — « ان العلاقة بين الملك والوزارة قد عادت الى حالة التوازن » (٢٣) .

وفي خلال الشهور المتبقية من عمر وزارة ثروت (أغسطس — نوفمبر ١٩٢٢) كان واضحا ان القصر قد اتخذ جانب الوفد في معارضته لها ، بل وصل الأمر الى تقارب محسوس بين العدوين التقليديين .

يسجل أحد التقارير البريطانية هذه الحقيقة فيقول ان الدلائل قد تراكت على التقارب بين الملك والوفد ويسوق عددا من هذه الدلائل فيقول ان الملك فؤاد قد انتهز فرصة لقائه بمديرى المديريات في حفل عيد جلوسه في ٩ أكتوبر ليلومهم على « استخدام نفوذهم لصالح حزب عدلى » ، وأنه — أى الملك — قد استقبل رئيس الوفد « المصرى السعدى بك » . — وذلك بعد نفى سعد زغلول واعتقال سائر زعمائه — في نفس الحفل « استقبالا وديا ملحوظا » ، كما يضيف التقرير ان رجال القصر يغفلون في كل مكان عن تأييدهم للوفد ، وأنهم على اتصال تام بالصحف الوفدية (٢٤) .

وتبدو طبيعة هذا التقارب أخيرا في التدبير الذى تم لاسقاط الوزارة والذي استهدف أن تقوم الجماهير الوفدية بالاعتداء بالضرب على رئيس الوزراء والوزراء ممن تقرر أن يكونوا في صحبة الملك في صلاة الجمعة بالازهر يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٢٢ وان هذا التدبير قد تم بين رجال الوفد وبين بعض رجال السراى (٢٥) .

وكان علم عبد الخالق ثروت بهذا التدبير قبل تنفيذه القشه التى قصبت ظهر الجمل فبادر بتقديم استقالته قبل تنفيذه بيوم واحد ، وسارع الملك الى قبولها فور تقديمها ، ولم يتجاوز كتاب قبول الاستقالة أكثر من ثلاثة سطور مما دعا أحمد شفيق أن يصفه بأنه كان « قصيرا وجافا » (٢٦) كما يذكر الدكتور محمد حسين هيك أن قبول تلك الاستقالة من جانب القصر لم يستغرق سوى ساعة واحدة (!) (٢٧) ، على أى حال فإن هذا القبول قد أنهى حياة أولى وزارات ما بعد الاستقلال .

F.O. 407/194 No. 68 Allenby to Curzon, Aug. 21, 1922 Desp. (٢٢)
No. 671 Conf.

F.O. 407/195 No. 30 Allenby to Curzon, Oct. 15, 1922, Desp. No. 836. (٢٤)

(٢٥) حسن الشريف : الرجال أسرار ص ٨٤ .

(٢٦) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٣٦٢ .

(٢٧) محمد حسين هيك : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ١٥٦ .

٣٠ - وزارة محمد توفيق نسيم الثانية
٣٠ نوفمبر ١٩٢٢ - ٩ فبراير ١٩٢٣

لما كان اسقاط وزارة عبد الخالق ثروت يمثل قبل أى شىء نجاحا ملكيا ،
من ثم فقد كان منتظرا وطبيعيا أن يسعى القصر لجنى ثمار هذا النجاح .

وقد ظهر التعجيل بجنى تلك الثمار فى حقيقتين بدتا فى تشكيل الوزارة
الثلاثين من الوزارات المصرية .

أولاهما :

المبادرة بهذا التشكيل فور قبول استقالة الوزارة الثروتية دون السماح
بتدخل أى طرف آخر ، خاصة الجانب البريطانى .

يسجل اللبى هذه الحقيقة فى احدى برقياتہ الى لندن فى نفس يوم تشكيل
الوزارة فيقول أن الملك قد أرسل اليه « شخصا يثق فيه تمام الثقة » ، ليطلب
منه الا يزور القصر حتى تتسلم الحكومة الجديدة مقاليد السلطة ، وان مثل
هذه الزيارة فى تلك الظروف قد تترك الانطباع بأنه يسعى للتأثير على الملك
فى اختيار وزرائه خاصة وان كثيرا من المشاكل التى عانت منها الوزارة
السابقة كان وراءها الاحساس العام بأن جميع اعضائها كانوا من مرشحي
دار المندوب السامى (٢٨) .

وبدون شك فان هذه المبادرة من الملك قد ترتب عليها ضيق شديد للجانب
البريطانى بدا واضحا فى ذلك التبليغ الرسمى الذى قدمه المندوب السامى
فى القاهرة بعد تشكيل الوزارة الجديدة بأربعة أيام فقط للملك فؤاد والذى
جاء فيه ان اجراءاته « قد سببت الاستياء العميق لدى حكومة حضرة صاحب
الجلالة » . مما اضطره الى التأكيد باستمرار نيته على العمل بولاء نحونا « ،
أى نحو البريطانيين (٢٩) .

لا يمنع ذلك من أن دار المندوب السامى بالقاهرة قد رأت فى ابعادها عن
المشاركة فى تشكيل الوزارة الجديدة أكثر من فائدة يمكن أن تعود على
بريطانيا منها ، فهى من ناحية رأت ان وزارة لا شبهة فى التأييد البريطانى
لها قد تكون أكثر استعدادا لتقديم تنازلات لحكومة لندن دون خشية اتهامها
بالخيانة من جانب القوى الوطنية ، من ناحية أخرى فان الجانب البريطانى
قد رأى أنه أقدر على ممارسة ضغوطه على وزارة لم يؤخذ رأيه فى تكوينها
منه على ممارسة هذه الضغوط على وزارة تحظى بتأييده (٣٠) .

F.O. 407/195 No. 103 Allenby to Curzon, Nov. 30, 1922 Tel. (٢٨)
No. 420.

F.O. 407/195 No. 109 Allenby to Curzon, Dec. 4, 1922 Tel. No. 424. (٢٩)

F.O. 407/195 No. 103 Allenby to Curzon, Nov. 30, 1922 Tel. (٣٠)
No. 520.

ثانيتها : .

ان الوزارة الجديدة قد تشكلت وكل ما فيها يتسم قبل أى شىء بالولاء للقصر .

رئيسها محمد توفيق نسيم : اكتسب سمعته منذ أن كان وزيرا للداخلية فى وزارة يوسف وهبه من قدرته على تجميع عرائض التأييد للملك وجذب وفود الولاء للقصر ، ثم انه كان منذ ابريل ١٩٢٢ رئيسا للديوان الملكى وكان وراء كثير من العقبات التى نثرت فى طريق الوزارة الثروتية .

أعضاؤها : كان اغلبهم من زملاء توفيق نسيم سواء فى وزارة يوسف وهبه أو فى وزارته الأولى ، ويصفهم الأستاذ الرافعى فيقول ان « معظمهم لا رأى ولا برامج لهم فى المسائل السياسية والمسائل القومية عامة ، بل هم موظفون يرون فى الوزارة منصبا ارفع مما كانوا يشغلون ، أو وزراء سابقون يريدون العودة الى مناصبهم الزائلة (٣١) » .

برنامجها : يصفه أيضا الأستاذ الرافعى فيقول « ان جواب نسيم باشا بقبوله تأليف الوزارة كان بذلك الاسلوب العتيق الخالى من البرامج ، المجرد من المعانى السامية فى ولاية الحكم فهو لا يعتبر ولاية الوزارة الا أنها منحة من ولى الأمر ، ونعمة تقترن بالعبودية لمن تصدر عنه هذه النعمة » (٣٢) .

وعلى ضوء هاتين الحقيقتين تشكلت وزارة محمد توفيق نسيم الثانية على النحو الاتى :

الرئاسة والداخلية	● محمد توفيق نسيم
الاشغال العمومية	● اسماعيل سرى
الحقانية	● أحمد ذو الفقار
المعارف العمومية	● يحيى ابراهيم
المواصلات	● محمد توفيق رفعت
الخارجية	● محمود فخرى
المالية	● يوسف سليمان
الزراعة	● أحمد على
الاوقاف	● محمد ابراهيم
الحربية والبحرية (٣٣)	● محمود عزمى

(٣١) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ٨٩ .

(٣٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

(٣٣) الوقائع المصرية العدد ١٠٦ لعام ١٩٢٢ .

واستمرارا لطبيعة وزارة توفيق نسيم الثانية الموالية للقصر من حيث التأليف فانها في عمرها القصير والذي زاد عن شهرين قليلا كانت تتحرك من نفس المنطلق .. منطلق الولاء للملك ، وهى في حركتها هذه قد عادت اغلب القوى الاخرى مما عجل بانتهاء وجودها .

فهى اولا عادت « الاحرار الدستوريين » الذين لم ينسوا لنسيم دوره في اقضاء وزارة ثروت والذين ساءهم ما قام به وزير الحقانية في الوزارة الجديدة باحالة مشروع الدستور الى « اللجنة التشريعية الاستشارية » وما تردد من ان هذا العمل يستهدف به تضيق سلطة الامة لحساب سلطة الملك ، وهو ما حدث فعلا ، مما دعا الاحرار وصحيفتهم « السياسة » الى شن الحملة شعواء على الوزارة النسيمية (٢٤) .

وهى ثانيا لم تفعل شيئا ذا قيمة تقنع به القواعد العريضة من الجماهير ذات الولاء الوفدى ، فالمعتقلون بقوا في معتقلاتهم ، وسعد زغلول وزملاؤه بقوا في منافيهم ، والاحكام العرفية ظلت قائمة بالمرصاد لحق الشعب في التعبير . وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذا استمرار حوادث الاغتيال للموظفين البريطانيين الموجودين في البلاد (٢٥) . الا ان ذلك لا يمنع من تسجيل حقيقة اخرى وهى ان الملك فؤاد قد ظل حريصا خلال عهد الوزارة النسيمية على استمرار التقارب بينه وبين الزعامة الوفدية مما بدا من مقابلاته المتكررة للمصرى السعدى وصادق حنين في القصر ، ومن منحه مبلغا كبيرا للاخير ليعاونه على تأسيس صحيفة وفدية جديدة (٢٦) .

وهى ثالثا ، في تنفيذها للطموح الملكى ، قد اصطدمت — ومباشرة — مع الوجود البريطانى وذلك في الازمة التى عرفت « بأزمة ملك مصر والسودان » ، فقد تضمن مشروع الدستور نصا فى مادتين من مواده على تلقيب الملك بلقب « ملك مصر والسودان » ، وعلى أن يتقرر نظام الحكم فى السودان فيما بعد بمقتضى وثيقة خاصة .

ورغم اعتراض الجانب البريطانى على هذين النصين على عهد حكومة ثروت فان وزارة توفيق نسيم يدعيها الملك فؤاد مضيا فى نفس الطريق لا يلويان على شيء مما أدى أخيرا الى القرار البريطانى بتقديم انذار الى الملك بأن هذه الفقرات فى الدستور « لا تتفق مع اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩ ولا نصوص تصريح ٢٨ فبراير » (٢٧) فى نفس الوقت تقرر القيام بمظاهرة عسكرية فى الاسكندرية وبور سعيد (٢٨) لتوفير مظلة القوة المناسبة للانذار البريطانى .

(٢٤) محمد حسين هيك : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٧ .

(٢٥) Lloyd : Op. Cit. Vol. II p. 70.

(٢٦) F.O. 407/196 No. 48 Allenby to Lindsay, Jan. 25, 1923 Tel. No. 41.

(٢٧) F.O. 407/196 No. 51 Allenby to Curzon, Jan. 26, 1923 Tel. No. 43.

(٢٨) F.O. 407/196 No. 56. Allenby to Curzon, Jan. 30, 1923 Tel. No. 47.

وبتقديم الانذار وقيام المظاهرة وقعت الوزارة النسيمية في موقف بالغ الصعوبة ، وتصور رئيسها أنه يمكن الخروج من هذا الموقف بتقديم استقالته وسرعة إبلاغها الى دار المندوب السامي اعتقادا منه أنها المستهدفة من الانذار ومن المظاهرة ، ولكن لم يقبل الجانب البريطاني هذا الحل وصمم على الحصول على الرد على الانذار ، وفي الموعد الذي حدده . . وكان امام الوزارة أن تصمم على استقالتها وتترك الملك يتحمل مسؤولية التنازل عن أحد الحقوق المصرية ، أو أن تتحمل هي هذه المسؤولية وتحمل الملك منها .

يروى توفيق رفعت وزير المواصلات في تلك الوزارة في مذكراته أنه بعد أن طال الأخذ والرد بين الوزراء فإنه قد ذكر زملاءه بأن ولاءهم للملك لا ينبغي « أن يقتصر على أيام الصفو والسلام وإنما ينبغي أن يتجلى عند الشدائد والازمات . وما دام الانجليز سيفوزون بمأربهم سواء كان ذلك عن طريقنا أو غير طريقنا ، فواجبنا أن نغطي العرش بأنفسنا ، وأن نغديه بأشخاصنا » وقد تبع ذلك موافقة نسيم باشا وبقية الوزراء على الأخذ بنصيحة زميلهم وتحمل المسؤولية بقبول الانذار البريطاني (٣٩) .

ولم يبق امام الوزارة النسيمية الثانية الا أن تخلي الطريق وذلك بعد أن أدت ما اعتقدت أنه واجبها في خدمة القصر وحتى الرمح الأخير .

٣١ - وزارة يحيى ابراهيم الأولى

١٥ مارس ١٩٢٣ - ٢٧ يناير ١٩٢٤

مرة أخرى ولاكثر من شهر (٩ فبراير - ١٥ مارس) تبقى مصر بدون وزارة نتيجة لما تمخض عن الانذار البريطاني من استقالة حكومة توفيق نسيم الثانية .

وقد جرت في تلك الفترة محاولة لتشكيل « وزارة قوية تعلن الدستور وتجرى الانتخابات » ، على حد ما جاء في أحد التقارير البريطانية المرسلة الى لندن وقتذاك .

أبان هذا التقرير أيضا عن استعداد الجانب البريطاني الى تقديم بعض التنازلات للوزارة الجديدة بهدف تقويتها مثل اطلاق سراح سعيد زغلول وزملائه من سيشل والغاء الاحكام العرفية (٤٠) .

وتم ترشيح عدلى باشا بكل الثقل السياسى الذى يمثله لتشكيل الوزارة الجديدة ، وبدأ ترشيح هذا السياسى بالذات وكأنه استكمال لما بدأه الانذار البريطانى من اسقاط الهيئة الملكية (٤١) .

(٣٩) حسن الشريف : المصدر السابق ص ٧٧ - ٨٠ .
(٤٠) F.O. 407/196 No. 83 Allenby to Curzon, Feb. 15, 1923 Tel. No. 67.
(٤١) Lloyd : Op. Cit. p. 73.

وكان عدلى حذرا — كعادته — فقد رأى أولا أن يتبنى حزب الاحرار الدستوريين حملة لاتحاد الامة « لتبلغ غايتها الوطنية السامية » ، وانه اذا ما بلغت هذه الدعوة غايتها يتم الافراج عن المنفيين والغاء الاحكام العرفية وعلان الدستور ، ولكن جاء الرد عاجلا بحادثتى اغتيال قتل غيها ببريطانيان مما رأى معه عدلى أن الجو الذى يريده لتأليف وزارة تجتمع الامة حول سياستها لم يتهيا — فاعتذر عن قبول المهمة (٤٢) .

فى مواجهة هذا الموقف تقرر تأليف وزارة ادارية مهمتها معالجة الشئون الادارية العادية دون المسائل السياسية الى حين ظهور ما يدل على تخفيف حدة الاحكام العرفية أو الغائها كلية .

وقد رشح الملك يحيى باشا ابراهيم وزير المعارف فى الوزارة المستقيلة على أساس أنه يمكنه التعاون معه لاعتقاده بإمكان السيطرة عليه أكثر من أى سياسى بارز آخر (٤٣) .

وقبل الانجليز هذا الترشيح لانه من ناحية يخرجهم من مأزق بقاء البلاد بلا وزارة ، بالإضافة الى ما عرف عن الرجل من « استقامة وبعد عن الدنيا » من ناحية أخرى ، وذلك على حد تعبير المندوب السامى البريطانى فى البلاد (٤٤) .

فى تشكيل الوزارة فقد اختار الملك بنفسه جميع الوزراء ، وقد قام هذا الاختيار على أساس موافقة هؤلاء على أمور ثلاثة ، تأييد تصريح ٢٨ فبراير ، والموافقة على الفقرات المعدلة فى الدستور الخاصة بالسودان ، والقبول بمبدأ قانون التعويضات (٤٥) .

وتم التشكيل الوزاري وصدرت قراراته فى ١٥ مارس على النحو الآتى :

● يحيى ابراهيم	للرئاسة والداخلية
● أحمد حشمت	للخارجية
● محمد محب	للمالية
● أحمد زيور	للمواصلات
● أحمد ذو الفقار	للحقانية
● محمد توفيق رفعت	للمعارف العمومية

(٤٢) محمد حسين هيك : المصدر السابق ص ١٦٠ — ١٦٣

(٤٣) F.O. 407/196 No. 134 Allenby to Curzon, March 31, 1923 Tel. No. III.

(٤٤) F.O. 407/197 No. 33 Allenby to Curzon, July 19, 1923 Desp. No. 492.

(٤٥) F.O. 407/196 No. 128 Allenby to Curzon, March 18, 1923 Desp. No. 153.



يحيى ابراهيم

— ولد عام ١٨٦١ باحدى قرى بنى سويف

— تخرج من مدرسة الحقوق وتدرج فى وظائف القضاء
حتى صار قاضيا ثم رئيسا لمحكمة بنى سويف ومستشارا
بمحكمة الاستئناف فرئيسا لها عام ١٩٠٧

— اختير وزيرا للمعارف فى وزارة يوسف وهبه

— عاد الى نفس الوزارة فى وزارة محمد توفيق نسيم
الثانية .

- أحمد على
- محمود عزمى
- حافظ حسن
- فوزى جورجى المطيعى
- للأوقاف
- للحربية والبحرية
- للاشغال العمومية
- للزراعة (٤٦) .

ويعلق « اللنبى » على هذا التشكيل فيقول ان الملك قد عين أربعة أعضاء من وزارة توفيق نسيم « لم يكن من بينهم صاحب شهرة أو أهمية خاصة ، اللهم الا توفيق رفعت باشا الذى تولى وزارة المعارف والذى أبدى فى مناسبة سابقة مقدرة جدية بالثناء فى تأديب الطلبة المشاغبين » .

ويستطرد التقرير فى الحديث عن بقية الوزراء فيذكر ان الملك اختار « زيور وحشمت كوزيرين للمواصلات والخارجية ، وكان تعيين كلاهما مرضيا ، وحافظ حسن باشا الذى كان أخيرا محافظا للقاهرة ، وفوزى المطيعى بك وهو قبطى غير معروف نسبيا ، وأخيرا محمد محب باشا وزيرا للمالية » .

ويذكر « اللنبى » انه هو ورئيس الوزراء كانا معترضين على ضم محب للوزارة ولكن الملك وضعهما أمام الأمر الواقع بإبلاغ أسماء أعضاء الوزارة الجديدة للصحف « وكان من الصعب احداث أى تغيير دون إثارة القيل والقال » فتمت الموافقة على الرجل على أساس ابعاده من الوزارة « اذا قام باحداث أية متاعب جدية مستقبلا » (٤٧) .

وبدأت وزارة يحيى ابراهيم فى عملها ، الملك يرى أنها طوع بئانه ، والانجليز يرون فيها وزارة إدارية تعبر بمصر ذلك الطريق المسدود الذى وصلت اليه الأمور بعد استقالة توفيق نسيم . ولكن لا يلبث يحيى باشا أن يثبت للجميع أنه ليس الرجل الذى عرفوه أو تصوره وكما يصفه اللورد لويد فيقول « أن يحيى باشا كان حصانا أسود مجهولا سواء من جانب الراى العام أو دار المندوب السامى ، وكانت أهم ميزاته أنه لم يكن — شخصية معروفة أو سياسيا حزبيا ومن ثم فانه لم تكن هناك أى صفات شخصية يمكن أن تقيد حركته » (٤٨) .

وقد استغل يحيى باشا هذه الميزة منذ اللحظة الاولى فاعلن مع تعيينه أنه غير قانع بمجرد إدارة الاعمال ولكنه ينوى اعلان الدستور بإصدار قانون الانتخابات وقانون التضمنيات (٤٩) .

(٤٦) الوقائع المصرية : العدد ٢٩ لعام ١٩٢٢ .

(٤٧) F.O. 407/197 No. 33 Allenby to Curzon, July 19, 1923 Desp. No. 492.

(٤٨) Lloyd : Op. Cit. p. 74.

(٤٩) F.O. 407/197 No. 33 Allenby to Curzon, July 19, 1923 Desp. No. 492.

وفي انسجام واضح بين الانجليز ويحيى باشا توالى القرارات ، كان أول هذه القرارات قرار حكومة لندن بالافراج عن سعد زغلول وذلك بعد أقل من اسبوعين من توليه الوزارة في ٢٧ مارس واذا « اللنبى » النبأ في بلاغ أصدرم في ٣١ من نفس الشهر ، ويقول الاستاذ الراقى ان الأمة المصرية تلقت هذا النبأ « بالغبطة والابتهاج العظيم » (٥٠) .

ثم تبع ذلك القرارات بالافراج عن المعتقلين في مصر ، ثم الافراج عن المحكوم عليهم من أعضاء الوفد والمعتقلين منهم في سينيل وفي ٥ يوليه أصدر اللورد اللنبى أمرا بالغاء الاحكام العرفية كما صدر في نفس اليوم قرار بالعفو عن بعض المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية وشهد اليوم نفسه صدور قانون التضمنات القاضى باجازة كل ما قامت به السلطة العسكرية البريطانية من اجراءات مدة الاحكام العرفية (٥١) .

وبالرغم من المعارضة الوطنية لبعض هذه القرارات الا أن دار المنسوب السامى في القاهرة تسجل في ١٩ يولية أن « جوا من الهدوء والنظام يسود البلاد في الوقت الحاضر وفي رأى بعض المراقبين أنه جوا لا نظير له منذ سنوات (٥٢) » .

وكان أهم الأعمال التى انجزتها الوزارة الابراهيمية إصدارها للدستور في ١٩ أبريل ١٩٢٣ ، وكان رئيس الوزراء قد أصدر بيانا عن الدستور قال فيه « أن الدواء الحاسم هو الرجوع الى تلك الطريقة التى دعت اليها الأمة من أول الأمر ، وهى عقد الجمعية الوطنية . ففيها تمتثل ارادة الشعب وبها تصان سيادة الأمة وتحترم جميع الحقوق (٥٣) » .

وقد احاطت الشكوك بدستور ١٩٢٣ منذ بدايته خاصة بعد عمليات التعديل التى جرت فيه لصالح القصر على عهد الوزارة النسيمية والتى ظلت طى الكتمان حتى ازاح عنها عبد العزيز فهمى سستار السرية **بخطابين مفتوحين** مشهورين وجهها ليحيى باشا : الأول في ١٦ مارس في اعقاب تشكيل الوزارة والثانى في ١٥ أبريل قبل اعلان الدستور بنحو أربعة أيام (٥٤) .

على أى حال فانه حتى هذا الدستور المعدل لم يصدر الا بعد ضغط من جانب يحيى ابراهيم على الملك مما يبدو في الصورة الفجائية التى صدر بها وهو بهذا ينظر اليه باعتباره انجازا هاما من انجازات الرجل

(٥٠) عبد الرحمن الراقى : المصدر السابق ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٥١) المصدر السابق ص ١٢١ - ص ٢٨ .

(٥٢) F.O. 207/197 No. 33 Allenby to Curzon, July 19, 1923 Desp. No. 492.

(٥٣) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٤٨٨ .

(٥٤) نص الخطابين في الراقى ص ١٠١ - ص ١١٣ .

ولا جدال أن كل تلك الانجازات التي قدمتها وزارة يحيى ابراهيم والتي لم تكن متوقعة منها بحال من الأحوال ، لم تتم بسهولة فقد لقيت في طريقها كثيرا من العقبات والازمات ، الا أنه من الملاحظ ان البريطانيين قد ساندوا تلك الوزارة وعملوا معها منذ البداية بانسجام كما أشرنا .

وقد وصلوا في تلك المساندة الى حد توجيه نوع من الانذار للملك للتخلص من محب وزير المالية والذي حظى برعاية القصر طول الوقت ولكنه كان حجر عثرة في طريق الوزارة (٥٥) مما أدى الى تقديم الرجل لاستقالته بالفعل في ٨ أغسطس ١٩٢٣ .

وبعد كل ذلك لم يبق للوزارة الابراهيمية الا تطبيق الدستور وافساح الطريق لمن يختاره الشعب ، ولكن لهذا قصة أخرى . .

الباب الرابع

الفصل الثاني

الوزارة الشعبية ١٩٢٤

في ١٢ يناير ١٩٢٤ وبعد حملة من الدعاية القوية شارك فيها جموع المرشحين في أول انتخابات برلمانية حقيقية تجرى في مصر تمت عمليات التصويت .

وانتهت تلك العمليات باكتساح وفدى فقد بلغ عدد المقاعد التي نالها الوفد ١٩٥ مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغ ٢١٤ أى بنسبة تزيد على ٩٠٪ .

وترتب على ذلك مجموعة من القضايا التي فرضت نفسها بالنسبة للوزارة :

قضية أولى :

تتصل بوزارة « يحيى ابراهيم » التي أصدرت الدستور وأجرت الانتخابات ، وكان الاتفاق معقودا بين رئيسها وبين الملك فؤاد على البقاء في الحكم الى ان يتم انعقاد البرلمان ولكن ، وبعد تلك النتيجة غير المتوقعة ، وبعد سقوط رئيسها في الانتخابات ، وبعد التصريح الذي أدلى به سعد زغلول لمراسل رويتر في القاهرة بوجوب استقالة الوزارة الإبراهيمية (١) كل ذلك اضعف أى أمل في الاستمرار في تنفيذ الاتفاق المعقود بين القصر ويحيى باشا ابراهيم .

قضية ثانية :

تتصل بحزب الوفد ونظرته الى الوزارة الجديدة ، ذلك ان تساؤلا قد فرض نفسه على الحزب الشعبى الكبير في ذلك الوقت الا وهو هل يقبل سعد رئاسة الوزارة ؟ او يدعها لاحد من انصاره او من غير حزبه ممن يثق به ، ويقتصر على زعامة الحركة الوطنية ؟

والواقع ان هذا التساؤل كان مطروحا طوال الشهور التي جرى فيها الاستعداد للانتخابات ، وكان للرأى بتولى سعد رئاسة الوزارة انصاره ، كما كان للرأى المخالف انصاره أيضا ، وكان لانصار كل رأى حججهم التي يتداولونها والتي بدت على درجة كبيرة من الاتقان (٢) .

(١) F.O. 407/198 No. 21 Carr to Curzon Jan. 15, 1924 Tel. No. 20.

(٢) عبد الرحمن الرامى : في اعقاب الثورة المصرية ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٨ .

ولا شك أنه كان للاكتساح الوفدى فى الانتخابات أثره على ترجيح الرأى الاول ، ذلك ان وزارة يسندها كل هذا التأييد الشعبى تختلف عن وزارة تصل الى السلطة بأغلبية ضئيلة ، فبينما تستطيع الوزارة الاولى أن تتعامل مع سائر القوى السياسية من موقع القوة لا تملك الوزارة الثانية الا أن تقع أسيرة لهذه القوى خوفا على أغليبتها الضئيلة من الاهتزاز .

بناء على ذلك يمكن القول ان حصول سعد زغلول على الاغلبية الهائلة كان أهم الاسباب وراء الترجيح بأن يتولى شخصيا رئاسة الوزارة الجديدة.

قضية ثالثة :

وهى قضية القصر هذه المرة والذي تحققت اسوأ مخاوفه فى النتيجة التى أتت بها الانتخابات وكانت هذه المخاوف حافزا له للتصميم على الإبقاء على وزارة « يحيى ابراهيم » حتى يتم انعقاد البرلمان مستهدفا من وراء ذلك أمرين :

١ — ملء اكبر عدد من الوظائف الحساسة بالموالين .

٢ — اطلاق يده من جانب الوزارة الابراهيمية فى تعيين خمس اعضاء مجلس الشيوخ المنصوص عليهم فى الدستور (٣) .

وبتحقيق هذين الهدفين تصور الملك فؤاد انه يستطيع ايجاد لون من الموازنة بينه وبين الحكومة الجديدة سواء داخل البرلمان أو خارجه .

* * *

يبدو من طرح هذه القضايا تناقض مواقف سائر القوى السياسية فى مصر فى أعقاب اجراء الانتخابات ، الوزارة القائمة ثم الوفد صاحب الاغلبية البرلمانية وأخيرا القصر .

وقد شكل هذا التناقض مسيرة الاحداث خلال الاسبوع الذى انقضى بين ظهور نتيجة الانتخابات وبين تشكيل الوزارة الدستورية . الاولى برئاسة سعد باشا زغلول .

وبدأت تلك الاحداث ، فيما سجله تقرير بريطانى سرى طويل . . بدأت بسعى الملك فؤاد الى تنفيذ خطته بالإبقاء على وزارة يحيى ابراهيم من خلال عمليين .

F.O. 407/198 No. 45 Carr to MacDonald, Feb. 13 1924 Desp. (٣)
No. 78.

اولهما :

بالضغط على يحيى باشا للابقاء على وزارته وعدم تقديم استقالته الا بعد انعقاد البرلمان .

ويسجل التقرير البريطانى ان رئيس الوزراء بعد الفشل الذى منى به فى الانتخابات كان فى مزاج سيء للغاية جعل قبوله للضغط الملكى صعبا ، وكما بث شكواه لممثل المندوب السامى البريطانى فى القاهرة « المستر كار » فى لقائهما يوم ١٧ يناير ، فقد جاء فى هذه الشكوى « ان الملك بارغامه على البقاء فى منصبه كان يفرض عليه تضحية لا تحتمل يشعر انه غير مطالب بالقيام بها » (٤) ومن ثم لم يكن من المنتظر ان يسفر هذا الضغط عن شىء .

ثانيهما :

بمحاولة جر الانجليز الى تأييد تنفيذ سياسته بالابقاء على وزارة يحيى ابراهيم .

ويروى المستر « كار » ممثل المندوب السامى البريطانى فى القاهرة فى تلك الايام حيث ان اللبى كان فى زيارة للسودان وقتذاك . . يروى قصة هذه المحاولة الملكية فيقول ان الملك فؤاد قد بعث له برسالة يبلغه فيها انه كان وعد المندوب السامى قبل سفره بالابقاء على وزارة يحيى باشا الى حين انعقاد البرلمان .

ويبحث الرجل فى أوراق دار المندوب السامى وفى نفس الوقت يتصل برئيسه فى الخرطوم ثم يتأكد انه لا ظل من الحقيقة لهذا الادعاء ويعلم ان الملك يسعى الى توريط البريطانيين فى تدخل هم عازفون عنه مما يدفعه الى التأكيد للقصر برفض هذا الوعد وبالتأكيد على عدم الرغبة فى التدخل ، أكثر من ذلك يسعى المستر كار لتدبير لقاء مع سعد زغلول يوضح فيه حقيقة الموقف البريطانى (٥) .

وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات ، وبفشل المحاولة الملكية بهد عمر الوزارة الابراهيمية لا يبقى امام رئيس هذه الوزارة سوى الاستقالة التى تقدم بها بالفعل فى ١٧ يناير ، بعد أقل من أسبوع من اجراء الانتخابات وليقبلها الملك فى ٢٧ من نفس الشهر (٦) .

Ibid.

(٤)

Ibid.

(٥)

(٦) كتاب استقالة يحيى ابراهيم - الوقائع العدد ٩ لسنة ١٩٢٤ ، كتاب قبول الاستقالة - الوقائع العدد ١٠ لسنة ١٩٢٤ .



سعد باشا زغلول

— ولد في ابيانة مركزة فوة — غربية (وقتذاك) عام ١٨٥٩ من أسرة مصرية وكان أبوه شيخا للبلد ومن أصحاب الثراء فيها .

— بدأ تعليمه في كتاب القرية ثم بالجامع الازهر ولم ينل ليسانس الحقوق الا فيها بعد وهو مستشار بالاستئناف

— عين سنة ١٨٨٠ محررا بالوقائع المصرية ثم معاوناً بوزارة الداخلية ثم بقلم قضايا الجيزة .

— اشترك ١٨٨٢ في الثورة العربية وسجن لبضعة أشهر عقب الاحتلال

— مارس المحاماة منذ ١٨٨٤ وتزوج وهو قاض من السيدة صفية ابنة مصطفى فهمى باشا رئيس الوزراء .

— عين سنة ١٨٩٣ مستشارا بمحكمة الاستئناف العليا

— عين ناظرا للمعارف سنة ١٩٠٦ ثم للحقانية في وزارة محمد سعيد بعد اغتيال بطرس غالى .

— انتخب سنة ١٩١٣ نائبا بالجمعية التشريعية ثم أصبح وكيلها المنتخب .

— قاد ثورة ١٩١٩ وأصبح زعيما للأمة بلا منازع بعد ذلك سواء في المنفى أو رئيسا للوزراء (١٩٢٤) أو رئيسا لمجلس النواب (٢٦ — ١٩٢٧)

٣٣ — وزارة سعد زغلول باشا الاولى
٢٨ يناير — ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ :

منذ الساعات الاولى لتكليف الملك فؤاد لسعد باشا زغلول بتأليف وزارته الاولى — والاخيرة — وحتى الساعات التي تلت الانذار البريطاني للزعيم المصرى ولوزارته مما ادى الى استقالتها ولما يقرب من عشرة شهور وقد شهدت « الوزارة المصرية » ما لم تشهده من قبل من ازمات متلاحقة وصراعات عنيفة مع غيرها من اطراف السلطة .

بدأت اولى الازمات التي واجهتها أو فجرتها الوزارة الزغلولية مع القرار بتشكيلها .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل عن هذا التشكيل ما نصه « في اليوم الذى تألفت الوزارة فيه فتح كثيرون عيونهم واسعة من شدة الدهشة . لقد ألف الناس منذ عشرات السنين ، وفي عهد الانجليز أنفسهم ، أن يكون في الوزارة قبضى واحد . أما سعد فقد أخذ في وزارته اثنين من الاقباط . وقد ألف الناس أن يقولوا أن سعد نبى الوطنية ، وقد أخذ سعد في وزارته توفيق نسيم باشا الذى كان يقول أنه يحمد الله على أنه لم يصب بداء الوطنية ومحمد سعيد باشا الذى ألف وزارة من الوزارات الادارية التي لم تشترك في الحركة الوطنية . وقد ألف الناس أن يكون الوزراء ممن لهم مكانة ملحوظة في الحكومة أو خارج الحكومة ، فأشرك سعد في وزارته رجالا لم يعرف لهم أحد ماضيا يقام له وزن ؟ اشرك نجيب الغرابلى المحامى بطنطا بغير شيء الا أنه « قاهر صدقى » في الانتخابات ، وأشرك غيره فادهش ذلك أهل مصر ، وكان مثارا لدهشة البلاد العربية الاخرى دهشة رددتها صحفهم والحت في ترديدها « (٧) .

صحيح أن الدكتور هيكل كان وقتذاك أحد خصوم الوفد السياسيين الا أنه من جانب آخر ليس من شك أنه بحكم النوعية الجديدة للوزارة فقد كان منتظرا أن تكون معايير اختيار اعضائها مختلفة عن المعايير التي جرت العادة على الاخذ بها في تأليف الوزارات السابقة :

لتفهم ذلك نسجل أولا نص المرسوم الملكى بتأليف الوزارة الدستورية الاولى (٨) .

بعد الديباجة تضمن المرسوم المذكور مادة باسماء الوزراء جاء فيها :
مادة ١ — عين :

- | | |
|------------------|------------------------|
| ● سعد زغلول باشا | وزيرا للداخلية |
| ● محمد سعيد باشا | وزيرا للمعارف العمومية |

(٧) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ١٨٠ .

(٨) الوقائع المصرية العدد ١٠ لسنة ١٩٢٤ .

- محمد توفيق نسيم باشا وزيرا للمالية
- أحمد مظلوم باشا وزيرا للاوقاف
- حسين حسيب باشا وزيرا للحربية والبحرية
- محمد فتح الله بركات باشا وزيرا للزراعة
- مرقص حنا بك وزيرا للاشغال العمومية
- مصطفى النحاس بك وزيرا للمواصلات
- واصف بطرس غالى أفندى وزيرا للخارجية
- محمد نجيب الغرابلى أفندى وزيرا للحقانية

أول ملاحظة على هذا التشكيل دخول سعيد وتوفيق نسيم ومظلوم الى الوزارة الشعبية بكل ما عرف عنهم من انهم رجال الملك . واثنان منهم سعيد ونسيم ، توليا رئاسة الوزارة من قبل أكثر من مرة بينما تولى الثالث رئاسة الجمعية التشريعية ورشح مرات عديدة لرئاسة الوزارة أيضا .

يفسر الاستاذ العقاد اشراك تلك الشخصيات الثلاث في وزارة سعد باشا بالدور الذى لعبوه في تسوية العلاقات بينه وبين القصر وكان اشراكهم بمثابة مكافأة عن جهودهم التى بذلوها في هذا الصدد (٩) .

بالاضافة الى ذلك هناك تفسيرات أخرى يمكن تقديمها ، فاشترك هؤلاء الرجال الثلاثة في هيئة تحت رئاسة سعد باشا انها كان يحمل أعمق الدلالات على نوعية التغيير الذى حدث بتغليب ارادة الشعب على ارادة القوى التى طالما حكمت وتحكمت من قبل وتثبتت هذه الحقيقة بتسجيل تلك المقارنة الطريفة بين عهد ما قبل الوزارة الشعبية وسعد زغلول يعمل تحت رئاسة محمد سعيد باشا في نظارته الأولى عام ١٩١٠ ثم بعد ذلك بنحو أربعة أعوام (١٩١٤) وكيلا للجمعية التشريعية التى كان يرأسها أحمد مظلوم باشا ، ثم في عهد الوزارة الشعبية حين يشترك في عضويتها هذان ويرأسها سعد نفسه .

الملاحظة الثانية الخاصة بتشكيل الوزارة الشعبية ما حدث من خلاف حول اختيار اعضائها ، فقد اعترض الملك فؤاد على القائمة الأولى التى اعدّها سعد باشا للوزراء وشمل هذا الاعتراض أكثر من جانب .

اعترض أولا على تعيين « على الشيمسى بك » لأنه كان من المؤيدين للخديو عباس حلمى الثانى .

واعترض ثانيا على تعيين « مرقص حنا بك » وزيرا للعدل لأنه لا يليق أن يعين قبطى في مثل هذا المنصب في بلد اسلامى .

(٩) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ص ٤٢١ .

واعترض ثالثا على تعيين وزيرين قبطيين في الوزارة (مرقص حنا وواصف غالى) لأن التقاليد جرت بالاكثفاء بوزير قبطى واحد « وقد يتأثر الشعب بالخروج على هذا التقليد » .

واعترض أخيرا على ترشيح نجيب الغرابلى افندى وزيرا للمعدل « لضعف مكانته بالنسبة لضخامة المنصب الوزارى » .

وإذا كان سعد قد قبل الاعتراضين الأولين إلا أنه لم يقبل الاعتراضين الآخرين ، فقد رد على الاعتراض الثالث الخاص بنسبة الاقتباط في الوزارة بأنه لا يفرق بين مسلم وقبطى ، وأنه هو المسئول عن شعور الشعب المصرى ، وأصر على اختيار الوزيرين . كما أنه أبدى عدم اقتناعه بالاعتراض الرابع وأصر على تعيين ذلك المحامى الناشئ من طنطا وكان تعيين هذا « الافندى » كما يقول أحد الكتاب المحدثين ، « تحطيمًا للقيم المظهرية التي كانت للباشوات ، وتأكيذا للطابع البورجوازي للوزارة وارضاء للانتلجنسيا المصرية غاية الارضاء » (١٠) .

وتجىء الملاحظة الثالثة من الملاحظات المتعلقة بتشكيل الوزارة الزغلولية في محاولة من جانب القصر لانتكار الاساس الدستورى لقيام الوزارات وستوطها وعدم الاعتراف بسلطة الامة وحققها في اختيار حكامها مما لاحظته الاستاذ الرافعى من الكتاب الملكى الصادر لسعد زغلول يكفه بتأليف الوزارة (١١) . اذ تضمن عبارات عامة عن صدق وولاء سعد (كذا !) وعن عظيم خبرته وحكمته وسداد رايه في تصريف الامور ، وان ذلك (فقط) هو الذى دعا الملك الى اصدار الامر اليه « للاخذ في تأليف هيئة الوزارة » (١٢) .

ولم يكن متوقعا أن يقبل زعيم الوفد مثل هذا الانكار مما بدا واضحا في رده (١٣) على خطاب الملك فؤاد حين أكد على أن الانتخابات لأعضاء مجلس النواب أظهرت بكل جلاء اجماع الامة على تمسكها بمبادئ الوفد وهو بذلك لا يدع مجالا للشك أن تأليف الوزارة قد نبع من ارادة الامة لا من ارادة القصر .

سجل سعد زغلول أيضا في نفس الخطاب مجموعة من النقاط اسمها هو « بروجوام وزارتى وضعته طبقا لما أراه وتريده الامة » ، ويمكن تلخيص تلك النقاط فيما يلى :

١ — ان تشكيله للوزارة لا يعنى اعترافا « بأية حالة او حق استنكره الوفد المصرى » .

(١٠) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٤٢٢ .
(١١) نص الامر فى الوقائع المصرية العدد ١٠ لعام ١٩٢٤ .
(١٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ١ ص ١٣٨ .
(١٣) نص الرد — الوقائع المصرية — نفس العدد السابق .

٢ - تأكيد على التمسك بمبادئ الوفد الرامية « لتمتع البلاد بحقها الطبيعي في الاستقلال الحقيقي لمصر والسودان ، مع احترام المصالح الأجنبية التي لا تتعارض مع هذا الاستقلال » .

٣ - التمسك بالروح الدستورية في جميع المصالح « وتمويد الكل على احترام الدستور والخضوع لاحكامه ، وذلك انما يكون بالقدوة الحسنة وعدم السماح لاي كان بالاستخفاف بها ، أو الاخلال بما تقتضيه » .

يضاف الى ذلك التعهدات التي ظلت تقطعها كل وزارة على نفسها بالاهتمام بالتعليم وحفظ الامن وتحسين الاحوال الصحية والاقتصادية وغير ذلك .

ولم يكن امام القصر الا القبول برد رئيس الوزراء الجديد الا ان هذا القبول لم يؤرخ لنهاية أسباب الخلاف بين الجانبين ، بالعكس فان الزعيم الشعبى كان جادا في تنفيذ « البروجرام » الذى وضعه كلمة كلمة ، وكان لابد ان يقوده هذا التنفيذ الى صدامات متوالية سواء مع الملك أو مع الوجود الاحتلالى مما تمخض عنه ان تحالف هذان فى النهاية لانتهاز اقرب فرصة للتخلص من الوزارة الشعبية الاولى فى تاريخ الوزارات المصرية مما جرى فى نوفمبر من نفس عام تشكيلها (١٩٢٤) .

* * *

يلاحظ من يتابع تاريخ الوزارة الشعبية ملاحظتين تتصلان مباشرة باستقرارها وترتبطان بشكل أو بآخر بعلاقة القوى السياسية التى اتسمت بالاتفاق حيناً وبالتناحر فى اغلب الاحيان .

الملاحظة الاولى :

كثرة التغييرات التى جرت فى شكل الوزارة سواء باختفاء وزراء وحلول آخرين محلهم أو بتبادل المواقع الوزارية بين أعضاء الوزارة .

ويمكن احصاء عدد غير يسير من هذه التغييرات التى حدثت خلال عمر الوزارة الذى لم يتجاوز الشهور العشرة .

التغيير الاول حدث فى ١ مارس حين تولى محمد توفيق نسيم وزير المالية وزارة الداخلية بالاضافة الى عمله لاعتلال صحة سعد باشا الذى كان قائما بأعمال هذه الوزارة (١٤) .

وكان التغيير الثانى تعديلا فى تأليف الوزارة حين نقل الغرابلى من الحقانية الى الاوقاف بعد أن تولى وزير الوزارة الاخيرة (مظلوم باشا) رئاسة مجلس

(١٤) الوقع المصرية العدد ٢٥ لسنة ١٩٢٤ .

النواب أما وزارة الحقانية فقد تولاهما محمد سعيد باشا بالإضافة الى عمله
وزيرا للمعارف . وقد تم هذا التغيير في ٣١ مارس (١٥) .

وجاء التغيير الثالث في ٢٤ يولييه بتعيين كل من أحمد مظلوم وأحمد زيور
وزيرين بلا وزارة (١٦) .

ثم التغيير الذى تلاه بتعيين فتح الله بركات وزير الزراعة وزيرا للداخلية
وأحمد ماهر أفندى وزيرا للمعارف العمومية وقد حدث في ٢٥ أكتوبر (١٧) .

ثم التغيير الاخير بتعيين على الشمسى أفندى وزيرا للمالية بدلا من محمد
توفيق نسيم الذى استقال (١٨) .

الملاحظة الثانية :

تقدم سعد زغلول باستقالة وزارته مرتين خلال تلك الشهور العشرة .
أولاهما في يونيه وثانيتهما في أكتوبر .

وفي المرتين كان (الرئيس) يعدل عن استقالته نتيجة للضغوط الشعبية
التي ربما كانت استشارتها هي الهدف من تقديم الاستقالتين وذلك
لاستخدامها في التعامل مع القوى السياسية الأخرى ... الملك والانجليز
وأحزاب المعارضة .

من متابعة العلاقات بين الوزارة الزغلولية وتلك القوى السياسية يمكن
أن نتأكد حقيقة صلة ما ذكرناه في الملاحظتين السابقتين بهذه العلاقات .

فيما يتصل بالقصر فقد بدأت الوزارة الشعبية عهدها بنزاع دستوري
معه حول حق تعيين الشيوخ المعينين ... وهل هذا الحق للملك أم للملك
من خلال الوزارة . وقد انتهى النزاع بقبول الطرفين تحكيم أحد الفقهاء
القانونيين هو البارون « فان دين بوش » العالم البلجيكي والذي كان نائبا
عاما لدى المحاكم المختلطة وقد غلب وجهة نظر الوزارة على وجهة نظر
القصر (١٩) .

وقد ترتب على هذا الصدام الأول أكثر من حقيقة في العلاقات بين الطرفين
بعد ذلك ، من هذه الحقائق ما بدأ من صلابة الوزارة في التمسك بحقوقها
الدستورية الخاصة ما اتصل منها بتفسير ممارسة الملك لسلطاته من خلال

(١٥) الوقائع المصرية العدد ٢٢ لسنة ١٩٢٤ .

(١٦) الوقائع المصرية العدد ٦٥ لسنة ١٩٢٤ .

(١٧) الوقائع المصرية العدد ٩٤ لسنة ١٩٢٤ .

(١٨) الوقائع المصرية العدد ١٠٠ لسنة ١٩٢٤ .

(١٩) نص واقعة التحكيم من - الرأى : المصدر السابق ص ١٤٥ - ١٥٠ .

الوزارة مما سلب هذه الممارسة كل فعالية ، منها أيضا تعميق الشكوك بين الملك الاوتوقراطي والوزارة الدستورية ومنها أخيرا أن الملك قد عول على عدم التورط في نزاعات جديدة مع الوزارة طالما بقى سعد زغلول مدعوما بكل ما يتمتع به من تأييد شعبي وطالما استمر البريطانيون في محاولاتهم للتفاهم معه لاقرار العلاقات المصرية الانجليزية ، ذلك أن التورط في أى نزاعات مع سعد زغلول في مثل هذا الجو لن يترتب عليه الا مزيد من سلب القصر من حقوق يعتقد أنها له .

على ذلك لم يكن أمام الملك سوى أن يعمل في جانب وينتظر في جانب آخر .

تمثل الجانب الذى أخذ الملك فى العمل فيه فى السعى لسلب الوزارة الشعبية من بعض شعبيتها باستقطاب بعض القطاعات التى ظلت سندا للوزارة وللوفد .

وكان الازهر بمجموعه قطاعا من أهم هذه القطاعات حيث نجح الملك فى ابقاء تعيين الرؤساء الدينيين بين يديه وذلك بمقتضى الدستور» وذلك لمنع تعريض هذا المركز الدينى المهم للتدافع والتصادم الذى يقوم بين الاحزاب « كما قال أحد كبار المشايخ من رجاله (٢٠) .

وقد استتبع ابقاء هذا التعيين النجاح فى جذب الازهرين الى صفوف مؤيدى القصر وظهور الملك بمظهر المدافع عن حقوق هؤلاء فى مواجهة محاولات الوزارة للتعدى عليها .

فى هذا الجانب أيضا كانت الهجمات التى شنّها المعارضون وبالذات الاحرار الدستوريين ذات تأثير لا بأس به ، كما يرى الدكتور هيكل — رئيس تحرير السياسة لسان حال الاحرار وقتذاك — (٢١) ، فقد نجحت تلك الهجمات فى سلب الوفد من بعض مؤيديه من عناصر المثقفين ممن تأثروا بالتهمة التقليدية التى ظل اعداء الحزب الكبير يرمونه بها وهى أنه يقيم نوعا من الدكتاتورية البرلمانية .

الجانب الآخر والذى أسميناه جانب الانتظار تمثل فى علاقة الوزارة بالوجود البريطانى فلم يكن أمام القصر فى هذا الجانب سوى الانتظار لوقت تسوء فيه تلك العلاقة فيبادر الى العمل ، وقد حدث .

يلفت نظر الباحث محاولات واضحة من جانب البريطانيين لبناء جسور من التفاهم والثقة مع الوزارة السعدية وذلك منذ الايام الاولى فى حياة هذه الوزارة .

(٢٠) د. نحر الدين أحمد الظواهرى : السياسة والازهر — من مذكرات شيخ الاسلام الظواهرى (القاهرة ١٩٤٥) .

(٢١) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ١ — الفصل الرابع : نحن والوزارة الدستورية الاولى ص ١٨٢ — ٢١٦ .

وقد بدأت تلك المحاولات حتى قبل تشكيل وزارة الشعب ، ففى أعقاب استقالة يحيى ابراهيم ينجح المستر كار ممثل المندوب السامى فى القاهرة فى تدبير لقاء مع سعد فى ١٩ يناير يصفه بأنه اجتماع لازالة الشكوك ، ثم بعد ذلك بخمسة أيام يتم لقاء آخر بين الرجلين يصفه الموظف البريطانى الكبير بقوله أنه كان « اجتماع التمهيد لاقامة علاقات ودية » (٢٢) .

ولا يلبث المستر كار فى أعقاب تشكيل الوزارة الزغلولية أن يضرب بالتقليد الذى كان متبعاً من قبل بزيارة رؤساء الوزراء فى أعقاب توليهم مناصبهم لدار المندوب السامى . . يضرب بهذا التقليد عرض الحائط ويبادر هو بزيارة سعد زغلول فى مكتبه ، ويصف هذه الزيارة فى تقريره الى لندن فيقول : « استقبلنى زغلول باشا بهزيد من الشعور الودى واستقبلنى فى مكتبه نحو ساعة » (٢٣) .

وتؤكد سياسة بناء جسور التفاهم والثقة باجابة المستر مك دونالد رئيس الوزراء البريطانى لمطلب الوزارة المصرية بالافراج عن المسجونين السياسيين ممن صدرت ضدهم احكام بالادانة من المحاكم العسكرية البريطانية ابان احداث الثورة (٢٤) ، ثم بالتهنئة التى ابرق بها الى سعد فى ١٥ مارس بمناسبة افتتاح اول برلمان مصرى يبدى فيها استعداد حكومته للتفاوض مع الحكومة المصرية (٢٥) .

وتشارك الوزارة الزغلولية فى سياسة بناء جسور التفاهم والثقة بمجموع البيانات المعتدلة التى ادلى بها رئيسها فى البرلمان المصرى والتى سعى من خلالها الى كبح جماح المعارضة التى كانت تدفعه الى مواجهة مع الوجود البريطانى ، وقد رأى اللبى فى تلك البيانات دليلاً على « روح رجل الدولة » وامنها قد اتصفت « بصراحة محبة » ، ويعرب المندوب السامى عن امله أن يظل هذا النهج « رائداً لسياسة الوزارة المصرية » (٢٦) .

* * *

تصور كل من الانجليز والوزارة الوفدية انهما يمثل هذه السياسة يحققان اهدافهما النهائية .

وقد تمثلت هذه الاهداف بالنسبة للطرف الاول — الانجليز — فى الحصول من حكومة يرأسها سعد زغلول على اعتراف بوجود بريطانى فعال فى مصر وذلك عن طريق المفاوضات ، اذ أن مثل هذا الاعتراف سيؤدى الى استقرار للعلاقات البريطانية — المصرية على نحو يحقق مرامى الاستراتيجية البريطانية ، وهو استقرار افتقده تلك العلاقات خلال السنوات السابقة نتيجة للنمو المتزايد للحركة الوطنية برئاسة سعد .

F.O. 407/198 No. 54 Carr to MacDonald, Feb. 13. Desp No. 78. (٢٢)

Ibid. (٢٣)

F.O. 407/198 No. 55 Izzet Pacha to MacDonald, Feb. 9. (٢٤)

F.O. 407/198 No. 87 MacDonald to Zaghlul, March, 14. (٢٥)

F.O. 407/198 No. 128 Allenby to MacDonald April 3, Desp. No. 231. (٢٦)

بالنسبة للطرف الثانى - الحكومة الوفدية - فقد رأت أن كل الظروف قد أصبحت مناسبة للحصول على استقلال وطنى حقيقى وقد تمثلت تلك الظروف فى أنه ، لأول مرة فى تاريخ مصر ، تصبح السلطة ممثلة للحركة الوطنية وذلك باكتساح الوفد للانتخابات البرلمانية وتأليفه للوزارة . ثم ما واكب ذلك من تأليف أول وزارة بريطانية برئاسة زعيم عمالى هى وزارة المستر رامزى مكدونالد وقد علق عليها الوفد وزعامته آمالا واسعة سواء بسبب العلاقة الودية التى كانت تربط مكدونالد بزغلول أو بسبب ما عرف عن « العمال » من عزوف بل وهجوم على السياسة الاستعمارية للحكومات البريطانية السابقة .

وبالرغم من الأسباب التى توفرت لدى كل من الطرفين ودعته الى المشاركة فى « بناء جسور التفاهم والثقة » إلا أن المؤرخ يلاحظ اتساع شقة الاختلاف بين أهداف كل منهما . . بين « وجود بريطانى فعال » كهدف للطرف الأول و « استقلال وطنى حقيقى » كهدف للطرف الثانى مما يمكن القول معه أن مثل هذه السياسة كان مقضيا عليها بالفشل بمجرد أن يضع أى من الطرفين هدفه موضع التنفيذ .

ولم يمض وقت طويل حتى قطعت هذه الحقيقة الطريق على سياسة « بناء جسور التفاهم والثقة » مما ادى فى النهاية الى تآكل الجسور ثم انهيارها .

وكان « السودان » ومنصب السردارية أهم ميادين الاختلاف بين البريطانيين والوزارة الشعبية مما بدا واضحا فى التصريحات التى أدلى بها سعد زغلول فى مجلس النواب خلال شهر مايو ، فيقول رئيس الوزراء المصرى فى جلسة هذا المجلس المنعقدة فى ١٧ من ذلك الشهر ما نصه أنه « لا يتفق مع كرامة الدولة المصرية أن يكون الرئيس الأعلى لقواتها اجنبيا بل ولا الرئيس الأدنى أيضا ولكن هكذا كان من قبل ويجب علينا أن نمحوه . كما أن إقامة السردار بالسودان لا تتفق مع مصلحة العمل وهذا واقع من قبل ويجب أن تتخذ الوسائل لازالة ذلك » (٢٧) . ويعلن فى تصريح آخر فى جلسة بعد ذلك بأسبوع أنه « من المحال ترك السودان غنيمة باردة للانجليز » (٢٨) .

وسرعان ما جاء الرد البريطانى على حكومة الشعب فى البيان الذى أدلى به اللورد بارمور نائبا عن حكومة العمال فى مجلس اللوردات فى ٢٥ يونيه والذى جاء فيه « ان الحكومة البريطانية لا تترك السودان بحال وهى تقدر التعهدات الواجب تحملها والتى لا يمكن تركها من غير أن تصاب سمعة انجلترا بخسارة عظيمة . واستطيع أن أقول من غير تردد أنه لن يسمح بتغيير نظام السودان ولا أن يتم ذلك التغيير دون موافقة البرلمان » (٢٩) .

(٢٧) لمجلس النواب - مجموعة محاضر دور الانعقاد الاول - جلسة ١٧ مايو ص ٢٤٤ .

(٢٨) المصدر السابق - جلسة ٢٤ مايو .

(٢٩) أحمد شفيق - حويات مصر السياسية - الحولية الاولى ١٩٢٤ ص ٢٣٢ .

وقد أثار هذا التصريح غضبا شديدا في القاهرة مما دعا سعد زغلول الى أن يتقدم باستقالته احتجاجا في ٢٩ من نفس الشهر ، وقد رأى المندوب السامى لأول وهلة أن الغرض الظاهرى من تلك الاستقالة أن يخلص زغلول نفسه من هذا الجانب من برنامج الذى يقول بدخوله المفاوضات مع الحكومة البريطانية ولكن الهدف الحقيقى هو استخدام بيان « بارمور » للتوصل من الأسس التى ألزم نفسه بالمفاوضة على أساسها ثم ما لبث أن اقتنع بعدم كفايتها (٢٠) .

ولكن لم يابث اللبى أن تبين الهدف الحقيقى من استقالة سعد وهو أن « يعود الى الحكم بعد مظاهرة يشترك فيها الملك والبرلمان والشعب » وهو ما حدث فعلا ليعدل الزعيم الشعبى عن الاستقالة بعد أن حقق هدفه بإبلاغ الجانب البريطانى رسالة مضمونها « ان الأمة كلها وراء سعد » مما يضعه فى مركز قوة فى مواجهة هذا الجانب وأمام احتمالات قريبة بالمفاوضات مع المستر مكدونالد ، وقد فهمت دار المندوب السامى الرسالة وبعثت بما فهمته الى لندن (٢١) .

وتتوالى الحوادث وتصل المواجهة الى ذروتها فى المفاوضات التى جرت بين رئيس الوزارة المصرية ورئيس الوزارة البريطانية فى لندن فى أواخر سبتمبر والمعروفة باسم مفاوضات سعد مكدونالد وانتهت بما كان متوقعا أن تنتهى اليه من حبوط كامل لآمل كل من الجانبين فى تحقيق أهدافه من خلال الاتفاق مع الجانب الآخر (٢٢) . وترتب على هذا الحبوط نتائج هامة فى العلاقات بين القوى السياسية مما انعكس بدوره على مصير الوزارة الزغلولية .

ظهرت التغييرات التى أصابت تلك العلاقات فى التقارب الذى بدا بين القصر والوجود البريطانى والذى أخذ فى التأكد خلال شهر أكتوبر .

ويتضمن تقرير بريطانى طويل أرسلته دار المندوب السامى بالقاهرة الى الخارجية البريطانية فى ٢٤ من هذا الشهر تلك الحقيقة .

يقول التقرير فى جزء منه أن الملك فؤاد قد رأى فيما حدث فى لندن بين زغلول ومكدونالد « فشلا ذريعا » ويقول فى جزء آخر أن الملك قد أبلغ ممثل المندوب السامى عن رغبته فى التعاون مع بريطانيا وأنهم سيجدون لتعاونهم « قيمة كبيرة » كما يلمح الموظف البريطانى الكبير « المستر كار » للملك من احتمالات حل البرلمان اذا ساءت الاحوال فى البلاد فيجب الآخر عن استعداده لذلك « اذا أصبح هذا الوضع ضروريا » . ويرى المستر كار بعد كل تلك الدلائل أن الملك عاد يسمى « لاستئناف مشاركته النشطة المسيطرة فى الشؤون العامة » (٢٣) .

F.O. 407/198 No. 249 Allenby to MacDonald. Jan. 29, 1924 Tel. (٢٠)
No. 217.

F.O. 407/199 No. 6 Allenby to MacDonald. July 2, 1924 Tel. (٢١)
No. 222.

(٢٢) شفيق غريال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ ص ١٥٠ .
F.O. 407/199 No. 38 Carr to MacDonald. Oct. 24 1924 Desp. No. 639. (٢٣)

وتتابعت الأعمال الملكية بعد ذلك التى تأكد منها أن القصر قد عاد ليعمل ،
وقد تضمن تقرير بريطانى تلك الأعمال وكانت على النحو الآتى :

١ — اضراب لطلاب الازهر بتحريض السراى ، وقد أكد سعد زغلول أن
رجال الملك وبالأذات توفيق نسيم وحسن نشأت كانوا المحرضين الاساسيين
وراء هذا الاضراب .

٢ — اتصالات مباشرة من جانب الملك ومن وراء ظهر الوزارة بممثلى
مصر الدبلوماسيين فى الخارج الذين قاموا بدعاية واسعة لصالحه مما بدا
من بعض خطب القاها آنذاك عزيز باشا عزت وزير مصر المفوض فى لندن .

٣ — تدخل الملك عن طريق حسن نشأت باشا فى محاضر جلسات
ودستور المحافظ الماسونية المصرية لاستخدامها ضد الوزارة .

٤ — تعيين حسن نشأت وكيلًا للديوان الملكى دون أخذ رأى الوزارة .

٥ — منح الملك الاوسمة لبعض الشخصيات دون الحصول على موافقة
مجلس الوزراء خاصة وأن بعض هذه الاوسمة قد منحت لموظفين بريطانيين
فى حكومة السودان بينما كانت العلاقات المصرية البريطانية فى غاية التوتر ،
فى نفس الوقت منح حسن باشا نشأت وسام النيل وهو من أرقى الاوسمة
المصرية فى وقت عرف فيه أن الرجل يشارك فى التآمر ضد الوزارة الوفدية (٢٤) .

ووصلت العلاقة بين الطرفين الى ذروة التوتر عندما بدا أن رجال الملك
فى طريقهم الى احداث أزمة وزارية فى منتصف نوفمبر عندما استقال توفيق
نسيم ، وبدا محمد سعيد راغبا فى تقديم استقالته (٢٥) . ثم ما حدث فى نفس
الوقت من رفض الملك اعتماد مرسوم لبعض التعيينات التى أجراها سعد
فى وزارتى المالية والزراعة (٢٦) .

وبادر سعد الى العمل فعاد الى ما فعله فى يونيه بتقديم استقالته الى
الملك ، وعلى نحو مفاجئ ، فى ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ وسط مظاهرات تم تفجيرها
فى شوارع القاهرة تهتف « سعد أو الثورة » واضطر القصر الى تقديم
التنازلات سواء برفض استقالة الوزارة أو بالنزول على بعض رغباتها الا أن
موقف الملك كان قد تحدد نهائيا خلال هذا الصدام بالعداء الكامل لوزارة
الوفد .

على الجانب الآخر كان اللبى متربصا بالوزارة فكما ابرق الى حكومته
فى ١٤ نوفمبر بأنه ينتظر الفرصة المناسبة لتحدى الحكومة المصرية « ان

(٢٤) F.O. 407/199 No. 53 Allenby to Chamberlain Dec. 7, 1924 Desp. No. 718.

(٢٥) F.O. 407/199 No. 49 Allenby to Chamberlain Nov. 16, 1924. Tel. No. 354.

(٢٦) F.O. 407/199 No. 64 Allenby to Chamberlain, Nov. 15, 1924 Tel. No. 353.

زغلول منذ عودته يريد أن يتلافى الأزمة ، ولكنه ليس من المستبعد في خلال المناقشات المقبلة ، أن يضطر الى التصريح بما يحملنا على اتخاذ اجراءات لتوضيح الحالة الراهنة فيما يختص بالسردار وبالوضع في السودان « (٢٧) .

وجاءت هذه الفرصة بحادثة اغتيال السردار المشهورة في ١٩ نوفمبر وما ترتب عليها من التخلص من الوزارة الزغلولية مما عبر عنه أحد الكتاب البريطانيين من أن « الأقدار قد أرسلت جثة السردار كحل لموقف لم يعد محتملا » (٢٨) .

فقد تقدم المندوب السامي البريطاني في مظاهرة عسكرية بانذار الى رئيس الوزارة حمل كل المهانة للحكومة المصرية مما كان لا يمكن أن تقبله حكومة ذات كرامة أو حكومة حريصة على الاستقلال الوطنى ناهيك بحكومة يرأسها سعد (٢٩) .

ولم يكن أمام الوزارة الشعبية في مواجهة أعمال القوة التي شرع البريطانيون في القيام بها لتنفيذ الانذار إلا التقدم باستعفائها الى الملك في ٢٣ نوفمبر وقبل الملك الاستعفاء في اليوم التالي وطويت بذلك صفحة من أهم صفحات تاريخ الوزارات المصرية .

(٢٧) إبراهيم أمين غالى " مقتل السردار والمؤامرة البريطانية في السودان — السياسة الدولية العدد ٣٣ يوليو ١٩٧٣ ص ٩٠
Wavell, Viscount : Allenby In Egypt (London 1943) p. 116. (٢٨)
(٢٩) لتفاصيل حادثة السرداد : انظر د. يونان لبيب رزق : الحقيقة التاريخية وراء حادثة السرداد ١٩٢٤ "هلل سبتمبر ١٩٦٨" .

الباب الرابع

الفصل الثالث

الوزارات الملكية — التجربة الأولى

نوفمبر ١٩٢٤ — يونيو ١٩٢٦

فتح سقوط أول وزارة دستورية عرفتها مصر فيما سبقت الإشارة إليه . .
فتح الطريق واسعا أمام القصر ليمارس سلطته في اختيار الوزارة لما يقرب
من عامين .

وتتعدد دلالات السيطرة الملكية على الوزارة خلال تلك الحقبة مما يمكن
ملاحظته فيما يأتي :

١ — ان وزارتي زيور باشا لم تتمكنوا بأى حال من أن يكون لهما أى سند
شعبى أو أى شرعية دستورية .

الوزارة الزيورية الأولى غلت يدها عن الالتقاء بيد الشرعية الدستورية
التي امتدت إليها في أعقاب تأليفها ، فقد وقف سعد زغلول في نفس يوم تأليف
تلك الوزارة يصرح في مجلس الشيوخ : « اننى وزملائى مستعدون بكل
اخلاص لان تؤيد في مجلس النواب الذى نحن أعضاء فيه ، كل وزارة نشتغل
لمصلحة البلاد » (١) ، وكان واضحا انه يبعث في هذا برسالة تأييد للوزارة
الجديدة .

كان رد تلك الوزارة على ذلك ان اشاحت بوجهها عن يد الشرعية الممتدة
إليها بأن استصدرت في نفس اليوم مرسوما بتأجيل انعقاد البرلمان لمدة
شهر ، ثم بعد انقضاء ذلك الشهر صدر مرسوم آخر يقضى بحل مجلس
النواب ودعوة المندوبين النخبين لاجراء انتخابات جديدة بعد ذلك بشهرين (٢) .

ثم نفس الموقف تقفه الوزارة الزيورية الثانية ، فبعد اجراء الانتخابات
الجديدة ، وبعد مجموعة من الاجراءات قام بها القصر لتأليف برلمان ذى أغلبية
ملكية ظهر أن تلك الاجراءات لم تأت بما كان منتظرا من ورائها، وللمرة الثانية
بتأليف برلمان شعبى للوفد الأغلبية فيه ، وللمرة الثانية أيضا وفي خلال اقل
من ثلاثة شهور يصدر مرسوم آخر بحل البرلمان الجديد (٣) برغم كل ما في هذا
العمل من لا دستورية .

ودلالة كل ذلك ان وزارتي زيور بدلا من أن تعتمدا على مجالس شعبية
اعتمدتا على مراسيم ملكية بحل تلك المجالس ، وما ترتب على ذلك من
التأكيد على حقيقة مؤداها ان ارادة القصر كانت القاعدة التي ارتكز عليها
وجود هاتين الوزارتين .

(١) أحمد شوقي : حوليات مصر السياسية — الحولية الأولى ١٩٢٤ م

(٢) نص المراسيم المذكورة المصدر السابق ص ٤٥٠ — ٤٥٤ .

(٣) أحمد شوقي : الحولية الثانية (١٩٢٥) ص ٢٤٧ .

٢- كانت النتيجة المنطقية لاعتماد الوزارة على القصر في وجودها اطلاقاً للقصر في شئون الوزارة سواء بتحديد السياسة أو بتغيير الوزراء مما يبدو في مناسبات متعددة .

لعل أهم تلك المناسبات ما جرى في الازمة الوزارية التي تفجرت في خريف ١٩٢٥ حول كتاب « الاسلام وأصول الحكم » والتي ترتب عليها استقالة وزراء الأحرار الدستوريين من الوزارة .

ذلك أن ما نتج عن تلك الازمة من خروج أربعة وزراء من مجموع الوزراء العشرة الذين يشكلون الوزارة ودخول أربعة جدد بدلا منهم .. كل هذا قد تم في غيبة رئيس الوزراء والذي كان في مصيفه في « ايفيان » ودون استئذان منه ، أو كما قال القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني في مصر في هذا الوقت المستر هندرسون في برقية له الى حكومته في لندن أن المرسوم الصادر بتعيين الوزراء الجدد سوف يذكر أن هذا التعيين قد تم بناء على توصية زيور باشا ، الا أنه يستطرد مؤكدا بعدم صحة ذلك على اعتبار أن التعيينات المذكورة كانت قد تقررت قبل ذلك (٤) .

ويعجب الدكتور هيكل من أن ما حدث لم يدع زيور باشا الى التفكير في العودة الى مصر الا أنه يعلق على ذلك بقوله « وما باله يعود وهو يعلم أن الأمور تجري في غيابه وفي حضوره على حد سواء ثم ما باله يحضر وفي مقدوره أن يوافق بالتلغراف على كل ما يطلب منه أن يوافق عليه ؟ فلو أن تعديلا جديدا اريد اجراؤه ، ولو أن أمرا أجل خطرا من تعديل الوزارة اريد أن يتم ، لما عدل به شيء من ذلك عن اتمام استجمامه في بلاد المياه التي ألف أن يستجم فيها ، ولما دعاه لأن يسرع بالعودة الى منصبه تصرف أموره نفسها من غير حاجة اليه (٥) .

٣ - يبقى القول أن الوزارتين الزيوريتين قد اعتمدتا على هيئة سياسية شكلها القصر هي « حزب الاتحاد » .

وقد ذكر « حسن باشا نشأت » رجل السراى القوى أن الهدف من وراء تأليف هذا الحزب ايجاد نوع من التوازن بين الحزبين الكبيرين ، الوفد والأحرار الدستوريين ، حتى لا يستبد أحدهما بالسلطة اذا ما انفرد بها (٦) .

ومهما كان هدف القصر من تأليف الحزب الجديد فانه فيما يتصل بالوزارة الزيورية فقد اعتمدت في تشكيلها سواء بصورة كلية أو بصورة جزئية على رجالات هذا الحزب مما استتبعه بالضرورة ولاء مطلق من جانبها للقصر .

* * *

F.O. 407/201 No. 27 Henderson to Chamberlain Sept. 12, 1925 Tel. (٤)
No. 322

(٥) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٢٢ .



أحمد زيور باشا

- ولد بالاسكندرية ١٨٦٤ ينحدر من أسرة شركسية الأصل
- تلقى تعليمه بالمدرسة الفرنسية بالاسكندرية ثم في كلية الجزويت ببيروت وتخرج في كلية الحقوق بأكس بفرنسا
- تقلب في مناصب القضاء حتى عين مستشارا بمحكمة الاستئناف ثم محافظا للاسكندرية .
- عندما تحول ديوان الاوقاف الى نظارة كان أول نظارها وتولى بعد ذلك عددا من المناصب النظارية بعد ذلك .
- أصبح رئيسا للوزراء بين عامي ١٩٢٤ ، ١٩٢٦ .

مع وضع كل تلك الدلالات قيد الاعتبار فليس من قبيل الانحراف من الأمانة العلمية القول بأن الوزارتين كانتا وزارتين ملكيتين ، أو بالأحرى أول تجربة للوزارات الملكية في العهد الدستوري .

وتتأكد أكثر تلك الحقيقة لدى متابعة تاريخ هاتين الوزارتين على امتداد تسعة عشر شهرا هو عمر وجودهما .

٣٣ — وزارة أحمد زيور الأولى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ — ١٣ مارس ١٩٢٥ :

صدر المرسوم الملكي بتأليف الوزارة (٧) الزيورية الأولى على النحو الآتى :

- أحمد زيور باشا وزيرا للداخلية والخارجية مؤقتا
- أحمد محمد خثبه بك وزيرا للمعارف العمومية وللحقانية مؤقتا
- عثمان محرم بك وزيرا للاشغال العمومية
- محمد السيد أبو على باشا وزيرا للزراعة
- محمد صدقى باشا وزيرا للاوقاف
- يوسف قطاوى باشا وزيرا للمالية
- نخلة جورجى المطيعى بك وزيرا للمواصلات
- محمد صادق يحيى باشا وزيرا للحربية والبحرية

وتتعدد الملاحظات حول هذا التشكيل .

الملاحظة الأولى :

أنه قد تم على عجل فيما يبدو إذ أن وزارتين من أهم الوزارات وهما الخارجية والحقانية ظلتا بلا وزراء . ومصدر العجلة تداعى الأحداث على نحو سريع بعد اغتيال السردار مما لم يترك الوقت الكافى للملك ليتدبر الأمر ويختار كل رجال الوزارة الجديدة فى ظل الأوضاع الجديدة خاصة وأنه قد رأى وعلى حد تعبير تقرير بريطانى ، « استحالة تأجيل قبول استقالة الوزارة الزغلولية (٨) » .

(٧) الوثائق المصرية العدد ١٠٤ لسنة ١٩٢٤ .
(٨) F.O. 407/199 No. 499 Allenby to Chamberlain Dec. 14, Desp. No. 736.

الملاحظة الثانية :

بدأت الوزارة مع هذا التشكيل ذات لون وفدى . ربما لا يكون على نفس درجة وزاره السابقة ، الا انه لم يخطر على بال أحد أن يكون على النقيض . فمن ناحية كان زيور باشا نفسه رئيس مجلس الشيوخ في البرلمان الوفدى وصاحب ميول وفدية معروفة ، ومن ناحية ثانية كان كل من أحمد خشبه وعثمان محرم من رجال الوفد المعروفين .

الملاحظة الثالثة :

وتتصل بالملاحظة السابقة ، فقد جاء في « جواب حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا » على الأمر الملكى الصادر اليه بتأليف الوزارة ما نصه « وستعلن الوزارة برنامجها عند تقديمها للبرلمان (٩) » .

وقد بدأ هذا النص متفقاً مع ما قر في أذهان الناس ومقتداً عن لون الوزارة الوفدى على أساس أنها في النهاية سوف تتقدم الى البرلمان الوفدى .

ولكن لم يمض وقت طويل حتى تبدد هذا التصور . .

تحت شعار ، **انقاذ ما يمكن انقاذه** ، قدمت الوزارة الزبورية خلال أيامها الأولى كل تنازل ممكن للحكومة البريطانية . . في السودان : بإجلاء القوات المصرية ، وبتحويل قوة الدفاع السودانية التي حلت محل الجيش المصرى وفي مصر : بقبول شروط المندوب السامى « بأكملها وبدون قيد » والتي تمثلت في قبول ادخال تعديلات على قانون تعويض الموظفين الأجانب والتسليم بسلطة المستشارين المالى والقضائى ، واحترام نظام الادارة للأمن العام في وزارة الداخلية (١٠) ولم يكن أمام الوزيرين الوفديين (خشبة ومحرم) الا الاستقالة حتى لا يبدو وكأن الوفد مشترك في هذا التفريط ، وقد تمت هذه الاستقالة بعد نحو أسبوع من تأليف الوزارة (١١) .

وكانت هذه الاستقالة ايذاناً باتباع سياسة **كشف النية** من جانب القصر بشأن الحرب السافرة على الوفد وبناء وزارة ملكية بحتة ، وقد صرح رئيس الوزراء بذلك الى المندوب السامى البريطانى في اعقاب استقالة الوزيرين الوفديين بقوله أن الفكرة التي تسيطر عليه هي « ضرورة العمل على توجيه ضربة ساحقة الى الزغلولية اذا ما أريد للبلاد ادارة كريمة ونظام مستتب وعلاقات ودية مع بريطانيا (١٢) » .

(٩) الوقائع المصرية العدد ١٠٤ لسنة ١٩٢٤ .

(١٠) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٤٨٨ - ص ٤٩٧ .

(١١) الوقائع المصرية العدد ١٠٨ لسنة ١٩٢٤ .

(١٢) F.O. 407/199 No. 434 Allenby to Chamberlain Dec. 5, 1924 Tel. No. 505.

وقد تتالت عمليات الضرب التي اخذ القصر واخذت الوزارة في كيلها للوفد على النحو الآتي :

١ — فيما يتصل بتشكيل الوزارة بعد استقالة العضوين الوفديين ودخول كل من محمد توفيق رفعت — ومحمود صدقي بدلها ثم تعيين اسماعيل صدقي وزيرا للداخلية .. بعد هذا التعديل أصبحت الرابطة المشتركة بين مجموع الوزراء العداء للوفد والولاء للقصر .

مبالاة لاسماعيل صدقي وعدائه القديم لسعد زغلول تقرر الوثائق البريطانية ان اختيار « محمد صدقي » لوزارة الاوقاف لم يتم الا لسبب واحد وهو انه « قد نجح عندما كان عضوا في مجلس النواب ١٩٢٤ في مضايقة سعد زغلول » .

وكذلك أحمد زيور رئيس الوزراء كانوا يلقبونه « بأحمد الصغير » على اعتبار انه ليس أكثر من ظل « لأحمد الكبير » أي الملك أحمد فؤاد ، واللواء محمد صادق يحيى وزير الحربية والبحرية كان من كبار موظفي القصر (١٣) .

٢ — العملية الثانية من عمليات ضرب النفوذ الوفدي تمثلت فيما تقرر من حل البرلمان الوفدي في ٢٤ ديسمبر مما أشرنا اليه من قبل .

٣ — وتجيء العملية الثالثة بقرار تأسيس « حزب الاتحاد » ذلك أن القصر وقد نجح في تأسيس وزارة ملكية فقد كان راغبا في تشكيل « حزب ملكي » أيضا ، وهو ما شرع نشأت باشا في القيام به من مطلع عام ١٩٢٥ .

ويقول التقرير السري البريطاني عن هذا الحزب ان حسن باشا نشأت قد فكر في تأسيسه لسببين : أحدهما : ايجاد هيئة سياسية للمنشقين عن الوفد ، وثانيهما ، خلق حزب منظم ذي طبيعة ملكية ولون محافظ .

ويبدو تحقيق ذلك من ان أول المنضمين للحزب كانا من رجال الوفد في البرلمان الذي تم حله ، عبد الحليم البيلي الذي كان عضوا وفديا بمجلس النواب عن دائرة مصر القديمة ، واللواء موسى فؤاد الذي كان بدوره عضوا وفديا من الأعضاء المنتخبين لمجلس الشيوخ .

أيضا تم استقطاب صحيفة « الليبرتيه » لتصبح ناطقة باسم الحزب الجديد مع صحيفتين عربيتين أخريين (الاتحاد والشعب المصري) وذلك بعد أن كانت هذه الصحيفة الفرنسية ذات لون وفدي من قبل (١٤) .

٤ — ثم كانت العملية الأخيرة من هذه العمليات المتتالية السعى الى التقارب بين حزب الاحرار الدستوريين عدو الوفد التقليدي وحزب الاتحاد وذلك ليدخل الحزبان الانتخابات الجديدة كقوة لها وزنها قاهرة على انزال

F.O. 407/210 Enc. In No. 9.

(١٣)

Leading Personalities in Egypt 1930.

F.O. 407/200 No. 12 Allenby to Chamberlain, Jan. 25, 1925 Desp. (١٤)

No. 61.

الهزيمة بالوفد ، وحتى يتم هذا التقارب على نحو عملي فقد تقرر ومع اجراء الانتخابات ، تأليف وزارة جديدة يشترك فيها الحزبان فكانت الوزارة الزبورية الثانية (١٥) .

٣٤ - وزارة احمد زيور الثانية ١٣ مارس ١٩٢٥ - ٧ يونية ١٩٢٦ :

صدر المرسوم الملكى بتأليف الوزارة الزبورية الثانية على النحو التالى :

- | | |
|----------------------|------------------------|
| ● احمد زيور باشا | وزيرا للخارجية |
| ● يحيى ابراهيم باشا | وزيرا للمالية |
| ● اسماعيل سرى باشا | وزيرا للاشغال العمومية |
| ● اسماعيل صدقى باشا | وزيرا للداخلية |
| ● يوسف قطاوى باشا | وزيرا للمواصلات |
| ● موسى فؤاد باشا | وزيرا للحربية والبحرية |
| ● على ماهر بك | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● عبد العزيز فهمى بك | وزيرا للحقانية |
| ● محمد على بك | وزيرا للاوقاف |
| ● توفيق دوس بك | وزيرا للزراعة |

وكان الهدف من التشكيل على هذا النحو ، كما ذكرنا ، تحقيق نوع من الائتلاف بين حزب الاتحاد الوليد وبين حزب الاحرار الدستوريين .

فقد ضمت الوزارة الجديدة عبد العزيز فهمى رئيس الاحرار الدستوريين كما ضمت يحيى ابراهيم رئيس الاتحاديين ، من ناحية أخرى فقد ضمت من الدستوريين ابرز رجالهم .. محمد على بك سكرتير الحزب وتوفيق دوس اهم خطبائه ، كما ضمت من الاتحاديين ابرز رجالهم .. يوسف قطاوى وموسى فؤاد وعلى ماهر (١٧) .

وتصور القصر وزيور باشا ان الوزارة الجديدة ، بقوة السلطة ، وبقوة ائتلاف الحزبين ، قادرة على أن تخوض غمار الانتخابات الجديدة لتنزل فيها هزيمة بسعد زغلول وحزبه لتطيب بعدها الاحوال للحكم الملكى .

(١٥) محمد حسن هيك : المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٤ .

(١٦) الوقائع المصرية العدد ٢٩ لسنة ١٩٢٥ .

(١٧) F.O. 407/200 No. 12 Allenby to Chamberlain Jan 25, 1925 Desp. (١٧) No. 61.

ولكن ، يجب القول مقدما أن مثل هذا التصور قد احاطت به كثير من أسباب القصور .

وأهم هذه الأسباب المنطلق السلبي الذي (نشأ) منه الحزب الاتحادي والذي (تحرك) منه حزب الأحرار الدستوريين والذي (تم) منه الائتلاف بين الحزبين . . فكل ذلك قد حدث دون أن يكون الحافز إليه بناء بقدر ما كان الحافز إليه « تدمير مكانة الوفد » مما أدى إلى ضعف المنطلق ثم تعثر المسيرة وأخيرا توقفها .

فيمما يتصل بنشأة حزب الاتحاد تبدو السلبية في أن الرابطة التي جمعت بين أعضائه كانت إما العدواة للوفد أو العلاقة الشخصية بنشآت باشا بغض النظر عن نوعية هؤلاء الأعضاء حتى من نال منهم المنصب الوزاري في الوزارة الجديدة (١٨) .

من ثم كان من الطبيعي أن يولد الحزب ضعيفا ، فبالرغم من الحفل الباذج الذي أقيم في « السميراميس » في ١٠ يناير ١٩٢٥ بمناسبة إعلان تأسيس الحزب فقد عجز نشأت باشا عن إغراء توفيق نسيم أو أحمد ذو الفقار وزيور باشا بقبول رئاسته (١٩) ، ولم يقبل هذه الرئاسة في النهاية ، وبعد لاي ، سوى يحيى باشا إبراهيم .

وغيمما يتعلق بالمنطلق السلبي **لتحرك** الأحرار الدستوريين فيكفى هنا تسجيل شهادة الدكتور هيكل رئيس تحرير « السياسة » لسان حال الحزب وأهم من أرخ له في مذكراته ، جاء في هذه المذكرات تعليقا على إبعاد الوفد واشتراك الدستوريين في الوزارة ما نصه « أما أن ينزع الحكم من سعد عن طريق الانجليز وأما أن يرضى خصوم سعد بذلك وأن ينتهزوها فرصة للوثوب إلى الحكم — فذلك ما يجعلني في ريب من أننا سنحقق للبلاد ما تطمح في تحقيقه (٢٠) » .

أجرا فمما يخص **الائتلاف الوزاري** فإن الوزارة الزبورية الثانية قد جمعت اشتاتا متنافرة ، بين عبد العزيز فهمي أحد ثلاثة فجروا الثورة بلقائهم الشهر مع « وينجت » في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وبين زيور باشا . . ثم بين يحيى إبراهيم باشا وإسماعيل صدقي باشا إذ تقول عنهما الوثائق البريطانية « أن كلا منهما لا يطبق الآخر (٢١) » . باختصار فإن الائتلاف قد تم بين رجال صنعوا ماضيهم السياسي بالجهاد الوطني وإن اختلفوا مع سعد — الأحرار الدستوريين — وبين آخرين يعملون على صنع مستقبلهم السياسي بالاعتماد على القصر والهجوم على سعد . . وشتان بين

F.O. 407/210 Enc. In No. 9 Leading Personalities in Egypt 1930. (١٨)

F.O. 407/200 No. 12 Allenby to Chamberlain Jan. 25, 1925 Desp. (١٩)

No. 61.

(٢٠) محمد حسين هيكل ، مصادر سابق من ٢١٤ .

Leading Personalities in Egypt 1930.

(٢١)

النوعين اذ لن يكون بينهما سوى زواج مصلحة ، وهو على أى حال زواج مؤقت (!) ولعل ذلك ما دعا صحيفة مثل « المقطم » الى الضن عن أن تصف الوزارة الجديدة بالائتلافية حين كتبت غداة تأليفها تقول أنها « ليست وزارة ائتلافية ولكنها وزارة فئة من الأحزاب كوزارة (بوانكارية) أو وزارة (هريو) فى فرنسا (٢٢) » .

تبدأ الوزارة الجديدة ، أو بالأحرى التجربة الملكية فى تأليف الوزارات تواجه الامتحان غداة تأليفها أو حتى منذ اليوم السابق لهذا التأليف .

وكانت أولى مراحل هذا الامتحان التقدم للشعب لنيل ثقته والعمل على اكتساب الشرعية الدستورية وذلك بالنزول الى الشعب فى انتخابات برلمانية جديدة حيث سعت الوزارة والأحزاب التى تشكلها بشتى الوسائل التى تملكها لكسب الاغلبية فى مجلس النواب الجديد .

ولعل أغمض انتخابات عرفتها مصر كانت تلك التى جرت ابتداء من ١٢ مارس عام ١٩٢٥ ولم تظهر نتيجتها إلا عند انتخاب رئيس مجلس النواب الجديد بعد ذلك بأكثر من عشرة أيام (٢٣ مارس) .

وخلال تلك الأيام ظلت الصحف المصرية والبريطانية تضرب أخماسا فى اسداس عن نال الاغلبية فى المجلس الجديد . . السعديون أم خصومهم (٢٣) أكثر من ذلك أن المندوب السامى البريطانى فى القاهرة قد اختلط عليه الأمر فهو يكتب فى ١٣ مارس أن خصوم السعديين قد فازوا على سعد وأنصاره وأنه بينما نال هؤلاء ١٠٥ مقاعد نال الزغلوليون ١٠١ مقعد فقط (٢٤) . ثم يعود ليذكر بعد ذلك ، بأربعة أيام وبعد اتمام الانتخابات أن المجلس الجديد ينقسم الى قسمين متساويين :

تسعون مع سعد وتسعون مع خصومه وثلاثون مع المترددين (٢٥) ولكن كل هذه التنبؤات كانت غير دقيقة كما اثبتت الاحداث بعد ذلك .

ففى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٣ مارس وبعد القاء خطبة العرش من جانب زيور جرت انتخابات رئيس المجلس الجديد ووكيله وفى هذا الوقت فقط عرف الجميع أن الاغلبية المطلقة فى المجلس الجديد لازالت للوفد وللسعد زغلول فقد فاز سعد بمنصب رئيس المجلس على ثروت باشا مرشح الحكومة والقصر بـ ١٢٣ صوتا ضد ٨٥ ، كما فاز كل من على الشمسى بك وويصا وواصف بك بمنصب الوكيلين على مرشحى الحكومة عبد الحميد سعيد بك ويوسف سليمان باشا بأغلبية كبيرة أيضا (٢٦) .

(٢٢) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية — الحولية الثانية ص ٣٠٦ .

(٢٣) انظر المصدر السابق ص ٢٩٢ — ص ٢٩٨ .

(٢٤) F.O. 407/200 No. 30 Allenby to Chamberlain, March 13, 1925

Tel. No. 108.

(٢٥) Ibid No. 33 Allenby to Chamberlain, March 17, 1925 Tel. No. 116.

(٢٦) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٢٤٥ — ٢٤٧ .

ولا شك أن هذه النتيجة قد نزلت نزول الصاعقة على رؤوس رجال الحكومة وأحزابهم ، وكما يقول رئيس تحرير لسان الأحرار الدستوريين « وجم أنصار الحكومة ، وجعلوا يضربون أخماسهم في أسداسهم ويسأل بعضهم بعضاً : ترى ما عسى أن يتمخض عنه الموقف من بعد ؟ » (٢٧) .

وقد عنت هذه النتيجة فشل الوزارة الزيورية في أول مرحلة من مراحل الامتحان الذي كان عليها أن تواجهه مما دعا رئيسها إلى الإسراع بتقديم استقالته للملك الذي رفضها فتقدم يطلب حل مجلس النواب «حيث لا يمكننا العمل مع مجلس النواب الجديد الذي أظهر لأول وهلة ، ما يدل على إصراره على تلك السياسة التي جرت على البلاد نكبات ومصائب لم يحجم زعيمها من أن يقربها في كتاب استقالته ومنع أن الظروف التي قضت بتلك الاستقالة وبحل مجلس النواب تكاد لا تزال كما هي » (٢٨) .

ووافق الملك على طلب الوزارة وصدر القرار بحل المجلس في نفس يوم افتتاحه .

* * *

دخلت الوزارة الزيورية الثانية المرحلة التالية من امتحانها مع نفسها أو بالأحرى مع نوعية تشكيلها . . هل يمكنه الصمود أم لا يلبث الائتلاف القائم أن يتبدد مع أول صدمة تواجهه ؟

فبعد نحو ستة شهور من الإزمة مع مجلس النواب تخللتها شهور الصيف وهي شهور ركود سياسي في مصر آنذاك ووجهت الوزارة الزيورية بما فض ائتلافها وأجبر على تعديلها تعديلاً واسعاً .

ففي صيف ١٩٢٥ أصدر الشيخ « على عبد الرازق » كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الذي نال شهرة في التاريخ السياسي المصري ، ربما لم ينلها كتاب آخر ، وقد تعرض الشيخ في كتابه هذا للخلافة الإسلامية فدل على أنها ليست من أصول الإسلام في شيء مما بدا وكأنه تعريض بما كان يتردد وقتذاك عن رغبة الملك فؤاد في نقل الخلافة إلى القاهرة .

وقد انقسم الرأي العام المصري حيال هذا الكتاب انقساماً واضحاً . . بين القوى المحافظة مدعومة من القصر تدين على عبد الرازق مؤلفه وبين جماعات الليبراليين يمثلهم مفكرو الأحرار الدستوريين يدافعون عن حرية الفكر .

وكان من المحتتم أن ينتقل هذا الانقسام إلى الوزارة بين الاتحاديين المحافظين رجال الملك وبين الأحرار الليبراليين خاصة بعد أن رأت هيئة كبار العلماء إخراج الشيخ على من زمرة العلماء ، ثم إخراجه تبعاً لذلك من منصبه في القضاء الشرعي حيث كان يعمل قاضياً في هذا السلك في محكمة المنصورة .

(٢٧) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٢٢٥

(٢٨) الوقائع المصرية العدد ٢٤ لسنة ١٩٢٥ .

وكان على عبد العزيز باشا فهمى رئيس الأحرار الدستوريين ووزير الحقانية القيام بهذا العمل ، فصل الشيخ على عبد الرازق من منصبه ، ولم يكن ضمير الرجل أو فكره ليسمحاً له بذلك ، ومن هنا جاء الصدام .. وكان تجسيدا للواقع إذ أنه حدث بينه وهو رئيس للأحرار وبين يحيى إبراهيم وهو رئيس للاتحاديين ، ذلك أن رئيس الوزراء كان آنذاك فى مصيفه فى أوروبا . ويروى تقرير بريطانى ممتع تفاصيل هذا الصدام مما يدعونا الى نقله برمته ..

يقول المستر هندرسون القائم بأعمال المندوب السامى فى تقريره هذا المؤرخ فى ١٢ سبتمبر ١٩٢٥ والمرسل الى لندن ما نصه :

« أصدر القائم بأعمال رئيس الوزراء — يحيى إبراهيم — تعليمات محددة الى عبد العزيز باشا فهمى لتنفيذ المادة ١٠١ من قانون الأزهر الصادر عام ١٩١١ على الشيخ على عبد الرازق والتي تقضى بأن أى عالم يتم فصله من هيئة العلماء بسبب أعمال أتى بها تجعله غير مستحق لعضوية الهيئة يجب أن يبعد فى نفس الوقت من وظيفته المدنية التى يشغلها فى الإدارة الحكومية . وبدلاً من أن ينفذ وزير الحقانية هذه التعليمات فإنه قد أحال أوراق القضية الى المستشارين القانونيين للوزارة يطلب منهم الرأى .

« وقد أصر يحيى باشا إبراهيم ، عندما علم بذلك ، على استعادة تلك الأوراق فوراً من اللجنة القانونية خاصة وأن عدداً من أعضاء هذه اللجنة من الأجانب مما لا يسمح لهم بأبداء رأيهم فى مسألة دينية اسلامية ، على الجانب الآخر تمسك عبد العزيز فهمى بموقفه وصمم على عدم اتخاذ أى إجراء قبل التعرف على رأى اللجنة .

« حتى هذا الوقت كان يحيى باشا مدعوماً بتأييد سائر الوزراء الا أن كيله قد فاض نتيجة لتصميم عبد العزيز فهمى على عدم اطاعة تعليماته خلال اجتماع لمجلس الوزراء . وبعد نقاش عاصف أعلن يحيى باشا أنه اما أن يستقيل هو أو يستقيل عبد العزيز ، ثم أضاف وبدون روية أنه خارج الى دار المندوب السامى ثم الى الملك .

« ووصل الى هنا — أى الى دار المندوب السامى — فى حالة من الهياج الشديد حيث أخذت فى تهدئته ، وقد أبلغته أن دار المندوب السامى لا تستطيع أن تقدم رأياً فى نزاع يتصل بمسألة دينية . وأن حديثه عن تقديم استقالته لن يكون محل بحث لأن الملك لن يقبل هذه الاستقالة . من ناحية أخرى فإن استقالة رئيس الأحرار الدستوريين سيكون لها نتائجها البعيدة المدى . وأنه يجب على القيام بكل ما يمكنى للحفاظ على وحدة الجبهة المعادية للسعديين . وقد تعهدت بالبحث عما أستطيع فعله للوصول الى حل .

« وخرج يحيى باشا من عندى الى القصر حيث رفض الملك قبول استقالته ووافق على قبول استقالة وزير الحقانية . وعاد يحيى باشا الى مجلس الوزراء وقد حمل فى جيبه موافقة الملك . فى هذا الوقت كان المجلس قد نجح فى الضغط على عبد العزيز فهمى واقتناعه بإعادة القضية دون تعليق من

اللجنة الا ان يحيى باشا رفض قبول اى تفاهم وطلب من وزير الحقانية تقديم استقالته ورفض عبد العزيز فهمى الانصياع فقام يحيى وبحضور جميع الوزراء باستدعاء أحد الموظفين حيث أمره بكتابة مرسوم ملكى يقضى بتعيين على ماهر وزير المعارف قائما بأعمال وزير الحقانية حتى يتم تعيين وزير جديد «(٢٩)» .

حدث كل ذلك مساء ٥ سبتمبر ١٩٢٥ ، وكان على الأحرار الدستوريين رد اللطمة فاجتمعوا مساء ٨ من نفس الشهر وأصدر الحزب قرارا باجماع الحاضرين كان نصه :

« أولا : الثقة التامة برئيسه سعادة عبد العزيز باشا فهمى وبزميله صاحب السعادة محمد على باشا وتوفيق دوس باشا وتأييدهم .

« ثانيا : الاحتجاج على التصرف المخالف للدستور والتقاليد السياسية باقالة رئيس الحزب من الوزارة .

« ثالثا : استنكار ما يروجه خصوم الحزب من أن هذا التصرف المخالف للدستور منشؤه مسألة دينية . والتصريح بأن حزب الأحرار الدستوريين يحافظ أشد المحافظة على الاسلام دين الدولة .

« رابعا : عدم التعاون مع الحكومة الحاضرة واستقالة الوزراء الأحرار الدستوريين منها .

« خامسا : طلب بيان تفصيلى يضعه الوزراء الأحرار الدستوريون عن التصرفات التى تمت أثناء وجودهم فى الوزارة وموقفهم ازاءها وما قاموا به لخدمة البلاد . ويعرض هذا البيان على مجلس الإدارة «(٣٠)» .

وخرج بذلك الوزراء الدستوريون الثلاثة من الوزارة (عبد العزيز فهمى ومحمد على وتوفيق دوس) ثم ما لبث أن لحق بهم اسماعيل صدقى الذى كان يستشفى فى فيشى آنذاك وعلم بما حدث فأبرق لرئيس الوزراء بالنيابة يقول أنه لا يستطيع مواصلة اشتراكه فى الوزارة ما لم تظل هذه الوزارة ائتلافية كما كانت (٣١) . ولم تتم الاستجابة بالطبع لطلبه بالعكس فقد سارع يحيى باشا والقصر إلى قبول الاستقالة وقد عزيت هذه المسارعة لسببين :

اولهما :

الكراهية المتبادلة بين يحيى ابراهيم واسماعيل صدقى الى حد أن الأخير كان قد سافر الى الخارج خصيصا حتى لا يعمل تحت رئاسة الأول أثناء انابته عن زيور باشا .

F.O. 407/201 No. 33 Henderson to Chamberlain, Sept. 12, 1925 (٢٩)
Desp. No. 651.

(٣٠) السياسة فى ٩ سبتمبر ١٩٢٥ .

(٣١) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٨١٣ .

وثانيهما :

ان القلق قد أخذ يشتد لدى كل من الملك ونشأت باشا نتيجة للتزايد المطرد لنفوذ صدقي باشا من خلال عمله وزيرا للداخلية (٣٢) .

وهكذا اخفقت الوزارة الملكية في المرحلة الثانية من امتحان الحكم بغض الائتلاف وتمخض عن هذا الاخفاق ادخال تعديل واسع على الوزارة تحولت بمقتضاه الى وزارة اتحادية تماما فقد عين أحمد ذو الفقار وزيرا للحقانية وعين نخله جورجى المطيعى وزيرا للزراعة وعين محمد حلمى عيسى وزيرا للداخلية ، وعين محمد توفيق رفعت وزيرا للمواصلات بدلا من يوسف قطاوى الذى كان قد استقال منذ ٦ مايو بالاضافة الى توليه وزارة الأوقاف مقتتا (٣٣) .

والواقع أن القصر بما وافق عليه من تغييرات قد أبدى لونا من تخطيط السلطة لم يكن في صالح تجربته بتأليف الوزارات الملكية ، ويكفى تدليلا على هذا الاشارة الى أن استقالة — أو اقالة — يوسف قطاوى باشا وكان من رجال الحزب الاتحادى قد حدثت لانه ترك بطاقة لسعد زغلول بمناسبة العيد ولأنه لم ينفذ ، وعلى وجه السرعة ، بعض مطالب القصر في وزارة المواصلات التى كان وزيرا لها (٣٤) .

* * *

في الوقت الذى أبدى فيه المستر هندرسون القائم بأعمال المندوب السامى البريطانى في القاهرة أسفه على تهاوى الائتلاف الوزارى بعمل من جانب القصر فقد تنبأ بما يمكن أن يعقب ذلك من تقارب بين الأحرار الدستوريين والوند فقد قال عن الدستوريين أنهم ينظرون الى نشأت باشا باعتباره أكثر خطرا عليهم وعلى الدستور من سعد باشا زغلول لا سيما أن الأخير رجل مسن وان عامين أو ثلاثة من حكمه سوف تكون قطعا أفضل كثيرا من ثلاثين عاما من أساليب نشأت الميكيا فيلية (٣٥) .

وقد قابل هذه الرغبة من جانب الأحرار الدستوريين رغبة مماثلة من جانب الوند الذى أطلقت صحفه الدعوة لمؤتمر وطنى عام للنظر فيما يجب اتخاذه لاعادة الحياة النيابية تطورت بعد ذلك الى دعوة لانهقاد البرلمان المنحل صدرت من جانب الحزب الوطنى . وبذلك شاركت الأحزاب الكبيرة كلها (الوند والأحرار والوطنى) في الدعوة الجديدة ، وكان واضحا أن هدفها الوزارة الزبورية الثانية ، بل تجربة الوزارات الملكية برمتها .

وقد اجتمع البرلمان الذى خلته الوزارة بمجلسيه تحت رئاسة سعد زغلول في فندق الكونتنتال في ٢١ نوفمبر حيث وافق مجلس النواب بالاجماع على « عدم الثقة بالوزارة الحاضرة طبقا للمادة ٦٥ من الدستور » وامضى الشيوخ القرار وتقرر تشكيل وفد من المجلسين لرفع القرار الى الملك (٣٦)

(٣٢) F.O. 407/210 Enc. In No. 9 Leading personalities In Egypt 1930.

(٣٣) الوقائع المصرية — العدد ٨٧ لسنة ١٩٢٥ .

(٣٤) Leading Personalities In Egypt 1930.

(٣٥) F.O. 407/201 No. 33 Henderson to Chamberlain Sept. 25, 1925.

(٣٦) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ١٢٦ — ص ١٤٠ .

واذا كان القصر والوزارة قد تجاهلا « اجتماع الكونتنتال » الا انه من الواضح ان اللورد لويد - المندوب السامي الجديد في البلاد - والذي كان قد وصل مؤخرا الى القاهرة قد لاحظته باهتمام شديد لما فيه من دلالة تجمع كل القوى الوطنية ضد الوزارة وما يمكن ان يترتب على هذا التجمع من مخاطر على الوجود البريطاني ، لذا فقد انتظر الرجل الى اللحظة المناسبة ليتحرك ، وقد جاءت هذه اللحظة بعد توقيع اتفاقية الحدود الغربية وتسليم ايطاليا واحة جفوب في ٦ ديسمبر حين طالب لويد الملك فؤاد بعزل نشأت باشا وابعاده عن القصر بسبب تدخله في المسائل السياسية ، فأذعن الملك وترك نشأت القصر في ١٠ ديسمبر قاصدا الى مدريد التي عين وزيرا مفوضا لمصر فيها (٢٧) .

ولم يكن هدف « لويد » بعد التخلص من الوزارة الزبورية بعد ان أدت كل ما أدت للوجود الانجليزى من خدمات بتقديمها له كل التنازلات التي طلبت منها انما كان هدف المندوب السامي بابعاد نشأت فتح باب لعودة الاتصال بين الاتحاديين والاحرار الدستوريين وضرب تجمع القوى المناهضة للوزارة فيما ذكره زيور باشا في حديث له الى جريدة الريفورم الفرنسية التي كانت تصدر آنذاك بالقاهرة والذي جاء فيه « في أثناء غيبتى بأوروبا كان لرئيس الوزراء بالنيابة تمام الحرية في التصرف وبالتالي عليه جميع التبعة . فاذا كانت قد وقعت أخطاء فلا بد لى فيها . وقد عدت فالفيتنى أمام علاقات مقطوعة تماما بين الاتحاديين والاحرار الدستوريين فلم ادخر وسعا في عرض مناصب وزارية على الاحرار الدستوريين وعلى غيرهم من المستقلين المشهورين وما زلت محافظا على هذه المناصب وسأحافظ على عرضها عليهم » (٢٨) .

ولكن كان الوقت متأخرا للغاية على مثل هذه المحاولة خاصة بعد ان أصدرت الوزارة « قانون الانتخاب المعدل » في ٨ ديسمبر استهدفت من ورائه تضيق حق الانتخاب على المصريين وصعد من مقاومتها التي وصلت الى حد الاعداد لعقد « مؤتمر وطنى » سبقه تقديم مطلب الأحزاب للحكومة وكان ان تمتنع عن تنفيذ قانون الانتخاب الجديد ، ثم تعيد الحياة النيابية بوسيلة من وسيلتين :

اما بعقد البرلمان الذى عقد في الكونتنتال .

واما باجراء انتخابات جديدة على مقتضى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ .

ولما حاول زيور رفض مطلب المعارضة تدخل « لورد لويد » بعد ان رأى ان الامور تتطور الى نزاع يهدد الأمن تهديدا خطيرا ونصح زيور بقبول الاقتراح باجراء انتخابات جديدة « على مقتضى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ » وهو قانون الانتخاب المباشر الذى صدق عليه البرلمان الاول .

وقد كتبت وزارة زيور بانصياعها للنصيحة او بالأحرى للأمر البريطانى . . كتبت لك استقالتها قبل حدوث هذه الاستقالة بالفعل بنحو أربعة شهور ، بل يمكن القول انها كتبت بذلك اقرارا بنهاية التجربة الاولى للوزارات الملكية .

Lloyd, Lord : Egypt Since Cromer Vol. II p. 151.

(٢٧)

(٢٨) أحمد شينق : المصدر السابق ص ١٠٠٢ .

الباب الرابع

الفصل الرابع

—

وزارات الائتلاف الوفية

١٩٢٦ — ١٩٢٨

كان اذعان القصر وزيور باشا لنصيحة اللورد « لويد » بالموافقة على اجراء انتخابات جديدة تسليما بنهاية التجربة الاولى من تجارب الوزارات الملكية .

صحيح ان الوزارة الزيورية قد حاولت (التسوية) او (تغيير اتجاه الريح) ولكن تلك المحاولة ذهبت سدى .

من ناحية التسوية فقد سعى زيور باشا الى تأجيل ميعاد الانتخابات على قدر الامكان . في البداية وتحت ضغط الأحزاب المؤتلفة ذكر الرجل بأن مرسوم الترشيح سيصدر في ٢٥ مارس — وأن الترشيحات ستبدأ فعلا في اليوم التالي .

ومضى الوقت المحدد دون أن يفى رئيس الوزراء بوعده مما دعا اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطنى الى الاجتماع في أول ابريل وتشكيل وفد لمقابلة رئيس الوزراء . وقد نجح هذا الوفد بالفعل في انتزاع موافقة جديدة من زيور باشا بتقرير ميعاد انعقاد البرلمان في أواخر شهر مايو أو الأيام الأربعة من الشهر التالى (١) .

وصدر المرسوم الملكى بتعيين موعد الانتخابات النيابية في ٢٢ مايو وإعادة الانتخاب في الدوائر التى لم يفز أحد المرشحين فيها بالأغلبية المطلقة في ٢٩ من نفس الشهر (٢) .

بالرغم من ذلك فقد لاحظت « الأهرام » في ٢ ابريل ان المرسوم لم يتضمن تحديد موعد انعقاد البرلمان خلافا لنص المادة ٨٩ من الدستور . وكان ذلك لونا آخر من ألوان التسوية ، الا أنه تسوية محدود العمر ، فكما كتبت نفس الصحيفة بحتمية انعقاد البرلمان بعد اعلان نتيجة الانتخابات « بأربعة أو خمسة أو ستة أيام أو أكثر ولكن لا يجوز مطلقا تأجيل انعقاده أكثر من عشرة أيام » (٣) .

تغيير اتجاه الريح : تصورت الوزارة الزيورية امكان احداثه بوضع كل قوتها وراء « حزب الاتحاد » ليفوز بأكبر قدر من المقاعد في الانتخابات الجديدة وذهبت الوزارة في هذا السبيل الى اجراء بعض تنقلات بين رجال الادارة كما حدث حين نقل مدير مديرية أسيوط الى مديرية الغربية لينفرد وكيل أسيوط ، المعروف بميوله للحكومة ، بالأمر ، وكما حدث من تلكو

(١) أحمد شفيق : حويات مصر السياسية — الحولية الثالثة ص ١٥٢ .

(٢) نص المرسوم الملكى : الوثائق المصرية في ١٩٢٦/٤/٢ .

(٣) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ١٥٤ .

بعض العمد في تسليم شهادات الانتخاب الى الناخبين ، وكما حدث من منع بعض العمد في مديرية المنوفية من ممارسة صلاحيات مناصبهم لتخوف مرشح الحكومة من ميولهم غير الموالية . الى حد ان صحيفة محايدة مثل « الاهرام » قد كتبت في ٢٥ ابريل مقالا قويا عن « اللعب بالانتخابات » اختتمته بقولها « يجب على الأمة كلها وعلى كل افرادها ان يفهموا ويدركوا ادراكا تاما ان حرية البلد وحرية اهل البلد ملك مشاع لهم جميعا فلا يسمح احد بمخالفة القانون وان كانت هذه المخالفة في مصلحته » (٤) .

ولكن ، لم يكن مقدرا لتلك المحاولة بدورها أى نجاح ، ولاكثر من سبب ، فالمؤتمر الوطنى الذى تكون من كل الاحزاب الكبيرة فى البلاد كان مفتوح العينين لمحاولات الحكومة ، عاملا على افسادها أولا بأول ، ثم ان « حزب الاتحاد » كان فى حالة من الضعف واللاشعبية لا تمكنه بأى حال من القيام بالدور الذى طلب منه ان يقوم به ، ويكفى الاشارة فى هذا الصدد الى ما انتواه الحزب أولا من ترشيح ١٠٣ من اعضائه فى الانتخابات الجديدة ولكن لم يزد عدد هؤلاء فى الكشف النهائى للترشيحات عن ٦٦ مرشحا (٥) . . . بمعنى ان الحزب لم يجد من اعضائه حتى من يستطيع ترشيحهم فى الدوائر التى قرر خوض غمار المنافسة بها .

وجرت الانتخابات فى الموعد المحدد وفاز حزب الحكومة بأربعة مقاعد لا غير بينما فاز الوفد بـ ١٥٩ مقعدا فى مقابل ٣٣ مقعدا للحزبين الآخرين ٢٨ للأحرار الدستوريين وخمسة للحزب الوطنى (٦) . . وانتهت بذلك الآمال الواهية التى تمسكت بها وزارة زيور ولم يكن أمامها الا ان ترحل فتقدمت باستقالتها فى ٧ يونية ١٩٢٦ (٧) . وكان آخر عهد الرجل بالمنصب الوزارية كما كان آخر عهد حزب الاتحاد بالامساك بالسلطة .

٢٥ — وزارة عدلى يكن الثانية ٧ يونيه ١٩٢٦ — ٢١ ابريل ١٩٢٧ :

كانت وزارة « عدلى يكن » الثانية أولى وزارات الائتلاف الوفدية وتتعدد دوافع اختبار هذا التعريف لعهد الوزارات الثلاث « يكن الثانية » « وثروت الثانية » و « النحاس الأولى » والتى حكمت خلال الفترة بين ٧ يونيه ١٩٢٦ و ٢٥ يونيه ١٩٢٨ . . تتعدد هذه الدوافع على النحو الآتى :

١ — انها كانت المرحلة الوحيدة التى قبل الوفد المصرى دخول وزارة ائتلافية مع حزب الأحرار الدستوريين أو مع غيره ، ذلك أن زعامة الوفد قد درجت بعد ذلك على رفض قبول الاشتراك فى أى وزارة ائتلافية أو حتى

(٤) المصدر السابق ص ١٦٥ — ١٦٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٦) الاهرام فى ٢٧ و ٢٨/٥/١٩٢٦ .

(٧) الوقائع المصرية — العدد ٥٦ لسنة ١٩٢٦ .

قومية مهما كانت الاغراءات والضغط التي تلقاها ومهما كانت النتائج التي يمكن أن تترتب على هذا الرفض والتي وصلت في وقت من الاوقات الى تفجير حادثة خطيرة هي حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ .

٢ — أن الوزارات الثلاث التي تكونت خلال تلك المرحلة كانت وزارات ذات غالبية وفدية وأقلية دستورية (٩ من الوفد و ٣ من الدستوريين) ، ولعل ذلك ما دعا الصحف البريطانية الى ان تصفها بأنها « بناء من الوفديين وواجهة من الدستوريين » (٨) .

٣ — أن الوزارات المذكورة قد اعتمدت في النهاية على مجلس نواب ذي غالبية وفدية ساحقة ، ومن ثم فلم يكن أمام الحزب الاخر الا قبول توجيهات الوفد لأن ما لا يستطيع الحزب الكبير أن يفعله في مجلس الوزراء مع أغلبيته الكبيرة فيه يستطيع أن يفعله من خلال مجلس النواب مع أغلبيته الساحقة فيه .

يلفت النظر أيضا أن وزارة « عدلى يكن الثانية » لم تتألف الا بعد أكثر من عشرة أيام من معرفة نتائج الانتخابات البرلمانية ، وقد شهدت تلك الأيام العشرة أزمة وزارية حادة .

فقد كان من المتفق عليه بين سائر الأطراف ، الانجليز والقصر وأحزاب المعارضة التي كان متوقعا أن تفوز في الانتخابات أن يقوم عدلى باشا يكن بتأليف الوزارة الجديدة باعتباره ممثلا لتلك الأحزاب واستمر الجميع ملتزمين بالاتفاق الذي أملاه قبل أى اعتبار رفض السلطات البريطانية تولى سعد لرئاسة الوزارة مهما كان الثمن .

وحتى مساء ٢٦ مايو كان عدلى بصحبة اللورد لويد يؤكد له الالتزام بالاتفاق ، الا أنه في الصباح المبكر من اليوم التالي فوجئ المندوب السامى بعدلى يطلب مقابلته ليبلغه أن سعد زغلول قد عدل عن موقفه خلال الليل وأنه يطلب تأليف الوزارة الجديدة ورئاستها ، ولما استفسر عدلى من سعد عن سر عدوله المفاجئ أجابه الأخير بأن صحف القصر تلمح بأنه لن يتولى رئاسة الوزارة بأيعاز من الانجليز وأنه لا يقبل مثل هذه التلميحات وأنه يرد عليها باعتزاه أن يقوم شخصيا بتأليف الوزارة الجديدة دون أن يدخل عليها أى تغيير سواء في طبيعة ائتلافها أو في برنامجها (٩) .

بادر اللورد على الفور الى العمل فعقد لقاء مع الملك فؤاد مساء نفس اليوم — ٢٧ مايو — حذره من مغبة اللهجة التي تكتب بها صحيفتا القصر (الليبرتيه والاتحاد) مقالاتها والتي يستشف منها انها تسعى الى الوقيعة بين زغلول ودار المندوب السامى في وقت حرج للغاية (١٠) .

(٨) الاهرام في ١٩٢٦/٦/٧ .
(٩) F.O. 407/202 No. 38 Lloyd to Chamberlain May 27, 1926 Tel No. 242.
(١٠) Ibid No. 40 Lloyd to Chamberlain May 28, 1926 Tel. No. 246 .

بعد ذلك بدأ يتجه الى سعد بسعيا وراء منعه من تنفيذ ما اعتزم عليه خاصة وان تعليمات الحكومة البريطانية التى لديه كانت صريحة فى هذا الشأن .

وقد رأى المندوب السامى البريطانى أن بواعث سعد لقراره المفاجئ لم تكن فقط لهجة صحف القصر وانما كانت هناك بواعث أخرى سجلها فيما يأتى :

١ - الفوز الساحق الذى حققه الوفد فى الانتخابات حين أحرز ١٦٠ - مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغة ٢١٥ مقعدا وهو فوز « أدار رأس زغلول » على حد تعبير اللورد لويد .

٢ - ما حدث فى نفس يوم معرفة نتائج الانتخابات من صدور الحكم بالبراءة فى جريمة الاغتيالات السياسية على أنصار سعد (أحمد ماهر والنقراشى) وهو حكم أدى على حد تعبير لويد أيضا « الى أخلاء مسئولية حكومة سعد الأخيرة عن حملة الاغتيالات رسميا وقانونيا (١١) » .

وبعد تفهم كل تلك الحقائق وبعد أن تعرف المندوب السامى على آراء الملك والأحرار الدستوريين قرر الالتقاء بسعد والسعى الى اثباته عن قراره ، وتم اللقاء المنتظر فى قصر الدوبارة عصر يوم ٣٠ مايو ١٩٢٦ .

ويقدم اللورد لويد تقريرا كاملا عن هذا اللقاء نسوق هنا ملخصا له .

بدأ اللورد بتذكير سعد عما ترتب عن الأحداث التى جرت فى عهد وزارته الأولى من فقدان الثقة فيه ليس من جانب السلطات البريطانية فى القاهرة أو الأجانب فى مصر بل أيضا من جانب الراى العام البريطانى .

انثنى من ذلك ليحدثه عن خيبة الأمل التى أصيب بها هو وعدلى من جراء اعلانه المفاجئ بنيته على تأليف الوزارة الجديدة ورئاستها وأنه يطلب منه حلا للموقف غير ذلك الذى انتواه سعد .

أجاب سعد زغلول على ذلك بأنه قد تم ابلاغه أن اللورد يرغب فى بناء علاقات ودية مع مصر وأنه لما كان عليه أن يعلم أن مصر هى سعد فهو لا يرى أى مبرر لعدم ترحيبه بتولييه رئاسة الوزارة .

رد اللورد على ذلك بأن الثقة اذا ما فقدت مرة فلا تعود بمجرد تأكيدات حسن النية ، ثم انه لا يعرف أى شئ عما ينتويه حزبه خاصة وأن لهجة الصحافة الوفدية لا زالت تنقسم بالعداء الشديد .

واستمر الرجلان كل منهما يحاول اقناع الآخر بوجهة نظره لساعتين كاملتين أنهما سعد بأن قال اللورد لويد أنه يعلم أن إنجلترا بلد دستورى



لورد جورج لويد المتدوب السامى البريطانى

وانه ليس على اللورد الا أن يكتب لوزارة الخارجية بلندن يبلغها بأنه يثق في زغلول وان الأمور سوف تسير بعد ذلك على ما يرام . الا أن اللورد ظل حتى آخر لحظة يلح على سعد بالعدول عن موقفه والا سوف يترتب على ذلك وضع صعب قد يتحول الى حادثة مؤلمة ، ولكن سعد باشا أنهى المقابلة بقوله انه قد حزم أمره ولن يتراجع (١٢) .

وعند ذلك الحد تحركت السلطات البريطانية على نحو طالما تحركت به لتجعل من كلمتها هي العليا . . باستخدام القوة أو التلويح باستخدامها .

ففى ٢ يونية وبعد اللقاء العنيف بين زغلول ولويد بأقل من ٨ ساعة نشرت الصحف المصرية أن « البارجة البريطانية الروزليوشن » فى طريقها الى ميناء الإسكندرية ، ويعترف المندوب السامى انه لم يكن هناك ثمة حاجة فعلية لتحريك هذه البارجة لأن القوات البريطانية فى مصر كانت كافية لمواجهة أى اضطرابات . . اذن فالمسألة مجرد استعراض قوة (١) .

وقد عاون هذا الاستعراض ما حدث من استقالة القاضى « كرشو » رئيس المحكمة التى أصدرت أحكام قضية الاغتيالات معربا عن عدم موافقته على الأحكام التى صدرت بأغلبية من جانب زميليه المصريين مما ترتب عليه ان عادت الاتهامات والشكوك تحوم حول الوفد ، خاصة وان الاستقالة قد أعلنت فى نفس اليوم (١٢) !

وكان مقررا أن يقوم النواب الجدد بتكريم سعد فى اليوم التالى ٣ يونية فى فندق الكونتنتال ، ولما كان الزعيم المصرى قد فهم الرسالة الموجهة اليه من استعراض القوة ، ولما كان عازفا عن ادخال بلاده فى تعقيدات جديدة مع دولة الاحتلال . فقد قرر انتهاز فرصة اجتماع الكونتنتال ليعدل عن نيته على تأليف الوزارة الجديدة . وحتى يحافظ الرجل على ماء وجهه فقد تم تدبير هذا العدول على نحو يبدو معه انه قد حدث بناء على رجاء المجتمعين المشفقين على صحة زعيمهم الشيخ (١٤) ، وانحلت بذلك الازمة التى هددت تأليف وزارة عدلى يكن الثانية والتى أخرت هذا التأليف لنحو عشرة أيام .

الا أن هذا الانفراج لم يتم كاملا الا بعد تجاوز أزمة أخرى فرض اللورد لويد رايه فيها أيضا ، ذلك أن المندوب السامى البريطانى قد رفض ترشيح مصطفى النحاس وزيرا فى الوزارة الجديدة لأن الأخير أثناء عمله وزيرا للمواصلات فى وزارة سعد زغلول « قد فعل كل شئ يبدى به عداؤه الشديد للموظفين البريطانيين وللمصالح البريطانية » وبالرغم من محاولة سعد زغلول الضغط من أجل ادخال النحاس الوزارة الا أن اللورد ظل صامدا

F.O. 407/202 No. 43 Lloyd to Chamberlain May 30, 1926 Tels (١٢)
Nos. 249 — 250.

F.O. 407/202 No. 71 Lloyd to Chamberlain June 10 1926 Desp (١٣)
No. 392.

(١٤) أحمد شفيق : المصدر السابق ص ٢٩٨ — ٣٠١ .

عند موقفه لا يتزحزح عنه مما أدى أخيرا الى استجابة سعد وعدلى يكن (١٥) وبعد كل ذلك فقط وفي ٧ يونية ١٩٢٦ قبلت استقالة وزارة زيور وصدر الأمر الملكى بتأليف الوزارة اليكنية الثانية على النحو الآتى :

- | | |
|----------------------------|------------------------|
| ● عبد الخالق ثروت باشا | وزارة الخارجية |
| ● أحمد زكى أبو السعود باشا | وزارة الحقانية |
| ● محمد فتح الله بركات باشا | وزارة الزراعة |
| ● مرقص حنا باشا | وزارة المالية |
| ● محمد نجيب الغرابلى باشا | وزارة الأوقاف |
| ● على الشمسى أفندى | وزارة المعارف العمومية |
| ● أحمد محمد خشبه بك | وزارة الحربية والبحرية |
| ● عثمان محرم بك | وزارة الأشغال العمومية |
| ● محمد محمود باشا | وزارة المواصلات (١٦). |

ويقيم اللورد « لويد » الوزراء الجدد ، فيرى أن ثروت باشا محل للثقة « لاعتداله وميوله الودية » ويذكر أن أحمد زكى أبو السعود يشتهر « بالحكمة والأمانة » ، هذا بالإضافة الى عدلى يكن بالطبع ، أما من عدا ذلك فيعرب عن مخاوفه منهم . . مرقص حنا « أسير عقدة الكراهية للانجليز » ، ومحمد محمود « الحصان الأسود فى الوزارة » ! ، ثم من بقى بعد هؤلاء فهم « من رجال زغلول أصحاب ميول متطرفة واضحة » (١٧) .

ولقد كانت العلاقات سواء بين عناصر الائتلاف فى الوزارة أو بينها وبين سائر القوى السياسية فى غاية التعقيد خلال تلك الشهور التى أمضاها عدلى يكن فى وزارته الأخيرة تلك .

فمن مظاهر التعقيد داخل الوزارة رئاسة أحد الدستوريين لها وكانوا بمثابة « الشريك الأصغر » فى الائتلاف مما دعا الأغلبية الوفدية فى البرلمان الى السعى فى كل وقت لتذكير عدلى ووزارته أن الوفد هو الحاكم الحقيقى برغم المظهر .

وقد تم هذا التذكير بوسيلة من وسيلتين : وسيلة أولى بالتدخل المستمر فى أعمال الوزارات المختلفة من جانب النواب الوفديين مما كان ماثرا لشكوى الوزارة العدلية (١٨) ، ووسيلة ثانية بالعمل على إحراج الوزارة فى مجلس النواب من جانب أغلبيته الوفدية ، وكان هذا الإحراج يتم بشكل أو بآخر

(١٥) F.O. 407/202 No. 64 Lloyd to Chamberlain June 8, 1926 Tel. No. 288

(١٦) الوثائق المصرية العدد ٥٧ لسنة ١٩٢٦ .

(١٧) Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer Vol. II pp. 175 — 176.

Ibid pp. 182 — 183.

(١٨)

مما يمكن أن يتبينه بسهولة كل من يقرأ مضابط المجلس خلال تلك الحقبة ومما أدى في النهاية الى استقالة الوزارة كما ستتم فيما بعد .

مظهر آخر من مظاهر التعقيد أن ذلك الوضع الشائك أو الوضع غير المستقر لم يقتصر فقط على حزبي الائتلاف في الوزارة بل امتد الى الحزب الكبير منها ، ذلك أن الوفد خلال تلك المرحلة قد بدأ يتعرض على نحو واضح لضغط ممن اسمتهم الوثائق البريطانية « الجناح المنطرف » وتعنى الجماعة التي يقودها أحمد ماهر والنقراشي مما أدى مع الوقت الى تغيير في طبيعة المناقشات البرلمانية وضع الوزارة في موقف حساس للغاية . . بين الاستمرار في سياستها المعتدلة وبين الاستجابة لمطالب «الأعضاء المتطرفين» من رجال الوفد في مجلس النواب .

المظهر الثالث من مظاهر التعقيد يتصل بعلاقة الوزارة ، بكل ما يحيط بتكوينها من تناقضات ، علاقتها مع طرفي السلطة الآخرين . . القصر والانجليز .

وأخطر ما أصاب « الوزارة » في هذا الشأن وقوعها ، أو بالأحرى وقوع الحزبين المؤتلفين فيها ، أسيرين للخوف من تكرار العهد الزيوري أو العهد اللاستوري . ومن ثم فقد ظل شبح « حل البرلمان » يورق مضاجع زعماء حزبي الوزارة الذين بذلوا كل جهد لابعاد هذا الشبح قدر الامكان وان لم يتخلصوا منه !

ولما كانت الوزارة ، أو حزبها ، يعلمان تماما أن ما يخافانه لن يحدث الا اذا أطلق الانجليز يد القصر مرة أخرى كما حدث بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ فقد سعى الوفديون والأحرار الدستوريون الى عدم الوصول مع دار المندوب السامي الى مرحلة الصدام في أي وقت وعلى أية مسألة ، وهي السياسة التي عرفت آنذاك « بسياسة حسن التفاهم » . . ويشير لويد الى كثير من مظاهر هذه السياسة سواء باعتدال الحكومة المصرية في تخليص جهازها من الموظفين البريطانيين (١٩) أو بأسلوب سعد زغلول في رئاسة مجلس النواب « بكبح جماح » أعضاء هذا المجلس ومنعهم من الانفلات في الهجوم على الوجود الانجليزي (٢٠) .

على الجانب الآخر يجيء موقف القصر وهو موقف يتسم بانتظار وقية بين الوزارة ودار المندوب السامي بمعنى آخر ان كلا الطرفين كان ينظر طول الوقت لدار المندوب السامي يستوحى من موقفها حركته . . الوزارة خائفة أن تطلق هذه الدار يد القصر في تعطيل الدستور ، والقصر راغب في تحطيم « حسن التفاهم » بين الوزارة والانجليز . . ولم يكسب من هذا الموقف الا الآخرين بالطبع كما اعترف بذلك اللورد لويد نفسه (٢١) !

Ibid pp. 183 — 187.

Ibid pp. 177 — 178.

Ibid p. 190.

(١٩)

(٢٠)

(٢١)

على أى الأحوال فإنه لم يكن متوقعا استمرار مثل هذا الموقف المعقد لفترة طويلة ، فقد كانت تكفى أى حركة فى أى اتجاه لتزداد الأمور تعقيدا وينتهى الأمر كله بانفراط عقد الوزارة . وهذا هو ما حدث .

وكان الوفد مصدر الحركة اذ كان من غير المحتمل أن يقبل الحزب الكبير « القبوع فى فخ حسن التفاهم » الى ما لا نهاية ، فسياسة « حسن التفاهم » بالنسبة لسعد زغلول ورجاله كانت وسيلة لعبور مرحلة سياسية معينة ، لا غاية يتجمدون لدى الوصول اليها .

تؤكد هذه الحقيقة من حركة الوفد على صعيدين :

الأول هو (الصعيد الشعبى) :

بسمى الوفد الى تنظيم كوادره السياسية فى طبق الشعب المصرى ... فى الريف حيث الجموع الشعبية الكبيرة ، ذلك أن الغالبية الوفدية البرلمانية قد عملت على اصدار قانون جديد للبعد يجعل تولى هؤلاء لمناصبهم من خلال الاقتراع السرى العام ، وكان معنى هذا ببساطة أن يتولى هذا المنصب الحيوى فى سائر مناطق الريف رجال وفديون بكل ما يعنيه ذلك من سيطرة وفدية على هذا الريف ، ومن تقليد لأظافر القوى المنافسة (٢٢) .

الثانى هو (الصعيد العسكرى) :

حيث أخذ أحمد خشبة وزير الحربية الوفدى فى تنفيذ سياسة واسعة تستهدف فى النهاية زيادة قوة وحجم الجيش المصرى ، هذا من ناحية ، ثم العمل على سلب المفتش العام الانجليزى لهذا الجيش « سبنكس باشا » من كافة سلطاته من ناحية أخرى .

ووصل الأمر فى هذه السياسة الى حد اقتراح الوفد على رئيس الحكومة بشراء الاسلحة للجيش من أى دولة أجنبية وعلى نحو سرى (٢٣) .

وبالإضافة للدوافع الوطنية لهذا العمل فلا شك أن زعامة الوفد قد رأت أن اتمام المهمة سيشكل خطوة هامة نحو تدعيم الارادة الوفدية التى هى الارادة الشعبية ضد سائر القوى الساعية الى كسر هذه الارادة وكان واضحا مع الحركة الوفدية أن شيئا سيحدث للوزارة العدلية الثانية ... وقد حدث (!) .

F.O, 407/203 No. 18 Henderson to Chamberlain Aug. 6, 1926 Desp. (٢٢)
No. 535.

F.O. 407/204 No. 19 Lloyd to Chamberlain April 21, 1927 Tel. (٢٣)
No. 133.

ففي جلسة مجلس النواب المنعقدة في ١٨ أبريل ١٩٢٧ وأثناء مناقشة الميزانية تقدم خمسة عشر عضواً باقتراح بشكر (الحكومة الحاضرة على ما قدمته من التعضيد لبنك مصر منذ توليها الحكم) إلا أن أحد الأعضاء الوفديين بالمجلس « عبد السلام فهمي جمعه » اعترض على الاقتراح ووافق المجلس بالأكثرية على الاعتراض (٢٤) .

ولدهشة الجميع إذا بعدلى باشا يقدم استقالته رداً على ذلك ، هذا بالرغم من أن النواب والنحاس باشا الذي كان يرأس المجلس آنذاك نيابة عن سعد الذي كان غائبا في بلدته « مسجد وصيف » . . حاولوا بكل الوسائل التأكيد على أن ذلك لا يعنى عدم الثقة في الوزارة أو الرغبة في إخراجها (٢٥) .

وقد انتقلت هذه الدهشة الى خارج البرلمان لتضارب أقوال الصحف المصرية وغير المصرية في تفسير أسباب تلك الاستقالة المفاجئة وقد أخذ كل منها يفسرها تبعا لهواه وميوله (٢٦) . بل أن أكثر من كتبوا بعد ذلك عن تاريخ هذه الفترة قد وقفوا حيارى أمام استقالة وزارة عدلى الثانية وعزاها أغلبهم الى حساسية الرجل الشديدة واعترازه بكرامته .

إلا أن تلك هذه الدهشة لا تلبث أن تتبدد بما نسوقه من المذكرة السرية التي كتبها آنذاك اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في القاهرة يشرح فيها الظروف والملابسات التي أدت الى تقديم تلك الوزارة لاستقالتها .

يقول تقرير اللورد لويد أنه قبيل استقالة الوزارة بأيام قليلة عقد اجتماع غير رسمي في بيت أحد المواطنين حضره بعض الزعماء الوفديين لمناقشة عدد من القضايا كان من أهمها بعض الأسئلة المطروحة من جانب بعض النواب والتي تناولت مسائل حساسة مثل حجم وتسليح الجيش المصرى ، ومركز المفتش العام ، والاعانة التي تدفع لقوة دفاع السودان . وقد رأى عدلى أن هذه المسائل سوف تؤدي الى أزمة شديدة مع الحكومة البريطانية بل أنها سوف تؤدي الى تمزيق الاتفاق الحزبي القائم عليه الائتلاف الوزاري .

وأمام اصرار عدلى على أن الحكومة البريطانية سوف تعترض على بحث مثل هذه المسائل اقترح سعد أن يطلب من الملك الاتصال بالمندوب السامي حتى لا يحدث مثل هذا الاعتراض على أساس أن مثل هذا الموقف البريطاني قد يؤدي الى إثارة الاضطرابات .

عند ذلك ، كما يقول التقرير ، فقد عدلى صبره وقرر أن يصحب معه وزير الحربية الوفدى الى لقاء بالملك ليتبين موقفه ، وكان هذا الموقف واضحا برفض الملك للتدخل .

استتبعت ذلك عقد اجتماع آخر بين رئيس الوزراء وزعماء الوفد انتقد فيه الأول انتقادا شديدا لأنه عارض اقتراحات وزير الحربية خلال اجتماعهما

(٢٤) أحمد شفيق : حولة ١٩٢٧ ص ٥٣ — ٩٥ .

(٢٥) نس الاستقالة في : الوقائع المصرية العدد ٣٥ لسنة ١٩٢٧ .

(٢٦) تعليقات الصحف المصرية والبريطانية على الاستقالة أحمد شفيق ، المصدر

السابق ص ٩٩ — ١٠٩ .

بالمملك وقد اشتمد الجناح المتطرف من الوفد (احمد ماهر والنقراشي) في انتقاداته لعدلى باشا .

ولم يتردد رئيس الوزراء في الرد على الانتقادات الموجهة اليه واشار في رده هذا الى اسباب الاختلاف بينه وبين الوفد ، وقد احصاها فيما يلي :
قانون العمد ، قانون التسليح ، الجيش المصرى ، اعانة قوة دفاع السودان .
وانثنى الى سعد يطلب منه كبح جناح المتطرفين من رجاله الذين رأوا مرضى القوانين الخاصة بالجيش المصرى وتميرها في البرلمان سواء وافقت عليها الحكومة البريطانية أو لم توافق ، الا ان سعد خيب امل عدلى حين وقف الى جوار رجاله وكان رايه ان الوقت مناسب للعمل بسبب انشغال الحكومة البريطانية آنذاك بالموقف في الصين وكذا ببعض المشاكل الداخلية في بريطانيا نفسها مما سيدفعها الى تجنب المواجهة في مصر باى ثمن ، وينتهى التقرير الى القول انه عند ذلك الحد لم يكن امام عدلى من سبيل الا الاعلان عن نيته على تقديم استقالته (٢٧) وقيمة التقرير البريطانى السابق انه يلقي الضوء على الظروف الحقيقية لاستقالة وزارة عدلى يكن الثانية ويسدد سحب الدهشة التى احاطت بتلك الاستقالة منذ ذلك الوقت . ويؤكد أن ما حدث في مجلس النواب يوم ١٨ أبريل ١٩٢٧ لم يكن أكثر من ذريعة لتنفيذ قرار كان قد اتخذ من قبل .

٣٦ — وزارة عبد الخالق باشا ثروت الثانية ٢٥ أبريل ١٩٢٧ — ١٦ مارس ١٩٢٨ :

بعد أن أخفقت محاولات اثناء عدلى باشا عن استقالته . بدأ كتابة اطراف السلطة يراجعون موقفهم . .

الانجليز . . ظلوا على موقفهم بعدم السماح لسعد والجناح المتطرف من الوفد بتولى أى مناصب وزارية ، فقد جاء فى التعليمات التى ارسلتها الخارجية البريطانية الى مندوبها السامى فى مصر وقتذاك « أن الحكومة البريطانية لن تسمح لزغلول بتولى الوزارة . ويمتد هذا المنع لكل من ماهر والنقراشي ، كما يمتد الى آخرين ، ولیم عبید مثلاً ، ممن يشتبه فى اشتراكهم فى حملة الاغتيالات السياسية الى القدر الذى يبرر منعهم » (٢٨) .

الوفد . . والى اجتماعاته برئاسة سعد فى بيت الأمة خلال ليلتي ٢١ ، ٢٢ أبريل ، وبدأ واضحاً خلال تلك الاجتماعات أن الحزب الكبير كان يتنازعه اتجاهان . . أولهما بالسير قدما فى السياسة المعادية للانجليز ، وثانيهما وقد أخذت به الأغلبية يرى العكس ، وقد مال سعد للاتجاه المعتدل وكانت

F.O. 407/204 No. 19 Lloyd to Chamberlain April 21, 1927 Tel. (٢٧)
No. 133.

F.O. 407/204 No. 23 Chamberlain to Lloyd April 24, 1927 Tel. (٢٨)
No. 113.

حجته في وقف التيار الأول ما أبداه من مخاوف من احتمالات عودة حل البرلمان ووقف الحياة النيابية . . ومن ثم فقد رأى زعيم الوفد عدم التفكير في تشكيل الوزارة الجديدة على اعتبار أن ذلك التشكيل إنما قد يفسر في النهاية باعتباره لونا من ألوان معاداة الانجليز .

تبع ذلك أن طرحت الأسماء المناسبة التي يمكن أن يرشحها الوفد لتشكيل الوزارة الجديدة ، وقد طغا اسم ثروت باشا على السطح والذي رشحه زغلول نفسه خاصة وأنه ، أي ثروت ، كان قد نجح في القرب الى الوفد خلال الشهور الأخيرة بصورة واضحة (٢٩) .

الملك بدوره أرسل للمندوب السامي يرشح ثروت ويرى أنه أنسب من يتولى تشكيل الوزارة في الظروف القائمة (٣٠) .

وكما وافق الانجليز على قبول ثروت باشا رئيسا للوزارة الجديدة على أساس أنه يجنبهم الصدام مع الوفد فقد وافق ثروت بدوره على قبول رئاسة الوزارة إلا أنه علق هذا القبول بشروط أربعة اشترطها على الوفد وهي :

- ١ — ألا تتعرض وزارته لهجمات حادة من جانب النواب .
 - ٢ — تأجيل اثاره قانون العمد كذا القوانين الخاصة بالجيش .
 - ٣ — عدم طرح أي اسئلة مثيرة في البرلمان خاصة بالعلاقات الانجليزية المصرية .
 - ٤ — عدم الضغط على أي من الوزراء بهدف القيام بعمل يؤدي الى صدام بين الوزارة ودار المندوب السامي .
- ويقول اللورد لويد أن زغلول قد استطاع انتزاع موافقة الوفد على تلك الشروط بصعوبة بعد أن أكد لاعضائه أن هذه الموافقة مؤقتة وأن برنامج الوفد سيبقى على ما هو عليه (٣١) .
- وبهذه الموافقة شرع عبد الخالق باشا ثروت في تشكيل وزارته والتي تشكلت على النحو الآتي .

- | | |
|----------------------------|------------------------|
| ● عبد الخالق ثروت باشا | وزيرا للداخلية |
| ● جعفر ولي باشا | وزيرا للحربية والبحرية |
| ● أحمد زكي أبو السعود باشا | وزيرا للحقانية |

F.O. 407/204 No. 24 Lloyd to Chamberlain April 25, 1927 Tel. No. 141. (٢٩)
F.O. 407/204 No. 22 Lloyd to Chamberlain April 23, 1927 Tel. No. 141. (٣٠)
F.O. 407/204 No. 24 Lloyd to Chamberlain April 25, 1927 Tel. No. 144. (٣١)

- محمد فتح الله بركات باشا
- مرقص حنا باشا
- محمد نجيب الغرابلى باشا
- على الشمسى باشا
- أحمد محمد خُشبه باشا
- عثمان محرم باشا
- محمد محمود باشا
- وزيراً للزراعة
- وزيراً للخارجية
- وزيراً للأوقاف
- وزيراً للمعارف العمومية
- وزيراً للمواصلات
- وزيراً للاشغال العمومية
- وزيراً للمالية (٢٢)

وقد اختلف تشكيل الوزارة الجديدة عن وزارة عدلى السابقة في أمرين

أولهما :

خروج عدلى ودخول آخر من الاحرار الدستوريين هو جعفر ولى باشا وان كان هذا لم يحدث بسهولة ذلك أن ثروت باشا كان قد اقترح أولاً اسم الدكتور حافظ عفيفى ولكن الملك فؤاد اعترض على تعيين هذا الآخر بسبب بعض كتاباته في « السياسة » (٢٣) ، وكان الدكتور عفيفى مدير تحريرها مما دعا حزب الاحرار الدستوريين الى « الاحتجاج على مخالفة التقاليد الدستورية المقررة لدى جميع الأمم ذوات النظم النيابية بالعدول عن تعيين مرشح في منصب الوزارة بعد أن تم ترشيحه على الطريقة الدستورية باتفاق رئيس الأغلبية ورئيس الحكومة وتمايم رضا حزب الاحرار الدستوريين » (٢٤) . وقد أدى هذا الاحتجاج الى نشوب أزمة كادت تودى بمحاولات تأليف الوزارة الجديدة الا أن ثروت باشا وقد أراد أن يحسن علاقاته بالقصر فقد قبل اعتراضه ورشح بديلاً عن حافظ عفيفى من رضى القصر بترشيحه وكان جعفر ولى باشا (٢٥) .

ثانيهما :

تبادل بعض المواقع الوزارية ، ذلك أنه لما كان الاتفاق الذى عقد بين الوفد وبين ثروت قد تضمن عدم إثارة مسائل الجيش ، كما سبقت الإشارة ، ولما كان من الصعوبة بمكان أن يبقى خُشبه باشا وزيراً للحربية وهو صاحب السياسة التى أدت الى إثارة هذه المسائل ، فلم يكن هناك من سبيل سوى أن يتخلى الرجل من هذه الوزارة التى تولاها جعفر باشا الوزير الجديد ليتولى هو وزارة المواصلات التى تركها وزيرها ليتولى المالية ، أما وزير هذه

(٢٢) الوثائق المصرية العدد ٣٧ لسنة ١٩٢٧ .

(٢٣) F.O. 407/204 No. 28 Lloyd to Chamberlain April 29, 1927 Tel. (٢٤) أحمد شفيق : حولى ١٩٢٧ ص ١٢٥ .

(٢٥) محمد حسين هيك : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٢٧٥ .

الوزارة الأخيرة مرتص حنا باشا فقد تركها الى الخارجية وهي الوزارة التي كان يتولاها ثروت باشا نفسه في الوزارة السابقة .

وبدأت وزارة ثروت عملها في ظروف لا يمكن أن توصف الا بالصعوبة مما يمكن أن تلحظه عين المؤرخ في علاقاتها بسائر القوى والجماعات السياسية بامتداد الشهور التي عاشتها .

كان البرلمان ذو الاغلبية الوحدية اول هذه الجماعات وبالرغم من الشروط التي قبلها الحزب الكبير من جانب ثروت كشرط لتأليفه الوزارة بعدم تعريض وزارته لهجمات حادة يشنها عليها النواب الا أن الوحديين من هؤلاء النواب ، لم يلتزموا بتلك الشروط ، خاصة الجناح الذي يتوده ماهر والنقراشي من هؤلاء أو من اسمتهم صحيفة التايمز البريطانية « الجناح الايسر المتطرف » وقد رأت هذه الصحيفة أن « زغلول باشا قد فقد كل سلطة على هذا الجناح » (٣٦) .

وقد تتالت المتاعب من جانب البرلمان للوزارة الثروتية : منها ما أرتأته اللجنة المالية بمجلس النواب بطلب الاقتصاد في المخصصات الملكية وأن يعهد بأعمال السرايات الملكية الى وزارة الاشغال التي تقوم بأعمال البناء بالنسبة لمباني الحكومة . وقد اعترفت جريدة « كوكب الشرق » الوحدية أنه جرى في هذه المناسبة خلال المناقشات التي دارت في البرلمان « عبارات وإشارات تعد شديدة نوعا لأن شعور المجلس في تلك الجلسة كان ملتهبا وكان نياضا » (٣٧) .

ايضا تعرض المجلس لشئون العلاقات المصرية — البريطانية وتتالت الاستجابات في كثير مما يتصل بهذه العلاقات ففي ٢١ مايو يتقدم أحد النواب باستجواب لرئيس الوزراء يسأل فيه عما اذا كان المندوب السامي البريطاني قدم أوراق اعتماده الى الملك . واذا لم يكن قد قدمها فما هو السبب وما الذي اتخذته الحكومة من اجراءات لتلافي هذا النقص (٣٨) ؟ .

بعد ذلك بأقل من اسبوع قدم نائب آخر استجوابا جديدا حول زيارة اللورد لويد الى مديرية المنيا وعن اشتراك الادارة في حفلة اقيمت له فيها وعن مخالفة ذلك للدستور ولواجبات الموظفين الحكومية (٣٩) .

ثم استجواب ثالث قدمه نائب آخر بعد ذلك بيومين يتهم فيه الحكومة البريطانية بالتدخل في القضاء المصري (٤٠) . ولا شك أن توالى هذه الاستجابات ثم المناقشات التي دارت حولها والتي اتسمت بالعداء كانت لابد أن تزيد من حرج مركز وزارة ثروت باشا .

(٣٦) الأهرام في ١٩٢٧/٥/٢١ .

(٣٧) أحمد شفيق : حولية ١٩٢٧ ص ١٦٨ .

(٣٨) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣٩) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٤٠) المصدر السابق ص ١٧٧ .

يسجل تقرير بريطاني من لقاء تم بين الملك هوارد ورئيس الوزراء .
مصر ١٨ مايو ١٩٢٧ بأن الملك كان عنيفاً للغاية وأنه انتقد ثروت باشا
بشده لعجزه عن السيطرة على مجلس النواب أثناء مناقشة الميزانية (٤١)
وكان على ثروت أن يحتفل أو يستقيل . . وقد احتمل .

على الجانب الآخر لم تمض أيام قليلة على حملة الاستجوابات البرلمانية
ضد الوجود البريطاني في مصر حتى فجر لويد الأزمة المعروفة بأزمة الجيش
حين تقدم في ٣١ مايو ١٩٢٧ بمذكرة سياسية خطيرة الى ثروت باشا
يطلب منه فيها الموافقة على مجموعة من الاجراءات تستهدف استبعاد
الاشراف البريطاني على الجيش المصري ، وقد اقترنت طلبات المنسوبة
السامي البريطاني بمظاهرة عسكرية بتوجه بعض الطرادات البريطانية الى
الاسكندرية مما أدى الى قبول الوزارة المصرية لكل مطالب اللورد لويد
اذ لم يكن أمام ثروت خلال هذه الأزمة أيضا الا أن يقبل أو يستقيل (٤٢) .

وبدلا من أن تؤدي هذه الأزمة الأخيرة الى قطيعة بين الحكومتين البريطانية
والمصرية اذا بها تؤدي الى جولة جديدة من المفاوضات بهدف اقرار العلاقات
بين الطرفين ، فقد رأى ثروت وسعد وجوب الاسراع في ذلك حيث ان بقاء
هذه العلاقات على ما هي عليه هو الذي يسمح بالتدخل البريطاني بين الحين
والآخر على النحو الذي تم به خلال أزمة الجيش .

وظلت تلك المحادثات التي عرفت باسم محادثات ثروت — تشمبرلين تدور
على امتداد الشهور بين يولييه ١٩٢٧ ومارس ١٩٢٨ ، وقد سيطرت على
الأوضاع السياسية في مصر بحيث أصبحت الشغل الشاغل لكافة الاطراف
المهتمة بهذه الأوضاع خاصة خلال الشهور الاولى منها .

ولكن قطع هذا الاهتمام حدث جل هو وفاة سعد زغلول رئيس الوفد
وزعيم الشعب مساء يوم الثلاثاء ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ اذ ترتب على هذه
الوفاة مجموعة من الأمور أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على محادثات
ثروت — تشمبرلين بل وعلى الوزارة الثروتية الثانية مما مهد لسقوطها
فيها بعد .

اولى النتائج التي ترتبت على وفاة سعد ما أصاب الائتلاف الوزاري من
اهتزاز وقد حدث هذا الاهتزاز لاكثر من سبب . منها ان ذلك الدور الذي
قام به سعد في رعاية الائتلاف والحفاظ عليه لم يتمكن خليفته من القيام به ،
ومنها ان تلك الارادة التي كانت تمكن سعد من كبح جماح « الجناح المتطرف »
من الوفد لم يكن خليفته يملكها .

ولم يمض وقت طويل على وفاة الزعيم المصري حتى بدأ الائتلاف
في التشقق .

F.O. 407/204 No. 43 Lloyd to Chamberlain May 19, 1927 Tel. (٤١)
No. 192.

(٤٢) لتفاصيل أزمة الجيش انظر النصلين ١٢ ، ١٣ من كتاب .
Lloyd . Egypt since Cromer Vol. II.

يتحدث اللورد لويد في بعض تقاريره من مظاهر هذا التشقق ليسجل ملاحظاته من الروح العدائية لرئيس الوزراء التي سادت مناقشات مجلس النواب حول بعض المسائل مثل الإدارة الإقليمية والاجتماعات العامة وضريح سعد .

ويذكر المندوب السامي في نفس التقرير أن الجناح المتطرف من الوفد (النقراشي وماهر) قد تمكن من السيطرة على جموح الطلاب الوهابيين ورفضوا اقتراحا بتنظيم استقبال ودي لثروت لدى عودته من لندن ، أكثر من ذلك أنهم أخذوا في شن حملة على المفاوضات التي أجراها في العاصمة البريطانية بالرغم من تحذير النحاس لهم بعدم التعرض لهذا الموضوع (٤٣) .

وبالطبع فإن الأحرار الدستوريين أو جناحا منهم على الأقل ما كانوا ليقبلوا السكوت على ذلك مما بدا من المقالة التي كتبها رئيس تحرير « السياسة » الدكتور هيكل في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧ تحت عنوان « نريد ائتلافا خالصا ، وأساس الائتلاف الخالص الصراحة » والذي وضع قضية الائتلاف بكاملها موضع المناقشة ، أو كما ذكر كاتبه — أحدث ضجة هو جدير بأحداثها » (٤٤) .

النتيجة الثانية وهي تتصل بالنتيجة السابقة بل أنها قد ترتبت عليها ذلك أن دار المندوب السامي البريطاني في القاهرة قد رأت أن مركز ثروت باشا يزداد ضعفا نتيجة لتشقق الائتلاف ، وأن هذا الضعف قد نشأ إما لتعرض وزارته للهجمات المستمرة من جانب جناح الوفد المتطرف وإما لاذعائه لطلبات الأغلبية الوفدية في البرلمان بالرغم من أن بعض هذه الطلبات قد أغضب البريطانيين والذي سجله اللورد لويد في أواخر عام ١٩٢٧ منتقدا ثروت لقبوله ما قرره مجلس النواب من الموافقة على القانون رقم ١٤ لعام ١٩٢٣ والخاص بالاجتماعات العامة والمظاهرات في الشوارع والذي رأى أنه يتناقض مع ما جاء في انذار ١٩٢٤ بمنع المظاهرات الشعبية التي تخل بالأمن العام (٤٥) .

وقد أدرك الجانب البريطاني بكل ثقله مدلول التطورات ، ورأى مع هذا الإدراك أن بقاء وزارة ثروت بتشققاتها وبرضوخها لن يكون ذا قيمة مما دعا حكومة لندن ومندوبها السامي في القاهرة الى وضع حد للموقف .

وبدت الخطة البريطانية نحو ثروت بوضوح عندما ضغط وزير الخارجية السير تشمبرلين على رئيس الوزراء المصري في أوائل فبراير ١٩٢٨ ليسرع بعرض « المعاهدة » على زملائه الوزراء والتعجيل بتوقيعها بالرغم من أن عددا من القضايا لم يكن قد تم الاتفاق عليها بعد .

F.O. 407/205 No. 57 Lloyd to Chamberlain Dec. 27, 1927 Tels. (٤٣)
No.s 436, 437.

(٤٤) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٢٨١ .
F.O. 407/205 No. 58 Lloyd to Chamberlain Dec. 28, 1927 Tel. (٤٥)
No. 1439.



مصطفى النحاس باشا

- ولد عام ١٨٧٦ وتعلم بمدرسة الناصرية ثم الخديوية الثانوية وتخرج في مدرسة الحقوق .
- عين قاضيا بالمحاكم الاهلية وخدم بالسلك القضائي فترة طويلة .
- دخل غمار السياسة فاشترك في الحركة الوطنية ١٩١٩ ونفى ١٩٢١ مع سعد زغلول الى سيشل .
- عين وزيرا للمواصلات في وزارة سعد ١٩٢٤ .
- خلف سعد بعد وفاته ١٩٢٧ في رئاسة الوفد ورئاسة البرلمان الائتلافي .
- الف وزارته الاولى ١٩٢٨ .
- أجرى مفاوضات ١٩٣٠ مع هندرسون وزير الخارجية البريطانية على عهد وزارته الثانية .
- ترأس الوفد المصري في المفاوضات التي انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ .
- على عهد وزارته التي ألفها بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بدأت مشاوراته بخصوص الجامعة العربية وتم التوقيع على بروتوكول الاسكندرية .
- في عام ١٩٥١ ألغى معاهدة ١٩٣٦ مما أدى الى نشوب معركة القنال وأعقب ذلك حريق القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢) .
- اعتزل الحياة السياسية بعد قيام ثورة يولية حتى وفاته ١٩٦٥ .

وقد حقت هذه الخطة أكثر من هدف ، ذلك أنه لما كان واضحا أن المعاهدة المقترحة ليست مقبولة على الشكل غير النهائي الذى وصلت اليه من جانب ثروت باشا نفسه فقد كان حريا ألا تقبل من جانب وزرائه وأغلبيتهم من الوعديين . . . إذن فقد كان المقصود احراج ثروت . . . وقد تحق هذا الهدف . . . هدف آخر : فإنه لما كان معلوما أن الزعامة الجديدة للومد بحكم تمثيلها في السلطة في الوزارة والبرلمان سوف تدلى بدلوها في مثل هذه القضية المصرية . . . ولما كان مطلوبا أن تتم المواجهة مباشرة مع تلك الزعامة فقد رأت أن مثل ذلك العمل سيؤدي الى تلك المواجهة . . . وقد تحق هذا الهدف أيضا (٤٦) .

الهدف الأول تحق باستقالة ثروت باشا بعد رفض مشروع المعاهدة من جانب زملائه الوزراء ومن جانب زعامة الومد الجديدة .

والهدف الثانى بتأليف ثالث وزارات الائتلاف الومدى وأول وزارة لمصطفى النحاس باشا رئيس الومد الجديد .

٣٧ — وزارة مصطفى النحاس باشا الأولى

١٦ مارس — ٢٥ يونية ١٩٢٨ :

على امتداد تاريخ الوزارات المصرية موضع الدراسة (٧٥ سنة) لم يتول رجل رئاسة الوزارة بالقدر الذى تولاهها به مصطفى النحاس باشا (سبع مرات) مع ملاحظة أنه ليس هناك من تولاهها ست مرات ، وإن واحدا فقط ، هو حسين سرى باشا ، تولاهها خمس مرات .

ثم أنه على امتداد نفس التاريخ صدر مالا يتجاوز خمسة أوامر خديوية أو ملكية باقالة الوزارات استثنى النحاس باشا بأربعة منها وكان الأمر الخامس لمصطفى فهمى باشا في وزارته الثانية أثناء أزمة وزارة فخرى باشا الشهيرة (٤٧) .

بالإضافة الى كل ذلك فإنه من بين ذلك العدد الوفير من الوزارات التى ألفها النحاس كانت هناك وزارة ائتلافية واحدة هى تلك الوزارة الأولى موضع الدراسة ، ولعل ما عاناه فيها من جراء الائتلاف هو الذى دعاه بعد ذلك الى عدم القبول ، بأى شكل وفى أى الأحوال ، بتشكيل وزارات ائتلافية .

وكما أن أغلب الوزارات النحاسية كانت تنتهى بشكل درامى بقرارات الاقالة فإن أغلبها أيضا كان يتم تشكيله تحت ضغوط شعبية ملحة وكان منها وزارته الأولى .

(٤٦) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٦٤٥ — ٦٤٨ .

(٤٧) أنظر الفصل الثانى من الباب الثانى .

على ٤ مارس ١٩٢٨ تقدم ثروت باشا باستقالته متذرعاً بالحجة التقليدية « حالتي الصحية التي تضطرنني إلى تجنب الأجهاد عملاً بمشورة الأطباء » (٤٨)

وفي أعقاب ذلك بدأت المظاهرات الشعبية تجتاح البلاد مؤيدة للدستور وللحزب الشعبي .. في القاهرة وأسيوط وشبين الكوم وطنطا إلى حد اضطر اللورد لويد إلى التثويه بخطورتها والأمراب من مخاونه من اتسامها (٤٩) .

وقد حقق ذلك الضغط الشعبي هدفه بمنع الفكرة التي راودت القصر والوجود الاحتلالي آنذاك بحل البرلمان وتعديل قانون الانتخاب (٥٠) .

أكثر من ذلك فإن الملك مؤاد لم يلبث أن استدعى النحاس باشا زعيم الأغلبية البرلمانية يشاوره في شأن الوزارة الجديدة ثم تبع ذلك قبول الرجل لتأليفها على نفس النسق الائتلافي الذي كان قائماً من قبل .. أي من الوفد والأحرار الدستوريين .

على الجانب الآخر كان الأحرار الدستوريون يتشاورون فيما بينهم عن قبول الاشتراك في الوزارة الجديدة أو عدم القبول بذلك .. وكان هناك تياران داخل الحزب .

التيار الأول يتزعمه نائب رئيس الحزب ووزير المالية في الوزارة السابقة محمد محمود باشا ويرى وجوب الاشتراك في الوزارة على أساس « أن العهد كله عهد ائتلاف ، وأن البرلمان برلمان ائتلاف ، وأن عدم اشتراكنا في الوزارة ينتهي إلى نتائج تجنى على هذا الائتلاف » . أما التيار الثاني فقد رفض ذلك الاشتراك وتزعمه صدقي وعبد الرزاق بالإضافة إلى الدكتور حافظ عفيفي والدكتور محمد حسين هيكل وكان رأيهم أن تكليف رئيس الأغلبية البرلمانية بتأليف الوزارة يقتضي دستورياً ، أن تكون الوزارة كلها من حزبه ، ويقول الدكتور هيكل في مذكراته تبريراً لهذا الموقف « كانت حاجتنا أن اشتراكنا بثلاثة وزراء في وزارة عددها ، اثنا عشر ، يجعلنا في حاجة للدفاع عن رأينا ، وإلى أن يكون رئيس الوزارة من غير الأغلبية ، حتى إذا شاركنا الرأي وأصرت الأغلبية الحزبية على رأيها استقالت الوزارة » (٥١) وقد تغلب التيار الأول . وأن كان ذلك قد ترك بصماته على الوزارة التي لم تعش طويلاً نتيجة لتصدع الائتلاف .

على أي الأحوال فقد تشكلت الوزارة الجديدة على النحو الآتي :

- مصطفى النحاس باشا رئيساً للوزراء ووزيراً للداخلية
- جعفر ولي باشا وزيراً للحربية والبحرية

(٤٨) نص الاستقالة .. الوقائع المصرية العدد ٢٤ لسنة ١٩٢٨ .
F.O. 407/206 No. 34 Lloyd to Chamberlain March 8, 1928. (٤٩)
F.O. 407/206 No. Lloyd to Chamberlain March 9, 1928 Tel. No. 156. (٥٠)
(٥١) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٤ .

- واصف بطرس غالى باشا
- وزير الخارجية
- محمد نجيب الغرابلى باشا
- وزير للاوقاف
- على الشمسى باشا
- وزير المعارف العمومية
- أحمد محمد خشبه باشا
- وزير الحقانية
- محمد محمود باشا
- وزير المالية
- ابراهيم فهمى بك
- وزير الاشغال العمومية
- محمد صفوت باشا
- وزير الزراعة
- مكرم عبيد المندى
- وزير للمواصلات (٥٢)

يتحدث اللورد لويد فى تقرير طويل له عن طبيعة تشكيل الوزارة الجديدة وأهم التغييرات التى ميزتها عن سابقتها .

يذكر المندوب السامى أولا أن ما احرزه محمد محمود من نصر فى حربه قد اعقبه بنصر آخر متمثلا فيما أملاه من رغبة على النحاس باستبعاد ثلاثة من الوزراء الوفديين فى الوزارة السابقة هم فتح الله جركات ومرقص حنا وعثمان محرم واستجاب رئيس الوزارة الجديد لرغبة نائب رئيس الاحرار الدستوريين .

يذكر لويد أيضا أن زكى باشا أبو السعود قد تم استبعاده بناء على رغبة الملك ، وأن خشبه باشا قد حل محله فى منصبه وأن منصب هذا الأخير قد تولاه مكرم عبيد الذى يراه متطرفا الى حد الازعاج وفى وزارة تمس على نحو مباشر المصالح البريطانية وأن كان قد أعرب عن أمله أن يعدل المنصب الوزارى من سلوكه وأعرب عن نفس المشاعر ونفس الآمال بالنسبة لكل من واصف غالى ومحمد صفوت وزيرى الخارجية والزراعة .

أخيرا تشير المذكرة الى ضعف تمثيل الاحرار الدستوريين فى الوزارة الجديدة بوزيرين فقط . (محمد محمود وجعفر ولى) ، أكثر من ذلك فانها ترى غلبة الميول الوفدية على الوزير القوى منها — محمد محمود (٥٣) .

وفى خلال ما يزيد عن ثلاثة شهور قليلا هى عمر الوزارة النحاسية الاولى كان عليها أن تعالج قضيتين . . تتصل أولاها بالعلاقة مع الوجود البريطانى ، وتتصل ثانيتهما بإمكان استمرار الائتلاف أو عدم مكانه . وكان ما أصاب النحاس من نجاح أو فشل فى هاتين القضيتين السبب الرئيسى وراء العمر القصير لوزارته الاولى .

(٥٢) الوثائق المصرية العدد ٢٥ لسنة ١٩٢٨ .

(٥٣) F.O. 407/206 No. 62 Lloyd to Chamberlain March 23, 1928 Desp. No. 265.

من القضية الأولى فقد كان ميدان الصدام هو « قانون الاجتماعات والمظاهرات » الذي اقتره مجلس النواب الوفدى في أواخر عهد الوزارة السابقة والذي تنالت مذكرات الاحتجاج البريطانية عليه . . مذكرة في ٤ مارس يوم استقالة وزارة ثروت باشا ، ثم مذكرة ثانية في أوائل إبريل ثم انذارات شفهوية من جانب اللورد لويد للنحاس باشا في ١٨ و ١٩ من نفس الشهر ، وأخيرا تقدم المندوب السامى في ٢٩ من الشهر نفسه بانذار نهائى لرئيس الوزراء المصرى يطلب منه فيه توكيدا كتابيا قاطعا بأن البرلمان لن يواصل نظر مشروع القانون ، وأنه اذا لم تلتق دار المندوب السامى هذا التأكيد قبل السابعة من مساء ٢ مايو فانها ستكون حرة في اتخاذ ما تراه من تدابير (٥٤) .

وأمام هذا الانذار البريطانى ردت الحكومة المصرية ردا طويلا في أول مايو تمسكت فيه بموقف الوفد من انكار تصريح ٢٨ فبراير ورفضت تقديم التوكيد الكتابى المطلوب وأنشئت من ذلك لتهدى سياستها في المسالة بأنها قد طلبت من مجلس الشيوخ تأجيل المناقشة في مشروع القانون الى دور الاتعقاد التالى (٥٥) . وبالرغم من أن هذا الرد لم يكن مرضيا من وجهة نظر اللورد لويد إلا أن الخارجية البريطانية قد رأت فيه الكفاية لأجتياز الأزمة . وكان اجتيازها على هذا النحو نجاحا محسوبا للنحاس باشا كما ارتأه عديدون وقتذاك منهم المندوب السامى البريطانى (٥٦) .

وقد تتابعت ردود الفعل نتيجة لهذا النجاح مما عرض الائتلاف الوزارى الى التشقق ثم الانهيار ، وهى القضية الثانية التى كان على الوزارة النحاسية أن تواجهها .

ذلك أن نجاح النحاس قد أدى الى انهيار الآمال التى عقدها ذلك الجناح من الأحرار الدستوريين الذى حبذ الدخول فى الائتلاف الوزارى والذي كان يتزعمه وزير المسالية . فقد كان محمد محمود باشا وجناحه يريان الفرصة سانحة لانتزاع زعامة الحزب الكبير بعد وفاة سعد زغلول ، وتصوروا أن سبيلهم لهذا هو استغلال ضعف الزعامة الجديدة والإطاحة بها والذي بدا فيما فرضه محمد باشا من آراء فى تشكيل الوزارة الجديدة مما سبقت الإشارة اليه .

وكان رد فعل محمد محمود ازاء ذلك سريعا حين بادر بتقديم استقالته فى ٤ مايو ١٩٢٨ . بعد يومين فقط من قبول الحكومة البريطانية لمذكرة النحاس باشا (٥٧) .

من ناحية أخرى فإن موقف النحاس ونجاحه قد تركا نفس الأثر السيئ لدى القصر الذى شعر أن الوفد يسير على نفس طريقه أيام زغلول وأنه ليس من

(٥٤) عبد الرحمن الرافعى : فى اعقاب الثورة المصرية ج ٢ ص ٢٨ .
(٥٥) المصدر السابق ص ٢٩ - ٤١ و F.O. 407/206 No. 102, Nahas Pasha to Lord Lloyd, May 1, 1928.
(٥٦) F.O. 407/206 ENC IN No. 102 Nahas Pasha to lord Lloyd 1er Mai 1928.
(٥٧) F.O. 407/206 No. 101. Lloyd to Chamberlain May 9, 1928 Tel. No. 275.

سبيل الا سرعة التخلص من الوزارة النحاسية قبل أن تتوى من الوجود
الوئدى فى الادارة ولى البرلمان اذ أنه كان قد تقرر اجراء التعيينات الجديدة
فى مجلس الشيوخ خلال الفترة قبل انعقاد الدورة الجديدة للبرلمان . بالاضافة
الى ذلك فان الملك قد رأى أن الوفد يسمى بتقديم ثابتة لاستصدار التشريعات
الهامة لأضعاف سلطاته (٥٨) .

ومن هنا التقى الطرفان . . محمد محمود والملك فؤاد . . وفى بداية اللقاء
طلب الملك من وزير المالية سحب استقالته على اعتبار انها اذا قبلت فى ظروف
نجاح النحاس باشا فلن يترتب عليها سوى استئثار الوفد بالسلطة مما لن
يحقق ايا من أهداف القصر أو جناح محمد محمود باشا (٥٩) .

الا أن سحب محمد محمود باشا لاستقالته لم يكن الا اجراء مؤقتا يستطيع
بعده هو والملك تدبير الأمور على نحو يسمح بسقوط الوزارة النحاسية أو
استقاطها مما تم على الصورة الآتية :

أولا : بافتعال مناقشات حادة بدأتها « السياسة » لسان حال الأحرار
الدستوريين وردت عليها « البلاغ » لسان حال الوفد ثم شاركت فيها صحف
وهدية أخرى مثل « كوكب الشرق » .

فى ميدان الصحافة أيضا . أمكن انتزاع صحيفة « الكشاف » التى كان
يمتلكها « أحمد عبود » من صف الوفد لتكون مع « السياسة » فى شركة
واحدة أصبحت بمقتضاها احدهما تصدر فى الصباح والثانية تصدر فى
المساء .

ثم انتقل الخلاف الى البرلمان حيث اشترك الأحرار الدستوريون والوطنيون
فى هجمات حادة على كثير من وجوه سياسة الوزارة مما بدأ فى جلسات
١٦ و ١٧ و ١٨ مايو (٦٠) .

ثانيا : بتقديم مجموعة من استقالات الوزراء بدأها محمد محمود باشا
فى صباح ١٧ يونية (٦١) ، ثم تلاه فى ذلك الوزير الدستورى الآخر جعفر ولى
باشا صباح ١٩ يونية (٦٢) ، أخطر من ذلك فان وزير الحقانية الوفدى أحمد
خثبه باشا لم يلبث أن قدم استقالته بعد ذلك بأربعة أيام (٢٣ يونية) (٦٣) ،
ثم لم يمض سوى يوم واحد حتى قدم ابراهيم فهمى بك وهو الوزير المستقل

F.O. 407/206 No. 97 Lloyd to Chamberlain May 4, 1928 Tel. (٥٨)
No. 267.

F.O. 407/206 No. 100 Lloyd to Chamberlain, May 26, 1928 Tel. (٥٩)
No. 290.

F.O. 407/206 No. 101 Lloyd to Chamberlain, May 9, 1928 Tel. (٦٠)
No. 275.

Ibid No. 114 Lloyd to Chamberlain, May 19, Desp. No. 410. (٦١)

Ibid No. 124 Lloyd to Chamberlain, June 18, Tel. No. 217. (٦٢)

Ibid No. 125 Lloyd to Chamberlain, June 23, 1928 Tel. No. 324. (٦٣)

الذى كان قد تم تعيينه في وزارة الأشغال بناء على طلب محمد محمود نفسه .
.. قدم هذا الوزير استقالته في ٢٤ يونيو (٦٤) .

واستقالة أربعة وزراء من وزارة تضم عشرة أعضاء على هذا النحو
المتتالي لا يدع مجالاً للشك حول طبيعة الاتفاق بين هؤلاء بعضهم وبعض من
ناحية وبينهم وبين القصر من ناحية أخرى فيما تأكد من تعيينهم جميعاً في
الوزارة التالية .

ثالثاً : بتفجير فضيحة شخصية للنحاس باشا نفسه بنشر الوثيقة التي
عرفت بوثيقة سيف الدين ، وهي عبارة عن اتفاق معتود بين كل من النحاس
باشا وويصا واصف وجعفر فخري وبين والدة الأمير سيف الدين وهو أحد
أمرأة الأسرة المالكة وقد حجر على أملاكه لاتهامه بالجنون ووضعت تحت
وصاية الملك مؤاد . وقد تضمن الاتفاق أن يسمى الثلاثة المشار إليهم
بصفتهن محامين برفع الحجر عن ممتلكات الأمير المذكور مقابل ١٣٠ ألف
جنيه أتعاب . ولما كان هذا المبلغ يعتبر خيالياً آنذاك فقد رأى أن النحاس
باشا كان سيستخدم نفوذه السياسي لتحقيق الاتفاق مما يعتبر رشوة
لا شك فيها (٦٥) .

وبالرغم مما تأكد بعد ذلك من تزوير الوثيقة المذكورة إلا أن الهدف من
نشرها قد تحقق باعتباره الخطوة الأخيرة من مجموع الخطى التي وفرت
الجو للقصر لإصدار أول قرار في التاريخ (الوزاري) بأقالة الوزارة
النحاسية الأولى والذي جاء فيه أنه « لما كان الائتلاف الذي قامت على
أساسه الوزارة قد أصيب بصدع شديد ، فقد رأينا اقالة دولتكم » (٦٦)
والذي صدر في ٢٥ يونية وانتهى به أول وآخر عهد وزارات الائتلاف
الوحدية .

Ibid No. 133 Lloyd to Chamberlain, June 25, 1928 Tel. No. 327. (٦٤)
F.O. 407/206 No. 129 Lloyd to Chamberlain June 24, 1928 Tel. (٦٥)
No. 326.

(٦٦) الوقائع المصرية العدد ٥٤ لسنة ١٩٢٨ .

الباب الرابع

الفصل الخامس

وزارة اليد القوية

١٩٢٨ — ١٩٢٩

٣٨ - وزارة محمد محمود الأولى ٢٥ يونيو ١٩٢٨ - ٢ أكتوبر ١٩٢٩ :

يقول « اسماعيل صدقي باشا » في مذكراته « كانت الرغبة متجهة الى اختيارى لتأليف الوزارة على أثر اقالة النحاس باشا في يولية سنة ١٩٢٨ . وخطبت في ذلك خطابا شبه رسمى ، وتهيأت لتأليفها ، بل وضعت أسماء الوزراء الذين وقع عليهم اختيارى ليتعاونوا معى » .

ويفاجأ الرجل بالملك ينصرف عن ترشيحه ويكلف « محمد محمود باشا » بتأليف الوزارة الجديدة ولا يجد تفسيرا الا ذلك الذى ساقه في نفس المذكرات بقوله « وكان المندوب السامى البريطانى في ذلك الحين هو اللورد جورج لويد ، وكان من الطبيعى أن يكون أميل الى شخص تربى في انجلترا كمحمد محمود باشا بتأثير البيئة العلمية الواحدة ، والمدرسة الانجليزية الواحدة ، وقد أدت المشاورات العليا الى اختيار محمد محمود لتأليف الوزارة » (١) .

وتسجل مصادر أخرى نفس الراى بأن ابدال محمد محمود بصدقي باشا قد تم بناء على تدخل من جانب المندوب السامى البريطانى في القاهرة فيما ذكرته صحيفة الديلى ميل البريطانية بعد ذلك أثناء المناقشات التى جرت حول عزل اللورد لويد (٢) .

ويجىء دور اللورد ليدلى بشهادته التاريخية فنلاحظ أنه قد أهمل تماما الإشارة الى أى دور صغير أو كبير له في تأليف الوزارة الجديدة وذلك في كتابه المعروف « مصر منذ كرومر » (٣) .

الا أن الوثائق السرية تقول شيئا آخر ، يذكر لويد أنه قد اجتمع مع الملك فؤاد في نفس يوم اقالة الوزارة النحاسية وأنه قد سأله عن توجهه اليه نيته لتكليفه بتشكيل الوزارة الجديدة . رد الملك على ذلك بأنه يفكر في رجلين . . صدقى ومحمود . . وأنه يرغب في أن ينضم كلاهما الى الوزارة الجديدة الا أن الصعوبة التى تواجهه في هذا الشأن أن أيهما لا يوافق على أن يشترك في الوزارة تحت رئاسة الآخر (٤) .

وتؤكد هذه الوثيقة السرية أن اختيار « محمد محمود » كان في النهاية اختيارا ملكيا مما يبدو من أنه حتى اللحظة الأخيرة والمندوب السامى لا يعلم ما استقرت عليه نية الملك .

(١) اسماعيل صدقى : مذكراتى (القاهرة ١٩٥٠) ص ٣٨ .

(٢) احمد شوقي : حولة ١٩٢٨ ص ٤١ .

(٣) Lloyd, Lord : Egypt since Cromer, Vol. II 276.

(٤) F.O. 407/206 No. 136 Lloyd to Chamberlain, June 26, 1928. Tel.

No. 331 Conf.



محمد محمود باشا

- ولد ١٨٧٧ بساحل سليم بأسسيوط والده محمود باشا سليمان من كبار ملاك الأراضي بها .
- تعلم بأسسيوط ثم استكمل دراسته في اكسفورد بانجلترا
- بعد عودته عين مفتشا بالمالية فمديرا للفيوم ثم البحيرة .
- اشترك في تأليف الوفد المصري واعتقل مع سعد زغلول في مالطة ١٩١٩ وسافر الى الولايات المتحدة للدعاية للقضية المصرية .
- شارك مع بعض زملائه في تكوين حزب الاحرار الدستوريين ١٩٢٢ حيث اختير وكيلا له .
- عين ١٩٢٦ وزيرا للمواصلات ثم للمالية ثم خلف عدلى في رئاسة الاحرار .
- شكل وزارته الاولى ١٩٢٨ واشترك أثناءها في مفاوضات مع هندرسون وزير الخارجية البريطانية .
- كان أحد أقطاب الجبهة التي مثلت مصر في مفاوضات ١٩٣٦ .
- بعد وزارته الأخيرة ترأس المعارضة في مجلس النواب حتى توفي في يناير ١٩٤١ .

وما دام الاختيار قد تم من قبيل القصر فلا بد أنه كان لديه من الأسباب ما دعاه الى تفضيل محمد محمود عن صدقى مما يمكن استقراؤه من مسيرة الأحداث خلال المرحلة التالية ..

كانت أهم متطلبات الاختيار أن يكون رئيس الوزراء الجديد رجلا مناسباً وقادراً على المواجهة مع الوفد ، وهى مواجهة بدت حتمية مع اقالة الوزارة النحاسية .. ولا شك أن محمد محمود كان يفضل صدقى فى هذا الميدان ولمجموعة من الأسباب يمكن أن نلخصها فيما يلى :

١ - ان لصدقى باشا تجربة سابقة فى صراع القصر مع الوفد لم يصادفه فيها التوفيق وذلك عندما كان وزيرا للداخلية فى وزارة زيور وأجرى الانتخابات التى استهدف منها ضرب الوفد فكانت النتيجة مخيبة للآمال (٥) .

ولا شك أن تصدى صدقى لمواجهة جديدة ضد الوفد برصيد الفشل السابق لن يكون بحال فى صالح قضية القصر فى هذه المواجهة .

٢ - قابل رصيد الفشل المحسوب لصدقى رصيد للنجاح محسوب للمرشح الآخر ، محمد محمود .. فمع تشكيل الوزارة النحاسية نجح فى املء رغباته سواء بإبعاد وزراء أو ضم آخرين ، ثم انه خلال العهد القصير لهذه الوزارة كان معلوماً انه الرجل القوى بين رجالاتها ، وأخيراً فقد تم على يديه تدمير الوزارة المذكورة سواء باستقالته شخصياً أو باستقالة الوزراء الأحرار معه ، أو ما هو أكثر من ذلك بنجاحه فى اغراء أحمد خشبة الوزير الوفدى بمشاركته فى الاستقالة مما بدأ معه الشخصية الغالبة لمحمود باشا سواء بين رجالات حزبه أو بين بعض الرجالات الوفديين ..

٣ - يضاف الى كل ذلك وضع كل من الرجلين بالنسبة للحزب الثانى فى البلاد .. حزب الأحرار الدستوريين .. فبينما لم يكن لصدقى علاقة رسمية بالحزب كان محمد محمود نائباً رسمياً لرئيسه فى وقت كانت رئاسته شاغرة بعد استقالة عبد العزيز فهمى ولم يكن من مرشح لشغل المنصب الشاغر أنسب من محمد باشا محمود (٦) .

وقد حدث بالفعل وتولى الرجل رئاسة الأحرار الدستوريين بعد فترة وجيزة من توليه رئاسة الوزارة مما تم باتفاق جميع أجنحة الحزب ومما كان بلا شك من مصادر قوة محمد محمود فى صدامه المنتظر مع الوفد ومن أسباب تفضيله على صدقى .

وبناء على كل هذه الأسباب تم تكليف « محمد محمود » بتشكيل الوزارة الجديدة وصدر يوم ٢٥ يونية المرسوم الملكى بهذا التشكيل على النحو الآتى :

(٥) انظر الفصل الثانى الباب الرابع .

(٦) محمد حسين هيكى : مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ص ٢٩٣

وزير الداخلية	● محمد محمود باشا
وزير للحربية والبحرية وللأوقاف مؤقتا	● جعفر ولى باشا
وزير للمواصلات	● عبد الحميد سليمان باشا
وزير للحقانية	● أحمد محمد خشبة بك
وزير للزراعة	● نخلة المطيعى باشا
وزير للمالية	● على ماهر باشا
وزير للاشغال العمومية	● ابراهيم فهمى بك
وزير للخارجية	● حافظ عفيفى بك
وزير للمعارف العمومية (٧)	● أحمد لطفى السيد بك

وتتحدث الوثائق البريطانية عن تكوين الوزارة الجديدة فتذكر أن بها اثنين من نواب رئيس حزب الأحرار الدستوريين هما محمد محمود باشا والدكتور حافظ عفيفى بالإضافة الى اثنين آخرين من رجال الحزب هما جعفر ولى باشا ولطفى بك السيد ، كما شارك فى الوزارة الجديدة وزيران من رجال حزب الاتحاد هما نخلة المطيعى باشا وعلى ماهر باشا ، وتصف نفس الوثيقة التى تعرضت للحديث عن الوزراء الجدد كلا من ابراهيم بك فهمى وعبد الحميد سليمان باشا بانهما من الوزراء الفنيين المستقلين ، وتصل أخيرا الى أحمد خشبة فتسجل حقيقتين .. أولاها : انه كان وفديا وأن حزب الوفد قد طرده مؤخرا بعد اشتراكه فى حركة الاستقالات التى أدت الى اقالة الوزارة الوفدية الأخيرة ، وثانيهما : ان جانبا من خطة محمد محمود كان يستهدف جذب المزيد من الأعضاء الوفديين الى وزارته لما يترتب على ذلك من دعمها وأضاف روح المقاومة المنتظرة من الحزب الكبير ، وكان هذا الهدف وراء ترك وزارة الأوقاف شاغرة الى حين العثور على الوفدى المناسب ملئها (٨) .

فى تقرير ممتع للسير برسى لورين بعد توليه منصب المندوب السامى البريطانى فى القاهرة خلفا للورد لويد بفترة وجيزة صنف الوزارات المصرية الى قسمين .. القسم الأول : وزارات وفدية أو تتمتع بالتأييد الوفدى ، والقسم الثانى : وزارات معادية للوفد .

ثم انثنى الى هذا القسم الأخير من الوزارات ليصنفه بدوره الى نوعين :

(أ) وزارات القصر وقد وصفها بالرجعية والخضوع التام للملك .

(ب) وزارات تتشكل من ساسة ذوى خبرة الا أنهم يعادون الوفد ، وقد وضع وزارة « محمد محمود » ضمن هذا النوع الأخير .

(٧) الوثائق المصرية العدد ٥٦ لسنة ١٩٢٨ .

F.O. 407/207 No. 3 Lloyd to Chamberlain, June 29, 1928. Desp. (٨)
No. 528.

ويعلق السير لورين على هذا النوع من الوزارات بقوله « انها تعسانى من عداء الوفد الصريح من ناحية ، ومن المناورات الملتوية للملك فؤاد من ناحية أخرى ، والذي تتناقض شهيته الفائقة للسلطة الشخصية مع الادارة المستقلة التى تنتهجها أى حكومة تحترم نفسها » (٩) .

ومعنى ذلك ببساطة ان مثل هذا النوع من الوزارات يمكن ان يبقى تحت ظروف معينة تتمثل فى الرغبة فى ابعاد الوفد عن الحكم فى نفس الوقت عدم القدرة على احلال وزارة ملكية محله ، وانه اذا ما تغيرت هذه الظروف لصالح أى طرف من اطراف الصراع السياسى فى مصر ورجحت كفة التوازن لهذا الجانب او ذاك فانه لا يكتب لمثل هذه الوزارة الاستمرار .

ومعنى ذلك أيضا ان بقاء وزارة محمد محمود مرتبط بهدى قدرتها على اقناع سائر اطراف الصراع السياسى بانها البديل الوحيد لما اسماه بالدكتاتورية البرلمانية من ناحية ولاوتوقراطية القصر من ناحية أخرى كما أنه مرتبط فى نفس الوقت بقدرة الوفد على الضغط وتعبئة الجماهير واقناع اطراف السلطة ان الوزارة لا تكمل الاستقرار السياسى بقدر ما يثير وجودها المقاومة الشعبية ، كما أنه مرتبط أخيرا باقتناع القصر والانجليز بخطورة عودة الوفد او بالعجز عن تأليف وزارة ملكية .

ومن منطلقات الاقتناع والاعتناع السابقة وضعت وزارة محمد محمود الخطة التى اتبعتها خلال عهدها الذى قارب السنة والى نصف وهو عهد طويل نسبيا اذا ما قورن بعمر بقية الوزارات خلال تلك الحقبة .

وكان لهذه الخطة ثلاثة جوانب :

— الجانب الاول : التاكيد على ان الوزارة ليست وزارة قصر ، كوزارات زيور مثلاً .

— الجانب الثانى : تقديم بديل مقبول للشعب لحكم الاغلبية ا فدية البرلمانى .

— الجانب الثالث : كسب التأييد البريطانى ، على اعتبار ان هذا التأييد سوف يؤدى الى تدعيم موقف الوزارة تجاه القصر والحزب الشعبى .

وبدأت وزارة محمد محمود الاولى فى اعقاب تأليفها تنفذ هذه الخطة المتعددة الجوانب فيما يمكن رصده فيما يأتى :

فيما يتصل **بالجانب الاول** فقد تأسس موقف الوزارة فى هذا الصدد على حقيقتين :

F.O. 407/209 No. 53 Sir P. Loraine to Mr. A. Henderson, Oct. (٩)
4, 1929, Desp. No. 808.

١ — الوعى بالظروف التاريخية التي تميز بين التخلص من الوزارة الزغلولية ١٩٢٤ وبين التخلص من الوزارة النحاسية ١٩٢٨ . فالتخلص من الوزارة الاولى قد تم تحت ضغط وتدخل بريطاني سافر مما اطلق يد الملك تماما في تشكيل الوزارة الجديدة (وزارة زيور الاولى) والتي كانت اول سابقة في تأليف الوزارات الملكية ، أما اقالة الوزارة النحاسية فتعد تمت بمبادرة خالصة من جانب القصر . . حقيقة أن الجانب البريطاني لم يعترض إلا أنه لم يؤيد أيضا ، وتؤكد الوثائق الانجليزية في هذا الصدد أن التعليمات التي كانت لدى موظفي دار المندوب السامي في القاهرة كانت بالتزام الحياد الدقيق واعتبار ما حدث مسألة داخلية محضة . وكما جاء بالحرف الواحد في هذه التعليمات « بالامتناع بشدة عن التدخل في هذه الازمة » (١٠) .

ترتب على ذلك أن الملك كان يتحرك هذه المرة بدون مظلة الحماية البريطانية التي كان يتمتع بها عند تشكيل وزارته الملكية في الحالة الاولى ، وكان عليه والحال هذا بناء اختياره على أساس موضوعي لا على أساس تغليب مصلحة القصر . . . بمعنى آخر أن اختيار محمد محمود قد نبع من حاجة ملكية أكثر مما نبع من رغبة ملكية . وقد فهم محمد محمود ووزراؤه هذه الحقيقة (!) .

٢ — أن الوزارة الجديدة قد تشكلت من مجموعة من الرجال (محمد محمود — أحمد لطفى السيد — أحمد خشبة — حافظ عفيفى) لا يمكن أن يكونوا بحكم طبيعتهم ، وبحكم تاريخهم ، صفائح للقصر . ولا شك أن مثل هؤلاء الرجال كانوا يعلمون أنهم يوم يتحولون الى صفائح للملك فانهم بالإضافة الى الاساءة البالغة التي يمكن أن تلحق بماضيهم السياسى فان حاضريهم بل ومستقبلهم السياسيين سوف يتعرضان لأخطار شديدة .

هذا عن الاسباب التي دعت وزارة محمد محمود الى عدم القبول بأن تكون « وزارة للقصر » أما عن المواقف التي تؤكد هذه الحقيقة فبالامكان تسجيل أكثر من موقف .

بدأ أول هذه المواقف مع تشكيل الوزارة ، فقد رفض « محمد محمود » وزملاؤه اصطناع نفس الأساليب التي اصطنعتها وزارات زيور الملكية فيما يتصل بالتعامل مع الاغلبية الوفدية في البرلمان .

ويسجل الدكتور هيكل هذا الرفض في جانب من مذكراته فيقول :

« كان محمد باشا ، والذين تضامنوا معه في الوزارة يمثلون الاقلية في برلمان الائتلاف . فماذا عسى أن تكون سياستهم ؟ لقد بدأت الوزارة بتأجيل البرلمان شهرا وفق نص الدستور ، لتتيح لنفسها فرصة التفكير في خططها للمستقبل . وجعل الوزراء جميعا يجتمعون بمنزل محمد محمود باشا بشارع الفلكى ، قبيل الغروب من كل يوم ، يقلبون وجوه الراى المختلفة . أترأهم

F.O. 407/207 No. 4 Chamberlain to Lloyd, July 7, 1928, Desp. (١٠)
No. 689.

يحلون مجلس النواب ، ويجرون انتخابات جديدة ، كما فعل صدقي باشا في سنة ١٩٢٥ ؟ لكن تجربة صدقي باشا لم يصادفها التوفيق . فبعد أن خيل إليه أنه حصل على كثرة في مجلس النواب ، تبين في انتخابات الرئاسة للمجلس المذكور أن سعد باشا هو صاحب الكثرة . هذا ولم يكن في طبيعة محمد باشا محمود أن يتخذ من الأساليب في الانتخابات ما أتخذه صدقي باشا (١١) .

موقف آخر :

تمسك الوزارة بمبدأ « المسئولية الوزارية » وعدم السماح للقصر بالافتئات على حقها في هذا الصدد . . ذلك أن محمد محمود كان قد قرر بالاتفاق مع الملك وفي أعقاب تأليف وزارته تعيين اسماعيل صدقي باشا رئيسا لديوان المحاسبة وذلك تعويضا له عن عدم تأليفه للوزارة من ناحية ومكافأة له على موقفه المساند للوزارة الجديدة من ناحية أخرى .

وبعد الفراغ من اعداد المرسوم الذي تضمن صلاحيات الوظيفة الجديدة والقرار بتعيين صدقي فيها دفع بهما الى القصر للحصول على التوقيع الملكي عليهما دون جدوى . ويذكر محمد محمود أن الملك لم يدل له بأي توضيحات يبرر بها هذا الموقف المفاجيء . ولا يرى تفسيرا لهذا سوى أن القصر يرغب في العودة الى مسيرته في الحكم الأوتوقراطي (١٢) .

ويصمم رئيس الوزراء على القيام بمسؤولياته كاملة وتتدخل دار المندوب السامي لأصلاح ذات البين بين الطرفين ، ويتراجع الملك خطوة ويذكر أن اعتراضه لا ينصب على تعيين صدقي باشا بقدر ما ينصب على بعض المواد التي جاءت في مرسوم انشاء الوظيفة الجديدة ، خاصة المادة التي تجعل شاغلها غير قابل للعزل لمدة خمس سنوات وما يمكن أن يترتب على القبول بها من تخويل صدقي سلطة مطلقة وأوتوقراطية يصبح معها تهديدا مستمرا للحكومة كلها (١٣) .

ويستمر رئيس الوزراء على تصميمه ويرى ان المسألة ليست مسألة تعيين صدقي أو عدم تعيينه وإنما مسألة من الذي يدير البلاد الحكومة أم القصر ؟ ويصل الأمر بمحمد محمود في لقاء له مع اللورد.لويد في ٢٢ ديسمبر ١٩٢٨ الى التهديد بأنه اذا استمر الملك في تدخله في شئون الوزارة فإنه سوف يلجأ الى دعوة البرلمان الوفدي المعطل وتقديم استقالته بعد ذلك .

(١١) محمد حسين هيك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

F.O. 407/207 No. 45 Hoare to Lord Cushendun, Oct. 29, 1928, (١٢)
Tel. No. 433.

F.O. 407/207 No. 63 Lloyd to Lord Cushendun, Nov. 18, 1928, (١٣)
Desp. No. 855.

وبالرغم من أن المندوب السامي البرلمانى فى القاهرة لم يأخذ هذا التهديد من جانب رئيس الوزراء مأخذ الجد الا أنه قرر الضغط على الملك للاستجابة لمطلب الوزارة فى هذا الشأن (١٤) .

موقف ثالث يتصل بتعديل محدود كان قد تقرر اجراؤه فى الوزارة . . ذلك ان « وزارة الأوقاف » التى كانت شاغرة مع تأليف الوزارة بهدف جذب بعض العناصر الوفدية للاشتراك فيها كانت فى حاجة الى وزير بعد الاخفاق فى تحقيق هذا الهدف .

فى نفس الوقت ونتيجة لسياسة الوزارة النشطة بالاهتمام بالشئون الصحية كاقامة المستشفيات وردم البرك والمستنقعات وما الى ذلك فقد اتجهت النية الى انشاء وزارة للصحة العمومية وكانت الوزارة الجديدة بدورها فى حاجة الى وزير .

يضاف الى ذلك ان منصب الوزير المفوض لمصر لدى الحكومة البريطانية وهو اهم مناصب السلك الدبلوماسى المصرى آنذاك كان قد خلا فى هذا الوقت ، وقد اتجهت النية اولا الى تعيين عدلى باشا فى المنصب المذكور الا أن الرجل قد اعتذر عن عدم قبوله ، فاتجهت النية بعد ذلك الى تعيين وزير الخارجية نفسه « حافظ باشا عفيفى » فى المنصب الخالى وكان معنى ذلك أن وزارة الخارجية أيضا ستكون فى حاجة الى وزير .

وكان تعيين الوزراء الجدد ميدانا جديدا للصدام بين الوزارة وبين القصر ، فبينما صمم الملك على تعيين هؤلاء من صفوف حزب الاتحاد ، أى حزب القصر ، فان محمد محمود قد رفض قبول المطلب الملكى قطعيا وذكر للمندوب السامى أنه يكتفيه فى هذا الصدد ما يلقاه من متاعب من كل من على ماهر وعبد الحميد سليمان الوزيرين الاتحاديين فى الوزارة وأنه ليس على استعداد لتحمل مزيد من المتاعب من وزراء جدد من هذا الحزب (١٥) . وادى هذا الموقف من جانب رئيس الوزراء الى تجميد مسألة التعديل الوزارى برمتها .

الجانب الثانى من خطة وزارة محمد محمود تتصل بموقفها من حزب الاغلبية الشعبية . . من الوفد . .

وكان لابد من بديل تتقدم به الوزارة الجديدة لما أسمته الدكتاتورية البرلمانية ، ولم يكن البديل هذه المرة أوتوقراطية القصر كما حدث خلال العهد الزيورى وإنما كان ما أسماه محمد محمود فى مجموعة خطبه واحاديثه « **باليد القوية** » (١٦) .

F.O. 407/207 No. 74 Lloyd to Chamberlain ,Dec. 22, 1928, Desp. (١٤)
No. 953.

Ibid.

(١٥)

(١٦) اليد القوية ، خطب واحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا منذ اسندت اليه رئاسة مجلس الوزراء (الاسكندرية ١٩٢٩) .

وقد قامت هذه السياسة على الاسس الآتية :

١ - تعليق الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد ويعلق الدكتور هيكل على الأمر الملكي الصادر في ١٩ يوليو ١٩٢٨ بهذا « التعليق » فيقول « رأيت في هذه الخطة صراحة محددة . فالوزارة لا تدعى أنها صاحبة الكثرة في الانتخابات . وهي لا تريد استفتاء الشعب ، والشعب في رأيها مضلل لا يمكنه أن يحكم على الأشياء حكما سليما ، بل هي تريد أن تضطلع بالمسئولية وأن تحفظ النظام والأمن ، وأن تسير في شئون الحكم سيرة عدل وأصلاح » (١٧) .

ولم يعن ذلك أن الوزارة ضد الحياة النيابية ولكنها ترجو أن تقضى خلال هذه السنوات الثلاث على ما أسمته بالدجل السياسى وإقرار الحكم النزيه في البلاد ليقوم عليه بعد ذلك نظام برلماني في مثل نزاهته (١٨) . وقد تعددت المناسبات التي ظل محمد محمود يصرح فيها بأن « الدستور هو الكفيل بتأمين الشعب وأنا ديموقراطي بطبيعتي » (١٩) .

٢ - مواجهة السياسة الوفدية للآثار ومقاومة الوزارة ، وقد تمت هذه المواجهة بأساليب متعددة ، منها إعادة العمل بقانون المطبوعات القديم الصادر ١٨٨١ والغاء رخصة نحو مائه صحيفة وإنذار وتعطيل عدد من صحف المعارضة ، ومنها إضافة مادة للقانون المالى الخاص بموظفى الحكومة بمنعهم من حضور الاجتماعات السياسية أو إبداء أى آراء أو نزاعات سياسية علانية ، ومنها قانون آخر بمعاقبة طلبة المدارس والكليات في حالة الدعوة للقيام بمظاهرات أو الامتناع عن تلقى الدروس (٢٠) .

٣ - في نفس الوقت قامت حكومة محمد محمود منذ أيامها الأولى بإعلان عن حركة اصلاح واسعة بين الفلاحين ، فقد أعلن الرجل أن الوزارة تفكر جديا في مشروع هام يقضى بتوزيع الجزء الأكبر من أراضي الدواوين على صغار الفلاحين بأثمان متهاودة تدفع على أقساط طويلة الأجل (٢١) . كما تعددت تصريحات رئيس الوزراء عن اصلاح أحوال العمال وعن صدور تشريعات « لتنظيم ساعات العمل وأجوره وتعويض الذى يلحقه ضرر واستخدام الاطفال وعلى العموم لتحسين حالة الرجل العامل » بالإضافة الى تصريحات أخرى عن العناية بالصحة « بردم البرك التى هى منبع دائم للأمراض بين الفلاحين ، وفي امداد القرى بمياه الشرب .. وباقامة مستشفيات المراكز ليصبح استحضار الأطباء سهلا ومستطاعا حتى سكان الأجزاء النائية ، كما ستقام المساكن للعمال في المدن الكبيرة » (٢٢) . ويعترف « عبد الرحمن

(١٧) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٢ .

(١٨) المصدر السابق ص ٢٩٢ .

(١٩) من تصريحات محمد محمود لجريدة المورننج بوست في يناير ١٩٢٩ أحمد شفيق :

حولية ١٩٢٩ ص ٢٢٠ .

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى : في اعقاب الثورة المصرية ج ٢ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢١) اليد القوية - مجموعة الخطب السابقة ص ٢٧ .

(٢٢) من تصريحات محمد محمود السابقة للمورننج بوست - أحمد شفيق حوليات

١٩٢٩ ص ٣ - ٤ .

الرائعى « برغم موقفه المعادى من وزارة « اليد القوية » انها قد انجزت بالفعل كثيرا من الاصلاحات التى وعدت بها (٢٣) .

يبقى الجانب الثالث المتعلق بكسب التأييد البريطانى ، وتؤكد مصادر وزارة الخارجية البريطانية أن وزارة محمد محمود قد نجحت فى سعيها فى هذا الشأن فيما عبر عنه اللورد كشندون أحد كبار موظفى هذه الوزارة فى برقية له الى القاهرة فى أواخر أكتوبر ١٩٢٨ ، جاء فيها بالحرف الواحد : « أهم ما تحتاجه مصر هو الاصلاح الداخلى وتحسين علاقاتها مع بريطانيا العظمى . ومن الواضح أن الحكومة الحاضرة — أى حكومة محمد محمود — تبذل محاولة أمينة للوفاء بهذه الاحتياجات وانها تستطيع الاعتماد على الحكومة البريطانية فى هذا الصدد » (٢٤) .

وقد استمرت مظاهر المساندة البريطانية لوزارة « اليد القوية » تتوالى خاصة فى صراع هذه الوزارة مع القصر ، وترخر الوثائق الانجليزية بهذه المظاهر والتى يمكن أن نسجل فيما يلى بعضها :

فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٨ يكتب القائم بأعمال المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى المسئولين فى لندن يطلب منهم التصريح بالتدخل للضغط على الملك ليخضع لمطالب الوزارة الخاصة بتعيين صدقى باشا رئيسا لديوان المحاسبة وأقرار مسألة الأوقاف القبطية التى رأى القصر تعليقها (٢٥) .

وبالرغم من موافقة الخارجية البريطانية على طلب ممثلها بالتدخل إلا أن محمد محمود نفسه هو الذى طلب ارجاء هذا التدخل وقصره على المسائل الأكثر أهمية ، ومع استجابة المستر هور لهذا المطلب لكنه حرص فى نفس الوقت على أن تصل الى القصر ، بطريق أو بآخر ، معلومات تفيد بأن دار المندوب السامى « تراقب الموقف بعناية » (٢٦) . ولعل ذلك ما دعا الملك الى أن يصرح للمستر هور عند لقائه الأول به بعد ذلك « بأنى أثق تماما فى دار المندوب السامى وفى حكومتى » (٢٧) (١) .

وقبل أن ينقضى وقت طويل على هذا التدخل « بالتلميح » تتدخل دار المندوب السامى فى القاهرة لحماية وزارة محمد محمود « بالتصريح » فى أواخر ديسمبر ١٩٢٨ ، ففى ٢٢ من هذا الشهر يرسل اللورد لويد الى توفيق نسيم رئيس الديوان الملكى « يوبخه بشدة » ، على حد تعبير لويد ، بسبب موقف الملك من مسألة تعيين صدقى باشا ، مما دعا هذا الأخير الى أن يستدعى وزير

(٢٣) عبد الرحمن الرامى : المصدر السابق ص ٧٢ .

(٢٤) F.O. 407/207 No. 46 Cushendun to Hoare, Oct. 30, 1928, Tel. No. 337.

(٢٥) F.O. 407/207 No. 45 Hoare to Cushendun, Oct. 29, 1928, Tel. No. 433.

(٢٦) F.O. 407/207 No. 47 Hoare to Cushendun, Oct. 31, 1928, Tel. No. 436.

(٢٧) F.O. 407/207 No. 48 Hoare to Cushendun, Nov. 3, 1928, Tel. No. 440.

الخارجية « حافظ عفيفى » ويشكو له من اللهجة البريطانية العنيفة ، ويعرب له من رغبته فى أن يفعل أقصى ما يستطيع لأرضاء الحكومة ولكنه لا يحب العمل « وسكين على رقبته » كما قال الملك بالحرف الواحد . وكان هذا بالضبط ما أراد المندوب السامى فى القاهرة أن يشعر به الملك مؤاد (٢٨) .

* * *

بالطبع لم يكن من المتوقع أن تستمر وزارة « اليد القوية » سائرة فى تنفيذ سياستها دون مقاومة ، خاصة من جانب الوفد .

وبالرغم من أن الدكتور هيكل يهون كثيرا من قيمة هذه المقاومة التى يصفها بأنها كانت محدودة لا تخشى عواقبها (٢٩) إلا أن سائر المصادر تجمع على شدتها .

يتحدث « الرافعى » عن هذه المقاومة فيسجل البيان الذى أصدره النحاس فى ٢٢ يوليو ١٩٢٨ يدعو فيه الأمة إلى النضال عن دستورها وحريتها (٣٠) ، كما يسجل نص قرارات مجلس النواب الذى اجتمع فى دار مراد بك الشريعى فى ٢٨ من نفس الشهر تعلن عدم الثقة بالوزارة وبطلان كل التشريعات التى تصدرها والاتفاقات التى تعقدها (٣١) .

ويتحدث « اللورد لويد » عن الاجتماع الذى عقده مجلس الشيوخ الذى تسيطر عليه الاغلبية الوفدية فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ويذكر ان كل الترتيبات كانت قد اتخذت من جانب الحكومة لمنع عقد هذا الاجتماع وذلك بحشد قوات من الشرطة حول مكانه قد اخفقت لأن ضباط البوليس ، لدهشة لويد ، لم يتمالكوا سوى رفع ايديهم بالتحية عندما دخل النحاس الى مكان الاجتماع (٣٢) (١) .

أكثر من ذلك أن « الوفد » قد مد نشاطه الى الخارج فقد بعث بواحد من أقطابه هو « مكرم عبيد » الى لندن ليثمن حملة على وزارة محمد محمود ويهاجم تعطيل الحياة البرلمانية فى مصر (٣٣) ، وكان من الطبيعى أن تجد هذه الحملة أذانا صاغية لدى الراى العام البريطانى .

وبينما الأمور تسير على هذا النحو اذا بحادثين كبيرين يغيران الوضع ويقلبان الموقف تماما .

F.O. 407/207 No. 74 Lloyd to Chamberlain, Dec. 22, 1928, Desp. (٢٨)
No. 953.

(٢٩) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣٠) نص البيان فى الرافعى . المصدر السابق ص ٥٨ — ٦٠ .

(٣١) المصدر السابق ص ٦٦ .

F.O. 407/207 No. 65. Lloyd to Cushendun, Nov. 22, 1928, Desp. No. 866. (٣٢)

(٣٣) أحمد شفيق : حولى ١٩٢٨ ص ١١٨٧ .

الحادث الأول :

عزل المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، اللورد لويد .

الحادث الثاني :

اقتراح الحكومة البريطانية بفتح باب المفاوضات مع حكومة محمد محمود .

بالنسبة للحادث الأول :

فقد قامت حكومة العمال الجديدة التي تألفت برئاسة المستر مكدونالد في بريطانيا بعد انتخابات مايو ١٩٢٩ بإقصاء اللورد لويد عن منصبه في القاهرة في أعقاب تأليفها ، ومهما كانت طبيعة الأسباب التي دفعت وزير الخارجية في الحكومة الجديدة ، المستر هندرسون ، الى اتخاذ هذا القرار الا أنه كانت له دلالات عميقة على العلاقات السياسية المصرية ، وعلى وضع الوزارة على وجه الخصوص .

أهم هذه الدلالات أن سقوط اللورد لويد كان يعنى في نفس الوقت سقوط تلك السياسة التي ارتبطت باسمه والقاضية بالتدخل في الشؤون المصرية . وكان معنى ذلك ببساطة أن تفقد وزارة محمد محمود أهم دعائم استمرارها . . . وهي دعامة تأييد دار المندوب السامي ، أو على الأقل لا يكون هذا التأييد بنفس القوة طالما أن خلف اللورد لويد قد جاء مزودا بتعليمات أن يكون تدخله في المسائل المحلية في أقل نطاق ممكن . وقد عبرت صحيفة الديلى نيوز الانجليزية عن هذه الحقيقة عندما ذكرت في ٢٦ يوليو ١٩٢٩ أن « النتيجة المنطقية لاستقالة لويد هي استقالة محمد محمود باشا وانتهاء الدكتاتورية » (٢٤) .

الحادث الثانى تمثل فيما تقدمت عليه الحكومة الجديدة من اتخاذها لقرار بفتح باب المفاوضات مع مصر ، وعندما فوجئ محمد محمود في هذا القرار أبدى تخوفه على أساس أن عددا من الوزارات المصرية السابقة قد تحطم على صخرة المفاوضات وكان في ذهنه آنذاك ظروف سقوط وزارة ثروت الأخيرة . ولكن ، وبالرغم من هذا التخوف لم يكن أمام رئيس الوزراء سوى قبول العرض البريطاني لأنه لم يكن له أن يرفض ويبقى رئيسا للوزارة (٢٥) .

وكان محمد محمود محقا في هذا التخوف ذلك أن تلك المفاوضات التي أجراها مع المستر هندرسون ، بغض النظر عن مدى النجاح الذى أصابه فيها ، قد قاربت نهايتها في نفس الوقت الذى كان عهد وزارة « اليد القوية » يشرف على نهايته .

(٢٤) أحمد شفيق : حولية ١٩٢٩ من ٥٨١ .

(٢٥) محمد حسين هيكل . المصدر السابق من ٢٠١ .

فما أن عرفت أنباء المفاوضات بين محمد محمود وهندرسون حتى بدأ « مكرم عبيد » وكان لا يزال يبك دعايته في لندن ضد الوزارة ... بدأ يشن حملة قوية ضد أن يتولى رئيس وزراء لا شعبية له تقرير مصر الأمة ، ففى تصريح له تنشره « المانشستر جارديان » يحتج باسم الأمة المصرية على إجراء المفاوضات مع حكومة لا تمثل الأمة (٢٦) ثم لا تلبث صحيفة أخرى هى الديلى هيرالد أن تنشر حديثا طويلا لمكرم تحت عنوان « تصريح لزعيم وطنى واحتجاج الوفد بأن بريطانيا يجب أن تتعامل مع حكومة دستورية » (٢٧) : أكثر من ذلك أن نفس الصحيفة « الديلى هيرالد » وهى لسان حزب العمال الحاكم تعرب فى مقالها الافتتاحى فى ٢٠ يولية عن ثقتها « من أن وزير الخارجية البريطانية سيمنح تقديره الجدى للتصريحات التى أدلى بها حديثا زعماء الوفد » (٢٨) .

فى نفس الوقت شن الوفد حملة فى داخل البلاد ضد المفاوضات الجارية . وقد بلغت هذه الحملة ذروتها باجتماع الشيوخ والنواب من أعضاء الهيئة البرلمانية الوفدية فى ٢٢ يوليو وارسالهم لبرقيات الى الملك والى رئيس الوزراء البريطانى يعلنون فيها باسم الأمة المصرية سخطهم « على هذه المفاوضات العقيمة » (٢٩) .

ولا يمضى وقت طويل حتى تثمر تلك الحملة :

— ففى تصريح أدلى به المستر هندرسون فى ٢٦ من نفس الشهر فى البرلمان البريطانى أنه « مهما كانت سياسة حكومة العمال حىال مصر فانها لن تدخل فى دائرة التنفيذ الا اذا وافقت عليها الأمة المصرية » (٤٠) .

— ثم فى مشروع المعاهدة : وقد صاغه البريطانيون على انه مقترحات لا على أنه مشروع معاهدة كما كان مصاغا عند بدء المفاوضات فقد الغيت ديباجته التى تذكر المفاوضات عن الدولتين ، والغيت فقراته الختامية « ولم يبق فيه ما يدل على أنه مشروع يراد توقيعه » (٤١) على حد تعبير هيكى .

وقد أطلقت هذه التصريحات كما تمت تلك التغييرات انتظارا لمعرفة رأى الوفد الا ان الزعامة الوفدية تبنت الموقف بعدم ابداء أى رأى فى الاتفاق طالما بقيت البلاد بدون برلمان منتخب وطالما بقيت وزارة « اليسد القوية » ، وقد عبر النحاس عن ذلك فى خطبة له فى القاهرة فى أوائل سبتمبر (٤٢) .

(٣٦) أحمد شفيق : حولة ١٩٢٩ ص ٥٢٥ .

(٣٧) المصدر السابق ص ٥٢٨ .

(٣٨) المصدر السابق ص ٥٣٥ .

(٣٩) المصدر السابق ص ٥٥١ .

(٤٠) نفس المصدر ص ٥٤٣ .

(٤١) محمد حسين هيكى : المصدر السابق ص ٣٠٦ .

(٤٢) F.O. 407/209 No. 20 Lorraine to Henderson, Sept. 2, 1929, Tel. (٢١)

No. 310.

بعد تلك الخطبة بأيام قلائل يجتمع المندوب السامي الجديد في القاهرة
السير برسي لورين مع الملك فؤاد ليتفقا ان هناك بديلين للوزارة القائمة ،
فاما وزارة وفدية خالصة ، واما وزارة ائتلاف يكون للوفد فيها وجود
قوى (٤٣) .

وبدا واضحا خلال تلك الايام ان وزارة محمد محمود لم تعد تقوى على عمل
شيء امام ادارة ظهر القصر والانجليز لها وهجوم الوفد عليها ، ويبدى
الدكتور هيكل حسرته على أن « محمد باشا صاحب اليد القوية لا يقوى على
شيء امام هذا الهجوم » ثم يعترف بأن الوزارة في آخر عهدها (٤٤) .

F.O. 407/209 No. 22 Loraine to Henderson, Sept. 4, 1929, Tel. (٤٣)
No. 315.

(٤٤) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٣١٠ .

الباب الرابع

الفصل السادس

الوزارات الدستورية — المرحلة الثانية

١٩٢٩ — ١٩٣٠

٣٩ - وزارة عدلى يكن الثالثة ٣ أكتوبر ١٩٢٩ - اول يناير ١٩٣٠ :

فى اليوم التالى من تشكيل الوزارة اليكنية وبمناسبة انقضاء شهر كامل على تسلم السير « برسى لورين » المعتمد البريطانى الجديد فى القاهرة لمهام منصبه كتب الرجل تقريراً طويلاً يتحدث فيه عن أهم ما جرى خلال هذا الشهر وكان أهم ما جرى استقالة وزارة محمد محمود وتأليف وزارة عدلى يكن الثالثة مما يدعو الى تسجيل أهم ما تضمنه التقرير المذكور .

يتحدث السير لورين فى مطلع هذا التقرير عن « حتمية استقالة وزارة محمد محمود » باعتبارها الحقيقة الأساسية التى واجهها لدى وصوله الى مصر ويرى أن هذه الحتمية قد تمخضت عن السياسة الجديدة التى تبنتها الحكومة البريطانية بتحديد حجم تدخلها فى شئون مصر الداخلية ، كما رأى أن النتيجة الأخرى لهذه السياسة هى عودة الوفد الى الحكم على نحو أو على آخر .

وقد اعتقد المندوب السامى الجديد ، انه لصالح ما تم الاتفاق عليه فى مفاوضات محمد محمود - هندرسن ، فان أفضل تشكيل للوزارة يكون على صورة ائتلاف بين الوفد من ناحية وبين الحزبين المشتركين فى الوزارة السابقة (الأحرار الدستوريين - الاتحاديين) من ناحية أخرى على اعتبار أن مثل هذا التشكيل سوف يترتب عليه تكوين حكومة تقدم أحسن الضمانات لتوقيع وتنفيذ المعاهدة المقترحة .

وبعد اتصالات جرى بعضها على نحو رسمى بين الملك فؤاد والنحاس وجرى بعضها الآخر على نحو غير رسمى بين أحد كبار موظفى دار المندوب السامى (المستر روناالدكامبل) والزعماء الوفديين يسجل السير برسى لورين أنه « لسوء الحظ فقد اتضح تماماً أنه من الصعب فى الوقت الحاضر حمل الوفد على قبول الاشتراك فى وزارة ائتلافية » .

فى نفس الوقت ، وبعد هذا الاخفاق ، بذل الرجل مساعيه للحصول على موافقة من الزعماء الوفديين على ما تم التوصل اليه من تفاهم بين محمد محمود وهندرسن ، ولكن هؤلاء رفضوا التعهد بأى شئ ، وكان الشئ الوحيد الذى قدموه فى مقابل هذه الجهود هو الاعراب عن نياتهم الحسنة التى سجلها السير لورين أيضاً فيما ذكره فى التقرير نفسه من أن النحاس ومكرم قد مرا على دار المندوب السامى وتركوا له بطاقات تهنئة بمناسبة توليه منصبه الجديد ، ومن قبول النحاس لدعوة غداء من السير لورين أعقبها مناقشات طويلة وصفها الأخير بأنها كانت مفيدة وأنها أسهمت فى اذابة الثلوج التى كانت متراكمة على العلاقات بين الطرفين .

ومع شيوع أخبار هذه الاتصالات يذكر التقرير أن وضع وزارة محمد محمود

أصبح مهينا للغاية ، وأن الرجل أصبح حساسا لحد كبير ، وأن سير الأعمال في الحكومة قد أصابه العطل ، وأن الصحافة قد أخذت تثبت شكواها من احتمالات الفوضى . وقد رأى السير لورين أن استمرار هذا الموقف بالإضافة الى ما يترتب عليه من ظلم لمحمد محمود فانه يمكن أن يدمر كل احتمالات اقامة علاقات طيبة مع الوفد وما يمكن أن يترتب على ذلك من صعوبة لمقترحات المعاهدة المعروضة .

وبناء على ذلك فان المندوب السامي قد أبلغ محمد محمود بصراحة أن الوقت قد حان لاختفائه عن مسرح الاحداث (١) مما أدى الى أن يقدم الرجل استقالته في ٢ أكتوبر ١٩٢٩ والتي سجل فيها اغتباطه بنجاح المحادثات التي قام بها مع وزارة الخارجية ، وأن الهدف من استقالته ألا يكون وجود الوزارة عائقا دون قبول المشروع الذي تم التوصل اليه (٢) .

وكان مطلوبا أثناء ذلك تمهيد الجو لعودة الوفد الى السلطة ، وقد رأى المسئولون البريطانيون في القاهرة أن هذا التمهيد يتم بتأليف ما أسموه « وزارة انتقالية » تتوافر فيها الشروط الآتية : رئيس يحظى باحترام واسع من كافة الأطراف ، وأعضاء محايدون .

في نفس الوقت فقد رأوا أن تشكيل مثل هذه الوزارة سيحقق أكثر من هدف : تهدئة الأعصاب ، وتقليل فرص الصدام بين الوفد من ناحية وبين محمد محمود وزملائه وأتباعه من ناحية أخرى ، كما أنه سيمكن الوفد من دراسة الموقف بمزاج هادئ مما يؤدي الى زيادة فرص قبول المقترحات البريطانية بعقد المعاهدة (٣) .

وبناء على هذه الشروط وتحقيقا لهذه الأهداف تألفت وزارة عدلى باشا يكن الثالثة على النحو الآتى :

- | | |
|------------------------|------------------------|
| ● عدلى يكن باشا | وزيرا للداخلية |
| ● أحمد مدحت يكن باشا | وزيرا للخارجية |
| ● عبد الرحيم صبرى باشا | وزيرا للمواصلات |
| ● حسين درويش باشا | وزيرا للحقانية |
| ● مصطفى ماهر باشا | وزيرا للمالية |
| ● حسين واصف باشا | وزيرا للأشغال العمومية |
| ● واصف سمكة باشا | وزيرا للزراعة |
| ● أحمد على باشا | وزيرا للأوقاف |

(١) F.O. 407/209 No. 53 Sir P. Loraine to Mr. Henderson, Oct. 4, 1929 — Desp No. 808.

(٢) الوقائع المصرية العدد ٨٥ لسنة ١٩٢٩ .

(٣) FO. 407/209 No. 53 Loraine to Henderson, Oct. 4, 1929 — Desp. No. 808.

- حافظ حسن باشا
- محمد أفلاطون باشا
- وزير للمعارف العمومية
- وزير للحربية والبحرية (٤) .

والملاحظ من تكوين الوزارة اليكنية الثالثة أنها قد تشكلت تماما من وزراء ليس لهم انتماءات حزبية من ناحية وأن كلهم ، فيما عدا أفلاطون باشا ، قد شارك في وزارة سابقة أو أكثر كان لها نفس الطابع .. وزارات ادارية مستقلة مثل وزارة محمد سعيد الثانية ووزارة ثروت الأولى ووزارة توفيق الثانية ووزارة يحيى ابراهيم الأولى .

وقد تضمن خطاب عدلى يكن بقبول تأليف الوزارة الجديدة طبيعة المهمة التى كان على وزارته انجازها ، فقد قال « ستكون الغاية التى تترسمها الوزارة اعادة الحياة الدستورية واجراء الانتخابات لمجلس النواب خالصة من كل ضغط أو تأثير غير مشروع بحيث تنقل صورة صادقة من ارادة البلاد لى يتمكن البرلمان بعد ذلك من البت فى مصيرها (٥) .

وشرعت الوزارة اليكنية بالفعل بعد تأليفها بفترة قصيرة فى تنفيذ مهمتها ، فاستصدرت فى نهاية نفس شهر تأليفها أمرا ملكيا بانفاذ أحكام الدستور والعمل بالمواد المعطلة منه واجراء انتخابات مجلس النواب .

وفى مطلع الشهر الحالى (٢ نوفمبر) أصدرت مرسوما آخر بتحديد موعد الانتخابات ودعوة البرلمان (٦) .

وتجرى الانتخابات فى ميعادها المحدد وان كان الحزب الثانى فى البلاد (الأحرار الدستوريون) قد قرر مقاطعتها . وكانت الحجة التى أدلى بها الدكتور هيكل تبريرا لهذا القرار أن حزبه « لا يريد أن يقيم أى عقبة فى سبيل حصول الوفد على أكثر مما حصل عليه رئيس الأحرار الدستوريين (٧) » يقصد الحقوق المصرية لدى بريطانيا . الا أن البعض يذهب فى تفسيره لهذا الموقف من جانب الأحرار الدستوريين مذهبين :

— أولهما : خشية هؤلاء ، بسبب ما جرى فى أثناء حكمهم من ارهاب وضغط ، أن يسقطوا سقوطا فاضحا يذهب بسمعهم أمام الانجليز .

— ثانيهما : اظهار البرلمان الذى سينتخب فى صورة الذى « ينتخب لغاية خاصة » وهو ابرام المعاهدة ، وذلك لينيسر لهم فى حالة فشل المفاوضات الجديدة المطالبة بحله (٨) .

على أى الأحوال فقد جرت الانتخابات فى موعدها المقرر ونال الوفد فيها أكثر من ٩٠ ٪ حيث نال ٢١٢ مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغة

(٤) الوقائع المصرية العدد ٨٧ لسنة ١٩٢٩ .

(٥) نفس العدد السابق .

(٦) عبد الرحمن الرامى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٢ ص ٩٧ .

(٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٣١١ .

(٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٣١٥ .

٢٣٥ بينما نال الحزب الوطنى خمسة مقاعد والاتحاد ثلاثة وشغل المستقلون بقية المقاعد (٩) .

ولم يبق بعد ذلك ، وبعد أن بلغت الوزارة اليكينية الأخيرة « الغاية التى ترسمتها » ألا أن تقسح الطريق للوزارة الجديدة فقدمت استقالتها فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٩ بعد أن قضت أقل من ثلاثة شهور فى الحكم . ويقول السير لورين أنها قد أدت مهمتها على خير ما يرام (١٠) .

٤٠ — وزارة مصطفى النحاس باشا الثانية أول يناير ١٩٣٠ — ١٩ يونيو ١٩٣٠ :

خلال الشهور القليلة التى عاشتها وزارة عدلى يكن ، ولما كان معروفا مقدما نتيجة الانتخابات التى تقرر إجراؤها بفوز الوفد ، فإن كلا من القصر والانجليز قد حاول خلال تلك الفترة القصيرة أن يشكل نفسه ، أو يشكل الأحداث بما يراه مناسباً . .

القصر كان تواقا لاختيار رئيس وفدى للوزارة أقل تصلباً من النحاس ، وكان يرى إمكان اختيار « على الشمسى » باعتباره زعيماً لما أسماه الملك « جناح الوفديين المعتدلين » لهذا المنصب .

ولعل الحديث الذى جرى بين الملك فؤاد وبين السير برسى لورين يوم ٥ ديسمبر ١٩٢٩ يوضح هذه الحقيقة . فقد أراد الملك من خلال هذا الحديث أن يحصل من المندوب السامى البريطانى على موافقة على رأيه . فهو فى موضع من الحديث يقول للسير لورين أنه قد بلغه حدوث خلافات فى الوفد بشأن اختيار رئيس الوزراء ويسأله النصيحة فى هذا الشأن ، فيجيب المندوب السامى بدون تردد بأنه يشير بالنحاس طالما أنه زعيم أغلبية الحزب . ولا ييأس الملك فيتساءل فى موضع آخر من الحديث ماذا لو رفض النحاس رئاسة الوزارة لأسباب حزبية ؟ وهل يوافق السير لورين فى هذه الحالة على تولية الشمسى للمنصب . . . ويقول المندوب السامى أنه رد بالإيجاب ولكن فى فتور واضح (١١) .

دار المندوب السامى رسمت سياستها على أساس عدم التدخل لبعده

(٩) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ، ص ٩٩ .
— يسجل المندوب السامى فى القاهرة احصاء مختلفاً عن الاحصاء الذى ساقه الاستاذ الرافعى عن تمثيل كل حزب فى المجلس الجديد نذكر أن الوفد قد حصل على ١٩٨ مقعداً لا على ٢١٢ كما يذكر الرافعى ، وأن الحزب الوطنى قد حصل على ثلاثة مقاعد لا خمسة وأن المستقلين كان لهم ٢٨ بدلاً من ١٥ .

F.O. 407/210 No. 11 Loraine to Henderson, Jan. 4, 1930 — Desp.
No. 15.

F.O. 407/210 No. 22, Loraine to Henderson, Jan. 19, 1930 — Desp. (١٠)
No. 69.

F.O. 407/209 No. 69 Loraine to Henderson, Dec. 6, 1929 — Tel. (١١)
No. 498.

حد ممكن وذلك ضمانا لتوفر حسن النية بين الطرفين عند اجراء المفاوضات وتتضح هذه السياسة في أكثر من موقف . .

١ — في ذلك الحديث السابق بين الملك فؤاد والسير برسي لورين .

٢ — في الرحلة التي قرر السير برسي القيام بها الى السودان خلال الانتخابات ، وعندما أبدى عدلى يكن قلقه للمندوب السامي البريطانى من عدم وجوده في هذا الوقت الحساس أجابه الأخير بأن سببا من أهم أسبابه للقيام بهذه الرحلة ألا يبدو وكأنه في انتظار ما يتمخض عنه الموقف (١٢) ، باختصار فان الرجل رغب ألا يكون وجوده في القاهرة أثناء الانتخابات قوة تأثير لهذا الجانب أو ذاك ، وهو موقف أمثل في عدم التدخل لم تعهده مصر من السياسة البريطانية من قبل .

٣ — وحتى في مسائل كانت تعتبر قواعد في السياسة الانجليزية في مصر تم تقديم تنازلات ، فقد ظلت تعليمات الخارجية البريطانية على امتداد السنوات الخمس السابقة (١٩٢٤ — ١٩٢٩) تحذر من اختيار أحمد ماهر أو النقراشي في أى مناصب وزارية لوقوعها تحت طائلة الاتهامات في قضايا الاغتيالات ، ولكن لا تلبث سلطات لندن وتحت التوصيات المتعددة من السير لورين أن توافق على أن تضم الوزارة الوفدية الجديدة محمود فهمى النقراشي أفندى (١٣) .

وعلى ضوء هذه المواقف تشكلت الوزارة النحاسية الثانية على النحو التالى :

● مصطفى النحاس باشا	وزيرا للداخلية
● حسن حسيب باشا	وزيرا للحربية والبحرية
● واصف بطرس غالى باشا	وزيرا للخارجية
● محمد نجيب الغرابلى باشا	وزيرا للحقانية
● عثمان محرم باشا	وزيرا للأشغال العمومية
● محمد صفوت باشا	وزيرا للزراعة
● مكرم عبيد أفندى	وزيرا للمالية
● محمود فهمى النقراشي أفندى	وزيرا للمواصلات
● محمد بهى الدين بركات بك	وزيرا للمعارف العمومية
● محمود بسيونى أفندى	وزيرا للأوقاف (١٤)

(١٢) F.O. 407/209 No. ٤7 Loraine to Henderson, Nov. 25, 1929 — Tel. No. 469.

(١٣) F.O. 407/209 No. 81 Henderson to Loraine, Dec. 23, 1929, Tel. No. 391.

(١٤) الوقائع المصرية العدد ٢ لسنة ١٩٣٠ .

كان أهم ما استلقت نظر الدوائر السياسية في مصر استبعاد « على الشمسي » من التشكيل الوزاري الجديد والذي وصفته الوثائق البريطانية بأنه « كان أكثر العناصر الوفدية استقامة سياسيا واداريا خلال عهد حكومات الائتلاف بين عامي ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ » (١٥) .

وقد فوجيء الرجل ، كما فوجيء غيره ، بعدم اشتمال القائمة التي قدمها النحاس للملك على اسمه ، وبأن رئيس الوفد حاول بعد عودته من المقابلة اغراء الشمسي على قبول منصب وزير مصر المفوض في روما الا أن الأخير لم يقبل المنصب (١٦) .

وتقيم دار المندوب السامي تشكيل الوزارة النحاسية ..

تحدث أولا عن رد فعل تعيين النقراشي افندي وزيرا للمواصلات فتذكر أن هذا التعيين قد قوبل بعدم الرضاء سواء لدى المصريين أو لدى الاجانب المقيمين بمصر ، وغير مفهوم الاسباس الذي بنى عليه السير لورين رايه بعدم الرضاء المصري عن هذا التعيين فيما عدا ما ذكره من أن المدير العام للسكك الحديدية عبد الحميد سليمان باشا قد أعرب عن تشاؤمه فيما يتصل بإمكانية التعاون مع النقراشي .

تنتقل بعد ذلك الى الحديث عن « عثمان محرم » فتذكر أنه كان من المعارضين لاتفاقيات مياه النيل المعقودة ١٩٢٩ ، ويتساءل السير لورين عما سيكون عليه موقف الوزير الجديد .. هل سيبتلع الحجج التي كان يتذرع بها في معارضته أم أنه سيجدد هذه المعارضة .

وبالنسبة « لبهي الدين بركات » يذكر المندوب السامي البريطاني أن تعيينه قد تم ارضاء لوالده فتح الله بركات وأن كان يسجل حسن سمعته ويصفه بالاعتدال .

أما « حسن حسيب » فيبدي السير لورين مخاوفه من أنه قد يسبب المتاعب لسبنكس باشا المفتش العام ، ويعتمد في ابداء هذه المخاوف على ماضي حسيب باشا عندما كان وزيرا للحربية في وزارة سعد زغلول .

ويعبر المندوب السامي عن شكوكه فيما اذا كان كل من بسيوني بك في وزارة الاوقاف والغرابلي باشا في وزارة الحقانية سيؤديان أي دور له قيمة .

ويتساءل السير لورين بالنسبة « لمكرم عبيد » عن موقف هذا الأخير من الاتفاقيات المالية المعقودة في مارس ١٩٢٩ والتي هاجمها هجوما مريرا وقتذاك .

F.O. 407/210 No. 3 Hoare to Henderson, Jan. 2, 1930 — Tel. No. 3. (١٥)

F.O. 407/210 No. 10 Loraine to Henderson, Jan. 4, 1930 — Desp. (١٦)

No. 12.

فيما يتصل « بواصف غالى » فلا يرى أنه سيلعب دورا مؤثرا في المفاوضات المقبلة ، وأن دوره سيقصر على السباحة مع التيار دون القيام بأى جهد لتوجيه الامور ، ثم عن تعيين صفوت يذكر المندوب السامى أن لا قيمة تذكر للرجل (١٧) .

* * *

لأسباب كثيرة يمكن القول أن الوزارة النحاسية الثانية هى فى حقيقتها
وزارة مفاوضات النحاس — هندرسون :

١ — فمن ناحية فان تلك الوزارة قد تألفت خصيصا لمتابعة المفاوضات التى كانت قد جرت بين محمد محمود باشا ووزير الخارجية البريطانية وهو ما سجله النحاس فى خطابه بقبول تأليف الوزارة فى أول يناير ١٩٣٠ والذى جاء فيه أن من أهم ما سوف تسعى اليه وزارته « تحقيق استقلال البلاد استقلالا صحيحا ، والوصول الى اتفاق شريف وطيد بين مصر وبريطانيا العظمى » (١٨) ، ثم سجله مرة أخرى فى خطبة العرش فى ١١ من نفس الشهر التى قال فيها أن أمل حكومته « أن تسير بالمفاوضات مع الحكومة البريطانية مشبعة بروح الوفاق والمودة للوصول الى اتفاق وطيد شريف بين البلدين » (١٩) .

٢ — من ناحية أخرى فان شهرين ونصفا تقريبا (٣١ مارس — ٨ مايو) من عمر الوزارة الذى لم يتجاوز الخمسة شهور والنصف قد قضيت فى المفاوضات بين الطرفين ، ثم أن الفترة التى سبقت اجراء المفاوضات أو التى أعقبتها كان الشاغل الاساسى للحياة السياسية فى مصر هو الاستعداد لها أو تقييم الموقف بعد اخفاقتها .

٣ — من ناحية أخيرة فان العلاقات بين الوزارة النحاسية باعتبارها ممثلة للوفد وبين سائر القوى السياسية فى البلاد (الانجليز — القصر — الأحزاب المعارضة) قد تأثرت تماما بمسيرة المفاوضات المذكورة ، مما أثر بدوره على موقف الوزارة وقرر مصيرها .

* * *

يدعو ذلك الى أن نسجل ، وبايجاز ، كيف جرت هذه المفاوضات ؟
ثم ما انتهت اليه .

فى ٣ فبراير طلبت الحكومة من البرلمان تفويضا للمفاوضة مع الجانب

Ibid. (١٧)

(١٨) الوقائع المصرية العدد ٢ لسنة ١٩٣٠

(١٩) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ج ٢ .

البريطاني ، وفي ٦ منه حصلت على التفويض المذكور الذي تشكل في أعقابه وفد المفاوضة من رئيس الوزراء ووزراء الخارجية والاشغال والمالية (٢٠) .

وبدأت المفاوضات في ٣١ مارس وكان أهم ما تم التوصل اليه خلالها :

١ - اقر الوفد المصري بمبدأ المحالفة وقبله .

٢ - وافق الوفد المصري أيضا على وجود قوة بريطانية في قناة السويس ، وقد حاول في البداية قصر هذا الوجود على الضفة الشرقية الا أنه تحت الضغط الشديد من الجانب البريطاني وافق على أن يمتد هذا الوجود الى الضفة الغربية من القناة بشرط أن يكون محدودا بمنطقة معينة بعيدا عن الاراضى المزروعة .

٣ - كانت مسألة السودان موضع الخلاف بين الطرفين اذ أن الجانب البريطاني صمم على أن تكون المواد الخاصة بالسودان في الاتفاق غامضة وملتوية ، مثل مادة تقول « بالنظر بعين العطف الى عودة أورطة من الجيش المصرى الى السودان » ، ومادة أخرى عن أن يكون حق المصريين في دخول السودان والهجرة اليه « تحت الرقابة التى تفرضها حكومة السودان لصالح السودان (٢١) . الخ . . مما دعا الوفد المصرى الى رفض هذه الصيغ ثم قطع المفاوضات في ١٨ مايو والعودة إلى أرض الوطن .

* * *

لحوالى شهر ونصف بين الاعلان عن اخفاق المفاوضات واستقالة الوزارة النحاسية تحددت مواقف القوى السياسية المؤثرة في الوزارة على النحو الآتى :

أولا - الوفد : فقد وعى زعماءه بما طرأ على موقفهم في الوزارة من حرج نتيجة لفشل المفاوضات مما دعاهم الى وضع خطة متعددة الجوانب تحدث عنها المستر هور ، القائم بأعمال المندوب السامى في القاهرة ، في تقرير طويل بعث به الى وزارة الخارجية البريطانية بعد نحو تسعة أيام من انقطاع المفاوضات .

يتحدث المستر هور في جانب من هذا التقرير عن أن الصحف المعبرة عن الوفد لم تفعل ما اعتادت أن تفعله في أعقاب اخفاق كل جولة من جولات المفاوضات السابقة بين الطرفين بشأن حملة على البريطانيين ، وأنها تلتزم هذه المرة بنشر الانباء التى تدور أكثر حول احتمالات استئناف المفاوضات من جديد .

(٢٠) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية - البريطانية ص ٢٢٣ .
(٢١) محضر الجلسة الثانية والعشرين من مفاوضات سنة ١٩٣٠ (رئاسة مجلس الوزراء صفحة ٨٤ عن السودان) .

وترى دار المندوب السامى فى القاهرة أن موقف الوفد فى هذا الشأن قد اتسم بالاعتدال ، ولا شك أن الزعامات الوفدية قد استهدفت من وراء ذلك تحييد الجانب البريطانى فى صراعها المنتظر مع خصومها الداخليين . ولا يمكن القول أنها قد نجحت فى ذلك .

تمثل الجانب الآخر من الخطة الوفدية فى العمل على تعبئة الجماهير التى تساند الحزب الكبير بهدف تحذير خصومها مما يمكن أن يترتب على سعيهم للعصف بها من نتائج وخيمة . ويتحدث نفس التقرير البريطانى عن الاستعدادات الكبيرة التى كانت تجرى وقتذاك لتدبير استقبال شعبى كبير لوفد المفوضين لدى عودتهم الى أرض الوطن وعن النشاط الذى يقوم به مديرو المديريات وأعضاء مجالس المديريات التى كانت قد تشكلت مؤخرا وقتذاك ونشاطهم فى تعبئة الجماهير للزحف والاشتراك فى هذا الاستقبال (٢٢) .

الجانب الثالث من الخطة بالسير قدما فيما أسمته دار المندوب السامى « توفيد الإدارة المصرية » ، أى جعلها وفدية ، ولما كان ما اقدمت عليه الوزارة فى أول عهدها من اقالة ثمانية من المديرين وكبار الموظفين قد سبب استياء شديدا (٢٣) فانها لجأت الى أسلوب آخر فى هذا الصدد هو « تجميد كبار الموظفين غير الوفديين » فاذا كان هؤلاء من وكلاء الوزارات يتم تجاهلهم من جانب وزرائهم ، ثم ما يمكن أن يصحب هذا التجاهل من سحب الاختصاصات .

أخيرا فإن الوفد كان يسعى لما أسمته الوثيقة الانجليزية « بقص أجنحة الملك » وما شبهته بأنه دور شبیه بالدور الذى لعبته من قبل « جمعية الاتحاد والترقى » فى تركيا (٢٤) . ولا شك أن المستر هور كان يعنى هذا مشروع محاكمة الوزراء الذين يقدمون على قلب الدستور أو حذف حكم من أحكامه أو تغييره أو تعديله بغير الطريقة التى رسمها الدستور (٢٤) .

ثانيا : يأتى دور المعارضة وبالذات حزب الاحرار الدستوريين الذى رأى الفرصة سانحة لاقتناصها .

فى ٢٧ مايو رفع زعماء هذا الحزب عريضة للملك فؤاد وصفوا فيها الاغلبية البرلمانية التى تستند اليها حكومة الوفد بأنها « أغلبية برلمانية انتخبت لغاية خاصة » أى لم يعد لوجودها مبرر بعد فشل هذه الغاية ،

(٢٢) F.O. 407/210 No. 41 Hoare to Henderson, May 17, 1930 — Desp. No. 476.

(٢٣) F.O. 407/210 No. 26 Loraine to Henderson, Jan. 25, 1930 — Desp. No. 93 Conf.

(٢٤) F.O. 407/210 No. 41 Hoare to Henderson, May 17, 1930 — Desp. No. 476.

(٢٥) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ١٠٧ .

وقرروا ان الحالة في مصر منافية للدستور والقانون ولايسط قواعد العدل .
وطلبوا في النهاية من الملك ان « يتلافى الأمر بحكمته » (٢٦) .

وانثنى الأحرار الدستوريون بعد القصر يتصلون بدار المندوب السامى
يسعون لاقتناعها بعدم جدوى استمرار الوزارة النحاسية في الحكم ، بل
وبخطورة هذا الاستمرار .

احدهم وهو « عبد الملك حمزة بك » القائم بالاعمال السابق في المفوضية
المصرية بلندن يتحدث لبعض موظفى دار المندوب السامى عن سياسة
القمع التى تسير عليها حكومة النحاس ، وعن المسئولية البريطانية عن
هذه السياسة .. وكان رأيه أنه طالما أن السياسة الانجليزية هي المسئولة
في النهاية عن تأليف وزارات معينة فمن الواجب أن تضع حدودا لما يمكن
أن تتصرف في نطاقه هذه الوزارات .. وينهى حمزة بك حديثه بقوله أنه
عندما كان في لندن أجرى بعض الاتصالات بنواب من حزب العمال الحاكم
وأنهم مقتنعون بأنه « من الظلم بل من المستحيل تسليم تلك البلاد التعسة
(يقصد مصر) لديمقراطية جامحة وغير متعلمة » .

آخر هو « سليمان بك فوزى » رئيس تحرير الكشكول اتصل بالسكرتير
الشرقى بدار المندوب السامى بمناسبة محاكمته بتهمة الهجوم على بعض
الزعماء الوفديين وشكا له مما اسماء « بالدكتاتورية النحاسية » وكيف أنه
حكم على مواطن بالسجن ستة شهور لجرد أنه تقوه ببعض الفاظ انتقاد
للناحس وذكر له أن ترك الوفد سادرا في سياسته دون تدخل من الجانب
البريطانى سيؤدى الى اقامة « نموذج كامل من الطغيان الفاشى » .

ثالث هو « حامد العللى بك » اشتكى للسكرتير الشرقى من الطغيان
غير المحتمل من جانب الوفديين وكيف أنهم دبروا مظاهرة يتزعمها أحد العمدة
في دائرة المنزلة التى كانت تجرى فيها انتخابات لمجلس الشيوخ دخلها ابن
عم حامد بك عن الأحرار الدستوريين وهزم فيها من جانب المرشح الوفدى
كيف أنهم دبروا مظاهرة بعد هذه الهزيمة هاجموا فيها منزل حامد بك
في « برمبال الجديدة » الواقعة في تلك الدائرة (٢٧) .

ثالثا - القصر : فقد وجد الملك فؤاد أن اخفاق مفاوضات النحاس -
هندرسون قد قدم له فرصة ذهبية للتخلص من الوزارة الوفدية يجب
الا يفوتها .

وتسجل الوثائق البريطانية أنه ابتداء من ١٣ مايو ١٩٣٠ ، أى بعد
خمس أيام فقط من اعلان قطع المفاوضات المصرية البريطانية ، عادت
صحيفة « الاتحاد » الناطقة بلسان حزب القصر الى شن الهجوم على الوفد
واتهام زعمائه بالعجز وسوء التصرف مما أدى الى فشل المفاوضات ،

(٢٦) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٧١٩ .
F.O. 407/210 No. 55 Lorraine to Henderson, June 7, 1930 — Desp. (٢٧)
No. 548.

في نفس الوقت أخذت « الليبرتيه » جريدة القصر الاخرى تشارك في الحملة بسلسلة من المقالات .

وتسجل نفس الوثيقة أن الملك يقوم باعداد « هجوم مضاد » على الوزارة الوفدية بهدف الاطاحة بها (٢٨) .

في نفس الوقت يقوم الشيخ المراغى شيخ الازهر بالاتصال بالسكرتير الشرقى ليبلغه أن مصر في طريقها الى حالة من الفوضى المالية والادارية شبيهة بتلك التي حدثت أيام اسماعيل وعرابى . . وان مسئولية الانجليز عن هذا الوضع لا مرأ فيها طالما أن سياستهم هي التي أدت الى تشكيل الوزارة الاخرى ، وأنهم اذا لم يتدخلوا فلن تستبعد احتمالات الحرب الأهلية (٢٩) .

وفي هذا الجو يصل التوتر بين سائر الاطراف الى مداه ويتحدث النقراشى عن الاحتمالات المخيفة التي يمكن أن تترتب على محاولة الملك طرد الوفد من الوزارة (٣٠) ويأتى الصدام حول مسألتين . . احدهما تعيين الشيوخ الجدد ، وثانيتهما قانون محاكمة الوزراء .

فقد حاول الملك تعطيل صدور المراسيم الخاصة بالاستجابة لمطلب الوزارة في هاتين المسألتين مما دعا النحاس الى التهديد بالاستقالة (٣١) .

ثم تبع هذا التهديد بأن تقدم باستقالته فعلا في ١٧ يونيه وكان الهدف الواضح من وراء ذلك الضغط على الملك مما اتضح بعد ذلك سواء في الخطبة التي القاها النحاس في نفس اليوم في مجلس النواب يشرح فيها الاسباب التي أدت الى تقديمه لاستقالته والتي حققت هدفها باستنفار النواب الوفديين (٣٢) ، أو بتدبير مظاهرة شعبية يسير فيها الألوف تقرر لها يوم الجمعة ٢٠ مايو (٣٣) .

الا أن الملك كان أسرع من خصومه فقد أصدر أمره قبل يوم من المظاهرة (١٩ مايو) بقبول استقالة النحاس وتكليف اسماعيل صدقى بتأليف الوزارة الجديدة مما طوى معه ليس فقط عهد الوزارة النحاسية الثانية انما مرحلة أخرى من مراحل الوزارات الدستورية أعقبه عهد جديد لم يكن حربا على الوزارات الدستورية فحسب وانما كان حربا على دستور ١٩٢٣ نفسه . . ذلك هو عهد دستور ١٩٣٠ والتجربة الثانية من الوزارات الملكية .

F.O. 407/210 No. 41 Hoare to Henderson, May 17, 1930 — Desp. (٢٨)
No. 476.

F.O. 407/210 No. 55 Op. Cit. (٢٩)

F.O. 407/210 No. 41 Op. Cit. (٣٠)

F.O. 407/210 No. 53 Loraine to Henderson, June 16, 1930 — Tel. (٣١)
No. 268.

(٣٢) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية — الحولية السابعة ص ٧٧٤ وما بعدها .

(٣٣) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٧٢١ .

الباب الرابع

الفصل السابع

« دستور ١٩٣٠ والوزارات الملكية »
التجربة الثانية ١٩٣٠ — ١٩٣٤

أربع سنوات فقط كانت قد مضت على فشل تجربة الوزارات الملكية الأولى (يونيو ١٩٢٦) حين عاد القصر ليكرر التجربة (يونية ١٩٣٠) وكما نأ وجوه التشابه بين التجريبتين قد تعددت فان مصيرهما كان نفس المصير ..

ويمكن تسجيل وجوه التشابه فيما يلى :

١ - أن الوزارات الثلاث التى تم تشكيلها فى اطار هذه التجربة (صدقى الأولى وصدقى الثانية وعبد الفتاح يحيى الأولى) ، قد تمت بمبادرات ملكية صرفه ، فالملك فؤاد دون أى سلطة دستورية أخرى ودون أى قوة سياسية ذات تأثير قد انفرد باتخاذ القرار ثم بتنفيذه ، وذلك برغم ارادة البرلمان الوفدى الذى كان قائما وبدون علم الانجليز الذين اعتادوا على التدخل فى مثل هذه المسألة .

٢ - اذا كانت المواجهة على نحو مباشر بين المعارضة الشعبية وبين القصر على عهد الوزارات الزبورية (التجربة الملكية الأولى) أوضح منها على عهد حكومة صدقى التى استأثرت بالنصيب الاوفى من هذه المواجهة فليس مرد ذلك الى أن السيطرة الملكية على الوزارات الصديقة كانت أقل منها على الوزارات الزبورية وانما مرده الى الفروق بين شخصيتى الرجلين .. زيور بشخصيته المرنة اللاهية مما يجعل من الصعوبة أن يكون طرفا فى خصومة عنيفة ، وصدقى بشخصيته الصلبة مما يغرى خصومه أو بالاحرى خصوم القصر على أن يكون هدفا لعنفهم .

وتتبدى طبيعة سيطرة الملك فؤاد على عهد صدقى بوزاراته الثلاث فى أمور كثيرة : فى اختيار صدقى نفسه ، فى الدستور الذى حاول هذا فرضه على البلاد والذى استهدف أساسا توسيع الصلاحيات الملكية ، فى نوعية الوزراء الذين تشكلت منهم الوزارات الثلاث ، ثم فى التخلص من صدقى واحلال عبد الفتاح يحيى محله على صورة لا يمكن وصفها الا بأنها مهينة للأول .

٣ - ثم أن ما قام به القصر على عهد هذه التجربة الجديدة من الوزارات الملكية باقامة حزب جديد موال هو « حزب الشعب » يشبه الى حد كبير ما قام به قبل ذلك من اقامة « حزب الاتحاد » ، فكلا الحزبين قد تشكل بتدبير من القصر تعاونه الوزارة القائمة ، وكلاهما قد تشكل من رجال وقعوا تحت شكل من أشكال الاغراء أو شكل من أشكال التهديد أو بالاحرى تطلعوا الى القصر طمعا فى تحقيق مصلحة أو تجنباً لضياح مصالح .. ثم أن كليهما قد نظر الى الملك أو الى رجاله يستلهمهم الوحي فيما يصنعه ، ويتضح ذلك على وجه حاد وقاطع بما حدث لصدقى نفسه ، الرئيس الأول للحزب ، فما أن تم استبعاده عن رئاسة الوزارة حتى تبع ذلك استبعاده عن رئاسة الحزب واختير خلفه فى رئاسة الوزارة رئيسا للحزب .

{ — وكما واجهت التجربة الملكية الاولى في الوزارات تحالفا من اقوى حزين في البلاد (الوفد والاحرار الدستوريين) فانه بعد انقضاء فترة قصيرة على بدء التجربة الثانية عاد هذا التحالف للظهور بالرغم من اختلاف الزعامات في المرحلتين وبالرغم من الاختلافات المبررة بين الطرفين التي شهدتها المرحلة السابقة لحكومة صدقي وذلك على عهد وزارتي محمد محمود والنحاس باشا بالتوالي .

الا أنه مع كل وجوه الاتفاق السابقة بين التجريبتين الملكيتين فان هناك بعض وجوه الاختلاف مما يجب تسجيله ونحن بصدد الحديث عن تلك التجربة الثانية من تجارب الوزارات الملكية .

الاختلاف الاول : انه بينما جرت التجربة الاولى في ظل حماية بريطانية كفلها ذلك الصدام الذي جرى بين سعد زغلول والبريطانيين نتيجة لحادثة السردار المشهورة ، فان تلك التجربة الثانية قد ترتبت عن حياد بريطاني في الصراع الذي شهدته الاسابيع الاخيرة من عهد الوزارة النحاسية الثانية .

حقيقة أن النحاس باشا قد اتهم الجانب البريطاني بأنه باعلاؤه الحياد في هذا الصراع انما يغري الملك فؤاد بالعصف بوزارته (١) الا أنه مما لا شك فيه أن الموقف يختلف عن الوقوف صراحة ضد الوزارة الوفدية أو التصميم على الاطاحة بها كما حدث على عهد وزارة الشعب .

وتتضح قيمة اختلاف الموقف البريطاني من طبيعة المقاومة الوفدية ضد عهد التجريبتين الملكيتين . . فبينما كانت هذه المقاومة محدودة على عهد التجربة الاولى رغم وجود سعد نفسه على رأس الوفد خلال هذا العهد فانها كانت واسعة النطاق على عهد تجربة صدقي ، ولا شك أن الاحساس بالحياد البريطاني كان وراء اتساع نطاق تلك المقاومة الوفدية .

الاختلاف الثاني : بدا فيما تعلمه القصر كما تعلمه صدقي من التجربة الاولى ، ذلك أن تعطيل الدستور على عهد الوزارتين الزيوريتين ، وهو ما حدث أيضا على عهد وزارة محمد محمود قد منح الوفد ذريعة قوية يستند اليها في مقاومة العهدين المذكورين ، وهي ذريعة الكفاح من أجل الدستور .

ولا شك أن مثل هذا الكفاح كان يمكن أن يجد باستمرار من يدعمه ويؤيده بل ومن يضحى في سبيله من صفوف الشعب ، كما يمكن أن يجد في نفس الوقت آذانا صاغية لدى الرأي العام الاوربي وبالذات الرأي العام البريطاني .

ومن ثم فان التجربة الثانية لم تكن تجربة تعطيل الدستور وانما كانت تجربة تنظيم الدستور على حد تعبير صدقي باشا ، أو كما قال في مذكراته

F.O. 407/210 No. 66 Loraine to Henderson, June 21, 1930 Tel. (1)
No. 282.



اسماعيل صدقى باشا

- ولد في ١٨٧٥ والده أحمد شكرى باشا من كبار رجال الحكومة في عهد اسماعيل وتوفيق .
- تعلم بمدرسة الفرير ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية حتى تخرج منها .
- اشتغل كاتباً للنياحة ثم مساعداً في ايتاى البارود والمحلة وطنطا ثم رئيساً للنياحة بالاسكندرية .
- عمل بمجلس بلدى الاسكندرية حتى أصبح سكرتيراً عاماً للبلدية بها .
- تولى منصب سكرتير عام وزارة الداخلية ١٩٠٨ ثم أصبح وكيلها ١٩١٠ .
- اختير ناظراً للزراعة في فبراير ١٩١٤ .
- تولى رئاسة الوزارة اول مرة ١٩٣٠ وقد تولى هذا المنصب أكثر من مرة بعد ذلك .

« كانت سياستى ان أنظم الحياة النيابية والدستورية تنظيما جديدا يتفق ورأى فى الدستور واستقرار الحكم والقضاء على الفوضى » (٢) .

وعلى ضوء كل تلك الحقائق بدأت التجربة الملكية الثانية وتشكلت وزارة اسماعيل صدقى الاولى .

٤١ — وزارة اسماعيل صدقى الاولى ١٩ يونيو ١٩٣٠ — ٤ يناير ١٩٣٣

فى أعقاب عودة النحاس باشا ووفد المفاوضات من لندن بعد قطع مفاوضات النحاس — هندرسون فقد ساد التوقع بقرب سقوط الوزارة . وقد غذى الشعور بذلك تجارب سابقة لتحطم الوزارات على صخرة فشل المفاوضات (وزارة ثروت الثانية ووزارة محمد محمود الاولى) .

وقد حاولت الوزارة النحاسية تجنب نفس المصير بوسائل متعددة .. منها السعى لاستمرار التفاهم مع الجانب البريطانى سواء بإطلاق التصريحات وأهمها التصريح الذى قال فيه النحاس « لقد خسرنا المعاهدة ولكن كسبنا صداقة الانجليز » ، أو بعدم قطع الاتصالات مع المندوب السامى فى القاهرة بهدف التوصل الى حل لمسألة السودان وهى المسألة التى قطعت بسببها المفاوضات .

على الجانب الآخر فقد نسعت الوزارة الوفدية الى تقليص أظافر القصر مما بدا فى عمليتين .. أولاها قانون بمحاكمة الوزراء الذين يعتدون على الدستور وكان الهدف من ذلك منع تكرار تجربة زيور أو تجربة محمد محمود وثانيتهما منع الملك من تعيين عدد من أنصاره فى مجلس الشيوخ .

وكانت هاتان القضيتان محور الصراع بين الوفد والقصر خلال شهر يونيه ، وكان الموقف البريطانى فيصلا فى هذا الصراع . ولا شك أن السير برسى لورين قد أضاع النور الأخضر للقصر للإطاحة بالوزارة الوفدية عندما أبلغ الجانبين المتصارعين التزامه بالحياد بينهما (٣) . ولا شك أن الوفد قد وعى تلك الحقيقة وهو ما ذكره النحاس فى لقاء له مع المندوب السامى فى أعقاب قبول استقالته من أن الحياد البريطانى كان مستحيلا وأنه ليس له الا معنى واحدا هو ترجيح الكفة الى جانب الملك ، وقد اتهم الرجل الجانب البريطانى بتدمير المفاوضات وتحطيم الوفد نتيجة لمساعدة الملك على فعل فعلته (٤) .

(٢) مذكراتى لاسماعيل صدقى ص ٤٢ .

(٣) F.O. 407/210 No. 59 Loraine to Henderson June; 18, 1930 Tel. No. 275.

(٤) F.O. 407/210 No. 66 Loraine to Henderson June, 21, 1930 Tel. No. 282.

على أى الاحوال فقد قبلت استقالة الوزارة النحاسية الثانية في ١٩ يونيو عام ١٩٣٠ وأعلن في نفس اليوم تشكيل وزارة اسماعيل صدقى الاولى على النحو الآتى :

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| ● اسماعيل صدقى باشا | لرئاسة والداخلية والمالية |
| ● محمد توفيق رفعت باشا | للحربية والبحرية |
| ● عبد الفتاح يحيى باشا | للحقانية |
| ● حافظ حسن باشا | للاشغال العمومية والزراعة |
| ● على ماهر باشا | للمعارف العمومية |
| ● محمد حلمى عيسى باشا | للاوقاف |
| ● حافظ عفيفى باشا | للخارجية (٥) |

وهناك ملاحظتان تتصل بهذا الشكيل الوزارى :

أولاهما :

تركيز السلطة الشديد فى يد صدقى فهو لم يكتف أن يكون رئيسا للوزراء بل قرر فى نفس الوقت أن يكون وزيرا لوزارتين من أهم الوزارات العشر التى تتكون منها الوزارة المصرية وهما وزارة الداخلية — وهى نفس الوزارة التى كان وزيرا لها فى العهد الزبورى والتى قاد منها حملات للاستئثار بالسلطة — حدث بأحمد زيور والملك فؤاد الى الشعور بالراحة لدى التخلص منه أثناء أزمة « الاسلام وأصول الحكم » المشهورة (٦) . بالإضافة الى وزارة المالية التى كان توليها يعنى القدرة على انفاق الاموال لتدعيم سلطة الوزارة والقصر دون تعدد الشخصيات المسؤولة عن ذلك .

ثانيتهما :

ان الوزارة قد حرصت مع بداية عهدها على عدم اعضاء الصيغة الحزبية على نفسها ، حقيقة أن كلا من عبد الفتاح يحيى وحافظ عفيفى كانا من الاحرار الدستوريين الا أن الاول كان قد استقال من الحزب منذ أوائل عام ١٩٢٩ كما أن الثانى قد تقدم باستقالته أيضا فى أعقاب قبوله لمنصب وزير الخارجية فى الوزارة الجديدة .

ويلاحظ المندوب السامى البريطانى فى القاهرة أن الرجلين كانا منذ وقت ، من الجناح الموالى للقصر من رجال الاحرار الدستوريين .. ويقول

(٥) الوقائع المصرية العدد ٥٨ لسنة ١٩٣٠ .

(٦) انظر الملص الثالث الباب الرابع .

ان علاقة عبد الفتاح يحيى الودية بالقصر كانت علاقة قديمة اما حافظ عفيفى فقد تحول الى الالتصاق بالملك منذ عام ١٩٢٩ (٧) .

نفس الموقف التزم به وزراء حزب الاتحاد الذين اشتركوا في الوزارة الصديقة (توفيق رفعت وعلى ماهر ومحمد على عيسى) فقد استقالوا جميعا من الحزب قبيل الدخول في الوزارة أما حافظ حسن باشا فقد كان الوزير الوحيد الذى لم يكن له انتماء حزبي من قبل ، وهو بالاضافة الى علاقته الطيبة بالقصر قد اشترك قبل ذلك في وزارة عدلى الانتقالية وهو ما امله للاشتراك في الوزارة الجديدة (٨) .

* * *

يلاحظ أنه من بين جميع الوزارات التى تألفت منذ صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتى بلغت نيفا وأربعين وزارة فانه لم تحظ وزارة منها بما حظيت به وزارة اسماعيل صدقى الاولى من عداوة شعبية تفجرت في أعمال عنف بالغة خصوصا خلال الجانب الأول من عهد هذه الوزارة .

ثم ان من وجوه التناقض الغريبة أن يكون رد فعل تلك العداوة الشعبية الجارفة عمرا مديدا نسبيا لتلك الوزارة ، ذلك أن عهدها قد طال حتى بلغ أكثر من عامين ونصف وهو عمر لم تعشه أى وزارة أخرى على امتداد الحقبة المذكورة .

ومثل هذا الوضع في حاجة الى تفسير ..

فقد أبدى الوفد مع تشكيل الوزارة الصديقة مقاومة عنيفة لها .. على المستوى البرلماني أولا ثم على المستوى الجماهيري بعد ذلك .. وقد ترتب على هذه المقاومة مجموعة من النتائج يمكن القول بأنها قد أدت في النهاية الى بقاء صدقى ورجاله في السلطة على طول تلك السنوات .

تتصل النتيجة الأولى بموقف الجانب البريطانى .. ففى أعقاب قبول استقالة الوزارة النحاسية التقى الدكتور حامد محمود مستشار المفوضية المصرية بلندن ، ومن رجال الوفد .. التقى بالمستر هندرسون في مجلس العموم يشكو له فيها من أن الأزمة قد نتجت عن التدخل البريطانى وانها تنذر بنتائج وخيمة ، وقد رد عليه وزير الخارجية البريطانى بأنه لو كان الوفد قد وقع المعاهدة لما حدث هذا ولما انتهك الدستور (٩) .

oF.O. 407/212 No. 10 Loraine to Henderson June 27, 1930. Desp. (٧)
No. 622.

Ibid. (٨)

F.O. 407/210 No. 70 Note of conversation by Mr. Dalton, June 23, 1930. (٩)

تبع ذلك أن كتبت لندن الى ممثلها في القاهرة تتحدث عن امكان عودة الوفد على أن تؤخذ عليه الضمانات الكافية بحسن السلوك (١٠) .

رد السير برسي لورين على ذلك بمذكرة طويلة يعدد فيها سقطات الحكومة الوفدية الأخيرة . . منها فصل كبار الموظفين أو نقلهم الى مناصب قليلة الأهمية ، ومنها صبغ الإدارة بالصبغة الوفدية مما أدى الى افتقاد النظام فيها ، ومنها قمع المعارضة ورفض أى نقد ، ومنها تعديل بعض القوانين لصالح الوفد مما صبغ الحزب الكبير بالصبغة الفاشية .

ثم خرج من ذلك الى الحديث عن الجهود التى بذلها الوفد لكسب تأييد الجيش المصرى وما يمكن أن يترتب على ذلك من نتائج خطيرة (١١) .

وتبع المندوب السامى مذكرته السابقة ببرقيتين الى لندن يقترح فيهما السياسة التى ينبغى على بريطانيا اتباعها فى مواجهة الموقف الجديد وقد ظل ما جاء فى هاتين البرقيتين أشبه بدستور بقبت تتبعه السياسة الانجليزية فى مصر حتى انقضاء مدة خدمة السير برسي لورين فيها وبداية عهد السير مايلز لامبسون عام ١٩٣٣ .

جاء فى البرقية الاولى المؤرخة فى ٢٨ يونية عام ١٩٣٠ أن موقف الوفد المعارض للسياسة البريطانية قد بدأ يتضح .

ثم انتقل الى الرد على مطلب حكومته بتوجيه تحذير للملك بعدم الاعتداء على الدستور بأن مثل هذا المطلب سوف يعتبره الملك تدخلا فى الشؤون الداخلية وان ذلك قد يؤدى الى سقوطه .

كما أنه ذكر أن التدخل على نحو أو آخر سوف يؤدى فى النهاية الى مظاهرة جانب على الجانب الآخر وهو ما يجب الا تتورط فيه السياسة البريطانية (١٢) .

أما البرقية الثانية فقد تضمنت تحذيرا مؤداه أن أى ضغط أو انذار للملك قد يؤدى فى النهاية الى قلب الميزان نهائيا لصالح الوفد وأنه سوف يترتب على ذلك الاعتماد تماما على الوفد بكل ما يمكن أن يترتب على ذلك من «آثار مميتة على سياستنا المعلنة» (١٢) .

F.O. 407/210 No. 71 Henderson to Loraine June 24, 1930 Tel. (١٠)
No. 211.

F.O. 407/210 No. 72 Loraine to Henderson June 25, 1930 Desp. (١١)
No. 569.

F.O. 407/210 No. 15 Loraine to Henderson, June 28, 1930 — Tel. (١٢)
No. 292.

F.O. 407/210 No. 76 Loraine to Henderson June 28, 1930 Tel. (١٣)
Unnumbered.

وكان معنى الالتزام بسياسة **عدم التدخل** التى تضمنتها البرقيتان السابقتان للسير لورين أن ترك الميدان للقصر وللوزارة الصديقة يمرحان فيه بقمع المقاومة الشعبية التى فجرها الوفد من ناحية وبإصدار دستور ملكى وخلق حياة برلمانية كانت بدورها حياة برلمانية ملكية ، ووزارة صدقى صنعت بهذا ما لم تصنعه أى وزارة سابقة وما لم تصنعه أيضا أى وزارة لاحقة (١) .

تدرجت سياسة القصر ووزارة صدقى فى مراحل متتالية نسجلها فيما يلى كما نسجل عليها مجموعة من الملاحظات .

١ — بدأت الوزارة الصديقة عهدا باستصدار المراسيم القضائية بتأجيل جلسات مجلسى البرلمان الوفدى لمدة شهر ، وبالرغم من الحماس الجارف الذى اجتاح أعضاء المجلسين وهجومهم العنيف على الوزارة (١٤) إلا أنه قد فاتهم سحب الثقة من الوزارة فى الجلسات التى قرئت فيها قرارات التأجيل مما مهد بعد ذلك لحل البرلمان ، بالطريق الذى أقره دستور ١٩٢٣ ثم التمهيد للإطاحة بهذا الدستور وإحلال دستور بديل .

٢ — استتبع هذا أن بدأ الوفد يقود حركة مقاومة شعبية للوزارة الجديدة خلال الشهر التالى تفجرت فى أحداث عنف بالغة فى الزقازيق فى أول يولييه وفى المنصورة فى ٨ من نفس الشهر ، ثم فى مدن القناة ، وفى السويس ، وفى الاسكندرية بعد ذلك بأسبوع حيث قتل بضع عشرات كما أصيب مئات آخرين أصابات بالغة (١٥) .

بالرغم من ذلك فقد سارت الوزارة فى طريقها لا تلوى على شىء وقد دعم من موقفها قبول الحكومة البريطانية لرد اسماعيل صدقى لتبليغها اليه ولرئيس الوفد بمسئوليتها عن حماية أرواح الأجانب ، والذى جاء فيه بأنه « لا يمكن إلا أن يؤول الا على أنه تدخل بمعنى معين فى الشئون الداخلية » . وكان لهذا القول « شأن كبير جدا فى انجلترا بل فى العالم كله » (١٦) على حد تعبير صدقى باشا .

أما فى مصر فقد أدى تأكيد موقف الحياد البريطانى الى أن تتخذ حكومة صدقى الخطوة التالية بإصدار دستور جديد .

٣ — بالرغم من أن وزارات عديدة قد عمدت الى تعطيل دستور ١٩٢٣ فان وزارة واحدة هى التى لجأت الى استبداله بدستور جديد هى وزارة صدقى والدستور هو دستور ١٩٣٠ .

(١٤) بيان ما حدث فى جلستى مجلس الشيوخ والنواب — انظر أحمد شفيق : الحولية السابعة من ٧٩٢ — ص ٨٢٣ .

(١٥) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ص ١٢٠ — ١٢١ .

(١٦) مذكرات صدقى ص ٤٠ — ٤١ .

يقرر الرجل الغاءه لدستور ١٩٢٣ بأنه كان « منقطع الصلة بالماضى فانه على وجه العموم ، وفيما عدا ما احتفظ به من الانتخابات بدرجتين ليس بينه وبين نظام الجمعية التشريعية أو ما سبقه من نظام مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية سبب أو نسب » (١٧) .

الا أن الحقيقة التي تؤكدتها دراسة الدستورين دراسة مقارنة هي أن الهدف من وراء وضع الدستور الجديد كان تدعيم سلطة القصر على الحياة السياسية في مصر تماما . باختصار فانه كما كانت الوزارة الصديقة وزارة ملكية فان الدستور الذى وضعته هذه الوزارة كان بدوره دستورا ملكيا . . أو على حد تعبير صحيفة الأحرار الدستوريين ، (السياسة) التي شاركت في الهجوم على الدستور الجديد فأسمته دستور الحكومة بينما أسمت دستور ١٩٢٣ دستور الأمة (١٨) .

٤ — لم يبق بعد ذلك سوى تطبيق دستور ١٩٣٠ . ولما كانت وزارة صدقى هي التي صنعت هذا الدستور فقد كان لزاما عليها أن تصنع برلمانا له ، ولما كان مطلوبا أن يشغل هذا البرلمان رجال من حزب الحكومة فقد كانت آخر خطى الوزارة صنع هذا الحزب .

وعلى هذا الأساس فقد تشكل في نوفمبر هذا الحزب المنبثق من ارادة الحكومة والمعادى لكل مشاعر الشعب والذي لم يجد صدقى ، زيادة في السخرية ، اسما للحزب الجديد سوى اسم الشعب فأسماه « حزب الشعب » . وقد ألفه رئيس الوزراء وشغل منصب الرئاسة فيه وأصدر له صحيفة هي صحيفة « الشعب » ويسجل أحد المعاصرين ممن اشتغلوا في هذه الصحيفة رأيه في الحزب فيقول « كان وجود رئيسه في الحكم قد ساعد على أن يتهافت عليه العمد والأعيان وأصحاب المصالح وعباد السلطان وهم كثيرون لسوء الحظ » (١٩) .

وتجرى الانتخابات لتكوين البرلمان طبقا للدستور الجديد وتقاطعها الجماعتان السياسيتان الرئيسيتان في البلاد . . الوفد والأحرار الدستوريون وتشارك فيها أحزاب القصر (الشعب والاتحاد) بالإضافة الى الحزب الوطنى الذى اتسمت علاقته بالقصر عموما بالود خلال تلك المرحلة . . ويصف نفس المراقب هذه الانتخابات بأنها كانت « أشبه ما تكون بالتمثيلية اشترك فيها رجال الادارة اشتركا فعليا . ورتبوا الناجحين وغير الناجحين وجاء البرلمان طبقا لهوى الحكومة ولكنه أصبح في واد والشعب كله في واد » (٢٠) .

وقد انتهت الانتخابات بأن اتخذت الوزارة الصديقة في النهاية شكلها الدستورى ، ولكن أى شكل هذا الذى اصطبغ بانعكاس الأوضاع .

(١٧) المذكرات السابقة ص ٤٢ .

(١٨) محمد حسين هيك : مذكرات في السياسة المصرية ص ٣٢٥ .

(١٩) محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور « بيروت ١٩٧٣ » ص ٧٩ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٨١ .

فبدلاً من أن ينبثق البرلمان عن الدستور وتنبثق الوزارة عن البرلمان وهو الشكل الدستوري المعروف إذ بالدستور ينبثق عن الوزارة التي تقوم بدورها بتأليف برلمان (على المقاس) لها وللدستور الجديد (!) .

استمرت المقاومة الشعبية للوزارة خاصة بعد أن انضم الأحرار الدستوريون للوفد واستمرت في نفس الوقت سياسة القمع من جانب الوزارة الصديقة لهذه المقاومة إلى حد ألف معه الطرفان هذه الأوضاع . . الحكومة الفت الحزبين الكبيرين يجاهدان ضدها . وزعماء الحزبين وجماهير الشعب ألفوا أن تقوم الحكومة كل يوم بعمل من أعمال الإرهاب . . من مصادرة الصحف إلى تقديم أقطاب الحزبين للمحاكمة إلى مصادرة حريات الجماهير المشتركة في حركة المقاومة ضدها .

إلا أن العاميين التاليين (١٩٣١ ، ١٩٣٢) قد شهدا مجموعة من التغييرات كان لها أثرها سواء في علاقة الأطراف المتصارعة (الوزارة وخصومها) أو في وضع الوزارة نفسها مما يمكن تسجيله فيما يلي :

أولاً : أن استمرار سياسة الإرهاب الحكومية قد أدت بالمقاومة الشعبية إلى سلوك سبيل كانت قيد لجأت إليه إبان ثورة ١٩١٩ وبلوغ الحركة الوطنية مداها . ذلك هو سبيل الاغتيال السياسي وتدمير المنشآت العامة مما انتشرت محاولاته خلال عام ١٩٣١ (٢١) .

ثانياً : طغت في أوائل ١٩٣٢ فكرة بتأليف وزارة قومية . وقد تزعم هذه الفكرة وأخذ يدعو لها محمد محمود رئيس الأحرار الدستوريين .

إلا أن الوفد أو بالأحرى قسم من زعامته يضم النحاس ومكرم وماهر والنقراشي قد اعترض على الفكرة ورأى ضرورة المضي في المقاومة إلى أن تبلغ هدفها بإسقاط الوزارة الصديقة .

وقد ترتب على هذا الاعتراض نتيجتان : أولاهما غض التحالف بين الوفد وأحرار الدستوريين ، وثانيتهما خروج عدد من زعماء الوفد عليه وهو الانشقاق الذي عرف في تاريخ الحزب الكبير بانشقاق السبعة ونصف (!) .

وقد مهدت هذه الأحداث الكبيرة إلى تغييرات في الوزارة بل وإلى تأليف الوزارة الثانية .

٤٢ — وزارة اسماعيل صدقي الثانية ٤ يناير — ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ :

كان المفروض أن يعيد صدقي تشكيل وزارته مع إجراء الانتخابات وتشكيل البرلمان الجديد بهدف التقدم إليه لنيل ثقته وعرض سياسة وزارته إلا أن

(٢١) عبد العظيم رمضان : تنطور الحركة الوطنية في مصر من ٧٥٠ — ٧٥١ .

شيئا من هذا لم يحدث مما يؤكد ما تمت الإشارة اليه من أن البرلمان كان وليد ارادة الوزارة لا العكس .

وفي مطلع عام ١٩٣٣ اعاد صدقي تشكيل وزارته ولكن لأسباب بعيدة كل البعد عن الرغبة في نيل ثقة البرلمان . . ذلك أن عام ١٩٣٢ كما ذكرنا قد شهد انفضاض التحالف بين الاحرار الدستوريين من ناحية وبين الوفد من ناحية أخرى بالإضافة الى ما حدث خلاله من انشقاق كبير في الوفد . . وقد أدى كل ما أصاب المعسكر المعادي للقصر والوزارة الى تفكك بعض التماسك الذي ظل الملك ووزارة صدقي يرون أنه سبيلهم لمواجهة موجات العداء الشعبي .

وقد حدث هذا التفكك لسببين :

أولهما : تقاذف الاتهامات بين الوزراء بقصرفات مالية مشبوهة (٢٢) .

ثانيهما : حادثة البداري . . فقد قتل مأمور مركز البداري في مارس ١٩٣٢ ، وعندما استأنف القاتلان الحكم الصادر على أحدهما بالاعدام وعلى الثاني بالاشغال الشاقة أمام محكمة النقض أصدر عبد العزيز باشا فهمي حكمه والذي كان ادانة كاملة للإدارة وللعهد الصدقي بأكمله . . فقد صور هذا الحكم ما ترتب على تسامح الحكومة مع موظفي الإدارة من « معاملتهم الناس بالبطش غاية البطش . بطش تخطى العنف الى التعذيب في أقبح صور التعذيب » على حد تعبير الدكتور هيك (٢٣) .

وقد أدى ما تكشف في تلك القضية واستقالة وزير الحقانية على ماهر بسببها بالإضافة الى التفكك الذي أخذ يصيب بنيان الوزارة الى تقديم صدقي لاستقالة وزارته الأولى وقد تضمنت الاعتراف بأن « الوئام وحسن التفاهم اللذين كانا رائد الوزارة في القيام بأعباء الحكم ، فضلا عن كونهما من أهم عوامل نجاحها فيه قد أصابهما في الآونة الأخيرة شيء من الوهن الأمر الذي يترتب عليه استعصاء قيامي بالواجب الوطني الاسمي الذي تفضلتم جلالتم باسمناده الى » (٢٤) .

وأعقب ذلك تكليف الملك لصدقي بتشكيل وزارته الثانية التي تألفت على النحو الآتي :

- | | |
|---------------------|-------------------------|
| ● اسماعيل صدقي باشا | وزيرا للداخلية والمالية |
| ● محمد شفيق باشا | وزيرا للاشغال العمومية |
| ● أحمد على باشا | وزيرا للحقانية |
| ● حافظ حسن باشا | وزيرا للزراعة |

(٢٢) F.O. 407/216 No. 42 Lorraine to Simon Dec, 10, 1932 Desp. No. 1983.

(٢٣) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٢٥٢ .

(٢٤) الوقائع المصرية العدد ٢ لسنة ١٩٣٣ .

- نخلة المطيعى باشا
- محمد حلمى عيسى باشا
- ابراهيم فهمى كريم باشا
- على جمال الدين باشا
- محمد مصطفى باشا
- وزير للخارجية
- وزير للمواصلات
- وزير للمعارف العمومية
- وزير للحربية والبحرية
- وزير للأوقاف (٢٥)

والواضح أن التشكيل الجديد لوزارة صدقى — أو ما أسمى وزارة صدقى الثانية — بينما استبعد العناصر المناوئة لرئيس الوزراء أو التى ألقى عليها بعض التهم فى قضية البدارى أو قضايا الفساد المالى فإنه قد استبدلها بعناصر أكثر خنوعا وليس لها ماضى سياسى يذكر ، هذا من ناحية ، كما أنها كانت أكثر اتصالا بالقصر من ناحية أخرى .

ولم تحظ الوزارة الصدقية الثانية بالاستقرار أو بطول العمر الذى حظيت به وزارة صدقى الأولى .

صدقى نفسه نتيجة للاجهاد وضغط العمل الذى حمل عبئه على كتفيه ما يقرب من ثلاث سنوات اعتلت صحته فى ربيع عام ١٩٣٣ وكان مطالبا بالسفر الى الخارج للعلاج .

فى نفس الوقت فان التحالف الذى كان قائما بين حزبى القصر فى البرلمان الصدقى (حزب الشعب وحزب الاتحاد) قد بدأ فى التمزق منذ نفجر قضية البدارى . وخروج على ماهر قطب حزب الاتحاد القديم من الوزارة (٢٦) .

دعا ذلك صدقى الى اجراء حركة تعديلات فى وزارته الجديدة ، ولم يكن قد انقضى على تشكيلها سوى أقل من شهرين .

وبمقتضى هذا التعديل خرج وزيران من الوزارة هما حافظ حسن باشا وزير الزراعة ومحمد مصطفى باشا وزير الأوقاف ، وقد تضمنت استقالتهما المبرر التقليدى لاستقالة الوزراء فى مصر .. الظروف الصحية (!) .

ودخل بديلا عنهما ثلاثة وزراء .. محمد علام باشا وزيرا للزراعة وعلى المنزلاوى وزيرا للأوقاف ومحمود فهمى القيسى باشا وزيرا للداخلية .

وتفسر لنا الوثائق البريطانية كما يفسر لنا الكتاب الذى رفعه صدقى باشا للملك مطالبا بالتعديل الوزارى أسباب وطبيعة هذا التعديل .

(٢٥) الوثائق المصرية العدد ٣ لسنة ١٩٣٠ .
F.O. 407/217 (1) No. 39 Campbell to Simon March 13, 1933 Tel. (٢٦)
No. 66.

علام باشا والمنزلاوى بك وكيلا مجلس النواب ويقول صدقى انه اختارهما « لتوثيق عرى التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية (٢٧) » وتبرر المصادر البريطانية في القاهرة التعديل بمخاوف كل من الملك وصدقى باشا من العجز عن السيطرة على مجلس النواب خلال فترة غياب الأخير في الخارج للعلاج وأن تعيين علام والمنزلاوى قد يبدد هذه المخاوف على أساس أن الأول ذو تأثير قوى في حزب الشعب بينما يتمتع الثانى بتأثير مشابه في مجلس النواب (٢٨) .

في نفس الوقت فإن تعيين القيسى باشا في وزارة الداخلية قد استهدف منه التخفيف عن رئيس الوزراء المريض الذى استمر محتفظا بوزارة المالية وحدها لأنه ، كما قال : « لا يزال أمامى عمل متواصل في وزارة المالية حيث تدعو مشكلات الأزمة العالمية الى مزيد العناية (٢٩) » .

وسافر صدقى باشا للعلاج وخلال غيابه حدثت أشياء وأشياء كانت كلها تؤدي الى نهاية عهده في الوزارة ثم الى نهاية عهد دستور ١٩٣٠ الذى وضعه ..

أول هذه الأشياء استفحال نفوذ القصر خلال غياب صدقى في الخارج ، أو كما تقول مصادر دار المندوب السامى في القاهرة في أبريل أنه « بعد غياب صدقى للعلاج فإن السلطة الوحيدة المؤثرة في الوزارة قد أصبحت القصر (٣٠) » وكما يقول صدقى باشا في مذكراته أنه أثناء غيابه برز رجل القصر « زكى الابراشى باشا » الذى « أخذ يبت نفوذه ويتدخل في شئون الحكم . ولما عدت من أوروبا وجدت الحال لا يطاق (٣١) » .

في نفس الفترة وفي أغسطس عام ١٩٣٣ على وجه التحديد قررت الحكومة البريطانية نقل السير برسى لورين مندوبها السامى في القاهرة وتعيين السير مايلز لامبسون محله ، واتخذ هذا النقل كدليل على قرب تغير السياسة الانجليزية في مصر ، كما حدث مع تفيير « لويد » من قبل مما دعا صدقى باشا الى أن يصرح وهو في باريس بأنه يود أن يتابع المندوب السامى الجديد في مصر بسياسة الحياد كالسير برسى لورين فلا يتدخل في السياسة المصرية لأن هذه الخطة وحدها أوجدت في مصر كثيرا من السكينة والطمأنينة (٣٢) .

ونتيجة لكل ذلك فإن صدقى قد قرر وهو في الخارج أن يقدم استقالته حالما يعود الى مصر وهو ما عبر عنه لبعض المصادر البريطانية مبديا امتعاضه الشديد من اتساع نطاق تدخل القصر في شئون الحكم (٣٣) .

(٢٧) الوقائع العدد ٢٤ لسنة ١٩٣٣ .
(٢٨) 407/217 (1) No. 46. Campbell to Simon, March 17, 1933. Desp. No. 265.

(٢٩) الوقائع ، نفس العدد السابق .
(٣٠) F.O. 407/217 (1) No. 55 Campbell to Simon April 25, 1933. Tel. No. 95.

(٣١) مذكرات صدقى، ص ٥٩ .
(٣٢) عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٧٦٣ .
(٣٣) F.O. 407/217 (1) No. 17 Simon to Campbell Aug. 28, 1933 Tel. 168 Most Secret.



عبد الفتاح يحيى باشا

- ولد ونشأ بالاسكندرية والده احمد باشا يحيى من كبار رجالها ومن انصار الوفد المصرى منذ تأسيسه .
- درس الحقوق وتقلب بين وظائف القانون ثم انصرف الى السياسة .
- انضم الى حزب الشعب لدى انشائه ١٩٣٠ وانتخب وكيله .
- عين وزيرا بوزارات اسماعيل صدقى واستقال فى يناير ١٩٣٣ بسبب حادثة البدارى .
- تولى رئاسة الوزارة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ واستقال فى نوفمبر ١٩٣٤ .

وفعلا تقدم الرجل بهذه الاستقالة في أعقاب عودته الى البلاد في أوائل سبتمبر الا أن الملك استمهله لبعض الوقت ثم لم يلبث بعد نحو أسبوعين وفي ٢١ سبتمبر أن قبل استقالة وزارة صدقي الثانية نتيجة لاختلاف بسيط حول تعيين حسن صبرى باشا ، فبينما كان صدقي يرغب في تعيينه وزيرا للمواصلات أو أى وزارة أخرى أصر الملك على أن يعين وزيرا للمالية ولم يرضخ صدقي لاصرار القصر فقدم استقالته وذهب لتتشكل ثالث وزارات عهد دستور ١٩٣٠ .

٤٣ - وزارة عبد الفتاح يحيى الأولى سبتمبر ١٩٣٣ - ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ :

يعجب المعاصرون من الطريقة التى نحى بها صدقي عن رئاسة الوزارة ، ويرون أن أقل ما توصف به هذه الطريقة هو الجحود لرجل « سخر كل مواهبه وكل مجهوده وكل ذكائه ونشاطه للغرض الذى القى عليه(٣٤) » .

ولكن لا تلبث الوثائق البريطانية أن تكشف لنا عن وجهة نظر الملك ، ففى لقاء تم بين الملك فؤاد وبين السير برسي لورين فى ٤ نوفمبر ١٩٣٣ بعد عودة الأخير من بلاده التى كان فيها أثناء التغيير الوزارى . . فى هذا اللقاء يسوق الملك سبباً معقولاً ، من وجهة نظره على الأقل ، لما قام به من التخلص من حكومة صدقي .

يقول الملك أن مركز صدقي كان قد زاد تأثيره فى البلاد الى الحد الذى أصبح يخشى معه أن يتحول الى دكتاتور ، وأنه - أى الملك - لم يكن ليوافق على تركيز السلطة فى أيدي شخص بعينه على النحو الذى تركزت به فى أيدي صدقي(٣٥) .

أما صدقي نفسه فإنه قد شعر أن افتعال القصر للزمة التى أودت بوزارته على هذا النحو إنما هو الثمن الذى كان عليه أن يدفعه نتيجة لسياسته هو شخصياً بتقوية السلطات الملكية على النحو الذى قويت به بمقتضى دستور ١٩٣٠ ، وهو ما صرح به بدوره للمندوب السامى البريطانى حين شكك من زيادة تدخل القصر فى تفاصيل الإدارة وفى مختلف التعيينات فى مناصب الدولة « واختفاء الرقابة الدستورية الفعالة على أعمال الملك(٣٦) » .

وكان صدقي محقاً فى هذه الشكوى لأنه بعد التخلص منه تكونت فعلاً وزارة قصر تماماً سواء من حيث التشكيل أو من حيث السياسة .

وقد كلف رئيسها بتشكيلها وهو خارج مصر ، وكما يسجل المراقبون فى تلك المرحلة « عرف الناس أسماء الوزراء قبل أن يحضر عبد الفتاح باشا فلما حضر وقع مراسيم التأليف(٣٧) » .

(٣٤) محمد حسين هيك : المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
F.O. 407/217 (11) No. 45 Loraine to Simon Nov. 4, 1933 Desp. (٣٥).
No. 967.

id

(٣٦)

(٣٧) محمد حسين هيك : المصدر السابق ص ٢٥٣ .

على أى الاحوال فقد تشكلت وزارة عبد الفتاح يحيى الأولى على النحو الآتى :

- عبد الفتاح يحيى باشا
 - أحمد على باشا
 - محمد نجيب الغرابلى باشا
 - محمد حلمى عيسى باشا
 - ابراهيم فهمى كريم باشا
 - محمود فهمى القيسى باشا
 - على المنزلاوى بك
 - صليب سامى بك
 - عبد العظيم راشد باشا
 - حسن صبرى بك
- للمراسلة والخارجية
للحقانية
للاوقاف
للمعارف العمومية
للمواصلات
للاخلية
للزراعة
للحربية والبحرية
للاشغال العمومية
للمالية (٢٨)

والملاحظ أن كل رجال وزارة عبد الفتاح يحيى كانوا من أعضاء وزارتي صدقى فيما عدا ثلاثة .. محمد نجيب الغرابلى وعبد العظيم راشد وحسن صبرى .

بالنسبة للأول فقد كان من ضمن المنشقين عن النحاس وزعامة الوفد فى الانشقاق الأخير بل كان أولهم أن لم يكن أهمهم ، ومن ثم فإن تعيينه فى الوزارة الجديدة كان بمثابة مكافأة له على سلوكه وكان فى نفس الوقت تشجيعا لغيره .

أما عبد العظيم راشد فلا يجد نائب المندوب السامى فى القاهرة وصفا يصفه به أقل من أنه « رجل الملك تماما (٢٩) » ، يبقى « حسن صبرى » وهو بالإضافة الى علاقة الولاء التى تربطه بالملك فؤاد فإن رغبة الملك فى تعيينه كانت وراء الاصطدام بوزارة صدقى واستقالته ومن ثم ما تم من تعيينه فى الوزارة الجديدة له دلالة خاصة وهى أن رغبة الملك هى العليا وهى التى تنفذ فى النهاية .

وسارت الوزارة الملكية الجديدة فى طريقها وقد شغل رئيسها فى بداية عهده بقضيتين ..

أولاهما : تقليم اظافر سلفه — صدقى باشا — فبعد ابعاده عن رئاسة الوزارة كانت الرغبة قوية فى ابعاده عن رئاسة حزبها ، أى حزب الشعب ،

(٢٨) الوقائع المصرية العدد ٨٧ لسنة ١٩٣٣ .
(٢٩) F.O. 407/217 (11) No. 31 Campbell to Simon Sept. 27, 1933 Tel. No. 186.

وقد نجح في ذلك أو كما عبر أحد كتاب صحيفة الحزب وقتذاك بقوله « وشهد اسماعيل صدقي بعينه المولود الذي صنعه يعقه ويخرج عن طاعته ، بل ويبتعد عنه الى درجة أن يعاديه(٤٠) » . أما صدقي بأشياء فلم يكن له الا أن يقول أمام هذا التحول سوى أنه « طلق الحزبية »(٤١) — على حدد تعبيره .

ثانيتهما : السعى الى التقرب للأحزاب المعارضة ان لم يكن بهدف تعويدها على الوضع القائم فعلى الأقل بهدف الايقاع بينها . . الا أن هذه المحاولة لم تبلغ أهدافها ذلك أن تلك الأحزاب قد ظلت على معارضتها وعلى كشف مساوئ الوزارة(٤٢) .

وكان أهم ما كشف عنه في هذا الصدد المقاولات التي دخلها المالى الكبير أحمد عبود في هذا العهد وما ثبت من أن بعض الوزراء كان ضالعا معه فيها والتي وصل الأمر الى عرضها على ساحة القضاء فيما عرف بقضية « نزاهة الحكم » والتي أساعت كثيرا الى صورة الوزارة .

(٤٠) محمد زكى عبد القادر : المصدر السابق ص ٨١ .
(٤١) مذكرات صدقي ص ٥٧ .
(٤٢) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٣٦٢ — ٣٦٣ .

الباب الرابع

الفصل الثامن

الوزارات الدستورية – المرحلة الثالثة
١٩٣٣ – ١٩٣٧

خلال شهر أكتوبر عام ١٩٣٤ ، وكان المرض يشتد بالملك فؤاد بينما كانت رئاسة الديوان خالية في ظل دستور صدقي المشهور الذي أعطى للملك صلاحيات كبيرة ، تفجرت الأزمة التي أودت بوزارة عبد الفتاح يحيى باشا بل أودت بعهد دستور ١٩٣٠ . وانتهت التجربة الملكية الثانية والأخيرة من تجارب الوزارات الملكية .

ذلك ان عناصر غير مسئولة في القصر قد انتهزت فرصة مرض الملك فأتخذت لنفسها صلاحيات لا يخولها اياها وضعها الوظيفي . مما دفع المستر بيترسون نائب المندوب السامي البريطاني في القاهرة الى التدخل ليقيم طلبين محددين :

أولهما : شغل منصب رئيس الديوان الملكي ، الذي كان شاغرا وقتذاك وحتى يتمكن البريطانيون من التعامل مع شخصيات مسئولة في القصر على حد تعبيرهم .

ثانيهما : اقالة وزيرين ممن عرفنا بتبعيتهما الشديدة للقصر وبأنهما أدواته في الوزارة .

ولا شك أن دوافع عديدة كانت وراء الجانب البريطاني في تخليه عن سياسة الحياد التي التزم بها على امتداد سنوات عهد دستور ١٩٣٠ ، منها ما اتصل بضعف وزارة عبد الفتاح يحيى ، مما تمت الإشارة اليه في الفصل السابق ، ومنها ، ذلك التدخل السافر ، من جانب القصر للسيطرة على الوزارة . ثم ما يترتب على ذلك ، وهو ما أقلق الانجليز فعلا ، من احتمال عودة الاضطرابات الشعبية ، وقد عبر عن ذلك احد المسئولين البريطانيين في القاهرة وقتذاك بقوله « من السهل دائما تغيير سياسة القصر في أربع وعشرين ساعة ، لكن الاحتفاظ بجو الهدوء والسكينة في البلاد لا يدرك دائما بمثل هذه السهولة (١) » ، وكان واضحا آنذاك أن جو الهدوء والسكينة هذا على وشك التداعي نتيجة لعودة النشاط الوفدي في مقاومة عهد دستور ١٩٣٠ في صيف عام ١٩٣٤ . فقد قام النحاس في أغسطس بجولة في كل من بورسعيد والاسماعيلية والزقازيق تذكر التقارير البريطانية أنه قد ترتب عليها اضطرابات خطيرة (٢) .

* * *

(١) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ٢٦٨ .
F.O. 407/217 (IV) No. 5 Lampson to Simon Aug. 3, 1934 Desp.
No. 698.

(٢)

رد رئيس الوزراء على المطلب البريطاني بان سأل المستر بيترسون تأجيل بحث المسائل التي تضمنته متعللا في ذلك بمرض الملك وبعدم ملائمة الوقت لبحثها (٣) .

وفي هذا الوقت تصور القصر بدوره انه يستطيع ان يمارس نوعا من الضغط على الانجليز. شبيها بذلك الذي يمارسه الوفد ، ذلك ان الوزيرين اللذين طلب الجانب البريطاني ابعادهما قد تقديما باستقالتيهما الا ان رئيس الوزراء ابقى قبول هاتين الاستقالتين وطلب منهما البقاء في الوزارة .

ثم تبع ذلك ان اخذ القصر وحزب الشعب في تنفيذ خطته باثارة الجو ضد المطلب البريطاني باعتباره تدخلا في شئون مصر الداخلية مما يتعارض مع استقلالها ومع ما جاء في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ (٤) .

الا ان محاولة الاثارة هذه لم تنجح ، لاكثر من سبب :

١ — ان الوفد وهو الحزب القادر على تحريك المشاعر القومية رفض اى اسهام فيها ، ذلك ان تفاهما مسبقا كان قد تم بين الانجليز والحزب الكبير ففى ٥ اكتوبر وفي لقاء بين مكرم عبيد والسكرتير الشرقى لدار المندوب السامى اقترح الاول فرض حكومة برئاسة توفيق نسيم على الملك (٥) ، وبعد ذلك بأسبوع وفي لقاء بين النحاس والمستر بيترسون أكد زعيم الوفد ان حزيه لن يعترض على تدخل بريطاني لتشكيل حكومة برئاسة توفيق نسيم (٦) .

وقد اسبت صحيفة « البلاغ » الوفدية ما تدعيه حكومة عبد الفتاح يحيى بأنه : « تهديد مزعوم من جانب الحكومة البريطانية لاستقلال مصر (٧) » ، ونصحت صحف الوفد الأخرى الوزارة بان تتعاطى الدواء الذى تصفه وهو أن تستقيل (!) .

٢ — ان صحيفة « التايمز » البريطانية ذات العلاقات الوثيقة بوزارة الخارجية لوححت للملك فؤاد مهدة بأنه يجب ان يتخلى عن سلطته الأوتوقراطية (٨) ، وقد فهمت دوائر عابدين ما جاء في مقال الصحيفة الانجليزية .

(٣) F.O. 407/217 (IV) No. 33 Peterson to Simon Oct. 20, 1934 Tel. No. 272.

(٤) جريدة الشعب في ٢٧ ، ١٩٢٤/١٠/٢٨
(٥) F.O. 307/217 (IV) No. 33 Peterson to Simon Oct. 5, 1934 Desp. No. 867.

(٦) F.O. 407/217 (IV) No. 38 Peterson to Simon Oct. 12, 1934 Desp. No. 878.

(٧) البلاغ في ١٩٢٤/١٠/٢٤ .

(٨) التايمز في ١٩٢٤/١٠/٢٤ نقلا عن البلاغ بنفس التاريخ .

ووصل الأمر الى حد أن تواترت الاشاعات عن « تبليغ بريطاني » في الطريق (٩).

* * *

دعا كل هذا القصر الى التراجع ، وتمت أولى الخطوات في هذا الطريق عندما صدر « الأمر الكريم » بتعيين « أحمد زيور » رئيسا للديوان الملكي في ٢٧ أكتوبر ١٩٣٤ .

وكان هذا التعيين بما عرف عن علاقات زيور الودية بدار المندوب السامي ما خفف من حدة الأزمة بعض الشيء ، وكما وصفه مراسل « الديلي هيرالد » في القاهرة بأنه انثناء « عن موقف الصلابة وعدم التسليم الذي كانت تتخذه الحكومة والقصر » (١٠) .

الا أن هذه الخطوة التي تصورها القصر وتصورتها الوزارة كافية لانهاء الأزمة لم تنظر اليها دار المندوب السامي نفس النظرة . فقد ظل الجانب البريطاني مصمما على السير في طريقه الى النهاية ومصرًا على تنفيذ مطلبه الثاني بإبعاد من طلب أبعاده من الوزراء يدفعه الى ذلك اليقين بأن الرأي العام المصري لا يساند الوزارة أو القصر ، وعلى حد تعبير مراسل التايمز في القاهرة أنه « لم يحدث قط من قبل في تاريخ العلاقات المصرية — البريطانية أن أتاحت فرصة كهذه للحكومة البريطانية لعمل شيء يطابق أتم المطابقة احساس المصريين ويضع العلاقات بين الأمتين على قاعدة أبعث على الرضى » (١١) كما يدفعه في نفس الوقت الشعور بأن استمرار التدخل في هذه المسألة أقل خطرا على السياسة البريطانية من الاستمرار في حيادها الذي احتفظت به خلال الحقبة السابقة ، يضاف الى ذلك المخاوف التي انتابت دار المندوب السامي في القاهرة من احتمالات وفاة قريبه للملك فؤاد ، الذي كانت صحته في تدهور مستمر آنذاك ، مما رأت معه أن عليها أن تواجه الموقف قبل تلك الوفاة لا بعدها (١٢) .

وتمت بالفعل الاستجابة للمطلب الثاني بأن وضع الوزيران المطلوب أبعادهما استقالتيهما أمام الملك (١٣) .

وتصور القصر أنه قد نجح بهذا في تجاوز الأزمة ، ففي لقاء بين زيور والمستر بيترسون في ٢ نوفمبر تساءل الأول عما اذا كان ما تم بالاستجابة للمطالب البريطانية قد أدى الى حل الأزمة ؟ ولدهشته كانت الاجابة بالسلب

(٩) البلاغ في ١٩٣٤/١٠/٢٧ .

(١٠) البلاغ في ١٩٣٤/١ / ٢٩ .

(١١) نقلا عن البلاغ في ١٩٣٤/١٠/٢٠ .

(١٢) F.O. 407/217 (IV) No. 44 Peterson to Simon Oct. 25. 1934 Tel. No. 282.

(١٣) F.O. 407/217 (IV) No. 48 Peterson to Simon Nov. 2, 1934 Tel. No. 293.

فلم يعد يرضى البريطانيون أقل من استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى وتشكيل وزارة برئاسة توفيق نسيم ، وهو ما أفضى به المستر بيترسون صراحة في هذا اللقاء (١٤) .

من جانب آخر فإن عبد الفتاح يحيى رفض أن يطلع القائم بأعمال المندوب السامي (١٥) على أسماء المرشحين لمجلس الوصاية على العرش وأخضت دار المندوب السامي نقلمس المأخذ على الوزارة وتتهمها بأنها شجعت على استعمال اللغة العربية في المحاكم المختلطة ، وأنها قررت حق القضاة المصريين في رئاسة بعض الدوائر في تلك المحاكم ، وأنها رفضت تعيين موظف بريطاني كبير في وزارة المعارف العمومية وأنها حلت قومسيون بلدية الاسكندرية وأغلب أعضائه من الأجانب .. الخ .

ولم يكن هناك مناص على ضوء كل تلك الظروف من تقديم الوزارة لاستقالتها في ٦ نوفمبر ١٩٣٤ بعد أن أشارت في كتاب الاستقالة إلى تدخل الانجليز بقولها « انه في الشهر الأخير والمصريون جميعا يضرعون الى الله أن يتم لجلالتكم أسباب الصحة ، ابلغت رغبات للحكومة البريطانية لا يسعني قبولها دون التفريط في حقوق البلاد .. » وقبل الملك الاستقالة في ١٤ نوفمبر .

٤٤ — وزارة توفيق نسيم الثالثة ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ — ٣٠ يناير ١٩٣٦ :

أهم ما في استقالة وزارة « عبد الفتاح يحيى » انها تؤرخ لنهاية العهد الذي عرف بعهد صدقي أو عهد دستور ١٩٣٠ ، فقد كان واضحا بعد كل الاضطراب الذي خلقه هذا العهد ، ومع معارضة أكبر القوى الشعبية والسياسية له ممثلة في الوفد والأحرار والدستوريين ، ومع الأحداث التي ألمت بالجو السياسي الدولي من استيلاء هتلر على السلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣ ومن ظهور نيات موسوليني .. كان واضحا بالنسبة للسياسة البريطانية في مصر أنه لابد من التغيير .

وتبدو نوعية هذا التغيير والاصرار عليها من متابعة المناقشات التي دارت خلال الأيام التي أعقبت استقالة الوزارة والبحث في تأليف الوزارة الجديدة ، فبينما عرض القصر أسماء مختلفة مثل « على ماهر » أو « حافظ عفيفي » إلا أن الاتجاه الانجليزى من جانب واتجاه الحزبين الكبيرين من جانب آخر ظل على تمسكهما بتوفيق نسيم رئيسا لها .

F.O. 407/217 (IV) No. 49 Peterson to Simon Nov. 2, 1934 Tel. (١٤)
No. 294.

F.O. 407/217 (IV) No. 37 Peterson to Simon Oct. 21 1934 Tel. (١٥)
No. 275.

وقد انبعث اختيار توفيق نسيم من دافعين ، فضلا عن ولائه الكامل للسياسة البريطانية (١٦) :

أولهما :

انه رفض تأييد دستور صحتى منذ البداية ، ويعنى ذلك أن توليه الوزارة يحمل معه النية على انتهاء عهد هذا الدستور .

ثانيهما :

ان المعارضة وعلى رأسها الوفد أيدت الرجل باعتباره من العناصر القادرة على أن تقود مرحلة التحول والعودة الى دستور ١٩٢٣ .

وقد اذعن القصر لهذا الاتجاه الذى تبناه كل من المنحوب السامى البريطانى والأحزاب المعارضة وكلف توفيق نسيم بتأليف الوزارة الجديدة .

الا ان الرجل علق قبوله للمهمة بشروط . تعطيل دستور ١٩٣٠ ، وحل البرلمان القائم ، واجراء انتخابات جديدة . وبعد مفاوضات بين القصر وبين نسيم باشا اتفق الطرفان على حل وسط يتضمن مسألتين :

أولاهما :

اهمال يمين الولاء لدستور عام ١٩٣٠ وهى اليمين التى يتحتم على الوزارة حلفها .

وثانيتهما :

تعطيل البرلمان (١٧) .

وصدر المرسوم الملكى بتشكيل الوزارة الجديدة فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٤ على النحو الآتى :

للىاسة والداخلىة

● محمد توفىق نسىم باشا

للىالىة

● أحمء عبء الوهاب باشا

للىقسانىة

● أمىن أنىس باشا

F.O. 407/217 (IV) No. 35, Lampson to Simon, April 37, 1934 Desp (١٦)
No. 380.

F.O. 407/217 (IV) No. 60 Peterson to Simon Nov. 13 1934 Tel. (١٧)
No. 308.

- كامل ابراهيم بك للخارجية والزراعة
- عبد العزيز محمد بك للاوقاف
- احمد نجيب الهلالي بك للمعارف العمومية
- عبد المجيد عمر بك للاشغال العمومية والمواصلات
- محمد توفيق عبد الله باشا للحربية والبحرية (١٨)

وكان رأى توفيق نسيم باشا في وزارته انه قد شكلها من مجموعة من الموظفين والمستقلين وذلك حتى يتجنب الصراعات الحزبية داخلها مما قد يهدد الاستقرار الذى تحتاج اليه البلاد في فترة الانتقال التى أزمعت الوزارة القيام به (١٩) .

وكان رأى الجانب البريطانى الذى نتج عن تدخله التغير الوزارى مختلفا ، فقد أعرب المستر بيترسون في برقية له الى لندن في أعقاب تأليف الوزارة عن خيبة أمله في هذا التأليف وكان رايه أن أغلبية الوزراء ليسوا من القوة بقدر يكفى لوقوفهم سواء في مواجهة القصر أو في مواجهة الوفد (٢٠) .

أما قوة المقاومة الرئيسية ممثلة في الوفد فقد كان رضاؤها واضحا عن تشكيل الوزارة النسيمية ، فتحدثت صحيفة البلاغ أقوى صحف الحزب الكبير ومن أكثرها تعبيرا عن رايه عن هذا التشكيل فتذكر ما عرف عن « نجيب الهلالي » وزير المعارف من اتصال بالوفد ، كما تذكر أن كامل ابراهيم بك وزير الزراعة والخارجية كان عضو اليمين في محكمة الجنائيات التى أصدرت حكمها ببراءة الدكتور أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى في قضية الاغتيالات السياسية ، ثم تتحدث عن أن محمد توفيق عبد الله وزير الحربية قد اشتهر أثناء فترة عمله بمصلحة السجون بحسن معاملته للمسجونين السياسيين (٢١) وكان أغلب هؤلاء من رجال الوفد .

ومع أن وزارة نسيم باشا الثالثة كانت وزارة انتقال من عهد الى عهد ، فإن تطورات بالغة الأهمية حدثت ابان حكمها ، وأن لم يكن لها فضل فيها . فقد أعيد دستور ١٩٢٣ وتألقت الجبهة القومية تمهيدا للدخول في مفاوضات لعقد المعاهدة ، واستعادت الأحزاب والتنظيمات الشعبية قدرتها وتأثيرها .

كان أول عمل للوزارة ، إلغاء دستور ١٩٣٠ وحل مجلس النواب والشيوخ القائمين على أساسه ، بيد أن هذا الإلغاء لم يلحق فورا بأحياء دستور ١٩٢٣ بل بقى الأمر معلقا ثلاثة عشر شهرا دارت خلالها مشاورات ومفاوضات ومناورات بين الملك ورئيس الحكومة والمندوب السامى البريطانى ،

(١٨) الوثائق المصرية العدد ١٠٠ لسنة ١٩٣٤ .

(١٩) F.O. 407/217 (IV) No. 60 Peterson to Simon Nov. 13, 1934 Tel. No. 308.

(٢٠) F.O 407j217 (IV) No 62 Peterson to Simon Nov. 15, 1934 Tel. No. 311.

(٢١) البلاغ في ١٩٣٤/١١/١٥ .

وانتهت بالنزول على رغبة الأمة ، بعد انتفاضة وطنية راح ضحيتها الكثيرون من أبناء الشعب .

وذلك لان نسيم باشا لم يكن راضيا عن دستور ١٩٢٣ ، قال هذا في مذكرة رفعها الى الملك وهو رئيس لديوانه ، ولم يكن راضيا عن دستور ١٩٣٠ وأكد في حديثه مع سير مايلز لامبسون المندوب السامي البريطاني ، انه يعتزم التقدم بمشروع دستور وسط بين القديم والجديد (٢٢) . .

وبعد تردد دام خمسة أشهر تقدم رئيس الوزارة بمذكرة الى الملك في ١٧ أبريل يقترح فيها اعادة دستور ١٩٢٣ منقحا ، أو وضع دستور جديد واجاب الملك في ٢٠ أبريل بايثار دستور ١٩٢٣ وفزع نسيم باشا الى المندوب السامي وأطلععه بصفة سرية على هاتين الوثيقتين فأمر بمنع نشرهما وكان تعليق وزير الخارجية البريطانية على هذا التصرف ان نسيم باشا لم يكن موافقا في اثاره هذا الموضوع ورغم هذا فان لندن ترغب في الاحتفاظ به رئيسا للوزارة وتساءل عن مدى نفوذه وقدرته على مناهضة الملك فؤاد لمنع تصرفاته الضارة وذهبت حكومة لندن الى التفكير في فرض وصاية على الملك في حياته (٢٣) .

وتجمد الموقف طوال الصيف ، رئيس الحكومة يتجاهل القصر بناء على نصيحة الانجليز ويراوغ الوفد في شأن الدستور أملا في أن يتقدم بمشروع وسط بين دستور ١٩٢٣ — ودستور ١٩٣٠ الى أن هددته النحاس باشا في ١٩ أكتوبر بسحب ثقة الوفد من الوزارة وتحديها تحديا سافرا اذا لم تعد دستور ١٩٢٣ فورا ، وتطلب المشروع في مفاوضات لعقد المعاهدة .

واستمرارا في مساندة الانجليز لنسيم باشا اقترح السفير البريطاني على حكومته اصدار تصريح لتهدئة الخواطر ، وجاء تصريح سير صمويل هور في ٩ نوفمبر مخيبا للآمال . وخطب النحاس باشا في ١٣ نوفمبر فاستعرض مواقف الضعف في وزارة نسيم باشا وطالب باقالتها وأعلن مقاطعة الانجليز . أما محمد محمود باشا رئيس الأحرار الدستوريين فقد وصف الوزارة بأنها « مكتب موظفين ملحق بدار المندوب السامي » .

وقامت في القاهرة وفي طنطا وبعض المدن الأخرى مظاهرات صاخبة وتصدى البوليس لطلبة الجامعة يوم ١٤ نوفمبر عند كوبرى عباس ، وقتل طالبان وأصيب نحو عشرين شخصا ، وكانت كما وصفها المؤرخ عبد الرحمن الراعى صورة مصغرة من ثورة ١٩١٩ (٢٤) .

ازاء هذه الهبة الشعبية ، اضطر وزير الخارجية البريطانية الى تصحيح قوله بتصريح آخر في ٥ ديسمبر ولكن المحاولة لم تجد نفعا . فقد تجددت

F.O. 407/218 No. Lampson to Simon January 17th 1935 Desp. (٢٢)
No. 52.

F.O. 407/218 No. 59 Simon to Lampson, April 24 Desp No. 1935 (٢٣)
Tel. No. 145.

(٢٤) في اعقاب الثورة ، جزء ٢ صفحة ٢٠٢ .

مظاهرات الاحتجاج وبعث المندوب السامي الى حكومته يعترف بفشل السياسة البريطانية القائمة على التماهى فى تأييد نسيم باشا للبقاء فى الحكم بعد أن أصبح فى معزل عن القوى السياسية المؤثرة فى البلاد (٢٥) فقد تخلى عنه حزب الوفد وعارضه الأحرار الدستوريون وكذلك الحزب الوطنى ، بل أن حزب الشعب الذى ألغى رئيسه دستور ١٩٢٣ ، انضم الى المطالبة بعودة هذا الدستور — فلم يبق لنسيم باشا من سند سوى ولائه للانجليز وعدائه للملك .

وتشير الوثائق البريطانية الى حديث جرى بين الملك والمندوب السامي يوم ١٠ ديسمبر أكد فيه الملك على أنه « ما كان يريد اطلاقا تعيين نسيم باشا رئيسا للحكومة وأن الانجليز هم الذين اختاروه » .

واستطرد الملك قائلا أن نسيم باشا « أخطأ فى تستره أولا وراء الملك ثم وراء المندوب السامي فى المسألة الدستورية وأنه لابد من اعتزاله (٢٦) » .

وفى هذا الحديث انبرى المندوب السامي للدفاع عن نسيم باشا ولكنه انتهى الى الموافقة على أن « التغيير أمر مستحب » وهنا سأل الملك عما يترشح خلفا لنسيم باشا . ولم يشأ المندوب السامي أن يرتبط بشخص معين فقال له الملك « أنه متفتح الذهن ولذلك فقد يعين على ماهر أو محمد محمود أو حتى النحاس باشا » .

ولقد أدى ضغط الأحداث الخارجية . واضطراب الأحوال الداخلية الى تأليف الجبهة المتحدة وتم تشكيلها يوم ١٢ ديسمبر من مصطفى النحاس ومحمد محمود واسماعيل صدقى ويحيى ابراهيم وحافظ رمضان وعبد الفتاح يحيى وحمد الباسل وحافظ عفيفى .

وتقدمت الجبهة بكتابين أولهما الى الملك طالبت فيه باعادة الدستور والثانى الى المندوب السامي طالبت فيه بالشروع فى المفاوضات لعقد المعاهدة .

وصدر الأمر الملكى فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ باعادة دستور ١٩٢٣ بناء على رغبة الأمة ، وقد أغفل الإشارة الى الكتاب المرفوع من نسيم باشا والذى تضمن دفاعا وتمجيذا لوزير الخارجية البريطانية ..

وبمجرد ورود موافقة الحكومة البريطانية فى ٢٠ يناير ١٩٣٦ على الدخول فى مفاوضات لعقد المعاهدة استدعى الملك نسيم باشا وأمره بتقديم استقالته « لأنه ليس لديه برلمان يؤيده (٢٧) » .

F.O. 407/218 No. 33 Lampson to Hoare, Nov. 26, 1935 Tel. (٢٥)
No. 607

F.O. 407/218 No. 41 Lampson to Hoare, Dec. 10, 1935 Tel. (٢٦)
No. 659.

F.O. 407/219 No. 15 Lampson to Eden, Jan. 22, 1936 Tel. No. 62. (٢٧)

وختاما لتاريخ هذه الوزارة فان المندوب السامي اقترح على وزير الخارجية البريطانية ان يبعث برسالة تقدير شخصي الى نسيم باشا . وقد اعتذرت لندن عن عدم الموافقة على هذا الاقتراح لأن ذلك « قد يضاف الى ما ينسب لنسيم باشا من ولائه الشديد للانجليز (٢٨) » .

٤٥ — وزارة على ماهر الأولى ٣٠ يناير — ٩ مايو ١٩٣٦ :

شهد عهد الوزارة النسيمية اضطراب الأحوال الدولية والغزو الايطالى الحبشى وتأثيراته القوية على الراى العام المصرى من جهة وعلى السياسة الانجليزية من جهة أخرى وما ترتب على ذلك من امكانية ان يقدم الطرفان تنازلات معينة ليلتقيا فى منتصف الطريق .

وفى اطار هذه التطورات تكونت فى مصر « الجبهة المتحدة » لتضم جميع الاحزاب على أساس ان جولة جديدة من المفاوضات مع الحكومة البريطانية قادمة وأن هذه الجولة فى ظروف مختلفة .

وتقدمت الجبهة المتحدة فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بطلبات محددة الى دار المندوب السامى تطلب فيها العودة الى مشروع معاهدة النحاس — هندرسون عام ١٩٣٠ باعتباره أساسا للاتفاق بين الطرفين .

ولم تلبث الحكومة البريطانية ان ردت على طلب الجبهة فى ٢٠ يناير عام ١٩٣٦ تبدي فيه استعدادها للمفاوضة .

وكان هذا الرد كما سبقت الإشارة اليه ، ايزانا بتقديم استقالة وزارة توفيق نسيم بعد أن أدت مهمتها لاخلاء الطريق امام الوزارة القومية التى يراد تأليفها لتتولى المفاوضات وتتعقد المعاهدة .

وتقدمت الوزارة النسيمية باستقالتها فى ٢٢ يناير عام ١٩٣٦ بعد أن عبر الملك عن رغبته فى تأليف حكومة تمثل الأمة دون حاجة لانتظار نتيجة الانتخابات .

وبالفعل دعا القصر النحاس باشا لتشكيل وزارة ائتلافية ، الا أن الوفد رفض هذا المطلب ، ، وقد بنى رفضه على حجتين :

١ — ان الائتلاف يخالف مبادئ الوفد لأنه قد جربه قبل ذلك وفشل .

٢ — ان تمثيل الوحدة الوطنية سيتم فى اطار وفد المفاوضات لا فى داخل الحكومة ، وذلك بوعد من النحاس أنه اذا احرز الوفد الاغلبية البرلمانية ومفاوض بريطانيا يكون فى وفد المفاوضات أعضاء من الجبهة المتحدة (٢٩) .

F.O. 407/218 No. 45 Hoare to Lampson, Der. 12, 1935 Tel No. 519. (٢٨).

(٢٩) فى ٢٣/١/٣٦ نقلا عن البلاغ بنفس التاريخ .



على ماهر باشا

- ولد سنة ١٨٨٢ ابن محمد ماهر باشا وكيل وزارة الحربية ومحافظ القاهرة .
- تعلم بالمدرسة الخديوية وتخرج من مدرسة الحقوق ١٩٠٥ .
- اشتغل بالمحاماة ثم عين قاضيا بمحكمة مصر .
- انضم للثورة ١٩١٩ وعين ١٩٢٣ ناظرا لمدرسة الحقوق فوكيلا لوزارات المعارف والمالية فالحقانية ثم عين رئيسا للديوان الملكي .
- تولى رئاسة الوزارة لأول مرة ١٩٣٦ وشكل وزارته الثانية ١٩٣٩ .
- حددت اقامته ١٩٤٢ بتهمة عدم التعاون مع سياسة الحلفاء ثم رفع ذلك قرب أواخر الحرب .
- عين في ٢٣ يولية ١٩٥٢ رئيسا للوزارة وقام بتسلم تنازل الملك عن العرش . وفي ١٣ يناير ١٩٥٣ عين عضوا ثم رئيسا للجنة مشروع الدستور .

وقد جرت محاولات سعى فيها كل من الجانبين الى محاولة اقناع الجانب الآخر بوجهة نظره . فعلى ماهر باشا رئيس الديوان الملكى آنذاك يحاول اقناع الوفد بضرورة الحكومة الائتلافية على أساس أن أى اتفاق مع بريطانيا لابد أن ينال موافقة جميع الاحزاب (٢٠) ، ويرفض الوفد الفكرة ويصمم على موقفه . يؤدى ذلك بالقصر الى محاولة اعفاء النحاس من رئاسة الوزارة الائتلافية التى يرفضها على أن تكون برئاسة شخصية قوية من المحايدين ويشترك فيها الوفد . ويرفض الوفد هذه الفكرة بدورها (٢١) .

يدعو ذلك الملك الى التفكير لتأليف وزارة من كافة الاحزاب غير الوفدية ومن الشخصيات القيادية فى هذه الاحزاب ويوافق كل من صدقى ومحمد محمود على الفكرة (٢٢) .

رد الوفد على هذه المناورات بعملية « استعراض للعضلات الشعبية » فتفجرت مظاهرات من طلبة الجامعة والمدارس وانهقدت المؤتمرات الشعبية وقدمت العرائض للملك (٢٣) .

ايقافا لهذا التصاعد كان لابد من الاتفاق الذى تم التوصل اليه فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ بعد أكثر من أسبوع من تقديم نسيم باشا استقالته وقد تضمن هذا الاتفاق خمس نقاط هى :

- ١ — تكوين وزارة محايدة .
- ٢ — القيام فورا باجراء مفاوضات تستهدف عقد المعاهدة .
- ٣ — أن يتشكل وفد المفاوضات فى جانب منه من الوفد وفى جانب آخر من سائر الاحزاب على أن يكون برئاسة النحاس باشا .
- ٤ — أن تجرى الانتخابات لتشكيل برلمان جديد فى ٢ مايو .
- ٥ — أن يتولى رئيس الديوان « على ماهر » رئاسة الوزارة الجديدة لما أبداه من حياد فى اتصالاته خلال الأزمة الأخيرة (٢٤) .

وتشكلت وزارة على ماهر الاولى على النحو الآتى :

- | | |
|-----------------------|-----------------------------|
| ● على ماهر باشا | للرئاسة والداخلية والخارجية |
| ● أحمد على باشا | للحقانية والاقواف |
| ● حافظ حسن باشا | للاشغال العمومية |
| ● محمد على علويه باشا | للمعارف العمومية |

F.O. 407/219 No. 17 Lampson to Eden Jan. 23, 1936 Tel. No. 72. (٢٠)

F.O. 407/219 No. 20 Lampson to Eden Jan. 26 1936. Tel. No. 81. (٢١)

F.O. 407/219 No. 22 Lampson to Eden Jan. 27 1936. Tel. No. 84. (٢٢)

(٢٣) البلاغ فى ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ١٩٣٦/١/٢٠ .

F.O. 407/219 No. 25 Lampson to Eden. Jan. 30, 1936. Tel. No. 97. (٢٤)

للمواصلات وللتجارة والصناعة

● حسن صبرى بك

للمالية

● أحمد عبد الوهاب باشا

للزراعة

● صادق وهبه باشا

للحربية والبحرية (٢٥)

● على صدقى باشا

وكانت أمام وزارة على ماهر مهمتان محددتان ..

أولاهما : تشكيل هيئة المفاوضات ، وقد تشكلت باتفاق بين الأطراف المعنية المصرية من رؤساء أحزاب الوفد والأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد وثلاثة من المستقلين وخمسة من الوفديين .

وقد حاول الانجليز التدخل فى هذه المسألة ذات الصبغة المصرية تماما وذلك برفض قبول أحمد ماهر عضوا من أعضاء هذا الوفد . وقد جرت فى هذا الشأن اتصالات بين السير لامبسون وبين حكومته وقف هو فيها الى جانب عدم التدخل فى هذه المسألة بإبعاد شقيق رئيس الوزراء تجنباً لإحراج هذا الأخير (٢٦) .

وقد جرت اتصالات فى هذا الصدد بين السير لامبسون وعلى ماهر انتهت بإبلاغ المندوب السامى الانجليزى لرئيس الوزراء المصرى أن الحكومة البريطانية قد تخلت عن كل معارضة لها فى هذا الشأن (٢٧) .

ثانيتهما : اجراء انتخابات عامة حرة بهدف تشكيل برلمان جديد وكما كان منتظرا نال الوفد كالعادة أغلبية ساحقة . . ففى مجلس النواب حصل الوفد على ١٦٦ مقعدا بينما حصلت سائر القوى الأخرى من الحزبيين أو المستقلين على ٦٦ مقعدا فقط ، وفى مجلس الشيوخ نجح من الوفديين ٦٢ شيخا بينما نجح من غيرهم ١٥ شيخا فقط (٢٨) .

ومع أن مهمة الوزارة كانت انتقالية ، فان ماهر باشا أعد ونفذ برنامجا ضخما للإصلاحات الادارية والقانونية . كما وفق الى حسم الخلاف وتوقيع معاهدة أعاد بها العلاقات الودية مع المملكة العربية السعودية .

ولعل أهم مشكلة واجهت على ماهر هى الاجراءات المترتبة على وفاة الملك فؤاد وضرورة اتمام الانتخابات للنواب والشيوخ ، وتعيين الأوصياء ، وتعيين خمسى أعضاء مجلس الشيوخ . كل ذلك فى ظرف عشرة أيام من تاريخ الوفاة كما يقضى بذلك دستور ١٩٢٣ .

وكان على الوزارة بعد أن أدت مهمتها المحدودة بمائة يوم ، التخلّى عن الحكم لعودة وزارة وفدية أخرى .

(٢٥) الوقائع المصرية ، العدد ١٢ لسنة ١٩٣٦ .

(٢٦) F.O. 407/219 (1) No. 29 Lampson to Eden Feb. 1, 1936. Tel. No. 110.

(٢٧) F.O. 407/219 (1) No. 33 Lampson to Eden. Feb. 4, 1936. Tel.

No. 113.

(٢٨) البلاغ فى ٨ مايو ١٩٣٦ .

٤٦ — وزارة مصطفى النحاس باشا
الثالثة ٩ مايو ١٩٣٦ — ٣١ يولية ١٩٣٧ :

انتهى عهد وزارة على ماهر المحايدة في أواخر أبريل عام ١٩٣٦ ،
بحدثين كبيرين :

أولهما : ما سبق ذكره مما كان من صنع الوزارة وخطتها بإجراء الانتخابات
التي نال فيها الوفد الاغلبية الساحقة .

ثانيهما : كان من صنع القدر ومشيبته وذلك حين توفي الملك فؤاد في
٢٨ أبريل ١٩٣٦ وغاب عن ميدان السياسة المصرية شخصية رئيسية
ظلت تلعب أدوار البطولة خلال أغلب السنوات السابقة منذ أن تولى العرش
قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان .

وكان لابد أن يتمخض عن تواكب هذين الحدثين صورة جديدة . وقد نبعت
ملامح هذه الصورة أساسا من اعتقاد الوفد أن الجو قد خلا وأنه قد أصبح
القوة الرئيسية الداخلية على مسرح السياسة المصرية وأن عليه أن يشغل
دور البطولة الذي طالما حرمه منه البطل الذي رحل .

ومن هذا الاعتقاد ظهر موقف الوفد المتشدد خلال الفترة القصيرة التي
انقضت بين وفاة الملك (٢٨ أبريل) وتأليف الوزارة النحاسية الثالثة
(٩ مايو) .

وقد بدا هذا التشدد واضحا في مسألة الوصاية ذلك أنه كان لابد بعد وفاة
الملك من فتح الوصية التي تركها لتنفيذها .

وظهرت اتجاهات لاضفاء الدستورية على هذا العمل وهو : أما أن تتولى
الوزارة القائمة (وزارة على ماهر) المهمة المذكورة على أساس أنه لا يوجد
برلمان قائم بالفعل بعد أن ألغت وزارة توفيق نسيم دستور عام ١٩٣٠
وحلت البرلمان الذي كان قائما على أساسه وبالتالي تولت الوزارة مهام
البرلمان ، وأما أن يسمح بعودة البرلمان الملغى عام ١٩٣٤ ليقوم بفتح الوصية .

ورفض الوفد الاتجاهين ونقدم بأحد حلين : فاما العودة الى برلمان
١٩٢٩ — ١٩٣٠ باعتباره آخر البرلمانات التي انعقدت على أساس دستور
١٩٢٣ وهو الدستور القائم واما انتظار تشكيل البرلمان الجديد الذي كانت
تجرى انتخاباته في نفس الوقت الذي ودع فيه الملك الحياة . ونجح الوفد
بالفعل في فرض الحل الثاني .

وبعد اجراء الانتخابات عقد البرلمان الوفدى أولى جلساته لفتح وصية
الملك الراحل ، وقد وجد أن تاريخها يعود لأربع عشرة سنة سابقة (٢١
يونية ١٩٢٢) ، وقد تضمنت ثلاثة أوصياء (٣٩) ، مات أحدهم مما دعا حزب

(٣٩) هم محمد توفيق نسيم ومعللى يكن ومحمود نخرى .

الاجلبية الى ان ينتهز الفرصة متعللا بعدم الوصية وعدم امكان تطبيقها ليختار اوصياء جدد .

وبالرغم من ان النحاس باشا لم ينجح في تحقيق رغبته بوضع توفيق نسيم ضمن الاوصياء الجدد الا انه نجح في منع ترشيح احمد زيور باشا من ان يعين كأحد الأوصياء ملوحا بأن البرلمان سوف يرفض قبول تعيين الرجل (٤٠) وأمام هذا تم اختيار كل من الامير محمد علي وعزيز عزت باشا وشريف صبرى باشا كأوصياء على العرش الى حين بلوغ الملك فاروق سن الرشد .

ولا شك ان مسألة اختيار هؤلاء الأوصياء والطريقة التي تمت بهما بعد ابطال وصية الملك كان لها مجموعة من الدلالات يمكن رصدها فيما يلي :

١ — فهي بمثابة آخر انتصار دستوري احرزه الوفد على الملك فؤاد ، ولو بعد وفاته .

٢ — وهي ايضا بمثابة تحذير للملك الجديد ، بأن الدستور هو الذي ينتصر دائما في النهاية وأنه ليس امامه سوى اتباع طريقه .

٣ — وهي أخيرا « فضل » اسبغه الوفد على أعضاء مجلس الوصاية الجدد على أساس أنهم من اختياره .

ومع كل هذه التغيرات تشكلت الوزارة النحاسية الثالثة في ٩ مايو عام ١٩٣٦ على النحو الاتي :

الرئاسة ووزارة الداخلية	● مصطفى النحاس باشا
وزارة الصحة العمومية	● واصف بطرس غالى باشا
الخارجية	● عثمان محرم باشا
الاشغال العمومية	● محمد صفوت باشا
الاوقاف	● مكرم عبيد
المالية	● محمود فهمى النقراشي
للمواصلات	● احمد حمدي سيف النصر بك
للزراعة	● محمود غالب بك
للحقانية	● على فهمى باشا
للحربية والبحرية	● عبد السلام فهمى محمد جمعة بك
للتجارة والصناعة	● على زكى العرابى بك
للمعارف العمومية (٤١)	

F.O. 407/219 (1) No. 77 Lampson to Eden. May 5, 1936 Tel. (٤٠)
No. 388.

(٤١) الوقائع المصرية ، العدد ٥٩ لسنة ١٩٣٦ .

وأهم ما يلاحظ على تشكيل الوزارة النحاسية الثالثة اصطباغها بالصبغة الوفدية تماما ، وهو شيء طبيعي ، إلا أن ذلك دعا السير لامبسون الى انتقادها ووصفها بأنها تنقسم بالشكل الحزبي الضيق (٤٢) .

لم توات وزارة وفدية ظروف مناسبة أو على الأقل كما تصور زعماء الوفد بقدر ما واثت وزارة النحاس الثالثة ، والأسباب ما ارتأته الزعامة الوفدية من أنه لأول مرة وفي صراع السلطة التقليدي ترجح كفة الحزب الشعبي عن كفة القوتين الآخرين .

القصر : كان مهبط الجناح آنذاك بحكم الوفاة القريبة للملك وصغير سن الملك الجديد الذي لم يكن قد تولى بعد سلطاته الدستورية وضعف مجلس الوصاية الذي يعلم أعضاؤه أن مهمتهم موقوتة وأنهم لن يلبثوا أن يتخلوا عن أماكنهم بعد شهور قليلة .

الانجليز : فإن ما تم التوصل اليه بعقد معاهدة الصداقة والتحالف والتي مرغت بمعاهدة عام ١٩٣٦ في أغسطس من تلك السنة قد جعلت امكانيات تدخلهم في المسائل المصرية الداخلية محدودة للغاية والآن اتهموا بخرق المعاهدة التي كان مدادها لم يجف بعد .

ومن ثم فإن ما جرى خلال عهد الوزارة النحاسية كان يستهدف تأكيد هذه الحقيقة وعلى أكثر من مستوى .

أولا : بإهمال القصر تماما مما دفع بالأوصياء الى الشكوى لدار المندوب السامي من تجاهل الوفد لهم في كل شيء وأن « النحاس باشا يهدف بوضوح الى اقامة دكتاتورية وأنه يعمل على التقليل من سلطة القصر الى أدنى حد بل أنه من المحتمل أنه يسعى الى القضاء عليها تماما » (٤٣) .

ثانيا : بالسعى الى الاستيلاء على السلطة في القصر نفسه ، فقد تضمن الخطاب الذي وجهه النحاس الى مجلس الوصاية بمناسبة تأليف وزارته أنه بهدف توثيق العلاقة وتدعيم الثقة بين القصر والامة واقتداء بالأمم ذات التقاليد البرلمانية فإنه ينوى اقامة « وزارة للقصر » .

ويرى المندوب السامي البريطاني أن الهدف من وراء ذلك أن يسيطر الوفد تماما على القصر حيث يصبح وزيره سياسيا يتبع الوزارة في الاتجاه الذي تسير فيه كيفما كان (٤٤) .

وبالرغم من أن الأوصياء كانوا على وشك الاستسلام لارادة الوزارة إلا أن التدخل البريطاني السافر قد منع ذلك وقد وصلت المسألة الى ما يشبه

F.O. 407/219 (1) No. 82 Lampson to Eden. May 11, 1936 Tel. (٤٢)
No. 413. .

F.O. 407/219 (11) No. 16 Kelly to Eden. Aug. 30, 1936. Tel. (٤٣)
No. 86.

F.O. 407/219 (1) No. 82 Lampson to Eden. May 11, 1936. (٤٤)

الازمة بين الجانبين وان كان قد تم التوصل الى حل وسط بشأنها بانشاء منصب الوكيل البرلماني لشئون القصر واختيار عبد الفتاح الطويل لهذا المنصب وتقرر ان يكون مقر صاحب هذا المنصب في رئاسة الوزراء لا القصر . وان يعمل كمعاون لرئيس الوزراء في شئون القصر بدلا من العمل على مسئوليته ، وهو بهذا يحقق الاهداف الاساسية من وظيفة وزير القصر دون ان يقلل من هيبة الملك (٤٥) .

ثالثا : السعى لأن يكون للوفد قوة شعبية ذات تنظيم شبه عسكري يضرب بها خصومه أو على الأقل يضرب بها أى محاولات متجددة للعبث بالدستور .

صحيح أن هذه الجماعة التي عرفت « بجماعة القمصان الزرقاء » قد تأسست منذ عهد وزارة توفيق نسيم وذلك لمقاومة استقطاب الشباب داخل جماعة « القمصان الخضراء » التي أسستها جمعية مصر الفتاة آنذاك إلا أنها قد ازدادت من حيث الحجم وتنوعت من حيث أوجه النشاط خلال عهد الوزارة النحاسية .

وبالرغم من المحاولات الانجليزية لوقف النمو المتزايد لأصحاب القمصان الزرقاء بل لحل تنظيقاتهم إلا أن هذه المحاولات قد ضعفت كثيرا بعد التصديق على معاهدة ١٩٣٦ وسار الوفد في طريقه لا يلوى على شيء ينفذ خطته بجعل أصحاب القمصان الزرقاء مليشيا مسلحة تدافع عنه ضد أعدائه وضد أعداء الدستور (٤٦) .

وفي هذا الجو وفي ٢٩ يولييه عام ١٩٣٧ تولى الملك الشاب فاروق الأول سلطاته الدستورية وانطوى عهد وبدأ عهد جديد كان للوزارة النحاسية بل وللتاريخ الوزاري فيه شأن آخر .

F.O. 407/219 (1) No. 132 Lampson to Eden. June 23, 1936.

(٤٥)

(٤٦) انظر بحث د. يونان لبيب رزق : أصحاب القمصان الملونة في مصر ١٩٣٣ - ١٩٣٧ ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢١ .

الباب الخامس

الوزارات في عهد الملك فاروق
١٩٣٦ — ١٩٥٢

الفصل الأول

استمرار المرحلة الثالثة
من « عهد الوزارات الدستورية »
يوليو — ديسمبر ١٩٣٧

مع تولية « فاروق الأول » ملكا على مصر في ٢٩ يوليو عام ١٩٣٧ ولخمس عشرة سنة كاملة بعد ذلك (حتى ٢٦ يولييه ١٩٥٢) فان عهدا جديدا قد بدأ في البلاد واتسم بمجموعة من السمات الجديدة أثرت على نحو أو آخر في الوزارة المصرية يمكن تسجيلها فيما يلي :

١ — أدى عقد المعاهدة في أغسطس ١٩٣٦ الى التأثير على القوى المؤثرة في الوزارة المصرية .

بالنسبة للجانب البريطانى فان تدخلاته لاسقاط وزارات أو تأليف وزارات جديدة قد تغيرت ظروفه .

فظروف التدخل البريطانى كدولة حليفة تقيدها مواد معاهدة تختلف على وجه التأكيد عن ظروف هذا التدخل سواء في الفترة التي سبقت اصدار تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ أو في الفترة التي تلت اصداره .

ففي الفترة السابقة على تصريح ٢٨ فبراير ظلت بريطانيا كدولة محتلة أو كدولة حامية صاحبة القرار الاخير في مسألة تشكيل الوزارات أو اسقاطها وكانت غير مستعدة لقبول اشتراك أى قوة أخرى في هذا القرار مما يتضح من مواقفها العديدة في هذا الشأن والذي وصل الى حد تهديد الخديو عباس الثانى بالخلع سنة ١٨٩٣ أثناء أزمة وزارة فخرى المعروفة .

ثم انه في الفترة التي تلت فبراير ١٩٢٢ ظلت الوزارات تتحطم سواء على صخرة التدخل البريطانى (وزارة سعد ١٩٢٤ — وزارة زيور ١٩٢٦ — وزارة عبد الفتاح يحيى ١٩٣٤) أو على صخرة فشل المفاوضات المصرية — البريطانية (وزارة ثروت ١٩٢٧ — وزارة محمد محمود ١٩٢٩ — وزارة النحاس ١٩٣٠) ، بمعنى آخر فان الوجود البريطانى ظل من أهم عوامل التأثير في التاريخ الوزارى في مصر .

وتختلف الظروف بعد ١٩٣٦ فقد أصبحت العلاقات البريطانية — المصرية تحكمها معاهدة واضحة الشروط ، ثم ان مصر بعد دخولها عصبة الأمم في أعقاب عقد المعاهدة قد امتلكت مقومات الدولة التي طالما حرمتها منها الوجود البريطانى . . وكان التدخل السافر في مسألة داخلية مثل اسقاط الوزارات أو تأليفها يمكن أن يثير عاصفة من الانتقادات داخل مصر وخارجها باتهام البريطانيين بالتدخل في شئون مصر الداخلية وبيانتهاء شروط المعاهدة التي وقعوا عليها وكانوا حريصين أشد الحرص على عدم الظهور بهذا المظهر .

ولا نكاد نعثر على أى محاولات للتدخل السافر من الجانب البريطانى في مصر لتغيير الوزارات بعد ذلك الا أثناء الحرب العالمية الثانية (اسقاط



الملك فاروق

وزارة على ماهر ١٩٤٠ — حادث ٤ فبراير ١٩٤٢) الا أن هذا التدخل قد حكمته بلا شك ظروف الحرب . وفيما عدا ذلك لا نرى الانذارات التي تعود البريطانيون تقديمها من قبل كما لا نرى أيضا استخدام القوة المسلحة أو التلويح باستخدامها وهو ما رأيناه في أكثر من مناسبة لاسقاط الوزارات قبل ذلك .

مع تقلص حجم التدخل البريطاني تصور الطرفان الآخران في ميدان الصراع على الوزارات أن هذا التقلص قد تم لحسابه ، وكان من الطبيعي أن يترتب على ذلك حدة الصراع بين هذين الطرفين على نحو أقوى كثيرا مما كان خلال عهد الملك فؤاد وكان هذا الصراع أشد ما يكون خاصة خلال الفترة الأولى من عهد الملك فاروق فيما ظهر سواء في اقالة الوزارة النحاسية الرابعة أو في حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ أو في اقالة الوزارة النحاسية السادسة ١٩٤٤ .

ثم أن توقيع معاهدة ١٩٣٦ وما بدا معه من أن القضية الوطنية قد حلت فإن الوفد قد فقد سببا من أهم أسباب قوته بل من أهم أسباب وجوده .

ولا شك أنه مع مرور الوقت كانت هذه الحقيقة تزداد تأكيدا سواء نتيجة لظهور قوى سياسية أخرى ذات طبيعة شعبية (الإخوان المسلمون — الشيوعيون — مصر الفتاة) وهى طبيعة ظل ينفرد بها الوفد حتى عام ١٩٣٦ ، أو نتيجة لابعاد الوفد عن الحكم لفترات طويلة بلغت في مرة من المرات نحو ست سنوات (أكتوبر ١٩٤٤ — يناير ١٩٥٠) .

٢ — يأتى بعد ذلك **اختلاف شخصية الملك « فاروق الأول »** عن شخصية الملك « فؤاد الأول » وأثر ذلك في مواجهة كل منهما سواء للوجود البريطانى أو للوفد وما ترتب على هذا الاثر من تأثير في التاريخ الوزارى .

فما لا شك فيه أن قطاعات عريضة من الشعب المصرى قد استبشرت خيرا بتولية الملك الشاب صاحب الوجه الصبوح ، وزاد من شعبية الملك فاروق الخطة الناجحة التى استخدمها بعض رجال القصر فى أوائل عهده (على ماهر ثم أحمد حسنين) ، فى إبرازه بصورة الملك المصلح الذى يناضل ضد أوتوقراطية حزب الاغلبية .. وضد فسادة أيضا .

ويبدو تأثير اختلاف الصورة بين الملكين فى ميدان الصراع حول الوزارة من اختلاف رد الفعل الناتج عن موقفين متشابهين من أجل تغيير الوزارة .

فرد الفعل الناتج عن التدخل البريطانى ضد الملك فؤاد لاسقاط العهد الصدقى فى نوفمبر عام ١٩٣٤ كان على النقيض من رد الفعل الناتج عن التدخل البريطانى ضد الملك فاروق فى حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ . ومع أن التدخل فى المرتين قد تم لحساب الوفد الا أنه مما لا شك فيه أن الرضاء الشعبى عن التدخل البريطانى فى الحالة الاولى قد قابله سخط شعبى على هذا التدخل فى الحالة الثانية .. كما أنه مما لا شك فيه أنه قد كان وراء الرضاء فى الحالة الاولى رصيد من لا شعبية الملك فؤاد وكان وراء السخط فى الحالة الثانية رصيد من شعبية الملك فاروق .

٣ — شهدت تلك الحقبة استمرار عملية الانشقاق عن الوفد الا ان تلك العملية كان لها هذه المرة شكل مختلف جد الاختلاف عنها خلال الحقبة السابقة على عهد الملك فؤاد .

فان الانشقاقات المتعددة التى حدثت فى الحزب الكبير قبل ١٩٣٧ كانت لا تفت فى عضده لاكثر من سبب : منها أن العناصر المنشقة كانت فى الغالب من العناصر التى لا تتمتع بشعبية كبيرة كما حدث فى الانشقاق الاول بين سعد وعدلى والذى ترتب عليه تكوين حزب الاحرار الدستوريين ، ومنها تلك الشكوك التى ظلت تحيط ببعض هذه الانشقاقات وأنها قد تمت نتيجة لتواطؤ بينها وبين القصر كما حدث فى الانشقاق المعروف بانشقاق السبعة ونصف والذى تم فى العهد الصدى .

تنعكس الصورة بالنسبة للانشقاقات التى حدثت فى عهد الملك فاروق ولاكثر من سبب أيضا . . فالعناصر المنشقة هذه المرة (النقراشى وأحمد ماهر ١٩٣٧ ثم مكرم عبيد ١٩٤٢) كانت العناصر صاحبة الشعبية الجارفة داخل الحزب الكبير بحكم ماضيها فى الجهاد الوطنى وبحكم تصديها لمركز القيادة فيه طوال الفترة التى تلت وفاة سعد زغلول .

ثم انه قد صاحب خروج هذه العناصر دخول عناصر أخرى ممن وصفوا بالاقطاعيين وهى عناصر تملك بطبيعتها مقومات إثارة النفور الشعبى أكثر مما تملك من مقومات جذب الاعجاب الجماهيرى .

ويضاف الى كل ذلك أن خروج هذه العناصر من الوفد قد أثار تساؤلات حول سوء سمعة الحزب الكبير فى الحكم أكثر مما أثار من شكوك حول تواطؤ بينها وبين القصر .

أما أثر الانشقاقات عن الوفد خلال تلك الحقبة فى الميدان الوزارى فيتضح من أن أغلب الوزارات التى تشكلت فى فترات إبعاد الوفد عن الوزارة (١٩٣٨ — ١٩٤٢) ، (١٩٤٤ — ١٩٥٠) كانت تلك العناصر المنشقة هى التى تسيطر على الوزارة فيها .

وبعد استعراض هذه السمات الجديدة التى أثرت فى التاريخ الوزارى المصرى فى عهد الملك فاروق نعود لمتابعة هذا التاريخ .

٤٧ — وزارة مصطفى النحاس باشا الرابعة (أول أغسطس ١٩٣٧ — ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧)

باشر الملك فاروق سلطاته الدستورية فى ٢٩ يولية عام ١٩٣٧ وكان على النحاس باشا أن يقدم استقالة وزارته الثالثة للملك الجديد ليترك له حرية اختيار الوزارة الجديدة تبعاً لما تقتضيه الاجراءات الدستورية .

ومفروض أن التغير الوزارى فى موقف كهذا لم يكن ليتعدى الجانب المظهرى استيفاء للشكل الدستورى بأن يعيد الملك تكليف زعيم حزب الاغلبية

بتأليف الوزارة الجديدة وأن يقوم هذا بالمهمة الموكلة اليه دون ادخال تغييرات تذكر على تشكيل وزارته .

الا أن ايماءات عديدة كانت تشير الى أن المفروض شيء وما يمكن حدوثه شيء آخر .

من هذه الايماءات ما اتصل بالعلاقات داخل زعامة الوفد مما ترك اثارا واضحة على تشكيل الوزارة الجديدة . . ومنها ما اتصل بالعلاقة بين الوزارة الوفدية وبين القصر في عهد سيده الجديد . .

فيما يتصل بالعلاقات بين مجموعة الرجال التي كانت تشكل الزعامة الوفدية فقد كان واضحا أنها تتعرض لاهتزازات شديدة خلال الأسابيع الأخيرة من عهد الوزارة النحاسية الثالثة .

يذكر « السير مايلز لامبسون » السفير البريطاني في القاهرة أن النحاس باشا قد ذكر أن « النقراشي يجب أن يذهب » وذلك في لقاء بينهما في ١١ يولية ، وقد برر رئيس الوفد هذه الرغبة بأن الرجل لا يفتأ يعرقل سير العمل الوزاري بعد أن تحول من موقف التعاون كأجد الوزراء ، الى الالتزام بموقف المعارضة السافرة (١) .

ويبدو أن الخلاف بين الرجلين قد نشأ من الفهم المختلف لكل منهما لمعاهدة ١٩٣٦ . . النحاس باشا رأى الالتزام بتنفيذها وأن هذا التنفيذ سيكون لصالح مصر خاصة بعد النجاح الذي أحرزه بالمعونة البريطانية في التخلص من الامتيازات الأجنبية في المفاوضات التي جرت في مونترو سنة ١٩٣٧ . أما النقراشي فقد رأى أن المعاهدة ليست الا خطوة للتخلص نهائيا من الوجود البريطاني مما يدا في اضطراب سياسته « بالتخلص من أي انجليزى يعمل في الحكومة المصرية » وهى السياسة التي شكها السير لامبسون منها الى حكومته (٢) .

أما فيما يتصل بالعلاقة بين الوزارة الوفدية وبين القصر في عهد الملك الجديد فان هذه العلاقة قد بدأت باحتكاك بين الطرفين بسبب الرغبة التي ابتدئها بعض دوائر القصر بأقامة احتفال دينى بتتويج الملك فاروق الا أن الوفد قد رفض هذه الرغبة .

وقد دارت معركة بين صحيفة « البلاغ » الناطقة بلسان القصر وصحيفة « المصرى » الوفدية حول هذه المسألة استمرت طوال شهر يونيو ١٩٣٧ . البلاغ يذكر أن الدوائر الدينية تدافع عن الفكرة ، ويكتب « عباس العقاد » الذى كان قد خرج على الحزب الكبير آنذاك ، وأصبح من كتاب الصحيفة

F.O. 407/221 (11) No. 4 Lampson to Eden, July 11, 1937 Tel. (١)
No. 82.

F.O. 407/221 (11) No. 12 Lampson to Eden, July 28, 1937 Desp (٢)
No. 902.

الموالية للقصر يدافع عن الفكرة ويذكر أنه طالما أن دين الدولة هو الاسلام
فما المانع من اقامة حفل ديني ؟

ويهاجم « عبد القادر حمزة باشا » صاحب الصحيفة ورئيس تحريرها
قرار الحكومة الوفدية بعدم اقامة الحفل الديني ويرى أنه يمثل تحديا للرأى
العام الاسلامى .

على الجانب الاخر تدافع « المصرى » عن الحكومة وترفض فكرة الحفل
الدينى فتعرب فى مقالة لها عن دهشتها من الفكرة لانه ليس لها أى شكل
دستورى ، وتتحدث فى مقالة أخرى عن أن الاحتفال المقترح له وجه شبه كبير
بالمراسم الوثنية ، ثم أخيرا من أن الحكومة مصممة على أن الملك يجب أن
يستمد سلطته من البرلمان (الوفدى) وليس من السلطة الدينية(٣) وقد نزل
الملك على رغبة الوزارة فاقسم اليمين الدستورية أمام البرلمان ولكنه حرص
على استهلال حكمه بزيارة ضريح والده فى مسجد الرفاعى فى اليوم التالى
حيث أدى صلاة الجمعة(٤) .

كان من الطبيعى أن ينسحب ذلك على تشكيل الوزارة الجديدة فى
ناحية القصر فقد سارع بالرد على موقف الحكومة الوفدية برفض قبول
ترشيح النحاس « ليوسف الجندى » وزيرا فى الوزارة الجديدة . وقد كان
للإصرار على هذا الرفض ورفض النحاس لهذه الرغبة الملكية ما أدى الى
شجب تقليد وفدى كان قد أرساه « سعد زغلول » فى وزارته ١٩٢٤
بالتصميم على حقه فى اختيار وزرائه برغم معارضة الملك فؤاد .

ومع ما يذكره المراقبون البريطانيون فى القاهرة آنذاك من أن القصر قد
استند فى رفضه لتعيين يوسف الجندى على ما اتسع عن الرجل من تصرفات
غير مرضية الا أنهم يذكرون فى نفس الوقت ان ذلك لم يكن السبب الحقيقى
وأن الهدف قبل أى شئ توجيه ضربة الى هيبة النحاس باشا وأن الملك
الشاب ، أو مستشاريه ، وعلى وجه التحديد على ماهر ، قد نجحوا
فى ذلك(٥) .

أما بالنسبة للصراعات داخل الزعامة الوفدية فتتضح باستعراض تشكيل
الوزارة النحاسية الرابعة وملاحظة الاختلاف الذى دخل عليها عن سابقتها ،
فقد تشكلت الوزارة الجديدة . على النحو الآتى :

- | | |
|-----------------------|-------------------|
| ● مصطفى النحاس باشا | للمراسم والداخلية |
| ● واصف بطرس غالى باشا | للخارجية |
| ● عثمان محرم باشا | للاشغال العمومية |
| ● مكرم عبيد باشا | للمالية |

(٣) F.O. 407/221 (11) No. 109 Memorandum Respecting the Egyptian

Press for the Period June 2, 1937 July 2, 1937.

Marcel Colombe, l'Evolution de L'Egypte 1924 — 1950 P. 71. (٤)

F.O. 407/221, No. 14 Kelly to Halifax. Aug. 11, 1937 Tel. No. 456. (٥)

- الأستاذ محمود بسيونى . للاوقاف
- أحمد حمدي سيف النصر باشا . للحربية والبحرية
- عبدالسلام فهمى محمد جمعة باشا . للتجارة والصناعة ، وللمعارف العمومية
- على زكى العرابى باشا . للمواصلات
- محمد محمود خليل بك . للزراعة
- الأستاذ محمد صبرى أبو علم . للحقانية
- الأستاذ عبد الفتاح الطويل . للصحة العمومية (٦)

الملاحظ أن قد جرى تعديل كبير . كانت له ابلغ الدلالات فقد أخرج من الوزارة أربعة وزراء (٧) وحل محلهم ثلاثة وزراء جدد (٨) بعد أن رفض الملك تعيين يوسف الجندى .

ولا شك أن اخراج « النقراشى » بالذات من الوزارة وادخال محمد محمود خليل اليها كان من أهم ما منح لهذه الدلالات عمقا .

فالنقراشى قطب من أقطاب الوفد له فضل على النحاس لأنه هو الذى رشحه للرئاسة كما أن له صلة نسب بالسيدة أم المصريين الى جانب المكانة الخاصة التى كان يتمتع بها لدى الزعيم سعد زغلول .

ومن جانب آخر فقد كان من أهم العناصر النظيفه فى الوفد ، الوحيد من وزراء الوزارة السابقة التى سلمت وزارته من المحاباة والاستثناءات . . . يضاف الى كل ذلك ما عرف عن الرجل من زعامة للشباب الوفدى ومن طاقة تنظيمية هائلة .

ومع كل هذا فقد كانت الذريعة التى استندت الزعامة الوفدية اليها لاقصاء النقراشى عن الوزارة هى « عدم التجانس » وهى ذريعة مطاطة وان كان ما شاع وقتها ان السبب الرئيسى وراء هذا الاقصاء رغبة وزير المالية مكرم عبيد باشا فى اقصاء كافة العناصر القوية من الحزب املا فى ارث زعامته بعد النحاس .

على الجانب الآخر فقد تم اختيار « محمد محمود خليل بك » عضو مجلس الشيوخ وزيرا للزراعة فى الوزارة الجديدة بالرغم من أن خليل بك كان قد استقال من الهيئة الوفدية فى عهد دستور ١٩٣٠ ولكن كان معلوما أنه من أصحاب « الاطيان الواسعة » .

(٦) الوقائع المصرية العدد ٧٠ لسنة ١٩٢٧ .

(٧) هم محمود فهمى النقراشى ومحمود غالب ومحمد صفوت وعلى فهمى .

(٨) هم محمد صبرى أبو علم ومحمد محمود خليل ومحمود بسيونى .

ثم ان البريطانيين بدورهم بالرغم من عدائهم القديم للنقراشي لم يسعدهم ادخال « محمد محمود خليل » في الوزارة ذلك ان الرجل زوج لمسيده فرنسية ، كما أنه يقضى أكثر من نصف السنة في فرنسا فانه كما رآه الانجليز ، « داعية للنفوذ الفرنسى في مصر (٩) » .

ملحوظة أخرى تتصل باسناد وزارتين الى وزير واحد . . الوزارتان هما التجارة والصناعة ، والمعارف العمومية والوزير هو « عبد السلام فهمى جمعة » ويذكر القائم باعمال السفير البريطانى في القاهرة أنه في لقاء له مع أمين عثمان في اعقاب تشكيل الوزارة الجديدة أوضح له أمين عثمان ، ان النحاس باشا قد شعر بأنه ارتكب خطأ بسبب استسلامه المتسرع للقصر في مسألة « يوسف الجندى » ، دعاه ذلك الى أن يترك منصب وزير المعارف خاليا وهو المنصب الذى كان مفروضا ان يشغله الرجل على أساس أن رفض الملك ليس نهائيا وانه بالامكان أن يتراجع القصر عن موقفه خاصة وأنه قبل الابقاء على يوسف الجندى في منصب السكرتير البرلمانى لوزارة الداخلية (١٠) .

ولكى لا تلبث آمال الزعامة الوفدية ان تتهاوى في هذا الموضوع أو في غيره حيث شهدت الشهور الخمسة ، هي عمر الوزارة النحاسية الرابعة ، شهدت صراعا حادا بين تلك الوزارة وبين القصر انتهى بقرار آخر من قرارات اقالة الوزارات الوفدية .

وكان الانشقاق الذى اصاب الوفد نتيجة لاجراج النقراشي من الوزارة الجديدة ، بالاضافة الى الصراع الذى احتدم بين الملك وهذه الوزارة أهم ما أثر في تاريخها .

وقد ارتبط كل من الحدثين بالآخر فبينما ادى انشقاق الحزب الكبير الى اغراء القصر بالوزارة النحاسية الرابعة وسعيه الى التخلص منها فان الاختلافات بين الملك والوزارة قد غدت هذا الاختلاف وادت الى توسيع شقته .

ففى خلال الاسابيع التى اعقبت تشكيل الوزارة الجديدة — بدون النقراشي — انتهزتها الصحف الموالية للقصر ، وبالذات البلاغ . . انتهزتها فرصة للهجوم على ما اسمته عصبة النحاس — مكرم ، أو « عصبة الشر » على حد تعبيرها ، وذكرت أن الهدف من استبعاد النقراشي هو تمهيد الطريق لفرض أوتوقراطية الرجلين (١١) .

F.O. 407/221 (11) No. 18 Kelly to Eden Aug. 7 1937 Desp. No. 937 (٩)
Conf.

Ibid. (١٠)

F.O. 407/221 (11) No. 111 Memorandum Respecting the Egyptian (١١)
Press for the Period Aug. 3 to Sept. 1, 1937.

ومع أى احتمال يلوح بتسوية الخلافات داخل حزب الوفد كانت « البلاغ » تتدخل لافساد هذه الاحتمالات وكان أبرزها محاولة تعيين النقراشى فى مجلس إدارة شركة قناة السويس .

واستمر القصر فى طريقه لتعميق الخلاف ، وبدأت جهوده تثمر بتصريحات أخذ يدلى بها النقراشى ينتقد بها بعض سياسات الحكومة رغم أنه لم يكن قد خرج أو اخرج من الوفد بعد . ثم « بالبيان السياسى الخطير » ، على حد وصف البلاغ ، والذي وجهه النقراشى الى الشعب المصرى فى ٧ سبتمبر ١٩٣٧ يعلن فيه خروجه عن الزعامة الوفدية ، وقد تضمن البيان انتقادات شديدة لسياسة النحاس بالسعى لتقديس زعامته ، هذه السياسة التى صاحبها « عصى نوى القمصان الزرقاء تهوى على رعوس من لم يؤمن بها من الوفديين (١٢) » .

وتصور الملك ، شهاب أن الفرصة سانحة لما يمكن أن نسميه بالاستيلاء على الوفد من الداخل ، فالنقراشى وإن كان قد هاجم « الزعامة الوفدية » إلا أنه لم يهاجم الوفد ، كما أنه عندما اتخذ الحزب قراره بفصل النقراشى من عضويته فإن زميله الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب أدلى بتصريح يعرب فيه عن دهشته من هذا القرار وعن رأيه بأنه لا زال يعتبر زميله عضواً فى الوفد .

وكان اصرار النقراشى وأحمد ماهر على بطلان قرار اخراج الأول من الوفد وراءه مما تكشفه لنا الوثائق البريطانية وما أسميناه بمحاولة « الاستيلاء على الوفد من الداخل » ، ذلك أنه قد جرت خلال تلك الأيام مشاورات بهدف تشكيل وزارة وفدية جديدة يقوم الرجلان بتأليفها مما يؤدى الى سقوط الزعامة النحاسية للوفد والى احلال زعامة جديدة محلها تدين بوجودها لمساندة القصر إلا أن الانجليز حذروا من خطورة هذه المغامرة على الملك الجديد ، كما أن « على ماهر » المستشار الرئيسى للقصر آنذاك لم ترقه الفكرة وخشى من نتائجها (١٢) .

* * *

امام كل هذه المخاطر التى شعرت الوزارة الوفدية انها تحيط بها بدأت تتصرف ، وقد انصب هذا التصرف أساسا على السعى لتأكيد شعبية الوزارة والتلويح بإمكان استخدام هذه الشعبية امام أى مؤامرات تبدو من جانب القصر . وتم ذلك بطريقتين :

(١٢) البلاغ فى ١٩٣٧/٩/٧ .
F.O. 407/221 (11) No. 23 Kelly to Eden Aug 13, 1937 Tel. No. (١٢)

الطريقة الاولى :

فى تلك الجولات الواسعة التى اخذ يقوم بها النحاس باشا فى مختلف المديرىات ليلقى الخطب فى المحلة الكبرى وفى المنصورة وفى الاسكندرية وفى المنيا (١٤) ، وهو لا يريد بذلك تأكيد شعبيته فحسب بل يريد ما هو أكثر من ذلك ، التحذير من أى محاولة للمساس به .

الطريقة الثانية :

تدعيم تنظيم « القمصان الزرقاء » الموالى للوفد لاستخدامه فى المواجهة المحتملة . وتم هذا التدعيم بأكثر من وسيلة : منها تركيز ولاء الجماعة فى شخص النحاس بوضع قسم جديد لها جاء فيه « أقسم بالله ان اظل مجاهدا لوطنى تحت لواء زعيمى مصطفى النحاس لآخر رمق من حياتى » ، ومنها الاسراع بزيادة عدد أصحاب القمصان الزرقاء ، وتذكر أحد التقارير البريطانية أن مكرم عبيد قد حث زعيم هؤلاء على بذل كل جهد لرفع عددهم الى مائة ألف ، ومنها الحصول على المبالغ التى تمكن من استيعاب هذه الاعداد الجديدة فى الجماعة ، وكان سبيل الزعامة الوفدية الى ذلك انفاق جانب من « المصروفات السرية » لوزارة الداخلية فى هذا الوجه (١٥) .



كان واضحا خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر أن الامور تسير بسرعة الى صدام سنافر بين الوزارة الوفدية وبين القصر ، فالملك فاروق ورجاله لم يكونوا يسمحوا بأن تحقق زعامة الوفد آمالها بالغاء أى دور مؤثر للقصر فى السياسة المصرية ، ثم انه على الجانب الآخر فان الوفد لم يكن يسمح لنفسه بالتفريط فيما ارتأه حقوقا دستورية للوزارة والبرلمان لحساب اوتوقراطية الملك .

فى خلال شهر أكتوبر بدأت الصحف المعادية للوفد أو الموالية للقصر تشن هجوما على الوزارة الوفدية نال رئيسها منه أوفر نصيب . وبدأت هذا الهجوم بانتقادات حادة وجهتها الى الجولات التى كان يقوم بها النحاس آنذاك بهدف تدعيم شعبيته ، فتقول مجلة « روز اليوسف » التى كانت قد انشقت عن الوفد آنذاك ان تلك الجولات دليل على ضعف الحكومة ، وتحديث عن الضغوط التى تمارسها جهات الادارة على الأهالى لاقامة الاحتفالات برئيس الوزراء ، ويكتب « عباس العقاد » فى « البلاغ » عن نفس الموضوع ويرى أن تلك الجولات دليل على اهتزاز الحكومة ويتهم النحاس باشا باهمال شئون الحكم واضاعة الوقت فى الخطب التى يلقيها هنا وهناك (١٦) .

F.O. 407/221 (11) No. 47 Kelly to Eden Oct 18, 1937 Desp. No. (14)
1203.

(١٥) د. يونان لبيب رزق : اصحاب القمصان الملونة فى مصر - المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٢ .

F.O. 407/221 (11) No. 113 Memorandum Respecting the Egyptian (16)
Press for the Period Oct. 5, Nov. 2, 1937.

ولما يعلن النحاس في خطبة له بالاسكندرية ما انتوته الوزارة من القيام ببعض الاصلاحات لتحسين احوال الطبقة العمالية (١٧) يسخر منه «العقاد» أيضا في «البلاغ» ويذكر أن كل القوانين التي ذكرها رئيس الوزراء قد تم وضعها في عهد الحكومات السابقة (١٨) .

وتدفع صحف القصر بالازمة خطوة أخرى عندما تذكر أن محادثات تجري بين القصر والوزارة بهدف تعيين بعض الموظفين في القصر ، وأن هذه المحادثات تدور حول تعيين سائق أجنبي ، وأن وجهة نظر الوزارة أن أمرا مثل هذا يجب أن يحال الى اللجنة الحكومية المختصة بتعيين الموظفين الاجانب . ويعلق رئيس تحرير البلاغ على ذلك بأن الدستور يخول الملك الحق في تعيين موظفيه دون استشارة الحكومة (١٩) . ويرى الوفد ، على لسان صحفه ، أن نشر مثل هذه الاخبار لا يقصد به الا مزيدا من تعكير العلاقات بين الملك والوزارة (٢٠) .

وواضح أن هذا الاستنتاج كان صحيحا بدليل ما فعلته «البلاغ» بعد ذلك ، والتي كانت على اتصال وثيق بالدوائر الملكية ، ففي ١٠ أكتوبر ١٩٣٧ نشرت جريدة «الابزرغر» البريطانية مقالة عن السياسة المصرية تحدثت فيه عن غيرة النحاس باشا من شعبية الملك وأنه منذ زيارته — أى النحاس — لروما وبرلين تراوده الآمال ليصبح دكتاتورا ، وتدلل الصحيفة البريطانية على ذلك بالجهود التي يبذلها للحفاظ على شعبيته لدى العمال واختياره لاعضاء جدد في الوزارة ولجنة الوفد التنفيذية ممن يدينون له بالطاعة العمياء . وتتلقف «البلاغ» المقالة لتنشر لها ترجمة كاملة وتترك لكل من يريد أن يفهم منها ما يشاء (!) .

* * *

وتدخل على الصراع أسباب أخرى تزيده حدة ، ففي ٢٠ أكتوبر يصدر «أمر ملكي» بتعيين «على ماهر» في منصب رئيس الديوان الخالي دون موافقة الوزارة (٢١) .

وتهلل صحف القصر بهذا العمل وترى أن على ماهر الرجل المناسب في المكان المناسب (٢٢) ، وتتخفظ صحف الوفد بل أن أحداها تذكر أن هذا التعيين قد تم بناء على الصلاحيات التي حصل عليها القصر بمقتضى مرسوم ٨ فبراير عام ١٩٢٥ الذي أصدرته وزارة زيور باشا وأن الوزارة القائمة تنوى عرض هذا المرسوم على البرلمان بهدف تعديله أو إلغاءه (٢٣) .

(١٧) F.O. 407/221 (11) No. 37 Kelly to Eden Oct. 8 1937 Desp. No. 1165.

(١٨) البلاغ في ٩ أكتوبر ١٩٣٧ .

(١٩) البلاغ في ١٠/١٠/١٩٣٧ .

(٢٠) كوكب الشرق في ١١/١٠/١٩٣٧ .

(٢١) البلاغ في ١١/١٠/١٩٣٧ .

(٢٢) البلاغ في ١٠/١٠/١٩٣٧ .

(٢٣) المصرى في ٢٠/١٠/١٩٣٧ .

وبالرغم مما تؤكد الوثائق من ارتياح الدوائر البريطانية في القاهرة لتعيين على ماهر في منصب رئيس الديوان باعتباره شخصية مسئولة بدلا من مناورات الرجال غير المسئولين في القصر (٢٤) فإن الصحف الموالية للقصر شنت حملة واسعة على النحاس تتهمة فيها بأنه قد لجأ إلى السفارة البريطانية طالبا العون في موضوع على ماهر ، وأنها لم تحاول التدخل فإن رئيس الديوان الجديد ذكر للمسئول البريطاني أن هذا الموضوع من اختصاص الملك وحده (٢٥) .

وقد انتهزت المعارضة الفرصة فكتب رئيس الاحرار الدستوريين « محمد محمود باشا » خطابا بعث به للسفارة يحتج فيه على التدخل الانجليزي في شئون مصر الداخلية . كما كتبت « الاهرام » تنصح البريطانيين بعدم استغلال المعاهدة لكسب امتيازات جديدة في البلاد فإن ذلك سوف يثير حالة من السخط بين المصريين (٢٦) .

في نفس الوقت وفي لقاء بين الملك ورئيس الوزراء في قصر المنتزة في ٢٦ اكتوبر ١٩٣٧ يطلب الاول من الثانى حل جماعة « القمصان الزرقاء » ويسلمه بحثا قانونيا جاء فيه ان وجود هذه الجماعة يناهى الدستور (٢٧) .



وتدافع الوزارة الوفدية عن نفسها فيلقى « مكرم عبيد » بيانا طويلا في مجلس النواب في ١٠ نوفمبر يدفع عن الحكومة تهمة الاستمرار في « الاستثناءات » لصالح انصارها ويذكر فيه احصاءات عن الترقيات الاستثنائية التى صدرت في عهد الحكومات السابقة منذ ١٩٢٩ ، وقد ثبت أنها أكبر بكثير من الترقيات التى صدرت في عهد الوزارة الوفدية والتى أكد مكرم أن صدورها كان بهدف تصحيح مظالم أنزلتها الوزارات السابقة على بعض الموظفين وتصف صف الوفد بيان وزير المالية أنه « ضربة معلم » (٢٨) .

ثم بعد ذلك بأيام قليلة وفي ٢١ نوفمبر ١٩٣٧ يشن النحاس في خطبة له في اجتماع وفدى في « السيدة زينب » هجوما عنيفا على المعارضة نتيجة لتقديمها لعريضة للملك تسوق فيها مجموعة من الاتهامات للوزارة (٢٩) وتصل المسألة الى حد التراشق بالاتهامات في مقالات متبادلة كتبها محمد محمود في « الاهرام » (٣٠) ومكرم عبيد في « المقطم » (٣١) .

(٢٤) F.O. 407/221 (11) No. 45 Kelly to Eden Oct. 28, 1937 Tel. No. 595.

(٢٥) البلاغ في ١٠/٢٢/١٩٣٧ .

(٢٦) الاهرام في ١٠/١١/١٩٣٧ .

(٢٧) البلاغ في ١٢/٢٣/١٩٣٧ .

(٢٨) المصرى ، الجهاد في ١١/١١/١٩٣٧ .

(٢٩) المصرى في ١١/٢٢/١٩٣٧ .

(٣٠) الاهرام في ١١/٢٤/١٩٣٧ .

(٣١) المقطم في ١١/٢٥/١٩٣٧ .

ويأتى شهر ديسمبر وتنفجر أسباب جديدة للخلاف بين القصر وبين الوزارة الوفدية تصنع أول أزمة وزارية في عهد الملك الجديد تؤثر بها حدث فيها وما ترتب عليها ليس فقط على الوزارة النحاسية الرابعة بل على التاريخ الوزارى على طول عهد الملك فاروق .

وقد تمثلت أسباب الخلاف تلك فيما يلى :

١ - الخلاف حول تعيين بعض الأعضاء فى مجلس الشيوخ ، ذلك أنه كان قد خلا مقعدان فى هذا المجلس رشحت الوزارة لهما محمود فهمى باشا والأستاذ حسن نافع فوافق القصر على ترشيح الأول ولم يوافق على ترشيح الثانى . ولما استبدلت الوزارة فخرى بك عبد النور بحسن نافع ظل القصر على رفضه مقترحا عبد العزيز باشا فهمى .

٢ - لما عبر القصر عن رغبته فى أن يقسم الجيش يمين الولاء للملك رأت الوزارة أن يتضمن هذا القسم يمين الولاء للدستور . وكان معنى ذلك تخويل الجيش حق التدخل اذا ما انتهكت أى قوة سياسية الدستور ، ولما كان معلوما أن الملك أول هذه القوى فإن ذلك يعنى أن يتدخل الجيش ضد الملك .

وبالطبع رفض القصر مثل هذا الاقتراح ورأى أنه سوف يؤدى فى النهاية الى تدخل الجيش فى السياسة ، وقد تزايدت شكوك القصر من اتجاه الوزارة فى هذا الشأن بعد تناثر الاشاعات عن اتصالات تتم بين زعماء الوفد وبعض كبار ضباط الجيش ، وبعد ما لوحظ من أن وزير الحربية الوفدى (حمدى سيف النصر باشا) قد دخل فى التشريفات الملكية على رأس الضباط يقدمهم الى الملك وهو تقليد لم يتبع من قبل (٢٢) .

٣ - تغيب بعض الوزراء عن حضور التشريفات الملكية فى عيد الفطر وبالذات كل من مكرم عبيد وعلى زكى العرابى دون مبرر معقول مما دعا القصر الى عدم الرد على برقيات التهنئة التى أرسلوا بها للملك بهذه المناسبة (٢٣) .

٤ - رفض الملك توقيع قانون بزيادة الاعتماد للمصاريف السرية اذ كان ينفق منها على القمصان الزرقاء أداة الوفد الرئيسية فى الضغط على القصر .

٥ - رفض الملك أيضا توقيع مرسوم بمشروع قانون بتخفيض نسبة النجاح لطلاب الجامعة عرضته الوزارة الوفدية مستهدفة مزيدا من الشعبية لأن مشروع هذا القانون لم يعرض على مجلس الجامعة بينما ينص قانون الجامعة على أن كل مرسوم بمشروع قانون يتعلق بها يجب أن يعرض على مجلسها قبل عرضه على الملك (٢٤) .

(٢٢) الديلى تفراف فى ١٤/١٢/١٩٣٧ نقلا من « البلاغ » .

(٢٣) البلاغ فى ٥/١٢/١٩٣٧ .

(٢٤) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٨٠ .

كما أن هذه الأزمة الوزارية كانت أولى الأزمات التي تواجه الملك فاروق في أول عهده فانها كانت أيضا أولى الأزمات في ظل الأوضاع الجديدة التي خلقتها معاهدة ١٩٣٦ ، وعلى ذلك فانها كما كانت فرصة لسجود الملك الشاب فقد كانت مناسبة أيضا ليتبين كل طرف من الأطراف السياسية الرئيسية في البلاد (الملك ، الوفد ، الانجليز) موقعه الجديد .

وقد كان أهم ما تأكد نتيجة لهذه الأزمة أن الملك الجديد ذو عود صلب أو على الأقل ذو موقف متصلب ، كما تأكد أيضا أنه بالرغم من استمرار التأثير البريطاني في تاريخ الوزارات المصرية إلا أن هذا التأثير قد قل حجمه كثيرا .

فقد كان واضحا منذ البداية أن دار السفارة البريطانية كانت راعية في التوصل إلى حل يبقى على الوزارة النحاسية ويمنع الملك الجديد من استخدام سلاح الاقالة في مطلع عهده ، وقد بذلت في سبيل ذلك الجهود ولوحت بالتهديدات ، ولكن لا الجهود أثمرت ولا التهديدات أخافت وهو شيء جديد في الواقع على ميدان السياسة المصرية .

الجهود بدت في أكثر من اتجاه . . منها السعى لاقتناع النحاس لتوسيع قاعدة وزارته وذلك لتجنب اتهامات القصر بأن الوزارة قد أصبحت تتكون من مجموعة من الرجال الخاضعين تماما لمكرم عبيد ، وبالرغم من موافقة رئيس الوزراء المصري على ضم الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب لوزارته إلا أن الأخير رفض الانضمام (٣٥) .

اتجاه آخر بالسعى لاقتناع طرفي الأزمة بتقديم تنازلات كل من جانبه وذلك لتجاوزها . وأبدت الوزارة استعدادا طيبا في هذا الشأن سواء بقبول حل جماعات القمصان الزرقاء أو بقبول الإبقاء على قسم الجيش دون أن يدخل عليه تعديل بأن يتضمن يمين ولاء للدستور ، وأن كانت قد تمسكت بحقها في تعيين أعضاء مجلس الشيوخ كذا بحقوقها في اقتراح القوانين دون موافقة مسبقة من الملك وفي تعيين أو فصل الموظفين على مختلف درجاتهم (٣٦) أما القصر فقد غلب على موقف رئيس الديوان « على ماهر » والذي مثل الملك في المحادثات التي جرت لحل الأزمة . . غلب على هذا الموقف ، المراوغة والمناورات ، التي سجلها السير لامبسون في تقاريره إلى لندن (٣٧) .

التهديدات أبلغها السفير البريطاني سواء لرئيس الديوان أو للملك نفسه في لقاءه بهما في ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧ من أن الملك قد يفقد ثقة الحكومة

F.O. 407/221 (11) No. 80 Lampson to Eden Dec. 19, 1937. Tel. (٣٥) No. 722.

F.O. 407/221 (11) No. 83 Lampson to Eden Dec. 20, 1937. Tel. (٣٦) No. 729.

F.O. 407/221 (11) No. 87 Lampson to Eden Dec. 28, 1937. Tel. (٣٧) No. 745.

البريطانية وتأييدها إذا ما استمر في سياسته وأنه بذلك يعرض عرشه للخطر (٣٨) .

وبينما تجرى هذه الاتصالات كان كل طرف يستخدم ما بين يديه من وسائل التأثير .

الوفد استخدم ما أسميناه من قبل سلاح « استعراض العضلات الشعبية » فسارت المظاهرات الوفدية تهتف في الشوارع « النحاس باشا أو الثورة » (٣٩) .

ولكن كان واضحا أن الحزب الكبير قد خانه التقدير في هذه المرة فهو عندما كان يستخدم هذا الأسلوب من خارج موقع السلطة كان في الامكان قبوله على أساس أنه يعبر أساسا عن شعبية جارفة ، أما استخدامه وهو في السلطة فقد بدأ فيه الاختلاق أو « الصنعة » لاسيما إذا ما لوحظ أن فرق القمصان الزرقاء هي التي كانت تقود المظاهرات الوفدية .

من جانب آخر فإن القصر كان قادرا بدوره على انتهاج نفس الأسلوب فسارت مظاهرات كبيرة مؤيدة للملك ، وكانت تتشكل على الأغلب من طلبة الأزهر (٤٠) ، واتجهت الى قصر عابدين ليخرج الملك لتحياتها أكثر من مرة ايماءة منه لموافقتها عليها ورغبته في استمرارها (٤١) .

وفي وسط الازمة خرج الدكتور « أحمد ماهر » رئيس مجلس النواب الوفدى ببيان يدين فيه الوزارة الوفدية ، يقول فيه أنها أفسدت الأمن ، والتعليم ، والعمال ، وخنقت الحريات ولم تضرب مثلا صالحا للحكم (٤٢) .

وقد بذلت محاولة أخيرة للخروج من الازمة عندما اقترح « على ماهر » رئيس الديوان الملكي تأليف « لجنة تحكيم » من رؤساء الوزارات ، ووزراء الحقانية ورؤساء مجالس النواب والشيوخ ورؤساء محكمة النقض ورؤساء المستشارين الملكيين السابقين والموجودين وقتذاك (٤٣) ، ومع قبول الوزارة لفكرة التحكيم إلا أنها رفضت تشكيل اللجنة على هذا النحو ورأت أن تقوم اللجنة البرلمانية التي يغلب عليها (الوفدية) بدور التحكيم ، وكان من الطبيعي أن يرفض القصر اقتراح الوزارة (٤٤) ووضح من ذلك أن الازمة قد وصلت الى طريق مسدود وتقرر اقالة الوزارة .

F.O. 407/221 (11) No. 82 Lampson to Eden Dec. 20, 1937. Tel. (٣٨) No. 725.

(٣٩) الجرائد المصرية في ٢٠ ، ٢١ ديسمبر ١٩٣٧ .
F.O. 407/222 (1) No. 69 Memorandum respecting the Egyptian (٤٠) Press for the Period Dec. 4. 1937 to Jan. 5. 1938.

(٤١) البلاغ في ٢١ ، ٢٢/١٢/١٩٣٧ .
(٤٢) البلاغ في ٢٤/١٢/١٩٣٧ .
F.O. 407/221 (11) No. 87 Lampson to Eden Dec. 28, 1937. Tel. (٤٣) No. 745.

(٤٤) البلاغ في ٣٠/١٢/١٩٣٧ .

الباب الخامس

الفصل الثاني

وزارات الائتلاف اللوفدية

المرحلة الاولى

١٩٣٧ — ١٩٤٢

٤٨ — وزارة محمد محمود الثانية ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ — ٢٧ أبريل ١٩٣٨ :

كان في مقدمة المرشحين لتشكيل الوزارة الجديدة الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب .

وكان وراء هذا الاتجاه سياسة قديمة تبناها القصر . . تلك هي سياسة الاستيلاء على الوفد من الداخل . وقد نظر الى الدكتور أحمد ماهر باعتباره الفارس الذى يمكن الاعتماد عليه في تنفيذ هذه السياسة خاصة أنه والنقراشى ظللا يشكلان قوة من أهم قوى الحزب الكبير .

ولكن لم تلبث أن تبذرت المحاولة كما تبذرت في كل مرة من قبل ، ففى الاجتماع الذى انعقد أثناء المرحلة الأخيرة من مراحل الأزمة الوزارية التى أطاحت بوزارة النحاس ، وهو الاجتماع الذى ضم الهيئة الوفدية البرلمانية وانهقد يوم ٢٣ ديسمبر ، فى هذا الاجتماع تحدث النحاس بأفاضة عن موقفه من الأزمة وقال أنه قد وافق على موضوع حل جماعة القمصان الزرقاء وعدل عن مسألة اليمين الدستورية لرجال الجيش ، أما تعيين عبد العزيز فهمى عضوا بمجلس الشيوخ فهو ما تمسك برفضه . وتبع ذلك أن شرح مكرم عبيد قرارات لجنة الوفد المركزية فى شأن الأزمة ، ثم أعطيت الكلمة لأحمد ماهر فأبدى وجهة نظرم وأوصى بالاعتدال والحكمة . ولم يؤيده من الحاضرين سوى ثلاثة أعضاء ، أكثر من ذلك فقد واجهته جماعة من هؤلاء بمظاهرة عنيفة هتفت بسقوطه وبجياة النحاس .

وأخذت الأصوات فوافقت الهيئة بأغلبية ٢٢٨ ضد ثلاثة أصوات بالثقة بالنحاس باشا وفصل كل وفدى يقبل تأليف الوزارة أو يشترك أو يؤيد وزارة لا يرأسها النحاس (١) .

أيقن القصر من ذلك اخفاق المحاولة الجديدة لابعاد الزعامة الوفدية المناوئة وانصرف نتيجة لذلك عن فكرة تكليف أحمد ماهر بتأليف الوزارة واتجه الى (محمد محمود) صاحب اليد القوية المشهور وزعيم المعارضة فى مجلس النواب ورئيس حزب الأحرار الدستوريين .

ولا شك أن القصر كان يدرك انه بعد أزمة وزارية بالحدة التى أدت الى اقالة الوزارة النحاسية فقد كان مطلوبا تأليف وزارة على مستوى يناسب حجم الأزمة .

(١) الموقف السياسى فى مصر فى مطلع الحرب العالمية الثانية — دراسة غير منشورة لمركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة — بالاهرام ص ٨٨ .

وتألفت الوزارة المحمودية الثانية على النحو الآتى :

- | | |
|---------------------------|---------------------------------|
| ● محمد محمود باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية |
| ● اسماعيل صدقى باشا | وزير دولة ويتولى وزارة المالية |
| ● عبد الفتاح يحيى باشا | وزير دولة ويتولى وزارة الخارجية |
| ● أحمد محمد خشبة باشا | لوزارة الحقانية |
| ● عبد العزيز فهمى باشا | وزير دولة |
| ● محمد حلمى عيسى باشا | لوزارة الأوقاف |
| ● أحمد لطفى السيد باشا | وزير دولة |
| ● محمد بهى الدين بركات بك | لوزارة المعارف العمومية |
| ● حسن صبرى باشا | لوزارة المواصلات |
| ● حسين رفقى باشا | لوزارة الحربية والبحرية |
| ● حسين سرى باشا | لوزارة الأشغال العمومية |
| ● مراد وهبه باشا | لوزارة الزراعة |
| ● أحمد كامل بك | لوزارة التجارة والصناعة |
| ● محمد حافظ رمضان بك | وزير دولة |
| ● محمد حسين هيكى بك | وزير دولة |
| ● محمد كامل البندارى بك | لوزارة الصحة العمومية (٢) |

ويمكن تسجيل مجموعة من الملاحظات على الوزارة الجديدة فيما يلى :

أولا : انها قد ضمت ١٦ وزيرا بزيادة خمسة وزراء عن الوزارة السابقة (١١ وزيرا) بهدف تضمينها لكافة الاتجاهات « اللاوئدية » .

ثانيا : ان هذه الاتجاهات قد مثلت من مستوى القمة محمد محمود رئيسها زعيم الأحرار الدستوريين واسماعيل صدقى وزير المالية فيها زعيم حزب الشعب وحافظ رمضان وزير الدولة زعيم الحزب الوطنى .

ثالثا : وحتى على مستوى المنصب ، فيلاحظ انها قد جمعت ثلاثة من رؤساء الوزارات السابقين الى جانب أن أغلب من اشتركوا فيها قد اشتغلوا قبل ذلك بالوزارة .

رابعا : وعلى المستوى الوطنى فقد مثل فيها الرعيل الأول من الوفد . . عبد العزيز فهمى أحد ثلاثة رجال يرتبط اسمهم بثورة ١٩١٩ وبيوم الجهاد الوطنى الى جانب اسماعيل صدقى وأحمد لطفى السيد .

(٢) الوثائق المصرية العدد ١٢٢ لسنة ١٩٣٧ .

ومحصلة كل هذه الملاحظات ان وزارة « محمد محمود » الثانية كانت حقيقة وزارة الشخصيات الكبيرة كنتيجة حتمية للموقف العنيف للملك الشاب ضد الوزارة الوفدية صاحبة الاغلبية الشعبية .

وكان على الوزارة بعد تشكيلها ان تؤدي دورا محددا باقامة نظام وزارى مستقر . وكان واضحا ان القصر ومحمد محمود كانا قد تعلما من التجارب السابقة . . تجربة تعطيل الدستور التى اخفقت فى عهد زيور (١٩٢٤ - ١٩٢٦) وفى عهد محمد محمود (١٩٢٨ - ١٩٢٩) ، وتجربة تغيير دستور ١٩٢٣ التى اخفقت فى عهد صدقى (١٩٣٠ - ١٩٣٤) ومن ثم فقد كان مطلوبا تجربة جديدة دون تعطيل دستور ١٩٢٣ أو تغييره ، وتمثلت التجربة الجديدة فى تدخل الادارة فى الانتخابات مما ترتب عليه سلسلة طويلة من المجالس النيابية انبثقت تشكيلها من رغبة القصر . .

وقد بدأت وزارة محمد محمود فى تنفيذ خطتها باستصدار المرسوم الملكى بحل البرلمان الوفدى فى ٣ يناير ١٩٣٨ ، وقد هاج النواب الوفديون الا ان الشرطة تمكنت من اخراجهم من المجلس بعد قراءة المرسوم (٣) .

تبع ذلك ان اخذت الوزارة فى القيام بعمليات فصل واسعة للموظفين الوفديين واحلال موظفين معروفين بولائهم لها محلهم (٤) .

فى نفس الوقت كانت الحكومة تقوم بالاعداد لانتخابات مجلس نواب جديد .

وقد استخدمت وزارة « محمد محمود » كل ثقل الادارة لتشكيل مجلس نيابى « لا وفدى » وكانت اهم القوى الكبيرة التى دخلت الانتخابات التى جرت فى ابريل عام ١٩٣٨ :

١ - الحكومة التى تسمى مرشحوها بالمرشحين القوميين على أساس ان الوزارة تمثل ائتلافا قوميا بدون الوفد ، وقد نال بالطبع هؤلاء كل معونة من الادارة .

٢ - الهيئة السعدية التى كانت قد تشكلت خلال هذه الشهور يقودها احمد ماهر والنقراشى بعد انسلاخهما عن الحزب الكبير . وقد تحرك هؤلاء بحرية فى عدد كبير من الدوائر الانتخابية .

وقد انبثت توفير هذه الحرية من رغبة كل من القصر ومحمد محمود فى التنصل من تهمة تزوير الانتخابات ، ومن الرغبة ايضا فى هدم الوفد على ايدى المنشقين عنه واظهار ان الحزب الكبير قد انقسم على نفسه الى « وفد سعدى » يمثل اغلبية الوفديين ، و « وفد نحاسى » يمثل اقليتهم .

F.O. 407/222 (1) No. 3 Lampson to Eden Jan, 4, 1938 Tel. No. 4. (٣)

F.O. 407/222 (1) No. 13 Lampson to Eden Feb. 8, 1938 Tel. (٤)

٣ — الوفديون . وقد بلغت الضغوط من أجل اسقاطهم ذروتها طوال أيام الانتخابات .

وظهرت نتيجة الانتخابات وقد حصل مرشحو الحكومة على ٩٣ مقعدا بينما فاز السعديون بثمانين مقعدا والوفد بـ ١٢ مقعدا فقط الى حد أن زعيميه الكبيرين — النحاس ومكرم — قد سقطا في دائرتيهما (!) .

ومع ظهور هذه النتيجة قدمت وزارة محمد محمود استقالتها للملك لتفسيح له اختيار وزارة جديدة على ضوءها .

٤٩ — وزارة محمد محمود الثالثة ٢٧ ابريل ١٩٣٨ — ٢٤ يونية ١٩٣٨ :

قدمت وزارة محمد محمود الثانية استقالتها لسببين :

أولهما : سياسى لأنها كانت قد تألفت لغرض معين أساسه « اشعار الناس بقوتها وحمل العناصر التى تثير القلق على أن تلزم السكينة (٥) » ، وقد تحقق هذا الهدف .

ثانيهما : دستورى لترك للملك حرية اختيار الوزارة الجديدة على ضوء نتائج الانتخابات وان كان مفهوما ان هذا الاختيار سيقع على محمد محمود نفسه على أساس أن مرشحيه قد حصلوا على الاغلبية فى المجلس الجديد

ومن ثم تقدم رئيس الوزارة باستقالته فى ٥ ابريل ١٩٣٨ فأشار عليه الملك أن يؤجل هذه الاستقالة لاجراء مشاورات لتأليف الوزارة الجديدة .

وقد استمرت هذه المشاورات لثلاثة اسابيع كاملة مما خلق جو « أزمة وزارية » .

انبعثت هذه الأزمة فى البداية من رغبة محمد محمود فى أن يضم الى الوزارة عددا أكبر من أعضاء حزبه (الأحرار الدستوريين) فرفض القصر على أساس أن مثل هذا العمل سوف يؤدي الى اضعاف الصفة القومية للوزارة وهى الصفة التى تقدم بها فى الانتخابات .

وبالرغم من عدول رئيس الوزارة عن رغبته تلك الا أن الأزمة ظلت مستمرة نتيجة للاختلاف على المقاعد الوزارية .

وقد اكتسبت مسألة « توزيع المقاعد الوزارية » أهمية خاصة فى تلك الوزارة لأكثر من سبب . .

(٥) د. محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٥٨ .

— فمن ناحية شهدت الفترة السابقة (١٩٣٦ — ١٩٣٨) اختلافا حول أهمية الوزارات ، فقد كانت وزارات الداخلية والمالية والزراعة تعتبر قبل ذلك المراكز الرئيسية الثلاثة في كل وزارة ، ومن ثم كان يختار لهذه الوزارات خاصة الأولى والثانية أكفأ الوزراء .

في نفس الوقت حظيت وزارات المعارف والأشغال والمواصلات بقدر من الأهمية وإن كان بدرجة أقل . أما وزارة الحربية فقد كانت قليلة القيمة ، فطالما أن إنجلترا كانت تشرف على وسائل الدفاع عن البلاد فلم يكن ثمة حاجة لاهتمام كبير بالجيش .

غير أن هذا الوضع تغير بعد معاهدة عام ١٩٣٦ وما ترتب عليها من زيادة الاهتمام بالجيش المصرى فقد ارتفعت أهمية وزارة الحربية بعد ذلك الى مكانة لا تقل عن وزارتي الداخلية والمالية .

— من ناحية أخرى فبالرغم من أن هذا الوضع قد بدأ قبل ذلك منذ عام ١٩٣٦ إلا أنه لم يسبب أى « صداع » للوزارة النحاسية لأنها كانت وزارة الحزب الواحد ، كما أنه لم يسبب خلافا يذكر في الوزارة التي تلت العهد الوفدى على أساس أن كافة المشتركين فيها كانوا يدركون أنها « وزارة انتقالية » .

ولكن مع الشروع في تأليف الوزارة الجديدة ذات صبغة « الدوام » من جانب وصبغة « الائتلاف » من جانب آخر كان لابد أن يتفجر الصراع حول وزارة الحربية بالذات بعد كل ما اكتسبته من أهمية .

وقد واجه محمد محمود مشكلة اختيار وزير جديد كفء لهذه الوزارة حتى وقع بالفعل على « حسن صبرى » وزير المواصلات في الوزارة السابقة وسفير مصر السابق في إنجلترا وقد جمع الرجل الصفات المطلوبة لشغل منصب وزير الحربية ، فهو أولا بحكم عمله في لندن قد نجح في عقد كثير من أواصر الصداقة مع المسؤولين البريطانيين ، ثم أنه بحكم ولائه للملك فقد كان موضع ثقة القصر ، وهو أخيرا بحكم عمله كوزير سابق قد توفرت له الكفاءة المطلوبة (٦) .

ومع ما ترتب على النجاح في اقضاء الوفد من صراع على المواقع الوزارية فقد ترتب عليه أيضا غيرة أخذت تدب بين القصر ويمثله رئيس الديوان على ماهر ورئيس الوزراء محمد محمود ، فقد تصور كل من الرجلين أنه صاحب النجاح وعليه أن يجنى ثماره .

ومن الواضح أن تلك الغيرة هي التي دعت القصر الى مساندة السعديين في انتخابات الوجه البحرى على حساب الأحرار الدستوريين الذين كانوا قد أحرزوا قبل ذلك أغلب المقاعد المخصصة للصعيد ، ذلك أن الحكومة

أجرت الانتخابات على يومين حتى تستطيع أن تنقل قواتها من الصعيد إلى الدلتا لتسيطر على الانتخابات في كل منهما (٧) .

وقد أدى التناقض في تصور كل من الطرفين — القصر والوزارة — ، هذا من جانب ، ثم الحساسيات التي خلقها موقف القصر من الانتخابات في الوجه البحري ، من جانب آخر ، أدى كل ذلك إلى ظهور بوادر أزمة عدم ثقة بين الطرفين ظهرت في مسألة « كامل البنداري باشا » وزير الصحة في الوزارة السابقة ، فبينما لم يرشحه محمد محمود باعتباره رجل الديوان في الوزارة ، ينقل إلى على ماهر كل ما يجري فيها من مناقشات بالرغم من كونه حرا دستوريا صمم القصر على أن يبقى في الوزارة الجديدة (٨) .

وبينما هذه الخلافات تتوالى والأسابيع تمر دون تأليف الوزارة الجديدة شرع الوفد في استغلال الموقف وسارت المظاهرات هنا وهناك تهتف بسقوط الحكومة وتعلن تزوير الانتخابات .

وسارع المعسكر « اللا وفدى » يجمع صفوفه ، وتقرر تعيين البنداري وكيلا للديوان الملكي وتم تأليف الوزارة الجديدة على النحو الآتى :

● محمد محمود باشا	للرئاسة والداخلية
● اسماعيل صدقى باشا	وزيرا للمالية
● عبد الفتاح يحيى باشا	وزيرا للخارجية
● أحمد محمد خشبة باشا	وزيرا للحقانية
● محمد حلمى عيسى باشا	وزيرا للمواصلات
● أحمد لطفى السيد باشا	وزير دولة
● حسن صبرى باشا	وزيرا للحربية والبحرية
● حسين سرى باشا	وزيرا للاشغال العمومية
● مراد وهبه باشا	وزيرا للتجارة والصناعة
● أحمد كامل باشا	وزيرا للصحة العمومية
● محمد حسين هيكل باشا	وزيرا للمعارف العمومية
● رشوان محفوظ باشا	وزيرا للزراعة
● الشيخ مصطفى عبد الرازق بك	وزيرا للاوقاف (٩)

أهم ملاحظة عن وزارة محمد محمود الثالثة انها لم تعمر أكثر من شهرين بالرغم مما كان يبدو مع تشكيلها انها سوف تتمتع بعمر طويل على اعتبار

(٧) محمد التابعى : من اسرار السياسة والسياسة ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٨) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٧ — ٨٨ .

(٩) الوقائع المصرية العدد ٥ لسنة ١٩٢٨ .

انها تستند الى اغلبيه برلمانية لا بأس بها وفي ظل دستور ١٩٢٣ الذى ظل
الوفد وغيره يتمسكون به .

وحتى هذين الشهرين فانهما لم ينقضيا فى محاولات لتدعيم الوزارة او
اصلاح اداة الحكم او وضع برنامج محدد بهدف تنفيذه . . . بالعكس فقد
انقضيا فى صراع بين رئيس الديوان الملكى على ماهر باشا وبين رئيس
الوزارة محمد محمود باشا وما صاحب هذا الصراع من مناورات قام بها
كل طرف .

ووراء هذا الصراع سببان . . اولهما ان التعجيل بتشكيل الوزارة لم يؤد
بأى من الطرفين الى نصر حاسم يحزره على الطرف الاخر فى مشكلة
البندارى مما يمكن القول معه ان تلك المشكلة قد خلقت جوا من التربص
لدى كل طرف بالاخر .

السبب الثانى ما يجمع عليه العارفون ببواطن الامور وقتذاك من ان على
ماهر كان قد وضع عينه على منصب رئيس الوزراء وانه بالتالى لم يدخر
جهدا فى احراج صاحب هذا المنصب بهدف ازاحته والحلول محله (١٠) .

وتبدأ المناورات من جانب « على ماهر » حين يسعى الى تدعيم مركزه
« فى مواجهة منافسيه داخل القصر وخارجه » من خلال حركة مسرحية قام
بها فى أعقاب تأليف الوزارة الجديدة .

ففى ٩ مايو ١٩٣٨ تقدم رئيس الديوان باستقالته للملك مدعيا انه بعد
النجاح فى تجاوز الازمة الوزارية وبعد ان استقرت الامور فقد انتهت المهمة
التي أنيطت به (١١) .

ويحدث ما كان متوقعا من رفض الملك للاستقالة وما يصحب هذا الرفض
من تدعيم مركز الرجل فى مواجهة خصومه . . . أحمد حسنين داخل القصر ،
ومحمد محمود خارجه (١٢) . .

ويدرك رئيس الوزراء طبيعة المناورة ويدرك أيضا ان موقف الوزارة او
على وجه التحديد وضعها البرلمانى لن يجعلها تصمد أمام مناورات على ماهر
الى ما شاء الله . فبينما كان للاحرار الدستوريين فى مجلس النواب نيف
وثمانين نائبا كان للسعديين عدد قريب من ذلك ولم يكونوا ممثلين فى الوزارة .

وكان التحالف الذى أقامه الدستوريون مع الأحزاب الصغيرة الأخرى
(الشعب والاتحاديين) لا يمكن أن يشد أزر محمود باشا لوقت طويل لا سيما

(١٠) محمد التامى من اسرار الساسة والسياسة .

F.O. 407/222 (1) No. 49 Lampson To Halifax May 9, 1938 Tel. (١١)
No. 315.

F.O. 407/222 (1) No. 50 Lampson to Halifax May 11, 1938 Tel. (١٢)
No. 321.

ان هذين الحزبين كانت لهما اقلية من النواب بينما كانت الاكثرية من غير الدستوريين والسعديين من المستقلين .

والمستقلون قد ساندوا حقيقة الوزارة خلال الشهرين اللذين انصرما من عمرها الا ان استمرار هذه المساندة لم يكن مضمونا خاصة وان السعديين بدورهم وقفوا منها موقفا وديا فماذا لو انقضت الشهور ووقف هؤلاء الاخرون منها موقف المعارضة الصريحة ؟ وماذا يكون الموقف لو انضمت غالبية المستقلين للحزب السعدى وسقطت الوزارة « بعدم ثقة » وهو احتمال وان لم تعرفه السياسة المصرية قبل ذلك الا انه كان بادر التحقيق على ضوء العلاقات داخل المجلس ، وعلى ضوء ما قد ينجح فيه على ماهر من الوقعية بين الاحرار الدستوريين وبين السعديين .

ومن هنا جاءت الفكرة التى وصفتها الوثائق الانجليزية بالذكاء . . فكرة تأليف وزارة جديدة من الحزبين صاحبى الاغلبية فى مجلس النواب .

٥٠ - وزارة محمد محمود الرابعة ٢٤ يوفية ١٩٣٨ - ١٨ أغسطس ١٩٣٩ :

رأى محمد محمود باشا ان تأليف وزارة من الحزبين صاحبى الاغلبية (١٧٠ نائبا) ما يكفل للوزارة الجديدة غالبية قوية حتى اذا لم يؤيدها أحد من المستقلين .

من ناحية أخرى فقد رأى رئيس الوزراء انه بهذا الاجراء سوف يتمكن من الحد من دسائس القصر ودسائس على ماهر ، وقد ذكر محمد محمود فى لقاء له مع السفير البريطانى فى ١٥ يوفية ان هذه الوسيلة خير من الرد على كل عمل من القصر بمثله وما يترتب على ذلك من اشتداد النزاع بين الطرفين (١٣) .

من ناحية أخرى بعد ان أخفقت محاولات الزعامة الوفدية فى الغاء الانتخابات التى جرت بتهمة التزوير فقد أخذت فى السعى الى الايقاع بين الحزبين صاحبى الاغلبية فى البرلمان .

وسعى لتفويت الفرصة على الوفد جاءت فكرة تأليف الوزارة الجديدة وهى الفكرة التى عبرت عنها صحيفة « البلاغ » الوثيقة الصلة بالقصر وقتذاك بقولها ان الهدف من تأليف الوزارة الجديدة « القضاء على أمل للنحاسيين فى اثاره خلافات ومنازعات بين الحزبين الكبريين اللذين يستند اليهما بناء العهد الحاضر تقضى عليهما وعلى عهديهما ، ومن البديهي أيضا - والكلام لا زال للبلاغ - ان استقرار العهد الحاضر معناه القضاء الاخير على النحاسيين (١٤) .

(١٣) F.O. 407/222 (1) No. 57 Lampson to Halifax June 15, 1938 Tel.
No. 375 Most Confidential.

(١٤) البلاغ فى ١٩٣٨/٦/٢٣ .

من ناحية ثالثة فان زعماء السعديين لما كانوا من أقطاب الوفد فانهم قد شاركوا في العمل الوزاري وكانت لهم سمعتهم العريضة التي اكتسبوها من ممارسة هذا العمل .

وكان معنى ضم هؤلاء الى الوزارة بما اتصفوا به من « الذكاء والحكمة والخبرة الادارية وصدق الوطنية » (١٥) ما يعزز الوزارة ويقويها .

بالوعى بكل هذه الاعتبارات بدأ محمد محمود اتصالاته بالسعديين يعرض عليهم اشراكهم في وزارته ونجح في الحصول على موافقتهم بالرغم مما كان يمكن أن تعنيه هذه الموافقة من دخول أحمد ماهر زعيم الهيئة السعدية في صراع مع أخيه على ماهر رئيس الديوان الملكي (١٦) .

وبينما يسعى محمد محمود الى تدعيم مركز وزارته من خلال الاتصالات التي كان يجريها مع السعديين كان على ماهر يناور لافساد هذا السعى .

ففى ١٧ يونيه ، وبعد يومين فقط من معرفة نية رئيس الوزراء على تعديل وزارته . . في هذا اليوم يلتقى على ماهر بالنحاس باشا على كورنيش الاسكندرية ثم يزوره في داره بالرمل . . ويظل هذا اللقاء وتظل تلك الزيارة موضع تكهنات كثيرة حتى تكشف لنا الوثائق البريطانية عما دار فيهما وكيف انهما كانا جزءا من مناورة كبيرة ضد خطة محمد محمود لتأليف الوزارة الجديدة .

فقد ابلغ على ماهر النحاس في هذين اللقاعين ان الوزارة الحاضرة ليست محل الرضا ولا مفر من سقوطها عاجلا أو آجلا . . وسأل النحاس عما يرتضيه لكى ينسى الماضى فاجاب هذا بان كل ما يطلبه هو تعيين وزارة محايدة تكون مهمتها اجراء انتخابات عادلة وتكليف الحزب الفائز بالأغلبية بتأليف الوزارة الجديدة . . ثم جرى حديث بعد ذلك عن يتم ترشيحه لتأليف الوزارة المحايدة ولم يكن على ماهر على أى حال (١٧) .

ولا شك أن رئيس الديوان الملكي لم يعن ما قاله في هذا اللقاء بقدر ما كان يعنى ابعاد محمد محمود واخلاء الجوله ، الا أن المناورة لم تنجح لسببين أولهما : ان رئيس الوزراء سار في طريقه لا يلوى على شيء ، وقد وضع القصر أمام أحد احتمالين . . أما بوزارة يرأسها على ماهر ولا تتمتع بتأييد أى حزب من الحزبين الكبارين في البرلمان وأما بوزارة يرأسها هو وتتمتع بهذا التأييد ، وثانيهما : ان مناورة على ماهر قد فهمت على حقيقتها لدى الزعامة الوفدية ، ومن ثم لم تجد استجابة كبيرة عندها مما أدى في النهاية الى احباطها (١٨) .

(١٥) المقطم في ١٩٣٨/٦/٢٣ .

F.O. 407/222 (1) No. 57. Lampson to Halifax June 15, 1938 Tel. (١٦)
No. 375 Most Conf.

F.O. 407/222 No. 58 Lampson to Halifax June 24, 1938 Tel. No. 385. (١٧)

Ibid.

(١٨)

ولم يكن امام الملك في مواجهة هذا الموقف سوى الموافقة على تأليف وزارة محمد محمود الرابعة على النحو الآتى :

● محمد محمود باشا	للمرئاسة
● عبد الفتاح يحيى باشا	لوزارة الخارجية
● الدكتور أحمد ماهر	لوزارة المالية
● أحمد محمد خشبة باشا	لوزارة الحقانية
● محمود فهمى النقراشى باشا	لوزارة الداخلية
● حسن صبرى باشا	لوزارة الحربية والبحرية
● محمود غالب باشا	لوزارة المواصلات
● حسين سرى باشا	لوزارة الأشغال العمومية
● محمد حسين هيكى باشا	لوزارة المعارف العمومية
● رشوان محفوظ باشا	لوزارة الزراعة
● الشيخ مصطفى عبد الرازق بك	لوزارة الأوقاف
● الدكتور حامد محمود	لوزارة الصحة العمومية
● سبأ حبشى بك	لوزارة التجارة والصناعة (١٩)

وأهم الملاحظات عن تشكيل وزارة محمد محمود الرابعة والأخيرة يمكن تسجيلها فيما يلى :

أولا : فقد تخلصت من ممثلى الاحزاب الصغيرة حيث خرج منها ممثل حزب الاتحاد (حلمى عيسى) ، كما خرج منها ممثل حزب الشعب (أحمد كامل) .

ثانيا : أنه قد غلب عليها طابع التوازن بين الحزبين الكبيرين اللذين شكلاها .

ولتوفير هذا التوازن تم اخراج احد الوزراء الدستوريين وهو أحمد لطفى السيد لاتاحة الفرصة لعدد متكافئ من الوزراء السعديين لدخول الوزارة .

ولتوفيره أيضا حصل كل حزب من الحزبين الكبيرين على خمسة من المناصب الوزارية . . الدستوريون تولوا الرئاسة والحقانية والمعارف والأوقاف والزراعة ، والسعديون تولوا المالية والداخلية والصحة والتجارة والمواصلات .

وقى نفس الوقت تولى المستقلون ثلاث وزارات هى الحربية والخارجية والأشغال وكانوا بذلك عامل توازن آخر بين الحزبين الكبيرين المؤتلفين

ثالث الملاحظات التي تسترعى النظر أن يتولى وزيران من الحزب السعدى أهم وزارتين في الوزارة (المالية والداخلية) وقد ذكر محمد محمود لرجال حزبه أنه قد وافق على ذلك نزولا على رغبة ماهر والنقراشى وان كان آخرون قد ذكروا ان زعيم الاحرار الدستوريين قد قصد التنازل عن هاتين الوزارتين لأن « اتصاليهما بالمصالح المادية للجمهور يسرع بمن لم تتحقق منافعهم المرجوة للانصراف عن تأييد السعديين (٢٠) » .

* * *

ولم يمض وقت طويل على تشكيل الوزارة حتى عاد « على ماهر » الى مناوراتهم . فبعد شهور قليلة ساءت صحة محمد محمود ورآها القصر او رئيس الديوان فرصة للتحرك ضد الرجل .

واخذت الاشاعات تنتشر مع مرض رئيس الوزراء . مرة بالقول انه في طريقه الى الاستقالة ، ومرة أخرى بالقول انه في طريقه لاجازة طويلة يحل محله خلالها عبد الفتاح يحيى ، بل أن بعض الاشاعات قد حددت على ماهر باعتباره الخليفة المنتظر للرجل في منصبه .

وقد علم محمد محمود بكل تلك الأقوال كما علم أن القصر مصبدرها وكان رده عليها مزيدا من التعاون بينه وبين السعديين وزعيمهم الدكتور أحمد ماهر والتي تمثلت في اصدار التصريحات من الرجلين يتحدثان فيها عن الاستقرار الوزارى وعن الانسجام بين الدستوريين والسعديين (٢١) .

ولكن ، ومع الوقت ، اخذ هذا الاستقرار الوزارى في الاهتزاز ولاكثر من سبب .

١ — وقوع أحمد خشبه باشا وزير الحقانية تحت التأثير الكامل لرئيس الديوان الملكى وما ترتب على ذلك من قيامه ببث العراقيل في وجه العمل الوزارى .

٢ — استقالة رشوان باشا محافظ وزير الزراعة في ١٣ ديسمبر ١٩٣٨ بعد اثاره قضية استغلال النفوذ في احدى مزارع الحكومة .

ورشوان محافظ صديق وقريب لـ محمد محمود ، كما انه في نفس الوقت نائب ورئيس الاحرار الدستوريين . ولا شك ان القضية التي ادت الى استقالة الرجل كانت في نفس الوقت ضربة موجهة الى رئيس الوزراء ، رغم أن التحقيق فيها قد حفظ .

٣ — تبع ذلك استقالة حسن باشا صبرى وزير الحربية والبحرية ، وقد تمت هذه الاستقالة نتيجة لاصطدام الرجل مع القصر الذى لم يقبل ترشيحه

(٢٠) محمد حسين هيك : المصدر السابق ص ١٤٠ ج ٢
(٢١) F.O. 407/222 (11) No. 52 Lampson to Halifax Nov. 30, 1938 Tel. No. 181.

للواء صالح حرب مديرا لإدارة الحدود وهو المنصب الذى كان خاليا آنذاك ، ونتيجة أيضا لاصطدامه مع وزير المالية بسبب الاختلاف حول تطبيق كادر جديد على رجال الجيش (٢٢) .

وقد ظل الصراع بين محمد محمود وبين على ماهر بين مد وجزر ، فى نفس الوقت كان رئيس الوزراء يصارع المرض حتى اضطر الرجل الى تقديم أولى استقالاته فى ٦ يولييه ١٩٣٩ ولكن الملك يرفض قبولها ويطلب ان يتحمل زملاء الرجل بعض أعبائه مما اضطره الى سحب الاستقالة .

٥١ - وزارة على ماهر الثانية ١٨ أغسطس ١٩٣٩ - ٢٧ يونيه ١٩٤٠ :

أدى الإحساس بأن محمد محمود لن يتمكن من الاستمرار فى منصبه الى طرح التساؤلات عن خلفه . وكان « أحمد ماهر » أقوى المرشحين الا أن ما شاع وقتذاك عن أنه يؤيد منح عبود باثنا اعانة من الحكومة لشركة البوستة الخديوية ، وأن وزيرى التجارة والداخلية يعارضان بالاضافة الى ما اشتهر به أحمد عبود من سمعة غير مرضية . كل ذلك أدى الى اثاره الشكوك حول أحمد ماهر مما أضعف فرصته . ولا شك ان الوفد الذى كان يحمل آنذاك قدرا هائلا من الكراهية لأحمد ماهر قد بذل جهده لتربيع هذه الشكوك لدى الراى العام المصرى (٢٣) .

على هذا فقد عادت النيات تتجه الى أن يتولى « على ماهر » المنصب الذى اوشك على الخلو وهو ما تحقق بالفعل عند تقديم محمد محمود لاستقالته فى ١٢ أغسطس ١٩٣٩ .

وقد اختلف المؤرخون حول مسألة قبول استقالة محمد محمود هذه المرة بعد رفضها قبل ذلك بأكثر من شهر ، فالرافعى يتحدث عن تكليف القصر لأحد رجاله لمقابلة رئيس الوزراء وابلاغه برغبة الملك فى تقديم استقالته (٢٤) ، والدكتور هيكل يتحدث عن أن محمد محمود أبلغ الملك برغبته فى الاستقالة بعد ان علم بان على ماهر يتصل ببعض الاشخاص ليعرض عليهم الاشتراك معه فى الوزارة الجديدة (٢٥) . أما محمد محمود نفسه فيقول للسير لامبسون غداة تقديم استقالته أنه ليس من سبب لذلك سوى ظروفه الصحية وأنه فى جلسة مجلس الوزراء الأخيرة لم يتمكن من البقاء أكثر من ربع ساعة (٢٦) .

وتبدأ المشاورات لتأليف الوزارة الجديدة ويتصل على ماهر بكل من الدستوريين والسعديين ويطلب هؤلاء أن يكون تمثيلهم فى الوزارة طبقا

F.O. 407/223 No. 4 Lampson to Halifax Jan. 16, 1938 Desp. No. 41. (٢٢)

F.O. 407/223 (11) No. I Lampson to Halifax July 13, 1939 Desp. No. 871. (٢٣)

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٦٩ .

(٢٥) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٢ .

F.O. 407/223 (11) No. 11 Bateman to Halifax Aug. 25, 1939 Desp. No. 10 66. (٢٦)

لتمثيلهم في مجلس النواب (٩٩ للدستوريين ، ٨٤ للسعديين من ٢٦٣) .
ولكن على ماهر يوضح منذ البداية أنه لن يكون لأى منهم أكثر من أربعة
مقاعد في الوزارة الجديدة وأنه يرغب في أن يكون لرجاله الاغلبية في الوزارة
حتى لو اضطر الى زيادة عدد الوزارات ثم اُضاف أن الوزارات ذات الأهمية
ستكون من نصيب هؤلاء الرجال .

ومع أن الحزبين الدستوري والسعدي لم يستسيغا شروط على ماهر
الا أنهما قد قبلها ، ولكن لم تلبث المشاورات ان انقطعت مع الاحرار
الدستوريين نتيجة لاصرار على ماهر على اعتبار (عبد القوى أحمد) المرشح
لوزارة الاشغال من الاحرار الدستوريين ولم يكن منهم ، مما أدى الى انسحاب
هؤلاء لتركوا على ماهر والسعديين يتدبرون الأمر ويشكلون الوزارة
الجديدة (٢٧) . على النحو الآتى :

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| ● على ماهر باشا | ● للرئاسة والداخلية والخارجية |
| ● محمد على علويه باشا | ● وزير دولة للشئون البرلمانية |
| ● محمود فهمى النقراشى باشا | ● وزيرا للمعارف العمومية |
| ● محمود غالب باشا | ● وزيرا للمواصلات |
| ● حسين سرى باشا | ● وزيرا للمالية |
| ● الدكتور حامد محمود | ● وزيرا للصحة العمومية |
| ● سابا حبشى بك | ● وزيرا للتجارة والصناعة |
| ● عبد الرحمن عزام بك | ● وزيرا للأوقاف |
| ● الأستاذ ابراهيم عبد الهادى | ● وزير دولة للشئون البرلمانية |
| ● مصطفى محمود الشوربجى بك | ● وزيرا للعدل |
| ● عبد السلام الشاذلى باشا | ● وزيرا للشئون الاجتماعية |
| ● عبد القوى أحمد بك | ● وزيرا للاشغال العمومية |
| ● محمد صالح حرب باشا | ● وزيرا للدفاع الوطنى |
| ● محمود توفيق الحفناوى بك | ● وزيرا للزراعة (٢٨) |

وتتعدد الملاحظات على تشكيل الوزارة الماهرية الثانية في يلى :

١ — انها قد تشكلت أساسا من المستقلين (٩ من ١٤ وزير) أما الحزبيون
فيها وكانوا من الحزب السعدي فقد شكلوا أقل من النصف — (حامد
محمود — محمود غالب — النقراشى — سابا حبشى — ابراهيم عبد الهادى)

ويلاحظ في هذا الشأن أيضا ان « أحمد ماهر » رئيس السعديين لم يشترك
في الوزارة الجديدة ، ولاشك أنه كان وراء ذلك التحاسد الذى ظل قائما

بين الآخرين منذ أن قبل زعيم الهيئة السعدية الانضمام الى وزارة محمد محمود الثالثة وأحبط خطط أخيه للإطاحة بمحمود باشا .

٢ — الملاحظة الثانية ان هيئة الوزارة الجديدة قد زادت وزارة هي وزارة — الشئون الاجتماعية — لأنه كان من « أهم اغراض الوزارة أن تخص الشئون الاجتماعية في البلاد بأقصى ما يستطيع (٢٩) » .

٣ — ضمت الوزارة الجديدة عددا من الوزراء من المعروفين بعدائهم للانجليز في جو دولي متوتر كان ينذر بكل المخاطر وهو ما أشار اليه لامبسون عند حديثه عن تشكيل الوزارة وعن أنها تضم كلا من محمد صالح حرب وعبد الرحمن عزام في نفس الوقت الذي يتولى فيه عزيز المصري رئاسة أركان الجيش وللرجل نفس ميول زميليه . . كل ذلك دعا السفير البريطاني في القاهرة الى ابداء مخاوفه حول تشكيل الوزارة (٣٠) .

٤ — يضاف الى كل ذلك أن رئيس الوزارة استمر في نفس الوقت وكأنه « رئيس للديوان الملكي » ليتمتع من خلال هذا المنصب الأخير بنفوذ غلاب في القصر .

ولم يكن قد انقضى أسبوعان على تشكيل وزارة علي ماهر الثانية حين بدأت الحرب العالمية الثانية وانجلترا طرف من أهم أطرافها .

ومع قيام الحرب ، دخل تاريخ مصر وتاريخ الوزارة حقبة جديدة تأثرت أساسا بموقف البلاد من تلك الحرب .

وقد حاولت بريطانيا خلال الأسابيع الأولى من النزاع أن تدفع بمصر الى اعلان حالة الحرب ضد أعدائها الا أن علي ماهر ظل يناور الجانب البريطاني ببراعة لا شك فيها ، ولعل ذلك ما دعا السير لامبسون الى أن يكتب لوزير خارجيته في ٢ أكتوبر ١٩٣٩ ، بعد شهر واحد من قيام الحرب يصفب وزارة علي ماهر بأنها « وزارة غير صحيحة (٣١) » .

وتزداد حدة العداء بين وزارة علي ماهر وبين الجانب البريطاني نتيجة لاستمرار الوزارة في سياستها العدائية للبريطانيين والتي أحصى السير لامبسون بعض مظاهرها التي تمثلت في : العمل الدائب من جانب « عزيز المصري » لتقويض مركز البعثة العسكرية البريطانية عمدا ، وفي تشجيع رئيس الوزراء لحمله ضد الوضع الانجليزي — المصري في السودان ، وفي طرد عدد من موظفي الحكومة المعروفين بميولهم الودية نحو بريطانيا ،

(٢٩) من نص جواب علي ماهر على تكليف الملك له بتأليف الوزارة الوثائق المصرية العدد

٨٢ لسنة ١٩٣٩ .

(٣٠) F.O. 407/223 (11) No. 11 Bateman to Halifax Aug. 25, 1939 Desp. No. 1066.

(٣١) F.O. 407/223 (11) No. 33 Lampson to Halifax Oct. 2 No. 1929 Tel. No. 298.

وفى تشجيع المنظمات شبه الفاشية وبالذات جماعة « مصر الفتاة » التى تحولت فى هذا الوقت الى « الحزب الوطنى الاسلامى » والمعروفة باتجاهاتها المعادية نحو بريطانيا (٣٢) .

وتتعدد الأمور أكثر بعد دخول ايطاليا الحرب فى يونية عام ١٩٤٠ ، ومع ما ترقب على هذا من زيادة المخاطر على مصر والوجود الايطالى رابض على حدودها الغربية فقد صحبه تشجيع الوزارة والملك على انتهاز خطة العداء نحو الوجود البريطانى والسعى الى الاتصال بدولتى المحور .

وعند هذا الحد تحرك السير ميلز لامبسون فكتب الى لندن فى ١٥ يونيه يصف على ماهر بأنه « غير متعاون ولا يمكن الاعتماد عليه بل ولا احترامه فهو بالرغم من وعوده المتكررة قد فشل تماما فى توجيه الراى العام الى الوجهة السليمة . ولم يبق فى طاقتى أو فى مقدورى ان يظل فى منصبه أكثر من ذلك (٣٣) » .

٥٢ — وزارة حسن صبرى الأولى ٢٧ يونية — ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ :

شهد النصف الثانى من يونيه ١٩٤٠ ما يمكن ان نسميه « بحادثة ٤ فبراير الصغيرة » . فقد وضع البريطانيون هدفا امامهم يتمثل فى السعى لاجراج « على ماهر » من الوزارة ومن الديوان الملكى على أن يحل محله أحد ثلاثة من المعروفين بولائهم للحليفة من طراز حسن صبرى أو حافظ عفيفى أو حسين سرى .

وكانت وجهة النظر البريطانية فى ذلك أن يكون رئيس الوزارة الجديدة « غير وفدى » ولكن يتمتع بثقة الوفد ، على أساس أن تعيين وزارة وفدية سيكون من شأنه اغضاب القصر وبعض الدوائر السياسية الأخرى مما يهم انجلترا أن تظل على تعاونها معهم ، هذا بالاضافة الى ما يتمتع به الوفد من شهرة سيئة من ناحية « انعدام الكفاءة الادارية (٣٤) » .

يتبع ذلك ان يضغط البريطانيون لاجراج « على ماهر » ويتخذ هذا الضغط صورة متعددة من كلمات التهديد المبهمة حين يلتقى لامبسون بالملك فى الاسكندرية فى ١٧ يونيه ويلوح له باحتمالات التدخل العسكرى البريطانى ان لم يخرج رئيس الوزراء (٣٥) الى التلويح بأن بريطانيا قد تفرض « الأحكام العرفية البريطانية » على مصر كما حدث فى الحرب العالمية الأولى (٣٦) ثم

F.O. 407/225 Enc. No. 3 Political Review of the Year 1940 Desp. (٣٢)
No. 59.

F.O. 407/224 No. 51. Lampson to Halifax June, 15 1940 Tel. No. 525. (٣٣)

F.O. 407/224 No. 53 Halifax to Lampson, June 16, 1940 Tel. (٣٤)
No. 468.

F.O. 407/224 No. 55 Lampson to Halifax, June 17, 1940 Tel. (٣٥)
No. 536.

F.O. 407/224 No. 57 Lampson to Halifax, June 19, 1940 Tel. No. 544. (٣٦)



حسن صبرى باشا

— سياسى مصرى اشتهل بالمحاماة وتدرج فى المناصب القضائية .

— عين وزيرا مفوضا فى لندن عام ١٩٣٥ .

— تولى رئاسة الوزارة مرة واحدة خلفا لعلى ماهر باشا عام ١٩٤٠ .

— توفى وهو يلقي خطاب العرش امام البرلمان فى نوفمبر عام ١٩٤٠ .

اخيرا الى التهديد بانزال الملك فاروق عن العرش ووضعه تحت الرقابة حتى لا يلجأ الى ايطاليا (٣٧) .

ولا يجد القصر أمام هذا السيل من التهديدات سوى الانصياع والموافقة على أن يشكل أحد الرجالات ، الذين رشحتهم السفارة ، الوزارة الجديدة التي سرعان ما تألفت في ٢٧ يونيه على الشكل الآتى :

- حسن صبرى باشا
- عبد الحميد سليمان باشا
- محمد حلمى عيسى باشا
- محمود فهمى النقراشى باشا
- محمود فهمى القيسى باشا
- صليب سامى بك
- محمود غالب باشا
- حسين سرى باشا
- محمد حافظ رمضان باشا
- محمد حسين هيكل باشا
- الشيخ مصطفى عبد الرازق بك
- الأستاذ ابراهيم عبد الهادى
- أحمد عبد الغفار بك
- الأستاذ على أيوب
- الأستاذ عبد المجيد ابراهيم صالح
- على ابراهيم باشا
- للرئاسة والداخلية
- وزير المالية
- وزير العدل
- وزير الداخلية
- وزير للدفاع الوطنى
- وزيراً للتموين
- وزيراً للمواصلات
- وزيراً للاشغال العمومية
- وزيراً للشئون الاجتماعية
- وزيراً للمعارف العمومية
- وزيراً للأوقاف
- وزيراً للتجارة والصناعة
- وزيراً للزراعة
- وزير دولة
- وزير دولة
- وزيراً للصحة العمومية (٣٨)

واذا كانت وزارة على ماهر قد افتقدت عنصر الائتلاف الحزبى حيث لم يدخلها من الأحزاب سوى السعديين فان وزارة حسن صبرى قد توفر فيها هذا العنصر .

وكان عدد المستقلين فى الوزارة الجديدة ستة وزراء فقط والبقية من المنتمين الى الاحزاب منهم أربعة من السعديين (النقراشى وغالب و ابراهيم عبد الهادى وعلى أيوب) وأربعة من الدستوريين (هيكل ومصطفى عبد الرزاق وأحمد عبد الغفار وعبد المجيد صالح) وممثل لحزب الاتحاد (حلمى عيسى) وآخر للحزب الوطنى (حافظ رمضان (٣٩)) .

وكما يتصل هذا باختلاف بين شخصية على ماهر وشخصية حسن صبرى فإنه يتصل فى نفس الوقت بالقاعدة التى كان يتحرك من عليها كل

F.O. 407/224 No. 60 Halifax to Lampson, June 22, 1943. (٣٧)

(٣٨) الوقائع المصرية العدد ٨٤ لسنة ١٩٤٠ .

F.O. 407/224 No. Lampson to Halifax June 29, 1940 Tel. 109. (٣٩)

منهما . . على ماهر صاحب النفوذ في القصر وخارجة غير حسن صبرى
الذى تولى المنصب في ظروف غير عادية .

وبالرغم من أن حسن صبرى قد انتهج حيال الحرب نفس الموقف الذى
انتهجته على ماهر بتجنب مصر ويلاتها إلا أن خطة التعاون التى التزم
بها حيال الحليفة قد أدت الى تحسن الأمور بين الطرفين وعلى نحو واضح ،
ولكنه في نفس الوقت أدى الى توتر العلاقات مع السعديين الذين كانوا
يشكلون أهم المجموعات الحزبية التى تتألف منها وزارته .

فبعد أسابيع قليلة من تشكيل الوزارة بدأ الدكتور أحمد ماهر رئيس
الهيئة السعدية ورئيس مجلس النواب في شن حملة سياسية تستهدف أن
يكون لمصر دور أكثر تحديدا في الحرب .

وتعزو المصادر البريطانية هذه الحملة الى عدة دوافع . . منها ايمانه
حقيقة بأن ذلك سيكون من مصلحة مصر ، ومنها أنه كان يأمل من خلال هذه
الحملة في الوصول الى رئاسة الوزارة .

وقد نتج عن الأهداف المتعارضة لسياسة كل من حسن صبرى والسعديين
تقالي الأزمات بين الطرفين .

أولى هذه الأزمات نتج عن القرار الخاص بنقل المقرashi من وزارة الداخلية
الى وزارة المالية . وبينما يرى المراقبون أن القرار المذكور كان معقولا للغاية
فإنهم يرون أن طريقة رئيس الوزراء في تنفيذه كانت فجائية وفظة الى درجة
كادت تؤدي الى استقالة كل الوزراء السعديين بل أكثر من ذلك الى استقالة
بعض الوزراء الدستوريين .

الأزمة الثانية صاحبت محاولات التقدم الايطالى في الاراضى المصرية منذ
١٤ سبتمبر ١٩٤٠ والتى وصل الايطاليون خلالها الى سيدى برانى . فقد
أصدر أحمد ماهر عدة بيانات يتحدث فيها عن أن هذا الغزو يستلزم اشتراك
مصر في الدفاع عن اراضيها . وقد أدت المناقشات حول هذه البيانات في
مجلس الوزراء انتهت بالتصويت حول سياسة رئيس الوزراء وحصل الرجل
من خلال عملية التصويت على ثقة وزرائه ولم يكن هناك مندوحة أمام الوزراء
السعديين سوى الانسحاب من الوزارة في مواجهة هذا الموقف وهو ما فعلوه
في ٢١ سبتمبر وما أدى الى تعديل في وزارة حسن صبرى (٤٠) .

وبخروج السعديين من الوزارة بما لهم من أغلبية في البرلمان كان لابد أن
يتمخض عن ذلك حرج لوزارة حسن صبرى إلا أن هذا الحرج قد تأجل لنحو
شهرين الى حين افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة في ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ .

(٤٠) فقد تولى حسين سرى وزارة المواصلات بالاضافة الى وزارة الاشغال ومهد
الى عبد الحميد سليمان بوزارة المالية ، كما تولى صليب سامى وزارة التجارة والصناعة
بدلا من وزارة التموين ، وتولى عبد المجيد صالح وزير الدولة وزارة التموين - الوقائع المصرية
العدد ١٢٠ لسنة ١٩٤٠ .

وفى تلك الاثناء كان واضحا ، وبالرغم من ضعف مركز الوزارة ان احدا لم يكن راغبا فى التخلص منها .

القصر : كان راغبا فى بقائها خوفا من أن يؤدي سقوطها الى عودة الوفد أو رئاسة أحمد ماهر للوزارة ، وكان القصر يعارض سياسته النشطة فى الحرب .

الاحرار الدستوريون : كانوا فى حالة انقسام بعد افتقاد القيادة القوية .

الوفد : لم يكن شغوفاً بتحمل مسئولية الحكم فى هذه الاوقات الحرجة من تاريخ البلاد .

السعديون وحدهم هم الذين استمروا يهاجمون الحكومة مطالبين بتوضيح سياسة مصر ودعوة البرلمان لدراسة الوضع الجديد (٤١) .

وانعقدت الدورة الجديدة للبرلمان وذهب حسن صبرى ليواجه ما قدر له أن يواجهه من حرج كان متصورا أن السعديين سيسببونه له ، ولكن القدر أعفاه من هذا الحرج حين توفى وهو يلقي خطاب العرش ليكون ثانى رئيس وزراء مصرى يلقي ربه وهو فى منصبه ، وليكون رئيس الوزراء المصرى الوحيد الذى توفى وفاة طبيعية وهو فى هذا المنصب .

٥٣ - وزارة حسين سرى الاولى ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ - ٣١ يوليه ١٩٤١ :

حتى لا يفاجأ البريطانيون بتعيين رجل لا يرغبونه فى المنصب الذى خلا بوفاة حسن صبرى باشا فقد بادر السير لامبسون الى الالتقاء برئيس الديوان أحمد حسنين باشا وحذره من تعيين « محمد محمود خليل بك » رئيس مجلس الشيوخ كرئيس جديد للوزارة وذلك بعد أن ترددت الأقوال عن أن النية تتجه الى هذا التعيين .

وقد ساق السفير البريطانى فى القاهرة لحسنيين باشا الاسباب التى تدعو بريطانيا الى عدم الثقة فى مرشح القصر وكان منها ما هو معروف من علاقة وثيقة بين خليل بك وعلى ماهر باشا ، كما كان منها أيضا ما هو معروف من آراء الرجل التى يدافع فيها باستمرار عن المصالح الإيطالية فى مصر .

وحين سأل حسنين عن يرشحه السفير البريطانى أجاب لامبسون أن هذا ليس من شأنه ولكنه يطلب رجلا محل ثقة وقدرة ، والحرب على أبواب البلاد . ثم أن أفضل الصيغ قيام حكومة تتكون من ائتلاف من الأحزاب ، ولكن اذا تعذر ذلك فبالامكان إقامة حكومة محايدة تسندها كل الأحزاب



حسين سرى باشا

- ولد ١٨٩٢ والده اسماعيل سرى باشا ناظر الأشغال .
- تخرج من المدرسة السعيدية ١٩١٠ ونال دبلوم الهندسة من لندن ١٩١٥ وتخصص في شئون الري .
- عين مساعدا لمدير اعمال شئون الري بوزارة الأشغال وتدرج في مناصبها حتى أصبح وكيلا لهذه الوزارة .
- عين وزيرا لأول مرة في وزارة الأشغال ١٩٢٨ ثم وزيرا للدفاع والمالية فالأشغال فالمواصلات .
- تولى رئاسة الوزارة لأول مرة في نوفمبر ١٩٤٠ .
- عين ١٩٥٠ رئيسا للديوان الملكي .
- تولى رئاسة وزارته الأخيرة في ٢ يولييه ١٩٥٢ ولم تدم سوى عشرين يوما واستقال قبل قيام ثورة ٢٣ يولية بيوم واحد .

أو على الأقل لا تعارضها . ثم يشير السير لامبسون من هذا الى وجود عدد من الرجال القادرين على تأليف حكومة من هذا النوع مثل حافظ عفيفى أو على الشمسى وهما معروفان باخلاصهما للمعاهدة بالإضافة الى تمتعهما

بثقة الشعب المصرى والحكومة البريطانية(٤٢) .

فى صباح اليوم التالى يتصل رئيس الديوان بالسير لامبسون ويبلغه بصورة سرية للغاية أن النية قد استمرت على تكليف « حسين سرى باشا » وزير الأشغال فى الوزارة السابقة بتأليف الوزارة الجديدة . وقد أبدى السفير البريطانى ارتياحه للاختيار ووصف سرى باشا بأنه صديق للبريطانيين ورجل على قدر كبير من النشاط والتصميم بالرغم من بعض ميوله الاوتوقراطية .

شئ آخر دعا السير لامبسون لبدء ارتياحه لاختيار سرى وهو ما كان يجهر به دائما من أقوال تنضح بالكراهية لعلى باشا ماهر العدو للدود آنذاك للبريطانيين(٤٣) .

وتشكلت الوزارة السرية الاولى على النحو الآتى :

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------|
| ● حسين سرى باشا | لرئاسة والداخلية والخارجية |
| ● محمد حلمى عيسى باشا | وزيرا للعدل |
| ● صليب سامى باشا | وزيرا للتجارة والصناعة |
| ● محمد حسين هيكل باشا | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● الشيخ مصطفى عبد الرازق بك | وزيرا للاوقاف |
| ● عبد القوى أحمد بك | وزيرا للأشغال العمومية |
| ● أحمد عبد الغفار بك | وزيرا للزراعة |
| ● الأستاذ عبد المجيد ابراهيم صالح | وزيرا للمواصلات والتموين |
| ● الدكتور على ابراهيم باشا | وزيرا للصحة العمومية |
| ● حسن صادق بك | وزيرا للمالية |
| ● محمد عبد الجليل سمره بك | وزيرا للشئون الاجتماعية |
| ● يونس صالح باشا | وزيرا للدفاع الوطنى(٤٤) |

والوزارة على هذا النحو قريبة الشبه جدا بالوزارة السابقة فيما عدا بعض التغييرات الطفيفة بدخول بعض الوجوه الوزارية القديمة مثل عبد القوى أحمد بك أو وجوه جديدة محدودة هم حسن صادق بك وكيل

(٤٢) F.O. 407/224 No. 193 Lampson to Halifax Nov. 14, 1940 Tel. No. 1517.

(٤٣) F.O. 407/224 No. 154 Lampson to Halifax Nov. 15, 1940 Tel. No. 1530.

(٤٤) الوقائع المصرية العدد ١٥٤ لسنة ١٩٤٠ .

وزارة المالية وعبد الجليل سمره وهو من الاحرار الدستوريين ويونس صالح
الذى كان مستشارا ملكيا ومديرا سابقا (٤٥) .

وبعد اقل من اسبوعين دخل على الوزارة تعديل محدود نتيجة لوفاء
وزير الدفاع الوطنى فحل محله وزير المالية حسن صادق بينما تولى
عبد الحميد بدوى باشا رئيس قلم قضايا الحكومة وزارة المالية .

وكان على حسين سرى ان يواجهه فى البرلمان ما كان مفروضا ان يواجهه
سلفه حسن صبرى من مطالبة السعديين للحكومة باعلان تصريح محدد عن
سياستها حيال الحرب .

وقد نوقشت بالفعل سياسة الحكومة بعدم الاشتراك فى الحرب فى ثلاث
جلسات سرية لمجلس النواب انتهت بحصول سرى على ثقة المجلس بأغلبية
١٢٢ صوتا ضد ٦٨ مع عدد مناسب من الممتنعين عن التصويت .

وقد أظهر سرى تعقلا فى هذا الموقف فهو بدلا من أن يجعل من هذه
المناقشات بداية عدااء بين وزارته وبين السعديين سعى فى أعقابها لعقد
صلح مع أحمد ماهر بقصد تجنب أى عتبات برلمانية فى المستقبل وان كانت
جهوده لضم السعديين الى وزارته قد أخفقت بسبب تناقض موقف الطرفين
من مسألة الحرب (٤٦) .

ويأتى عام ١٩٤١ بمزيد من تطورات الحرب مما ترك أثره على السياسة
الداخلية المصرية وعلى الاوضاع الوزارية .

فمن ناحية شهد شهر مارس زيادة النشاط العسكرى لدولتى المحور
فى البحر الأبيض المتوسط ، ومن ناحية أخرى أحرزت القوات الألمانية
الاطالنية تقدما فى أبريل فى زحفها من الغرب . يضاف الى كل ذلك ما خلقه
انقلاب رشيد على الكيلانى فى العراق من مخاوف على الجبهة الشرقية .

دعا ذلك رئيس الوزراء الى الدعوة لمؤتمر شاركت فيه جميع الاحزاب
عدا الوفد وذلك لبحث سياسة الحرب . واتفق فى هذا المؤتمر على اصدار
بيان بالموافقة على سياسة الحكومة بالتعاون مع بريطانيا وذلك بحماية
طرق المواصلات ومؤسسات الخدمات العامة والحفاظ على الروح المعنوية
للشعب . وقد أدلى رئيس الوزراء بهذا البيان فى جلسة سرية لمجلس النواب
فى ١٤ أبريل ١٩٤١ .

ويزداد الموقف الدولى تعقيدا نتيجة للانتصارات الألمانية فى البلقان خلال
أبريل ومايو واقتحام القوات الألمانية للحدود المصرية .

F.O. 407/224 No. 157 Lampson to Halifax Nov. 16, 1940 Tel. (٤٥)
No. 1541.

Political Review of the Year 1940.

(٤٦)

وفى مواجهة هذه التطورات يرى حسين سرى أن استمرار اعتماده على
الاحرار الدستوريين وحدهم بينما تمزقهم الخلافات الداخلية ليس من
الصواب فى شىء مما يدعو الى الاتفاق مع القصر على تشكيل وزارة
جديدة (٤٧) .

٥٤ - وزارة حسين سرى الثانية ٣١ يولية ١٩٤١ - ٤ فبراير ١٩٤٢ :

فى مايو عام ١٩٤١ دعا الملك زعماء جميع الاحزاب للالتقاء به حيث جرت
الاحاديث عن الموقف الدولى وعن ضرورة الاسراع بتشكيل حكومة قومية .

تبع ذلك ان بدأ سرى باشا فى اجراء اتصالات واسعة لتحقيق هذا
الهدف الا ان هذه الاتصالات لم تؤد الى نتيجة مع اهم الاحزاب واكبرها . .
مع الوفد . .

فقد رد النحاس باشا على ما عرضه القصر ورئيس الوزراء بالموافقة
على حكومة ائتلافية تحت رياسته او حكومة برئاسة سرى باشا الا انه
على اى الحالى علق قبوله بشرط حل مجلس النواب القائم واجراء انتخابات
جديدة ولم يكن رئيس الوزراء ليقبل مثل هذا الشرط .

وبفشل تحقيق التعاون مع الوفد سعى رئيس الوزراء الى التقارب
مع السعديين وبالرغم من تعثر هذا السعى فى البداية الى انه قد انتهى
اخيرا بتشكيل وزارة جديدة هى الوزارة السرية الثانية من خمسة من المستقلين
 وخمسة من الاحرار الدستوريين وخمسة من السعديين (٤٨) على النحو الآتى:

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| حسين سرى باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية |
| أحمد محمد خشبة باشا | وزيرا للمواصلات |
| عبد الحميد بدوى باشا | وزيرا للمالية |
| صليب سامى باشا | وزيرا للخارجية |
| محمود غالب باشا | وزيرا للعدل |
| محمد حسين هيكل باشا | وزيرا للمعارف العمومية |
| الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا | وزيرا للاوقاف |
| الدكتور حامد محمود | وزيرا للصحة العمومية |
| الأستاذ ابراهيم عبد الهادى | وزيرا للاشغال العمومية |
| عبد القوى أحمد باشا | وزيرا للوقاية المدنية |
| حسن صادق باشا | وزيرا للدفاع الوطنى |

F.O. 407/466 Enc. In No. 4 Review of Political Developments in (٤٧)
Egypt of the Year 1941, Feb. 12, 1942 Desp. No. 152.

Ibid:

(٤٨)

- الأستاذ ابراهيم نسوقى أباطه وزيرا للشئون الاجتماعية
- محمد راغب عطية بك وزيرا للزراعة
- الدكتور عبد الرحمن عمر بك وزيرا للتجارة والصناعة
- الأستاذ محمد حامد جوده وزيرا للتموين (٤٩)

وقد أثار تشكيل الوزارة السرية الثانية على هذا النحو غضب الوفد الذى رأى ان السعى لاتفاق وطنى قد تمخض عنه ضم السعديين الد خصومهم الى الائتلاف الوزارى .

نتج عن ذلك أن أخذ الوفد فى شن حملة عنيفة على الوزارة وعلى الانجليز بدأها النحاس بخطبة عنيفة فى الاسكندرية فى ٤ أغسطس اتهم فيها الجانب البريطانى بخرق المعاهدة وتحطيم استقلال البلاد واقتصادياتها .

فى نفس الوقت فان النكسات التى واجهها البريطانيون آنذاك بالإضافة الى اشتداد انفارات الجوية على المدن المصرية قد أعطت وقودا للحملة ضد الانجليز .

يضاف الى كل ذلك أن القصر قد وجدها فرصة ليبدى الملك الوانا من التعاطف مع الحملة التى يقودها الوفد ضد الانجليز سواء استمرارا للسياسة التى ظل يتبعها منذ وقت أو رغبة فى كسب شعبية من خلال تحالفه مع الحزب الكبير .

ولا يجد السير مايلز لامبسون فى نهاية عام ١٩٤١ بدا من أن يضمن تقريره السنوى عن مصر هذه الصورة القائمة التى نسجلها هنا بنصها . . قال السير لامبسون فى تقريره الذى أرسله للمستتر ايدن ما يلى :

« بتلخيص التغييرات السياسية الأساسية خلال هذه السنة يتضح منها أن هيئة الحكومة قد تدهورت الى حد بعيد . وقد بدأت الوزارة عهدا بتأييد من العناصر غير الحزبية وكان من المعتقد أنها تتمتع بمعونة الملك ، ولكن مع نهاية السنة بدا أن لا صديق لها — سوى البريطانيين ، فخصومة الوفد لها زادت حدتها ، كما أن سياستها بعدم التعاون مع الأحزاب الأخرى قد أصبحت أكثر وضوحا . أكثر من ذلك فقد زاد الاعتقاد بقدرة النحاس على اجبار أعضاء البرلمان الوفديين على الاستقالة اذا رغب فى ذلك . اما بالنسبة للسعديين فقد تم مؤخرا تهديتهم بمنحهم منصبين وزاريين هامين ، وزارة التموين ووزارة الاشغال العامة ، وبالرغم من ذلك فهم لا يتعاونون مع الحكومة بقدر كاف . اما الأحرار الدستوريون فلا يزالون يعانون من انشغالاتهم الداخلية التى يفرضها اقارب محمد محمود باشا (٥٠) » .

(٤٩) الرقائع المصرية العدد ١٠٢ لسنة ١٩٤١ .
Review of Political Development in Egypt of the Year 1941. (٥٠)

ويختتم السير لامبسون تسجيله لهذه الصورة القاتمة بحديثه عن الوضع في القصر فيقول :

« أن رئيس الوزارة لم يعد يتلقى عونا يذكر من الملك وأنه لن يمضي وقت طويل حتى يصبح لعلى ماهر اليد العليا في السراى (٥١) » .

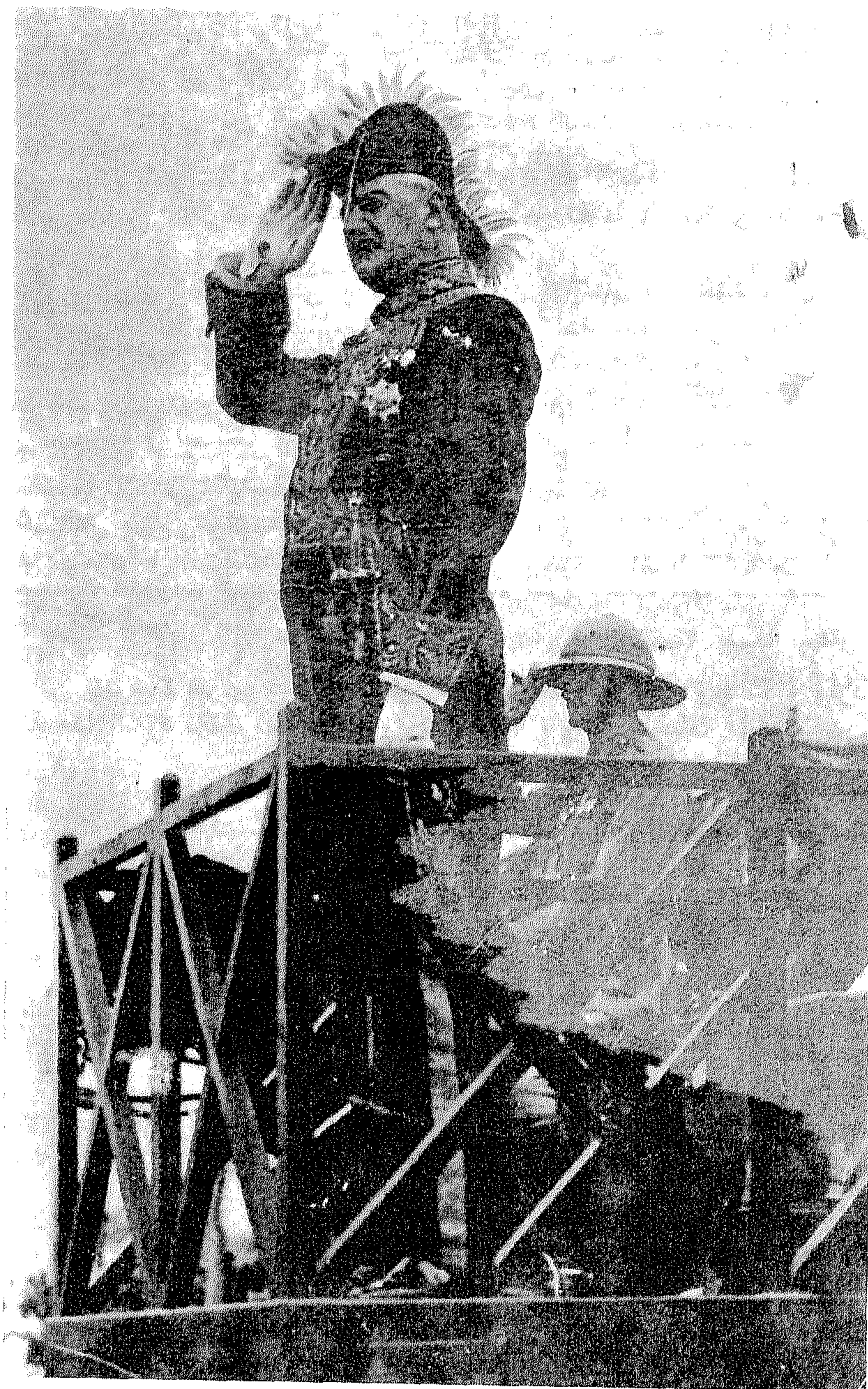
ومع كل هذه التطورات تحركت انجلترا فكان حادث { فبراير المشهور ، ثم كان العهد الوزارى الذى يمكن أن يطلق عليه نفس الاسم .

الباب الخامس

الفصل الثالث

وزارات ٤ فبراير

١٩٤٢ - ١٩٤٤



لورد كيلرن السفير البريطانى

في الساعة التاسعة من مساء يوم الأربعاء ٤ فبراير ١٩٤٢ طوقت قسوة بريطانية قصر عابدين واقتحم السير مايلز لامبسون السفير البريطاني في القاهرة مع بعض كبار الضباط البريطانيين ، القصر الملكي حيث خيروا الملك بين التنازل عن العرش وبين استدعاء الفحاس باشا لتأليف وزارة برئاسته وبشروطه . . وأذعن « فاروق الاول » لطلب السفير باستدعاء زعيم الوفد لتشكيل الوزارة رقم (٥٥) .

ولا يمكن مقارنة هذا الحدث في تاريخ القصر أو في تاريخ الوزارة الا بالحدث الذي سبقه بنحو نصف قرن (١٨٩٣) حين وجه الانجليز انذارا مشابها للخديو عباس الثاني خلال الازمة الوزارية المعروفة بأزمة فخرى باشا .

ولا شك أن الظروف التي جرت فيها هاتان الأزمتان قد اختلفت كل منهما عن الأخرى اختلافا كبيرا . فبينما كانت مصر بلدا تابعا للدولة العثمانية وخاضعا للاحتلال البريطاني في المرة الاولى فانها كانت تتمتع بكثير من رموز الاستقلال بل من واقعه خلال الازمة الثانية ، وبينما كانت الحركة الوطنية غير موجودة في السلطة في ١٨٩٣ ناهيك عن وجودها أصلا (الحزب الوطني الذي قاد العمل الوطني في تلك المرحلة لم يبدأ التفكير فيه الا عام ١٨٩٤) ، فان الحركة الوطنية يمثلها حزب الوفد كانت موجودة بل كانت طرفا من أطراف الازمة ، ثم ان الازمة الاولى قد نشأت لأسباب داخلية تماما ، أما الازمة الثانية فقد لعبت تطورات الحرب الثانية خلال الأيام التي نشبت فيها . . لعبت هذه التطورات الدور الاساسي في حدوثها .

انن ينفرد ٤ فبراير بمكانة خاصة بالنظر للظروف التي وجدت ، وتزداد قيمة هذا التفرد بالنظر للآثار التي ترقبت عليه ، وعلى مختلف المستويات . .

١ - لعل أهم هذه المستويات ما اتصل بالعلاقات المصرية الانجليزية فان ذلك الحادث قد أكد لجموع الشعب المصري أن الوجود البريطاني في مصر انما هو انتهاك شطير للاستقلال الوطني مهما اتخذ هذا الوجود من اشكال (احتلال - حماية - تصريح من طرف واحد - معاهدة تحالف) .

٢ - ثم على مستوى العمل الوطني كان الحادث بداية النهاية للشعبية التي ظل يتمتع بها الوفد على امتداد العقود الثلاثة السابقة ، فان الحزب الكبير ظل يستمد الجانب الأهم من شعبيته من وقفاته الوطنية القتالية ضد الوجود البريطاني ، أما أن يصل إلى الحكم على حراب الانجليز وبشبهة التواطؤ معهم فهو أمر لم يألّفه المصريون وكان من الصعب عليهم ، أن يتقبلوه خاصة مع مرور الوقت ومع تبين أبعاد الواقعة .

ومن الواضح أن القصر قد استغل هذه الحقيقة بذكاء فيما حدث بعد ذلك حين أخذت الصحف ذات « العلاقة الخاصة » به في تذكير الرأي العام المصري في كل مناسبة بالحادثة . وهناك المثل على هذا في « أخبار اليوم » التي بدأت في الصدور منذ نوفمبر ١٩٤٤ والتي لم تفتأ في كل عدد من أعدادها تذكر الحادثة على نحو أو على آخر (مقال - كاريكاتير . . . الخ . . .) وكانت (٤ فبراير) بذلك عار الوفد الذي أراد أعداؤه أن يلاحقوه به في كل مناسبة ، وفي كل وقت .

٣ — وعلى مستوى مصر « نظام الحكم » كله يمكن القول أن حادث ٤ فبراير كان بداية النهاية أيضا لهذا النظام . فان القصر في سعيه لتدمير شعبية الوفد لم يفكر في البديل ، أو على الأقل تصور نفسه بديلا وهو بحكم تكوينه يمكن أن يكون مؤسسة سياسية لكن لا يمكن أن يكون تنظيما شعبيا . . . ربما أيضا يكون قد تصور في أحزاب الاقليات الأخرى بديلا (السعديون — الدستوريون — الكتلة الوفدية . .) ولكن هذه الأحزاب بدورها وهى فى كل الأحوال خارجة عن الحزب الكبير تصطنع أساليبه وتعتنق ايديولوجياته . . هذه الأحزاب كانت لا تصلح بديلا . . فإذا كانت صورة الأصل (الوفد) قد أخذت فى الاهتزاز فالأولى أن تكون الصور المنقولة أكثر اهتزازا .

وفى هذا الجو أخذت قوى سياسية أخرى (الإخوان — الشيوعيون — الاشتراكيون) تنتزع نصيبا من الشعبية التى فقدوها الوفد ، وأخذت قوى تنظيمية أخرى بدأ تكوينها نتيجة لحادث ٤ فبراير (الضباط الأحرار) تتحضر للانقضاض على النظام والاطاحة به وهو ما تم لها بعد عشر سنوات .

ومع كل هذه الآثار التى خلفتها أحداث ٤ فبراير كان هناك ما خلفته على الوزارة المصرية باعتبارها أخيرا أزمة وزارية ، أو نتجت عن أزمة وزارية . . وهذه هى قصة الأزمة ثم ما تمخض عنها من الحادثة الشهيرة .

يقدم السير لامبسون فى تقريره السياسى عن عام ١٩٤٢ وصفا لوضع حكومة حسين سرى خلال الأسابيع الأولى من هذه السنة .

ولما كان هذا الوضع هو الذى أدى أخيرا الى الأزمة الوزارية التى أطاحت بوزارة سرى الثانية فسوف نسوق فى السطور التالية ما جاء فى تقرير السفير البريطانى فى القاهرة عنه . .

يبدأ التقرير بالتنبؤ ، بأن أيام سرى فى الوزارة قد أصبحت معدودة ويحدد خمسة أسباب وراء هذا التنبؤ على النحو الآتى :

١ — ان رئيس الوزراء قد أصبح عرضة فى الأيام الأخيرة لهجوم مستمر من جانب القصر ، وان هذا الهجوم يقوده على ماهر الذى نجح فى اقناع الملك فاروق أن رئيس وزرائه يوجه كل اخلاصه للمصالح البريطانية فقط . .

٢ — ان وزارة سرى أصبحت عرضة ، وبصورة منتظمة ، للهجوم من جانب من أسماهم لامبسون ، بالعناصر الرجعية داخل القصر وخارجه ، ويشترك فى هذه الحملة الطلاب والمنظمات الدينية والأزهر وصنائع على ماهر فى الإدارة .

٣ — انعكست تلك التغييرات على وضع وزارة سرى فى البرلمان ، فبعد أن شعر النواب أن خصوم الوزارة قد أصبحت لهم اليد العليا فى القصر بدأت الأحزاب التى يمثلها هؤلاء (السعديون والأحرار) فى السعى للكسب من الموقف بالتطلع الى المنصب الكبير . . منصب رئيس الوزراء .

٤ — ومن خارج البرلمان ، وعلى حد تعبير التقرير أيضا ، حول الوفد فوهات بنادقه من الاتجاه نحو البريطانيين الى الاتجاه نحو رئيس الوزراء الذى وقف وحيدا محروما من معونة القصر ، ومن أى سلطة فعالة على برلمان ليس له فيه من يشد أزره .

٥ — يضاف الى كل ذلك تعرض سرى باشا للانتقادات المستمرة من كافة الأطراف بسبب فشله فى علاج المشاكل الاقتصادية الناتجة عن ظروف الحرب ، مثل نقص الأغذية والزيادة العامة فى تكاليف المعيشة .

٦ — فى أواخر ديسمبر استقال « عبد الحميد بدوى باشا » وزير المالية من الوزارة .

وقد أضافت تلك الاستقالة مزيدا من أسباب الضعف لوزارة سرى ، حيث ان بدوى باشا مع كل أخطائه ، كان عنصرا من عناصر القوة فى الوزارة كما ان استقالته من ناحية أخرى أدت الى إثارة المنافسات بين الحزبين المشتركين فى الوزارة (السعديين والأحرار الدستوريين) اذا أن كل حزب منهما أخذ يسعى للاستئثار بمنصب وزير المالية الهام . وقد اضطر حسين سرى باشا فى مواجهة هذا الصراع أن يحتفظ بالوزارة - الخالية لنفسه . . وهو بذلك بدلا من أن يرضى الحزبين المتنافسين قد أثار سخطهما (١) .

وفى هذه الظروف تفجرت الأزمة . وهآ أزمة تبدو فى ظاهرها وكأنها تنازع على الاختصاصات بين القصر والوزارة وهو تنازع تقليدى طالما شهدته تاريخ الوزارات المصرية من قبل الا أن ما أحاط به من ظروف وملابسات قد أدى فى النهاية الى استقالة وزارة سرى وتأليف وزارة النحاس الخامسة فى جو اصطبغ بطابع درامى .

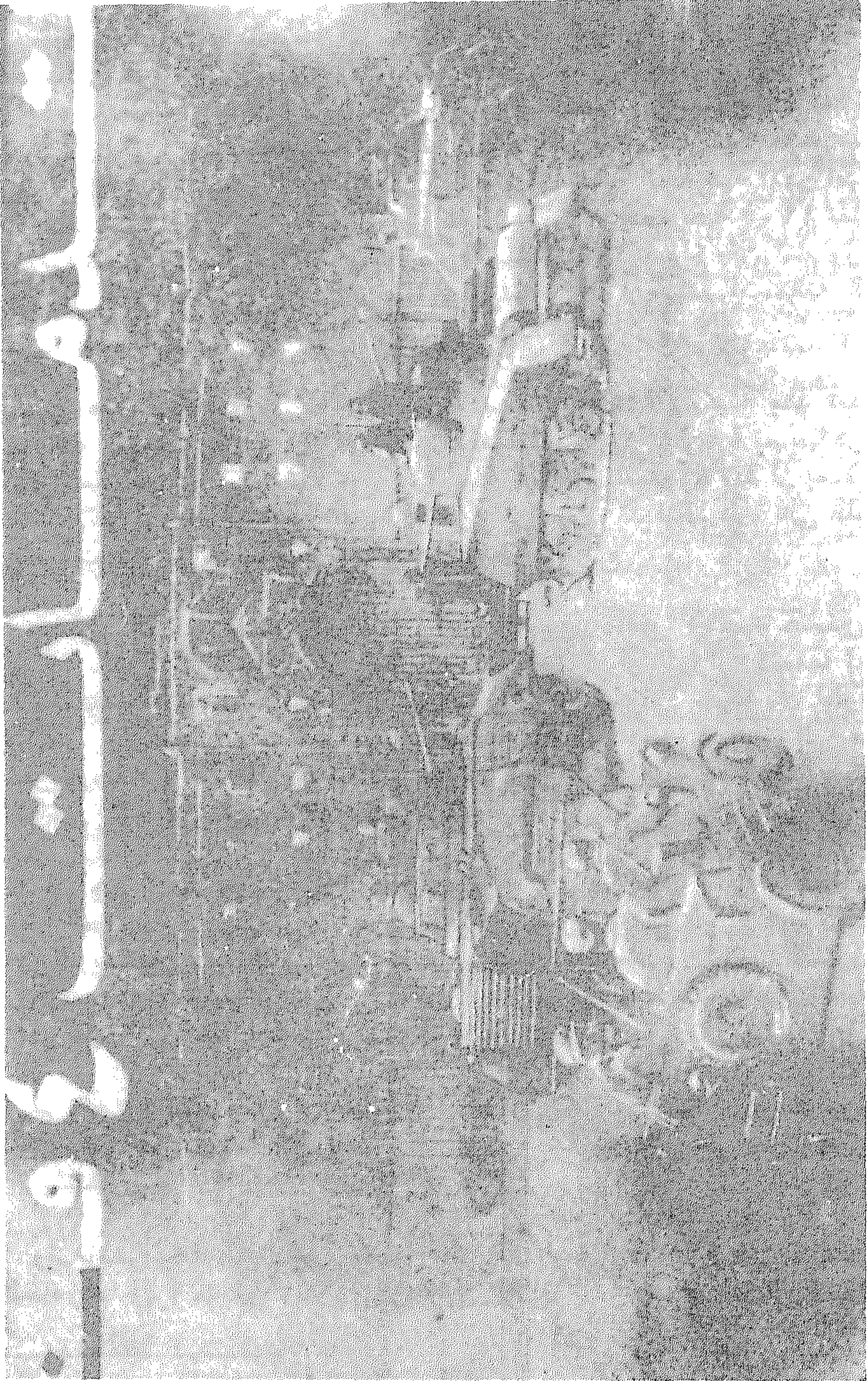
(٥٥) وزارة مصطفى النحاس باشا الخامسة ٤ فبراير — ٢٦ مايو سنة ١٩٤٢

فى يوم ٦ يناير ١٩٤٢ اتخذت وزارة حسين سرى قرارا بقطع العلاقات مع حكومة فيشى فى اطار السياسة التى ظلت تتبعها والتى أسمتها الوثائق البريطانية « مطاردة كل نفوذ معادى لبريطانيا » .

وتؤكد نفس الوثائق ايضا ان هذا القرار تم اتخاذه بناء على طلب السير مايلز لامبسون نفسه ، فقد ترتب على تعيين الجنرال « كاترو » مندوبا عاما للجنرال « ديجول » فى القاهرة فى أواخر نوفمبر عام ١٩٤٠ قيام تمثيلين متناقضين لفرنسا فى مصر أحدهما يرأسه مسيو جان بوتسى يمثل حكومة فيشى المتعاونة مع ألمانيا ، وكان على صلة وثيقة بدوائر القصر ، والآخر يرأسه جنرال كاترو يمثل ديجول ويسانده السفير البريطانى خصوصا بعد أن انضمت الفرقة الفرنسية الحرة الى صفوف الحلفاء فى الصحراء الغربية (٢) .

(١) F.O. 371/413 No. 26 Desp. No. 1190 Lord Killearn to Mr. Eden, Dec. 22, 1943.

(٢) الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير — الاهرام فى ١٩٧٣/٥/٤ .



محاصرة قصر عابدين بالدبابات البريطانية

من ثم كان من الطبيعى أن تضغط بريطانيا لقطع العلاقات المصرية مع
فيشى وكان من الطبيعى أن تستجيب حكومة سرى .

وحول هذا القرار تفجرت الأزمة فقد اتخذت الوزارة قرارها فى غيبة
الملك الذى كان يقوم برحلة طويلة على ساحل البحر الأحمر . وما أن عاد
من هذه الرحلة حتى سعى على ماهر ورجاله فى القصر الى تصوير الموقف له
باعتبار ان الوزارة قد تجاوزت اختصاصاتها ، أكثر من ذلك انها تعدت على
حقوق الملك المقررة بأشرافه على العلاقات الدبلوماسية الخارجية الامر الذى
دعا الملك فاروق الى استدعاء رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى ١٩ يناير
وعنفهما تعنيفا شديدا لما أقدموا عليه دون استشارته (٣) . ولم يكن أمام وزير
الخارجية (صليب سامى) أمام هذا التعنيف سوى أن يقدم استقالته الى
رئيس الوزراء فى اليوم التالى (٤) .

ومن هنا تصاعدت الأزمة . . صليب سامى اعتكف فى بيته بعد تقديم
استقالته ، وحسين سرى يرى أن اقالة أو استقالة وزير الخارجية بسبب قرار
مسئول عنه هو أيضا ، بل مسئولة عنه هيئة الوزارة بأكملها ، لابد أن يصحبه
استقالة الوزارة ، والسفارة البريطانية ترى أن اجراء قد اتخذ بناء على طلبها
لا يجوز تحديه من جانب القصر على هذا النحو .

ويتحرك السير لامبسون ويلتقى برئيس الديوان الملكى (أحمد حسنين)
يوم ٢٢ يناير ١٩٤٢ ليبلغه أن استقالة أحد الوزراء أو الوزارة نفسها لهذا
السبب يدفع الانجليز مباشرة وعلى نحو تلقائى ليكونوا طرفا من أطراف
الأزمة . وأن معنى ذلك ان هناك عناصر سيئة فى القصر (يشير الى على
ماهر ورجاله) تصر على التخلص من سرى وانه يطالب باستبعاد هذه
العناصر بالإضافة الى استبعاد أفراد الحاشية الايطاليين (٥) .

ويتراجع القصر ويلتقى الملك مع حسين سرى يوم ٢٧ يناير ويبلغه بأن
وزير الخارجية سيبقى فى منصبه ، ويطلب منه فى نفس الوقت أن يتوسط
لدى البريطانيين حتى يتنازلوا عن طلباتهم بشأن استبعاد من طلبوا استبعاده
من القصر (٦) . . ويوافق سرى ويلتقى مع لامبسون ويبدل مساعيه الحميدة
ويبدو كأن الأزمة قد حلت فى أواخر يناير .

لم يكن قد انقضى يوم واحد على انتهاء الأزمة حين نجحت قوات روميل
فى احراز انتصار كبير فى الصحراء الغربية والاستيلاء على بنغازى يوم
٢٩ يناير .

ولم ينقض وقت طويل على وصول تلك الأخبار الى القاهرة حتى طافت بها
المظاهرات فى ٢ فبراير ١٩٤٢ ليردد من خلالها أسوأ هتاف عدائى لانجلترا

(٣) Evans, Trefor (edited by) Lord Killearn Diaries 1934 — 1946.

(٤) مذكرات صليب سامى ص ٢٧٣ .

(٥) F.O. 371 Tel. No. 290 Lampson to Eden Jan. 22, 1942.

(٦) Ibid Tel. No. 389 Lampson to Eden Jan. 27, 1942.

في تلك المرحلة .. وأشهر هتاف عدائي أيضا .. هتاف بحياة روميل ..
و « الى الامام يا روميل » .

وكما تجمع المصادر البريطانية على أن « على ماهر » والقصر كانا وراء تدبير المظاهرات والصياح بهذا الهتاف توافق ايضا الكتابات العلمية الحديثة التي تناولت هذه الفترة مؤخرا على نفس الاستنتاج (٧) .

وامام سياسة بث المتاعب التي رأى سرى أن « على ماهر وعصبة القصر » — على حد تعبيره — سادرين فيها ، وفي مواجهة ما تومىء اليه هذه السياسة من أن الوزارة لم تعد تحظى بثقة الملك ، يضاف الى ذلك ما يعنيه هذا من عدم امكان مواصلة الاعتماد على تأييد النواب الاحرار والسعديين في البرلمان وما سيترتب على ذلك من هجوم ساخن منتظر في مجلس النواب الذى كان مقررا انعقاده يوم ٣ فبراير .. امام كل هذا عقد حسين سرى باشا العزم على تقديم استقالته (٨) .

وبتصميم رئيس الوزراء على الاستقالة ، وبإدراك السير لامبسون أن الرجل ووزارته قد استنفدا أغراضهما وأن أيا منهما لم يعد قادرا على الاستمرار في تأدية دوره في خدمة المجهود الحربى للحلفاء .. من هذا التصميم ومن هذا الإدراك بدأت المشاورات بين الرجلين حول الوزارة الجديدة . وفي البداية رشح سرى عددا من الشخصيات (بهى الدين بركات ، أحمد ماهر ، محمد حسين هيكل) رفضها جميعا السفير البريطانى ورأى انها لا تناسب الموقف . وكانت آخر مقترحات رئيس الوزراء للسير لامبسون أن يرغم هذا الملك فاروق على استدعاء الوفد ورد لامبسون بأن هذا بالضبط ما انتهى اليه (٩) .

وهنا يفرض السؤال نفسه .. ما الذى جعل لامبسون ينتهى الى هذا الراى ؟ يجيب الرجل على ذلك في تقريره السنوى الذى كتبه عن أحداث ١٩٤٢ فيقول .. « كان الدرس المشتتقاد من سقوط سرى واضحا وهو أن حكومة لا تملك المساندة البرلمانية لن تستطيع أن تحكم بروح المهادنة الانجليزية المصرية وذلك بالنظر الى الحقيقة بأن أى جهد يبذل في هذا الطريق لابد وأن يصطدم بمعارضة القصر ، ولن تستطيع أى حكومة بدون المساندة الشعبية أن تحارب القصر » (١٠) .

وبادر السفير البريطانى في القاهرة الى العمل وتقدم في تمام الساعة الواحدة من ظهر يوم ٢ فبراير بمجموعة من الطلبات للملك فاروق حددها فيما يلى :

(٧) عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٢٧ — ١٩٤٨ الجزء الثانى ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٨) الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير — الاهرام في ١٩٧٣/٥/٤ الوثيقة الآتية :
Tel. No. 442 Lampson to Eden Feb. 1, 1942.

(٩) نفس الملف السابق — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 443 Lampson to Eden Feb. 1, 1942.

(١٠) Review of Political Developments in Egypt during the Year 1942. (١٠١)

١ — ان تتألف وزارة تحرص على الولاء للمعاهدة وتقدر على تنفيذها نصا وروحا ، مع لفت النظر خاصة للمادة الخامسة منها .

٢ — وزارة قوية تكون قادرة على الحكم وتحظى بتأييد شعبي كاف .

٣ — ان هذا يعنى الارسلال فى طلب النحاس باشا بوصفه زعيما لحزب الاغلبية فى البلاد والتشاور معه بقصد تشكيل الوزارة .

٤ — ان يتم ذلك فى موعد اقصاه ظهر غد .

٥ — ان الملك سيكون مسئولا شخصا عن اى اضطرابات قد تحدث خلال ذلك (١١) .

وتشهد الساعات التالية بين الواحدة ظهر يوم الاثنين ٢ فبراير حين تقدم لامبسون بطلباته الآتية الذكر وبين الساعة التاسعة مساء يوم الأربعاء ٤ فبراير حين استسلم الملك وقرر تكليف النحاس بتأليف الوزارة . . تشهد تلك الساعات الأحداث الجسيمة التى كونت ما عرف بحادث ٤ فبراير وهى الأحداث التى نتجت عن اختلاف وجهات نظر الأطراف الثلاثة المعنية بتشكيل الوزارة الجديدة . . القصر والوفد والانجليز . .

كانت **وجهة نظر القصر** التى أبداهها كل من الملك ورئيس الديوان فى لقاءهما بالسفير البريطانى ظهر يوم الاثنين ٢ فبراير الموافقة على استدعاء النحاس لرئاسة وزارة جديدة ، على أن تكون وزارة قومية ، وقد رأى الملك فاروق امكان قبول رئيس الوفد لذلك على أساس التحسن الذى كان قد بدا آنذاك فى العلاقات بينهما .

ورأى القصر أيضا التمهيد لتأليف هذه الوزارة القومية بوزارة انتقالية على أساس أنه اذا تم استدعاء النحاس فورا فسوف يؤدى ذلك الى اكتساحه لسائر أطراف العمل السياسى مما قد يترتب عليه ، كما قال « أحمد حسنين » أن « نفقد فرصة قيام معارضة منظمة تنظيما سويا (السعديين) لتكون بمثابة (فرملة) متى تشكلت الوزارة فى آخر الأمر » (١٢) .

وجهة نظر الوفد عبر عنها النحاس سواء فى لقاءه مع الملك الذى تم الساعة الثالثة ظهر يوم الثلاثاء ٣ فبراير ، أو فى اتصالاته مع السير لامبسون التى تمت من خلال أمين باشا عثمان .

رفض الوفد فكرة وزارة قومية أو وزارة ائتلافية ، يرأسها النحاس باشا وقد استند فى هذا الرفض على أساسين :

(١١) الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير — الاهرام فى ١١/٥/١٩٧٣ — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 449 Lampson to Eden Feb. 2, 1942.

(١٢) نفس الملف السابق — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 449 Lampson to Eden Feb. 2, 1942.

١ — ان الناس يضعون اللوم بالنسبة للموقف القائم على نظام الحكم ، وكل ما يسوؤهم يلصقونه بهذا النظام ، وأنه اذا قبل الارتباط بالنظام المذكور فسوف يفقد ثقة الشعب ولن يتمكن من الحكم على نحو يحقق اية مكاسب .

٢ — الدسائس التى أكد النحاس انها سوف تحدث داخل وزارة تشكل على الاسس التى يقترحها القصر (١٣) .

الا انه على الجانب الآخر فقد تقدم النحاس باقتراحين محددين حتى لا يبدو الوفد فى موقف المتصلب ضد الآخرين .

الاقتراح الاول :

بتخصيص بعض المقاعد لسائر الأحزاب فى مجلس النواب المزمع اجراء الانتخابات لتكوينه بعد تشكيل الوزارة .

الاقتراح الثانى :

بتشكيل مجلس استشارى يختار اعضاؤه من سائر الأحزاب كرمز للائتلاف (١٤) .

تبقى **وجهة النظر البريطانية** وهى التى فرضت نفسها فى النهاية وبقوة السلاح ، على وجهات النظر الأخرى .

تمثل الجانب الاول من وجهة النظر البريطانية فى التعليمات التى أرسلها وزير الخارجية المستر ايدن الى سفيره فى القاهرة بعدم قبول أى مرشح للقصر لا يدعمه التأييد الشعبى « فمثل هذا التعيين سيكون بمثابة انتصار للملك فاروق وليست على استعداد لتصور مثل هذا الموقف فى الظروف القائمة » (١٥) .

الجانب الثانى : بأن يتولى حزب الاغلبية الحكم بكل ما يترتب على ذلك من تنفيذ روح المعاهدة « بالتعاون المتبادل بين الجانبين بكل ما فى هذا من معنى » ، ومن اطلاق يد الوفد فى التعامل مع القصر بهدف كبح جماح الملك الذى اثبت أنه غير متعاون مع الحليفة فى اخرج الاوقات التى تواجهها . وقد تعهد النحاس بكل ذلك (١٦) .

(١٣) الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير — الاهرام فى ١٩٧٣/٥/٢٥ — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 466 Lampson to Eden Feb. 3, 1942 Very Urgent.

(١٤) نفس الملف السابق — الاهرام فى ١٩٧٣/٥/١١ — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 462 Lampson To Eden Feb. 3, 1942.

(١٥) الملف السرى — الاهرام فى ١٩٧٣/٥/١١ — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 602 Eden to Lampson Feb. 3, 1942.

(١٦) الملف السرى الكامل — الاهرام فى ١٩٧٣/٥/١٨ — الوثيقة الآتية :
Tel. No. 462 Lampson to Eden Feb. 3, 1942.

الجانب الثالث : بارغام الملك على قبول وجهة النظر البريطانية حتى وصل هذا الارغام الى حد خلعه عن العرش ، بل أكثر من ذلك الى حد إعادة النظر في النظام الملكى نفسه .

وقد بدأ هذا الارغام بتقديم انذار للقصر الساعة الثانية عشرة والنصف ظهر يوم ٤ فبراير وكان نصه :

« اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة من مساء اليوم ان النحاس سيشكل الحكومة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل النتائج » (١٧) .

وتتوالى الأحداث بسرعة رهيبة بعد هذا الانذار . فالملك يدعو ١٧ من كبار الشخصيات المصرية فيهم النحاس ويحاول الجميع اغراء زعيم الوفد على قبول رئاسة وزارة ائتلافية الا أنه يبقى عند تصميمه بالرفض .

يتناقش المجتمعون في الانذار ويتخذون قرارا برفضه ، ويرفضه النحاس معهم ، ويوقع الجميع قرار رفض الانذار (١٨) .

وتقع الواقعة في الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم ويضطر الملك فاروق الى التراجع ودعوة النحاس باشا لتأليف وزارته الخامسة في ظل أغرب ظروف لتأليف وزارة مصرية .

وتتشكل الوزارة النحاسية الخامسة على الوجه الآتى :

- | | |
|---------------------------------|---|
| ● مصطفى النحاس باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية والخارجية |
| ● عثمان محرم باشا | وزيرا للاشغال العمومية |
| ● مكرم عبيد باشا | وزيرا للمالية |
| ● أحمد نجيب الهملاى بك | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● أحمد حمدي سيف النصر باشا | وزيرا للدفاع الوطنى |
| ● عبدالسلام فهمى محمد جمعه باشا | وزيرا للزراعة |
| ● على زكى العربى باشا | وزيرا للمواصلات |
| ● الاستاذ محمد صبرى أبو علم | وزيرا للعدل |
| ● الاستاذ عبد الفتاح الطويل | وزيرا للصحة العمومية |
| ● على حسين باشا | وزيرا للاوقاف |
| ● كامل صدقى بك | وزيرا للتجارة والصناعة (١٩) |

F.O. 371 Tel. No. 481 Lampson to Eden Feb. 4, 1942.

(١٧)

نقلا عن محسن محمد : تاريخ للبيع ص ٦٢ .

F.O. 371 Tel. No. 487 Lampson to Eden Feb, 4 1942.

(١٨)

نقلا عن المصدر السابق ص ٦٤ .

(١٩) الوقائع المصرية العدد ٢٥ لسنة ١٩٤٢ .

وإذا كانت ظروف تأليف الوزارة النحاسية الخامسة ظروفًا غير طبيعية فان « جواب حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا » (٢٠) رداً على الأمر الملكي بتكليفه بتأليف الوزارة كان جواباً غير تقليدي . وقد سجل النحاس باشا في جوابه هذا مجموعة من الآراء والأفكار الهامة :

١ — فهو أولاً دمج الوضع القائم بالانهيار وأنه يتحمل مسؤولية « تطورات علم الله أن لم يكن لي يد فيها ، بل جلبها على البلاد غري بأعماله أو بإهماله » .

٢ — وهو ثانياً لا يرغب أن تؤخذ عليه أو على الوفد أنه قد تولى الوزارة « على حراب الانجليز » كما صاح فيه أحمد ماهر عندما دعا الملك الزعماء للاجتماع به ، لهذا فقد ضمن « الجواب المذكور » خطابين متبادلين بينه وبين السير لامبسون .

أولهما :

أرسله النحاس إلى السفير البريطاني . وجاء فيه « كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذي صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية ، وليكن مفهوماً أن الأساس الذي قبلت عليه هذه المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل في شؤون مصر الداخلية ، وبخاصة في تأليف الوزارات أو تغييرها » .

ثانيهما :

زد لامبسون على النحاس وقد جاء فيه « أؤيد وجهة النظر التي عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم ، وأنى أؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة في تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية ، من غير أي تدخل منها في شؤون مصر الداخلية ولا في تأليف الحكومات أو تغييرها » .

٣ — الإشارة إلى النية على توطيد الحياة النيابية الصحيحة وإن تكفل أحكام الدستور صيانة الحريات. وإن ذلك سيتم « بحل مجلس النواب الحاضر لكي يكون للأمة ممثلة في ناخبها الكلمة الفاصلة في تقرير مصيرها وتدبير أمورها » .

٤ — يتحدث — أيضاً عن استمرار الوزارة في سياسة « تجنب مصر ويلات الحرب وشرورها » وهي السياسة التي وضعتها وزارة على ماهر ثم سارت عليها كل الوزارات التالية خاصة بعد أن رأى الجانب البريطاني أن إعلان مصر للحرب على دول المحور لن تكون له فائدة ذات قيمة للحليفة .

(٢٠) نص الجواب المذكور — الوقائع المصرية — نفس العدد السابق .

هـ - أخيراً يتضمن « الجواب » ما حدث من اختزال الوزارات بضم شئون التموين لاختصاصات وزارة المالية ، وشئون الوقاية لاختصاصات وزارة الأشغال والشئون الاجتماعية لاختصاصات وزارة الصحة « تحقيقاً لسياسة القصد في المصروفات ، وتخفيفاً لآعباء الميزانية » .

وإذا كان وراء ما حدث في ٤ فبراير رغبة بريطانية في إيجاد حكومة متعاونة في الظروف العسكرية الحرجة التي كانت تواجهها في الصحراء الغربية فإن وزارة النحاس الخامسة قد حققت هذه الرغبة بلا شك .

يقر السير لامبسون هذه الحقيقة في تقريره السرى عن عام ١٩٤٢ ، فيقول في جانب من هذا التقرير « لقد تبنى النحاس باشا خطأ واضحاً في التعاون مع بريطانيا ، واستمر في اتباع هذا الخط باخلاص وشجاعة في أسود الأيام التي أعقبت تأليفه الوزارة والتي استغرقت بقية السنة . وقد أدى هذا الموقف الى شيوع التعاطف نحو قضيتنا ، وتوقفت تقريباً كل أعمال الاثارة التي كانت توجه ضدها فامتنعت المظاهرات وأصبحت المنشورات العدائية نادرة » . ويقول في موضع آخر ان النحاس شدد قبضته على الطابور الخامس الذي استفحل شأنه خاصة بين مجموعة من كبار المصريين المتعاطفين مع المحور « فقد تم حل البوليس الخاص الذي أسسه محمد طاهر باشا والذي كان ذا طبيعة عسكرية فاشية ، وتم بناء على طلب السفير اغلاق نادى السيارات والذي كان مركزاً للأحاديث المتعاطفة مع المحور ، كما تم وبناء على طلبنا أيضاً اعتقال كل من على ماهر والنبيل عباس حليم والأمير عمر الفاروق ومحمد طاهر باشا وبعض الشخصيات الأخرى الأقل أهمية . وقد أدى هذا العمل بالإضافة الى تصريحات النحاس باشا المؤيدة للمعسكر الديمقراطي الى المعاونة بصورة واضحة في حفظ هدوء البلاء وراء خطوطنا الخلفية » (٢١) .

جانب آخر من مهمة الوزارة النحاسية الخامسة كان بإجراء انتخابات جديدة لتشكيل برلمان يحل محل البرلمان الذى تم حله .

وقد جرت محاولة من جانب الوفد مثله فيها مكرم عبيد للتفاهم مع أحزاب الأقلية لتخصيص عدد من المقاعد لهذه الأحزاب . وقد دار الخلاف بين الطرفين حول نصيب كل منهما ، فبينما رأت تلك الأحزاب أن يخصص لها ١/٢ مقاعد مجلس النواب الجديد كان الوفد يرى الاكتفاء بـ ١/٤ هذه المقاعد فقط . من ناحية أخرى فإن الأحرار الدستوريين والسعديين قد وضعوا شروطاً لدخولهم الانتخابات الجديدة كان واضحاً استحالة قبولها ، فالأحرار الدستوريون طالبوا بحرية المعركة الانتخابية وأن يقول كل من يرغب ان يقول شيئاً فيها حتى لو كان هذا الشيء الخوض في تفاصيل ما حدث في ٤ فبراير ورفض النحاس ذلك بالطبع (٢٢) وأحمد ماهر رئيس

(٢١) Review of Political Developments in Egypt and of the Egyptian Government During the Year 1942.

(٢٢) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

السعديين طالب برفع الأحكام العرفية في كل ما له علاقة بتوجيه الرأي العام في الانتخابات وفي إجراءاتها ، وكان مآل هذه المطالبة الرفض بدورها (٢٢) .

على أي الأحوال فإن عدم التوصل إلى تفاهم بين الطرفين قد أدى إلى أن تقرر الأحزاب المعارضة مقاطعة الانتخابات وإن كانت قد سمحت لأعضائها بدخولها مستقلين تبعاً لرغبتهم الشخصية ؛ وجاءت النتيجة كما كان منتظراً بفوز ساحق للوند الذي حصل على نحو ٨٩٪ من مقاعد مجلس النواب .

ولكن وعلى الجانب الآخر يبدو وإن الوزارة النحاسية الخامسة لم تتمكن طويلاً من الوفاء بالسياسة التي قررها رئيسها في جوابه للملك باختزال عدد الوزارات .

حقيقة لقد صدر في أعقاب تشكيل البرلمان قرار بتولية عثمان محرم لشئون الوقاية المدنية بالإضافة للاشغال العمومية وتولية مكرم عبيد شئون التموين بالإضافة للمالية وتولية عبد الفتاح الطويل الشئون الاجتماعية بالإضافة إلى الصحة (٢٤) . إلا أن هذا الوضع لم يستمر لأكثر من شهر ونصف حين تقرر تعيين وزراء لهذه الوزارات الثلاث (٢٥) ، ثم أنه قبل ذلك وبعد اختيار عبد السلام فهمي جمعه وزير الزراعة رئيساً لمجلس النواب فقد تقرر أن يعين محله في وزارة الزراعة محمد فؤاد سراج الدين (٢٦) .

وكان تعيين سراج الدين أولاً ثم ما استتبع ذلك من تعيين وزير للتموين وتحديد عمل مكرم بوزارة المالية .. كان كل هذا بداية للخصومة ثم للقطيعة بين أشهر صديقين في السياسة المصرية .. النحاس ومكرم .. وكانت هذه الخصومة ثم القطيعة السبب الأساسي في تكوين الوزارة النحاسية السادسة .

٥٦ — وزارة مصطفى النحاس السادسة ٢٦ مايو ١٩٤٢ — ٨ أكتوبر ١٩٤٤

جاء في كتاب الاستقالة الذي رفعه النحاس باشا للملك فاروق في ٢٦ مايو ما نصه « نظراً لما قام بيني وبين حضرة صاحب المعالي مكرم عبيد باشا وزير المالية من خلاف جوهري طال أمده ، وتعددت مظاهره ، وتعذر على علاجه ، بالرغم مما بذلته من الجهود ، ولما كان هذا الخلاف قد أدى إلى استحالة استمرار التعاون بيننا ، فاني اتشرف بأن أرفع إلى جلالتم استقالة الوزارة راجياً » (٢٧) .

(٢٣) عبد العظيم محمد رمضان : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

(٢٤) الوقائع المصرية العدد ٦١ لسنة ١٩٤٢ .

(٢٥) الوقائع المصرية العدد ٨٩ لسنة ١٩٤٢ .

(٢٦) الوقائع المصرية العدد ٥٩ لسنة ١٩٤٢ .

(٢٧) الوقائع المصرية العدد ٩٦ لسنة ١٩٤٢ .



مكرم عبيد باشا سكرتير عام الوفد المصرى

وتطرح هذه الاستقالة تساؤلين ..

أولهما :

ما الذى أدى بالعلاقة بين الرجلين الى هذا الطريق المسدود بالرغم من كل ما كان بينهما من علاقة وثيقة قلما شهدتها ميادين الحياة العادية ناهيك بميدان السياسة ؟

ثانيهما :

ما الذى دعا الى استقالة الوزارة من أجل اخراج وزير مهنا بلغت قيمة هذا الوزير .. ألم يكن بالإمكان قبول استقالة مكرم باشا أو اقالته دون استقالة الوزارة بأكملها ؟

ردا على التساؤل الأول .. فلا شك أن أسبابا كثيرة ومعددة أدت أخيرا الى نهاية صداقة العمر وزمالة الجهاد بين الرجلين ..

أهم هذه الأسباب ، فيما تجمع عليه سائر المصادر ، تلك الغيرة التى دبت بين مكرم عبيد وبين السيدة زينب الوكيل حرم النحاس باشا ويقول السير مايلز لامبسون أن زوجة رئيس الوفد قد « سعت ما وسعها الجهد الى استقلال زوجها عن الرجل الذى استمر لسنوات طويلة مستشاره الرئيسى والمدير الحقيقى لحزب الوفد » (٢٨) ولا تنكر السيدة زينب الوكيل دورها فى هذا السبيل وان كانت قد حاولت ان تؤكد انها قد قامت به لصالح الوفد حيث أن تفرد مكرم بهذه المكانة لدى النحاس هو الذى أدى فى أغلب الأحوال الى الانشقاقات التى حدثت فى الحزب الكبير وما ترتب على هذه الانشقاقات من وهن أصابه .

تسبب آخر باشتراك بعض العناصر الطموحة ، وبالذات فؤاد سراج الدين ، فى الوزارة الوفدية ، ولاشك ان هذه العناصر برغم تنصلها من كونها قد شاركت بأى جهد لاساءة العلاقات بين الرجلين .. لا شك أنها قد أضافت عنصرا جديدا زاد الأمور تعقيدا بين النحاس ومكرم .

سبب ثالث كان وراءه القصر الذى لم يدخر جهدا لضرب الوفد بعد ما أصابه فى ٤ فبراير ولاشك ان تفتيت تماسك زعامة الحزب الكبير ممثلة فى النحاس ومكرم كانت من أهم الأهداف الملكية .

ويقدم واحد ممن اتصلوا بأحمد حسنين رئيس الديوان الملكى آنذاك شهادته فى هذا الصدد فيقول « لم يكن أحمد حسنين سبب الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد السيد مصطفى النحاس والأستاذ مكرم عبيد

.. ولكنه كان أحد الذين عملوا بمهارة وشطارة على توسيع شقة الخلاف « (٢٩) .

وهناك سبب آخر يتمثل في طموح مكرم نفسه الذى يكون قد رأى في خروجه عن الوفد لحساب القصر ما قد يصل به الى رئاسة الوزارة بفض النظر عن انتمائه للأقلية الدينية .. وقد عبر عن هذا الطموح صراحة في أكثر من مناسبة بعد ذلك (٣٠) .

هذه هي أسباب الصدام بين الرجلين أما ميدان هذا الصدام فقد كان في جانب منه في الاستثناءات التى طلبها النحاس لبعض العاملين معه في وزارة الداخلية فكان مصيرها الرفض في اللجنة المالية بوزارة المالية التى يرأسها الوزير .. وهو مكرم عبيد .. ثم أرفف ذلك بنشر مذكرة اللجنة المذكورة وكانت أشبه بوثيقة تشهير بالنحاس باشا .

ثم كانت طلبات تراخيص الاستيراد والتصدير التى طالب بها أقارب حرم رئيس الوزراء جانبا من جوانب الصدام بين الرجلين فقد تشدد مكرم عبيد في رفض هذه الطلبات ورآها صورة من صور استغلال النفوذ .

وكان تعيين آخر هو « أحمد حمزه » وزيرا لوزارة التموين في ١٤ مايو والتي كان يقوم مكرم بتولى شئونها .. كان هذا التعيين جانبا آخر من جوانب الصدام حيث كان مكرم يرى أنه يتولى أعمال الوزارة المذكورة بكفاءة وأنه ليس ثمة حاجة لتعيين وزير جديد لها .

التساؤل الثانى عن استقالة الوزارة من أجل التخلص من وزير واحد فيها .. لماذا حدث هذا ؟

الرد بسيط وهو أن الذى يملك اقالة الوزارة أو وزير فيها هو الملك وليس رئيس الوزراء .. ولما كان مكرم عبيد قد رفض تقديم استقالته ولما كان النحاس يعلم أن أى مسعى لاستصدار قرار باقالة وزير المالية من القصر لن ينتهى الا بالاخفاق سواء بسبب حسن علاقة مكرم بالملك أو سوء علاقة النحاس به فلم يكن أمام الأخير من سبيل سوى تقديم استقالة وزارته وإعادة تشكيلها بدون وزير المالية .. وهذا ما حدث بالفعل في تأليف الوزارة النحاسية السادسة على النحو الآتى :

- مصطفى النحاس باشا رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية والخارجية
- عثمان محرم باشا وزيرا للاشغال العمومية
- أحمد نجيب الهلالي باشا وزيرا للمعارف العمومية
- أحمد حمدي سيف النصر باشا وزيرا للدفاع الوطنى

(٢٩) محمد التامى . من أسرار السياسة والسياسة من ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٣٠) محمد حسين هيكل : المصدر السابق من ٢٩٤ - ٢٩٥ .

- محمد صبرى أبو علم باشا
- عبد الفتاح الطويل باشا
- كامل صدقى باشا
- محمد مؤاد سراج الدين باشا
- محمد عبد الهادى الجندى بك
- الأستاذ عبد الحميد عبد الحق
- الأستاذ أحمد حمزه
- الأستاذ مصطفى نصرت
- الدكتور عبد الواحد الوكيل بك
- الأستاذ محمود سليمان غنام
- وزيراً للمعدل
- وزيراً للمواصلات
- وزيراً للمالية
- وزيراً للزراعة
- وزيراً للأوقاف
- وزيراً للشئون الاجتماعية
- وزيراً للتموين
- وزيراً للوقاية المدنية
- وزيراً للصحة العمومية
- وزيراً للتجارة والصناعة (٣١)

وفيما عدا تغيير بعض المواقع الوزارية فإن نفس الوزراء الذين كانوا يشكلون الوزارة النحاسية السابقة هم الذين ظلوا يشكلون وزارته الجديدة فيما عدا مكرم باشا الذى خرج من الوزارة ليدخلها محمود سليمان غنام .

ولا شك ان النحاس باشا فى وزارته السادسة قد عانى كثيرا مما ترتب على خروج مكرم عبيد منها على هذا النحو ، وقد تعددت وجوه معاناة رئيس الوزراء على النحو الآتى :

١ - الهجمة الضارية التى شنّها مكرم على النحاس فى العريضة المشهورة التى رفعها الى الملك فى ٣١ مارس ١٩٤٣ ، والتى طبعت على نطاق واسع وأخذت اسم « الكتاب الأسود » (٣٢) ، وقد امتلأت بالمطاعن على رئيس الوزراء وأقارب السيدة زينب الوكيل ، وكان الهدف من هذا الكتاب النيل من نزاهة النحاس باشا وهى النزاهة التى ظل الوفديون قبل ذلك يفاخرون بأنهم فوق مستوى الشبهات ، ولا شك أن عريضة مكرم المعروفة باسم « الكتاب الأسود » قد نالت من هذه النزاهة ولو بصورة جزئية .

٢ - دفع الخوف من تأثير اخراج مكرم على التأييد القبطى للوفد الى تعيين قبطى آخر مكانه فى وزارة المالية ، وهو « كامل صدقى » وزير التجارة والصناعة فى الوزارة السابقة .

ولسوء الحظ فلم يكن الرجل كفؤا للمنصب الجديد ، وكما وصفه السير لامبسون « كان بمثابة عقبة فى حسن ادارة الأمور لطرقه الصغيرة » (٣٣) وبالرغم من ذلك ، كما يقول السفير البريطانى أيضا ، فإن النحاس لم يتمكن من فصله مخافة اثاره الاقبات ضد الوفد .

(٣١) الوقائع المصرية العدد ٩٧ لسنة ١٩٤٢ .

(٣٢) انظر جلال الدين الحامى : معركة نزاهة الحكم فبراير ١٩٤٢ يوليو ١٩٤٤ .
Review of Political Developments in Egypt, 1942.

(٣٣)

٣ — بالإضافة الى ذلك فهناك بعض اصدقاء مكرم المقربين الذين لم يتركوا الوفد أو الوزارة وبقوا كحجر عثرة في طريق انتظام العمل ويشير السير لامبسون أيضا في هذا الصدد الى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية الذي استمر « في أحداث المتاعب للحكومة بمعارضته لبعض تشريعاتها » (٣٤) .

* * *

كانت وزارة النحاس باشا السادسة أطول وزاراته عمرا (عامان ونحو خمسة شهور) ، وأهم ما يسجل على تاريخ تلك الوزارة على امتداد هذه الفترة . . . ملك متحيز للتخلص من حكومة فرضت عليه ، ولديه ألف سبب وسبب لتبرير هذا التخلص ، ثم على الجانب الآخر . . . السفير البريطاني السير « مايلز لامبسون » الذي أصبح « اللورد كيلرن » والذي ظل يقف بصلابة أمام محاولات القصر للتخلص من الوزارة النحاسية ، وكان مبرره دائما في منع الملك فاروق من اتخاذ الخطوة التي ظل يتوق الى اتخاذها باقالة الوزارة . كان هذا المبرر « ظروف الحرب » .

ولا شك أن كل طرف قد اصطنع كل الوسائل المتاحة لتمكينه من بلوغ أهدافه مما يمكن أن نراه في أزمات ثلاث كان الملك يهتم في كل منها بالتخلص من الوزارة الوفدية لولا موقف السفارة البريطانية .

أولى هذه الأزمات تلك التي صاحبت صدور الكتاب الاسود ، ففي أعقاب صدور الكتاب وانتشاره تقدم « أحمد حسنين » رئيس الديوان الملكي باستقالته في ١٤ أبريل ١٩٤٣ . وقد سبب هذه الاستقالة بان « استمرار الوفد في الوزارة بعيد أن ثبت فساد سوف يؤدي الى تجمع الشعب ضد النحاس باشا أو ضد البريطانيين مما سيجعل مركزه مستحيلا » (٣٥) .

وقد أدرك اللورد كيلرن ما وراء هذه الحركة المسرحية ، كما أسماها ، من أهداف ، من ثم فقد سعى الى ابطال مفعولها في لقاءين متتاليين مع الملك ومع رئيس الديوان . . .

في اللقاء مع الملك الذي تم في ١٥ أبريل حذره كيلرن بتعليمات مع حكومة لندن ، من اتخاذ أى إجراء متهور (٣٦) . . . والمقصود طبعاً بالإجراء المتهور اقالة النحاس .

وفي اللقاء مع رئيس الديوان الذي تم بعد ذلك بثلاثة أيام كرر السفير البريطاني تحذيرانه بأن أى إجراء متهور من جانب الملك قد تكون له عواقب ليست في الحسبان (٣٧) .

Ibid. (٣٤)

F.O. 371/41237 Desp. No. 207 General Political Review, 1943 Dated Feb. 25, 1944. (٣٥)

Tel. No. 375 Cairo to Foreign office April 16, 1943. (٣٦)

Tel. No. 398 Cairo to Foreign office April 22, 1943. (٣٧)

ومع هذه التحذيرات توقف القصر عن السير في الشوط الى آخره وانتهت أولى المحاولات الملكية للإطاحة بوزارة النحاس السادسة وسحب رئيس الديوان استقالته اذ رفضها الملك . الا ان السفارة سرعان ما طالبت بثمن موقوفها من النحاس ، وقبضت الثمن على صورة تعديل وزارى صدر به مرسوم ملكى فى ٢ يونية ١٩٤٣ على النحو الآتى :

مادة ١ — قبلت استقالة :

كامل صدقى باشا وزير المالية .

محمد عبد الهادى الجندى باشا وزير الاوقاف .

مادة ٢ — عين :

● محمد فؤاد سراج الدين باشا وزير الزراعة وزيرا للداخلية ، مع قيامه مؤقتا بأعمال وزارة الشؤون الاجتماعية .

● الاستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية وزيرا للأوقاف

● الأستاذ مصطفى نصرت وزير الوقاية المدنية وزيرا للزراعة .

● أمين عثمان باشا رئيس ديوان المحاسبة وزيرا للمالية

● فهمى حنا ويصا بك عضو مجلس الشيوخ وزيرا للوقاية المدنية (٣٨)

ويعترف اللورد كيلرن ان هذه التغييرات قد تمت بناء على طلبه لتوفير الكفاءة اللازمة وارضاء الجاليات الأجنبية فى البلاد التى أزعجتها البيانات المثيرة التى يدلى بها عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية .

وتوفير الكفاءة تم باستبعاد كامل صدقى « الناقص الكفاءة » على حد تعبير السفير البريطانى ، وتولية وزير مستقل لوزارة الداخلية هو « فؤاد سراج الدين » هو « اصلاح طال انتظاره » أما ارضاء الجاليات الأجنبية فقد تم بإبعاد عبد الحميد عبد الحق الى وزارة الاوقاف « حيث تكون قدرته على الايذاء اقل مما لو بقى فى وزارة الشؤون الاجتماعية التى تولاها فؤاد سراج الدين ايضا » (٣٩) .

تأتى « الأزمة الثانية » بعد الأزمة الاولى بنحو عام ويلاحظ فى خلال هذا العام انه بينما كان الملك يسعى لاضعاف شعبية الوفد . كانت تتراكم أسباب أكثر للخلاف بين الطرفين :

مساعى الملك لاضعاف شعبية الوفد بدت من ذلك النشاط المتزايد الذى شهدته الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٣ لتنظيم الطلاب والعمال تحت راية القصر ، وكان شهر رمضان فرصة ليقوم حسنين باشا باقناع المثاث

(٣٨) الرقائع المصرية العدد ٦٥ لسنة ١٩٤٣ .

General Political Review, 1943. -

(٣٩)

من ممثلى هؤلاء الذين اعتادوا أن يقصدوا القصر خلال هذا الشهر ..
اقتناعهم بأن النحاس باشا مصمم على سلب الملك سلطاته ، وعلى وضع
نفسه على رأس الدولة بدلا من أن يقنع بدوره فى زعامة الحزب السياسى
ورئاسة الوزارة .

ويسجل اللورد كيلرن أن الملك فاروق قد كسب ارضا من الوفد بين
الطبقات العاملة. وان عددا كبيرا من الطلاب قد أخذ فى التحول عن الوفد
الى الملك ويستشهد على ذلك بمظاهرات الولاء المستمرة التى قام بها
الطلاب والعمال عندما أصيب الملك فى حادثة سيارة خطيرة فى القصاصين
فى نوفمبر عام ١٩٤٣ (٤٠) .

أما تراكم أسباب الخلاف فقد بدت فيما يلى :

أولا :

الصدام الذى حدث فى سبتمبر ١٩٤٢ حول تنظيم احتفالات العيد الألفى
للأزهر ، فبينما ساند القصر طلب شيخ الأزهر (المرافى) برئاسة الاحتفال ،
فان الوزارة صممت على أن هذه الرئاسة من حق وزير الأوقاف وحده مما
أدى الى تجميد الاحتفال المذكور (٤١) .

ثانيا :

فى أثناء التعديل الذى جرى فى يونيه ١٩٤٣ أبدى القصر رغبته فى التخلص
من حمدى سيف النصر وزير الدفاع الوطنى الذى اتهمه الملك بالأدلاء
بتصريحات لا تتسم بالاخلاص للعرش وذلك فى حضور ضباط الجيش ، كذلك
أبدى نفس الرغبة فى التخلص من الهلالى باشا وزير المعارف لما قام به من
شن هجوم على رئيس الديوان فى مجلس النواب .

ولكن حدث التعديل الوزارى وتم النزول على كل رغبة للسفارة كما
سبقت الإشارة ، وتجاهل كل رغبة للملك .

ثالثا :

نتج عن جهود الوزارة لضعاف مركز الشيخ المرافى اضرابات بين طلبة
الأزهر مما أدى الى استقالة الشيخ احتجاجا على أعمال الحكومة ضده .
وكان النحاس تواقا لقبول استقالة شيخ الأزهر ولكن ، ونتيجة لاعتراض
القصر ، تم التوصل الى اتفاق يبقى الشيخ بمقتضاه فى إجازة مرضية
مفتوحة .

واستمرت هذه المسألة من أهم أسباب التوتر في العلاقات بين الطرفين وقد بلغ هذا التوتر مداه نتيجة لاصرار القصر على أن يقوم الشيخ المرافق بالصلاة في أيام جمع رمضان (أغسطس سنة ١٩٤٤) في المساجد التي يؤدي فيها الملك فاروق صلواته ، خاصة وأن أيا من الوزراء لم يحضر هذه الصلوات مخافة أن يترجم مثل هذا الحضور على أنه اعتراف بعودة استئناف الشيخ لمهام منصبه (٤٢) .

رابعاً :

وصلت الأزمات بين القصر والحكومة الى مداها نتيجة لانتشار الملاريا . . . الوباء الذي اجتاح مناطق واسعة في مديرتي قنا وأسوان خلال شهور الشتاء (٤٣ - ١٩٤٤) ، وقد زادت المجاعة من نسبة الوفيات في تلك المناطق . وأدى فشل الوزارة في اتخاذ الاجراءات المناسبة في الوقت المناسب الى أن يحاول القصر استخدام هذا الفشل كورقة لصالحه .

وقد قام الملك بزيارة المديريات المنكوبة في فبراير ١٩٤٤ حيث أحيطت زيارته بهالة من الدعاية عن العطف الملكي على الفلاحين المنكوبين بالمقارنة بالحكومة المهملّة .

وحاول النحاس الرد على ذلك بالقيام بدوره بجولات في الصعيد ، وقد أغضبت هذه الجولات القصر الذي رأى أنه قد قصد بها تقليد الجولات الملكية .

وقد زاد الأمور سوءاً التصريحات التي أدلى بها النحاس مؤكداً ان أبناء الصعيد في حالة صحية جيدة وانهم سعداء بإدارة الحكومة ، فقد رأى الملك في هذه التصريحات انتقاداً مقنعاً لاهتمامه بسكان مديرتي قنا وأسوان (٤٣) .

كل ذلك أدى الى محاولة فاروق الثانية في أبريل ١٩٤٤ للتخلص من الوزارة النحاسية السادسة .

ففي ١٢ أبريل استدعى الملك فاروق السفير البريطاني وأبلغه بنيته على اجراء تغيير في الحكومة وكانت حجته في ابداء تلك الرغبة تفشى الفساد وسوء الإدارة وأن عناصر معينة من الأمة أصبحت لا تنظر باحترام كاف للعرش واستطرد الملك يتحدث عن الحكومة الجديدة وكيف أنها ستشكل من رجال لا حزبيين ، معروفين بنياتهم الطيبة نحو بريطانيا (٤٤) .

F.O. 371/45921 No. 3 Enclosure — General Political Review 1944. (٤٢)

Ibid. (٤٣)

Ibid. (٤٤)

أما هؤلاء الرجال فقد كان على رأسهم أحمد حسنين رئيس الديوان وحسن صائق وزيرا للحربية وحسن رفعت وزيرا للداخلية والدكتور شوشيه وزيرا للصحة وسابا حبشى وزيرا للتجارة وعدد آخر من الشخصيات المصرية المستقلة ، أمثال عبد الفتاح عمرو ومحمود محمد محمود وطراف على ، والاستاذ شفيق غربال .

وبالرغم من الاتفاق الذى تم بين الرجلين على انتظار رد لندن فان الملك فاروق حاول أن يضع اللورد كيلرن أمام الأمر الواقع بإصدار الأمر الملكى بأقالة الوزارة ولكن السفير البريطانى نجح فى الضغط على الملك لانتظار رد تشرشل الذى جمع وزارة الحرب لبحث المسألة .

وجاء قرار الحكومة البريطانية الذى تم إبلاغه الى القصر ومحواه أن مجلس الحرب يرى أن رغبة الملك فى اقالة حكومة يتمتع رئيسها النحاس باشا بأغلبية كبيرة فى البرلمان الذى لا زال أمامه ثلاث سنوات أخرى يعتبر عملاً محفوفاً بالمخاطر . ولكن إذا أراد الملك حل البرلمان وأجراء انتخابات جديدة فان لندن لن تتدخل بشرط ألا يتولى رئاسة الوزارة أحد رجال القصر أو زعيم لا يحصل على الأغلبية البرلمانية (٤٥) .

وكان معنى القرار البريطانى ببساطة أن يحتكم النحاس باشا الى الشعب فإذا جدد المصريون ثقتهم فيه يعود الى الوزارة وهو حل ما كان القصر ليرتضيه .

وعند هذا الحد انتهت الأزمة بالرسالة التى بعث بها حسنين باشا فى ٢٤ أبريل الى السفير البريطانى يبلغه فيها « أن الملك فاروق على استعداد للبقاء على الوزارة الوفدية فى الوقت الحاضر » (٤٦) .

ولا يمضى وقت طويل حتى يعود القصر الى مساعيه بالتخلص من وزارة النحاس خلال شهر سبتمبر — أكتوبر ١٩٤٤ وهى المحاولة التى نجحت وأنت الى انتهاء عهد وزارات ٤ فبراير وبداية المرحلة الثانية من مراحل وزارات الائتلاف اللاوفدية ، وكان الحديث عنها فى الفصل — التالى . .

الباب الخامس

الفصل الرابع

وزارات الائتلاف اللوفدية
المرحلة الثانية
١٩٤٤ — ١٩٤٦

امتدت المرحلة التالية من تاريخ الوزارات المصرية التي أعقبت خروج الوفد ١٩٤٤ لنحو خمس سنوات ، وكانت أطول المراحل التي بقى فيها الوفد بعيدا عن الوزارة منذ عام ١٩٢٤ .

من ناحية أخرى فإن تلك المرحلة قد شهدت مجموعة من التغيرات انعكست بشكل أو بآخر على التاريخ الوزاري في مصر ، ويمكن نسجيل تلك التغيرات فيما يلي :

١ - ما نتج عن الحرب العالمية الثانية من استنزاف الموارد البريطانية مما ترتب عليه هزال أصاب الأسد البريطاني رغم انتصاره ، ولا شك أن هذا الهزال الذي أصبح باديا للعيان قد أغرى به شعوب المستعمرات التي طالما أرهبها فهبت تسعى إلى تحقيق استقلالها الوطني ولا شك أيضا أن المصريين قد أدركوا هذه الحقيقة ووعوها .

من ثم فقد رأى أبناء الشعب المصرى أنه وفي ظل الظروف الجديدة فلا أقل من إنهاء الوجود العسكرى الأجنبى من البلاد ورأوا في نفس الوقت يسر المهمة ، فإن شعوبا أقل أهمية من مصر قد نالت مثل هذا المطلب (سوريا ولبنان) وشعوبا أخرى كان مكانها في تاج الامبراطورية البريطانية أعز مكانة قد استطاعت أن تنتزع نفسها من هذا التاج (الهند) .

ولقد كان فشل الوزارات المصرية التي تعاقبت خلال هذه المرحلة في بلوغ ما رآه المصريون هدفا ميسورا مما يؤجج جذوة الحماسة الوطنية ضدها ويجعلها في موقف حرج أشد الحرج .

٢ - يتصل التغير الثانى بالتغير الأول ، فإن ما أصاب بريطانيا من ضعف وان لم ينفذ وجودها العسكرى في البلاد فإنه أضعف إلى حد كبير قدرتها على التدخل وعلى توجيه شئون السياسة الداخلية وهي القدرة التي ظلت تمارسها بشكل أو آخر منذ عام ١٨٨٢ حين احتلت البلاد ، بل قبل ذلك منذ نشأة نظام النظارة وتأليف نظارة نوبار كنتيجة من نتائج هذا التدخل .

ثم ان التدخل البريطانى بعد عام ١٩٢٤ ظل يتم مستهدفا استمرار التوازن بين القصر والحركة الوطنية ، وكانت الوزارة ميدان هذا التوازن ، فبينما لم يسمح البريطانيون للوفد ، ممثلا للحركة الوطنية ، بالاستئثار بالسلطة من خلال الوزارة (١٩٢٤ - ١٩٣٧ و ١٩٤٤) فإنه لم يسمح في نفس الوقت للملك بالسيطرة على الوزارة واستبعاد الوفد منها (١٩٢٦ - ١٩٣٤) .

ويتوقف أو يضعف التدخل البريطاني في الشؤون الداخلية المصرية فقد استأثر القصر بالسيطرة على الوزارة بعد اخراج النحاس من الحكم ١٩٤٤ .

ولم يتوقف الاستئثار على استبعاد الوفد من الوزارة وإنما امتد ليشمل التدخل في الشؤون الوزارية الى حد بدأ واضحا أن المبدأ الدستوري بأن « الملك يحكم بواسطة وزرائه » قد تنوسى الى حد كبير . ويروى لنسب الدكتور هيكل ، الذى كان قد أصبح آنذاك رئيسا للحرار الدستوريين كثيرا من الانتهاكات الملكية لما كفله الدستور للوزارة من سلطات مما سبب ذكره ونحن نتابع تاريخ كل وزارة على حدة .

٣ — وتتضافر الاسباب لتشهد مصر خلال تلك المرحلة فترة عصيبة من فترات افتقاد الأمن وعدم الاستقرار . كان هناك الحبوط النفسى الناتج عن الفشل في تحقيق المطالب الوطنية ، وكان هناك الوفد .. فبالرغم مما أصابه من وهن خلال تلك المرحلة إلا أنه ظل أقدر القوى التقليدية على تحريك جماهير الشعب .. ولا شك أن أبعاده عن السلطة تلك الفترة الطويلة قد دعاه الى بذل كل جهد في هذا الصدد ، وكان هناك أيضا الجماعات السياسية الجديدة (الإخوان - الشيوعيون - الاشتراكيون) الذين حرّموا من قنوات شرعية يمارسون من خلالها نشاطهم السياسى ، فالتجأوا الى العنف تعبيرا عن وجودهم .

وكان من المحتم أن ينعكس ذلك على الوزارة ، وتكفى الإشارة في هذا المجال الى أن رئيسين من أربعة رؤساء للوزارة في تلك المرحلة قد اغتيلوا (أحمد ماهر في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ - محمود فهمى النقراشى في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨) وأن وزارتين على الأقل من الوزارات الست في تلك المرحلة (النقراشى الأولى وصدقى الثالثة) قد استقالتا لأسباب تتعلق بالأمن ، بالإضافة الى الوزارتين اللتين سقطتا بسبب اغتيال رئيسيهما .

وفي ظل هذه الظروف تألفت وعاشت وسقطت وزارات الائتلاف اللاويفية في مرحلتها الثانية بين عام ١٩٤٤ و ١٩٤٦ .

٥٧ — وزارة أحمد ماهر باشا الأولى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ — ١٥ يناير ١٩٤٥ :

لم تكن الأزمة التى اطاحت بوزارة النحاس السادسة وأنهت عهد وزارات ٤ فبراير أزمة وزارية بالمعنى المفهوم .. وإنما كانت تلمسا لنهاية الصراع بين القصر والوفد .

ففى يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٩٤٤ بينما كان الملك فى موكب للصلاة الى جامع عمرو لاحظ بعض لافتات الترحيب وقد كتب عليها « يحيا الملك مع النحاس » وكان اقتران اسم رئيس الوزراء بالملك مما أثار الأخير ودعاه الى اصدار أوامره لمدير الأمن العام « غزالى بك » بنزع اللافتات والذى نفذ الأمر الملكى على الفور .



احمد ماهر باشا

- ولد عام ١٨٨٨ والده محمد ماهر باشا وكيل وزارة الحربية ومحافظة القاهرة فيما بعد .
- تخرج من مدرسة الحقوق ١٩٠٨ ونال درجة الدكتوراه من جامعة مونبلييه بفرنسا .
- عين استاذا بمدرسة التجارة العليا .
- اشتغل بالحركة الوطنية وانتخب ١٩٢٤ عضوا بمجلس النواب وعين وزيرا للمعارف .
- انشأ الهيئة السعدية ١٩٣٨ وألف وزارته الاولى في ١٩٤٤ .
- اغتيل في حرم البرلمان في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ بسبب نيته اشراك مصر في الحرب في صف الحلفاء .

في مساء نفس اليوم أصدر وزير الداخلية قرارا بإيقاف مدير الأمن عن العمل وصدر خبر الايقاف في الصحف صبيحة اليوم التالي .

وكان من الطبيعي أن يثير مثل هذا الاجراء الملك الذي صمم بدوره على ابقاء غزالي بك في منصبه . وتمسك كل طرف بموقفه مما أدى الى استفحال الأزمة (١) .

وتطلع كل من جانبي الصراع الى دار السفارة البريطانية في قصر الدوبارة ينتظر موقفها من الأزمة الجديدة ، ولا شك أنه قد تحكم في هذا الموقف مجموعة من الاعتبارات .

١ - ظروف الحرب وقد قاربت الانتهاء بعد أن خرجت إيطاليا منها وأحدثت قوات الحلفاء بألمانيا من كل جانب ، لذا فقد كان التدخل في هذه الأزمة لصالح الوزارة الوفدية مرة أخرى بحجة ظروف الحرب تدخلا من الصعب تبريره من ناحية ، كما أنه لم يكن ضروريا من ناحية أخرى خاصة وأن الوزارة الوفدية قد أصابها الكثير من سوء السمعة . . بسبب ما تردد عن أعمال سوء إدارة ومحسوبية ورشوة أو ما حدث من استخدامها للاحكام العرفية لضرب خصومها بعد أن كانت تستخدمها لضرب خصوم الحلفاء ، فيما ظهر في اعتقال « مكرم عبيد » مثلا . وبدأت الوزارة النحاسية نتيجة لهذه الاعمال وقد اعتمدت على قوة السلطة أكثر مما اعتمدت على قوة التأييد الشعبي .

٢ - أن اللورد كيلرن بطل حادث ٤ فبراير وصاحب الانذارات المتتالية للبقاء على الوزارة الوفدية لم يكن موجودا بالقاهرة آنذاك . وبالرغم من أن وجوده أو عدم وجوده ما كان يغير من السياسة البريطانية التي تقررت في الأزمة الجديدة إلا أن غياب الرجل قد أضعف من الاعتبارات الأدبية التي ظلت تربطه بتأييد الوفد ضد الملك ، وهو الرأي الذي سجله في مذكراته (٢) .

٣ - ثم أن الرجل موضع الخلاف - غزالي بك - كان من الشخصيات المقربة للإنجليز ، ومن ثم فإن الاجراء الذي اتخذته الحكومة الوفدية ضده كان بالقطع لا يروق دار السفارة البريطانية وهو ما عبر عنه المستر شون القائم بأعمال السفير آنذاك في خطاب شخصي منه الى النحاس باشا جاء فيه أن « غزالي بك قد ظل يتعاون تعاوننا جديا مع السلطات البريطانية (٣) » .

وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات السابقة اتخذت الحكومة البريطانية قرارها الذي أبلغه المستر شون لكل من حسنين باشا رئيس الديوان ،

General Political Review 1944.

The Killearn Diaries 1934 - 1946 p. 315.

F.O. 371/41319 Weekly political and Economic Report No. 96

secret 28th Sept. to 4th Oct. 1944.

(١)

(٢)

(٣)

وأمين عثمان باشا وزير المالية وهمزة الوصل بين السفارة والنحاس باشا ،
في ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤ وكان نصه « ان حكومة صاحب الجلالة لا تريد ان
تتورط في هذا الخلاف الداخلى (٤) » .

وكان معنى هذا القرار ببساطة تفويض القصر في اقالة الوزارة النحاسية
وهى فرصة كان الانجليز يدركون ان الملك لن يفوتها ، ولا شك ان الوفد
قد ادرك نفس الحقيقة .

لعل هذا الادراك من جانب الوفد هو الذى دعا النحاس باشا الى التفكير
في القيام بعمل سياسى استهدف من ورائه أن يكون خروجه من الحكم
على نحو وطنى يكفل له استرداد جانب من رصيد الشعبية الذى فقده
خلال وزارته الأخيرة .

ذلك أن النحاس كان قد تبادل مع المستر شون أكثر من خطاب شخصى
تناولت أزمة مدير الأمن العام وأوضحت الموقف الانجليزى من غزالى بك .
وقد حدد رئيس الوفد اجتماعا لمجلس الوزراء فى الساعة السابعة من مساء
٨ أكتوبر يتقدم فى أعقابها باستقالته للملك متذعرا فى ذلك بالتدخل البريطانى ،
ورأى أن يصحب هذا أو يعقبه نشر الخطابات الشخصية المتبادلة بينه وبين
المستر شون تؤكد هذا التدخل (٥) .

ولكن ، وقبل أن ينفذ النحاس خطته ، يفسدها له القصر ، اذ وجه
اليه ، قبيل اجتماع مجلس الوزراء أمرا ملكيا بأقالته . وقد صيغ فى عبارات
جافية بل وقاسية ، وكان نصه :

**« لا كنت حريصا على ان تحكم بلادى وزارة ديمقراطية ، تعمل للوطن
وتطبق احكام الدستور نصا وروحا وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق
والواجبات ، وتقوم بتوفير الغذاء الكساء لطبقات الشعب ، فقد رأينا ان
نقلكم من منصبكم (٦) » .**

تبع ذلك تكليف الدكتور أحمد ماهر بتشكيل الوزارة الجديدة ، والتي
تقرر أن تشترك فيها الأحزاب التقليدية عدا الوفد ، بمعنى آخر أن يجمع
بين عناصرها اللاوفدية .

وبالإضافة الى الأحزاب الثلاثة القديمة « السعديون — الأحرار
الدستوريون — الحزب الوطنى » كان مكرم عبيد قد شكل آنذاك حزب الكتلة
الوفدية المستقلة الذى تسمى بعد ذلك بحزب الكتلة الوفدية .

ويحتاج مكرم باشا وحزبه الى وقفة صغيرة لأنها كانا وراء كثير من
أسباب التصدع الذى أصاب عهد وزارات الائتلاف الوفدية .

F.O. 371/41319 Weekly political and Economic Report No. 94 (٤)

Secret 14th. To 20th. Sept. 1944.

F.O. 317/41319 Weekly political Report No. 97. (٥)

(٦) الوقائع المصرية ، العدد ١١٧ لسنة ١٩٤٤ .

فان « المجاهد الوطنى » وابن سعد زغلول البكر ، بعد خروجه عن الوفد أو اخراجه منه ، لم يستطع أن يتفهم حقيقة أنه كان كبيرا بالحزب الكبير وظل على تصوره أن الحزب الشعبى كان كبيرا به . وهو فى هذا لم يستطع أن يعى الدرس الذى لابد وأن يكون قد وعاه كل الذين خرجوا عن الوفد أو أخرجوا منه .

بالإضافة الى ذلك فان مكرم باشا قد جانبه التوفيق وهو ينظر الى الوزارة نظرة الغنائم أو الأسلاب ، ذلك أن الدور الذى قام به فى التمرد على الزعامة الوفدية ثم محاولة التشهير من خلال الكتاب الاسود ظل يترك عليه نفسه ويصور له الأمور باعتباره « بطل اقالة الوزارة الوفدية » ، والبطل لابد أن يستأثر بالنصيب الأوفى من الغنيمة ، وقد استمر هذا النوع من التفكير يحكم تصرفات الرجل مما اثر أشد التأثير فى تاريخ الحقبة الاولى من المرحلة الثانية « للوزارات اللاوفدية » بل يمكن القول أنه كان سببا من أهم أسباب ضعف التجربة .

ولعل استعراض تاريخ تلك الحقبة يوضح كثيرا هذه الحقيقة ، فما أن أقيمت الوزارة النحاسية السادسة حتى استدعى جميع زعماء الاحزاب اللاوفدية للاتفاق على تأليف الوزارة الجديدة .

يروى لنا الدكتور هيكى بعض اسرار المشاورات التى جرت فى هذه المناسبة، وكيف أن مكرم عبيد صمم على أن يحصل « حزبه الناشئ » على عدد مساو لكل من الحزبين الكبيرين الآخرين « السعديون والدستوريون » وكيف أنه صمم على أن يتولى وزارة المالية ، وكيف كاد أن يؤدى ذلك الى فشل مشاورات تأليف الوزارة ، لولا تدخل القصر المستمر وضغطه من ناحية (٧) ، ولولا الرغبة من جانب المجتمعين فى انجاح تلك المشاورات كيدا للوفد من ناحية أخرى .

وقد تمخض عن هذا النجاح تشكيل الوزارة الماهرة الاولى على النحو الآتى :

- | | |
|-------------------------------|---|
| ● احمد ماهر باشا | رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية |
| ● مكرم عبيد باشا | وزيرا للمالية |
| ● محمود فهمى النقراشى | وزيرا للخارجية |
| ● محمود غالب باشا | وزيرا للاشغال العمومية |
| ● حافظ رمضان باشا | وزيرا للعدل |
| ● محمد حسين هيكى باشا | وزيرا للمعارف العمومية والشئون الاجتماعية |
| ● الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا | وزيرا للاوقاف |
| ● الأستاذ ابراهيم عبد الهادى | وزيرا للصحة العمومية |

(٧) محمد حسين هيكى ، مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .

- أحمد عبد الغفار باشا
- وزيراً للزراعة
- الأستاذ إبراهيم دسوقي أباطه
- وزيراً للمواصلات
- طه محمد عبد الوهاب السباعي بك
- وزيراً للتموين
- راغب حنا بك
- وزيراً للتجارة والصناعة
- الأستاذ السيد سليم
- وزيراً للدفاع الوطنى (٨)

وقد تشكلت الوزارة على هذا النحو من أربعة من كل من الأحزاب الثلاثة (السعديون — الدستوريون — الكتلة) بالإضافة الى وزير من الحزب الوطنى .

السعديون الأربعة هم ماهر والنقراشى وغالب وإبراهيم عبد الهادى والدستوريون الأربعة هم هيكى وعبد الرازق وعبد الغفار ودسوقي أباطه وأعضاء الكتلة الأربعة هم مكرم والسباعى وراغب حنا والسيد سليم ، أما ممثل الحزب الوطنى فقد كان رئيسه حافظ رمضان .

الملاحظة الأخرى على تشكيل وزارة أحمد ماهر الأولى ان وزيراً واحداً فيها هو « حسين هيكى » قد تولى وزارتين (المعارف والشئون الاجتماعية) ويفسر لنا الدكتور هيكى فى مذكراته أسباب هذا الوضع الغريب فيقول انه هو الذى طالب بأن يتولى وزارتين فى وقت واحد وهو يستهدف من وراء ذلك أن يكون رفض طلبه ، وهو ما توقعه سبباً فى عدم الاشتراك فى الوزارة الا أن زعماء الأحزاب الأخرى قد خيبوا ظن الرجل واستجابوا الى طلبه (٩) .

* * *

كان مفهوماً أن الوزارة الجديدة تسعى الى التخلص من آثار عهد وزارات ٤ فبراير الوفدية وإقامة عهد جديد من (اللاوفدية) محله .

بالنسبة للجانب الأول ، أى التخلص من آثار عهد وزارات ٤ فبراير الوفدية فقد كان لخطة الوزارة فى هذا الصدد شقان :

أولهما : تدمير الوفد وعلى كل المستويات ، فقد شن أحمد ماهر منذ تشكيله لوزارته حملة ضد النحاس باشا وأتهمه فى أحد تصريحاته بأنه كان أسوأ الديكتاتوريين وبأنه كان يريد أن يحكم مصر بأساليب « هتلر وموسوليني » من جهة أخرى فإن مكرم عبىد أعلن عن عزمه على نشر « كتاب أسود » جديد أشد سواداً من سابقه . وفى ٨ نوفمبر صدر أمر ملكى بالغاء كافة الترقيات والعلاوات والمعاشات الاستثنائية التى تمت فيما بين فبراير ١٩٤٢ وأكتوبر ١٩٤٤ . وأعيد الموظفون الذين عزلهم النحاس باشا الى وظائفهم وأحيل الى المعاش كل من يعرف عنه تعاطفه مع الوفد (١٠) .

(٨) الوقائع المصرية العدد ١١٨ لسنة ١٩٤٤ .

(٩) محمد حسين هيكى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(١٠) مارسيل كولومب : تطور مصر ١٩٢٤ — ١٩٥٠ (ترجمة زهير الشاب) ص ٢٦٢ .

ووصلت الحملة ضد الوفد الى ذروتها عندما تقرر تشكيل لجنة تحقيق يرأسها مكرم عبيد لتقدم تقريرا عن أعمال الفساد المنسوبة الى النحاس باشا ووزرائه وأقاربه . وعند هذا الحد بدأ تدخل اللورد كيلرن بهدف منع الا تمرار في تلك الأعمال التي نعتها بعدم الحكمة (١١) ، وقد استجابت حكومة أحمد ماهر بالفعل للتدخل البريطاني .

ثانيهما : حل مجلس النواب الوفدى القائم ، فقد استصدرت الوزارة في ١٥ نوفمبر ١٩٤٤ مرسوما بحله ، ودعوة مجلس النواب الجديد الى الاجتماع يوم الخميس ١٨ يناير ١٩٤٥ ، ثم حددت للانتخابات يوم الاثنين ٨ يناير (١٢) .

يبدأ تنفيذ الجانب الثانى من خطة وزارة أحمد ماهر باقامة « العهد اللاوفدى » ، وكان أهم ما فى هذا الجانب تكوين برلمان جديد تعتمد عليه الحكومة على أن يكون برلمانا لا وفديا .

وقد جرت مشاورات بين الأحزاب التى تؤلف الحكومة حول توزيع المقاعد عليها ، واضطر القصر الى التدخل أكثر من مرة ليتوصل زعماء هذه الأحزاب على اتفاق فيما بينهم ، وقد توصلوا الى اتفاق فعلا يقضى بتخصيص ٥٥ دائرة مغلقة لكل من السعديين والدستوريين والكتليين و ١٦ دائرة للحزب الوطنى و ٢٠ دائرة للمستقلين ، وتركت باقى الدوائر وعددها ٦٣ مفتوحة للمنافسة الحرة (١٣) .

ورأى الوفد بعد أن يئس من استجابة القصر لمطلبه بحرية الانتخابات وبايقاف الرقابة على الصحف خلال اجرائها . . رأى الاعلان عن نيته عدم دخول تلك الانتخابات ، وقد اثر فى قرار الزعامة الوفدية اصدار الوزارة لقانون جديد بإعادة تقسيم الدوائر الانتخابية كان واضحا أنه يستهدف فوز مرشحي الحكومة (١٤) .

وجرت الانتخابات فعلا فى موعدها المحدد وتمخضت عن فوز ١٢٥ نائبا من السعديين و ٧٤ من الدستوريين و ٢٩ من الكتلة الوفدية وسبعة من الحزب الوطنى و ٢٩ من المستقلين ومجموعهم ٢٦٤ نائبا (١٥) .

وكان مطلوبا أن يشمل التغيير مجلس الشيوخ بدوره . وكان سرى باشا قد عين ١٩٤١ عددا من أعضاء مجلس الشيوخ تبعا لمواد الدستور القاضية بتجديد المجلس ، ولكنه كان قد أجل انتخاب الشيوخ الجدد طبقا لهذه المواد . ولما جاء الوفد الى الحكم ١٩٤٢ ألغى تعيينات حكومة سرى واستصدر مرسوما بتعيين شيوخ جدد ، وجاءت حكومة أحمد ماهر لتستصدر مرسوما

General Political Review 1944.

(١١)

(١٢) عبد الرحمن الراعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ١٤٦ .

General Political Review 1944.

(١٣)

Ibid.

(١٤)

(١٥) عبد الرحمن الراعى : المصدر السابق ص ١٤٧ .

بالغاء تعيينات حكومة الوفد والعودة الى تعيينات حكومة سرى . وذلك في
أواخر ديسمبر ١٩٤٤ (١٦) .

وبالطبع لم يبق الوفد ساكنا في مواجهة اجراء هذه التغييرات بل ظل يحرك
بعض قواعده ، وبالذات الشباب من طلاب الجامعة ، الا أن ذلك التحريك
لم يكن بالاتساع الذى تخشى منه الحكومة لأكثر من سبب . . فمن ناحية
كان القصر بدوره قادرا على تحريك هؤلاء الشباب فيما بدا من مظاهرات
الابتهاج التى قاموا بها بمناسبة اقالة الوزارة الوفدية في ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ،
ومن ناحية أخرى فإن رئيس الوزراء بحكم خبرته القديمة في العمل في المجال
السياسى قد استطاع أن يتصدى لتيار تظاهرات الشباب وأن يوقفه أو على
الأقل يضعف من قيمته ، وهناك الحادثة المشهورة التى ذهب فيها الدكتور
أحمد ماهر دون أى حراسة لحرم جامعة القاهرة (غؤاد الأول) في ٢٣ ديسمبر
ليخطب في طلابها المتظاهرين ويتمكن من اقناعهم بفض مظاهراتهم (١٧) .

وبعد التغييرات التى اجراها « أحمد ماهر » في مجال السلطة التشريعية ،
وبعد أن أثبت قدرته على الامساك بزمام الأمور بين يديه كان عليه تأليف وزارة
جديدة لتسير قدما في تنفيذ السياسة الموضوعية .

٥٨ — وزارة أحمد ماهر باشا الثانية ١٥ يناير — ٢٤ فبراير ١٩٤٥ :

تقدم أحمد ماهر باستقالة وزارته في أعقاب ظهور نتيجة انتخابات مجلس
النواب «التى دلت بأجلى بيان ونطقت بأفصح لسان على صدق النظرة السامية،
التى شملتم بها الموقف عندما أمرتم جلالكم باقالة الوزارة الماضية» (١٨) .
ومرة أخرى ، وعلى ضوء الاغلبية الكبيرة التى حصل عليها السعديون
في الانتخابات ، يكلف الملك أحمد ماهر بتأليف وزارة جديدة هى وزارة الرجل
الثانية .

وكان الاتجاه مبنيا على أن تتألف الوزارة الجديدة مطابقة للوزارة السابقة
الا أن هذا لم يحدث تماما فيما يمكن تبينه بتقديم التشكيل الجديد .

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ● أحمد ماهر باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية |
| ● مكرم عبيد باشا | وزارة المالية |
| ● محمود فهمى النقراشى باشا | وزارة الخارجية |
| ● محمود غالب باشا | وزارة الأشغال العمومية |
| ● حافظ رمضان باشا | وزارة العدل |
| ● الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا | وزارة الأوقاف |
| ● الأستاذ إبراهيم عبد الهادى | وزارة الصحة العمومية |

General Political Review 1944.

(١٦)

Ibid.

(١٧)

(١٨) الوثائق المصرية العدد ٩ لسنة ١٩٤٥ .

- أحمد عبد الغفار باشا
- الأستاذ إبراهيم الدسوقي أباظه
- طه محمد عبد الوهاب السباعى بك
- راغب حنا بك
- الأستاذ السيد سليم
- عبد الرازق السنهورى بك
- حنفى محمود بك
- عبد المجيد بدر بك
- لوزارة الزراعة
- لوزارة المواصلات
- لوزارة التموين
- وزير دولة
- لوزارة الدفاع الوطنى
- لوزارة المعارف العمومية
- لوزارة التجارة والصناعة
- لوزارة الشؤون الاجتماعية (١٩)

وكان أهم ما فى التعديل الجديد خروج هيكل باشا رئيس الأحرار الدستوريين من الوزارة ليخلفه فيها من أعضاء حزبه حنفى بك محمود وان كان لم يعين وزيرا للمعارف أو للشئون الاجتماعية إنما عين وزيرا للتجارة والصناعة ، أما المعارف فقد تولاها وكيلها السنهورى بك ، والشئون الاجتماعية تولاها عبد المجيد بدر بك .

ويعزو الدكتور هيكل خروجه من الوزارة وشغله لمنصب رئاسة مجلس الشيوخ الى عدم الرضاء الذى شعر به نتيجة لتدخل السعديين فى مجرى الانتخابات مما ترتب عليه غلبتهم على حلفائهم الأحرار الدستوريين وهى غلبة كانت من قبل للآخرين على عهد وزارات الائتلاف اللاوفدية الأول (٢٠) . وان كان يخلو للبعض على الجانب الآخر تفسير ما حدث بانقلاب الموازين على ضوء نمو حجم البورجوازية المصرية التى يمثل السعديون مصالحها ، خلال الحرب الثانية وأعقابها وذلك على حساب طبقة كبار الملاك التى يمثلها الأحرار الدستوريون (٢١) .

* * *

كانت القضية الملحة التى واجهتها وزارة « أحمد ماهر » الثانية فى أعقاب تشكيلها هى قضية « دخول مصر الحرب » .

فقد ظلت مصر منذ قيام الحرب الثانية فى سبتمبر عام ١٩٣٩ دولة غير محاربة بالرغم من كل ما أحاط بها من مخاطر القتال وصل فى مرحلة ما الى غزو بعض أراضيها من جانب قوات المحور .

واستمرت الوزارات المتعاقبة على اختلاف هوياتها تنفيذ سياسة « تجنب مصر ويلات الحرب » حتى عهد وزارة أحمد ماهر الثانية وبينما كانت الحرب قد قاربت نهايتها اذ عادت قضية دخول البلاد الحرب تفرض نفسها .

ذلك انه كان قد تقرر بين الثلاثة الكبار فى مؤتمر يالتا عدم اشتراك أى دولة فى مؤتمر سان فرانسيسكو لتكوين الأمم المتحدة الذى تقرر انعقاده فى ٢٥

(١٩) الوقائع المصرية العدد ١٠ لسنة ١٩٤٥ .

(٢٠) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٢١) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ص ٢٠ .

ابريل ١٩٤٥ ان لم تكن هذه الدولة قد أعلنت الحرب على المحور قبل اول مارس .

ولم يكن امام احمد ماهر وحكومته الا الاستجابة لطلب تقدم به السفير البريطاني في منتصف فبراير ١٩٤٥ باعلان مصر « دولة محاربة » اذا رغبت في الاستمتاع بعضوية مؤتمر سان فرانسيسكو (٢٢) .

ويبدو لأول وهلة ان استجابة الحكومة الائتلافية للمطلب ليست اكثر من « تحصيل حاصل » الا ان التجربة التي خاضتها هذه الحكومة في مواجهة تلك القضية اثبتت لين عود نظام « الائتلاف اللاوفدى » .

فمن ناحية شن الوفد حملة عنيفة على اتجاه الحكومة الى اعلان الحرب تضمنها بيان من النحاس باشا في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ (٢٣) ، والواضح ان تلك الحملة قد لقيت صدى واسعا الى حد ادخل المخاوف لقلوب الحكومة ودار السفارة البريطانية مما عبر عنه اللورد كيلرن في تقاريره (٢٤) .

ومن ناحية اخرى فان احزاب الائتلاف لم تتخذ خطا واحدا نحو القضية .

السعديون كانوا يرون ان تتخذ الوزارة القرار دون استشارة البرلمان بينما صمم مكرم وحزب الكتلة على ان يكون اتخاذ القرار من خلال البرلمان .

اكثر من ذلك فان « الحزب الوطنى » الذى كان يمثله حافظ رمضان داخل الوزارة اعتنق موقف المعارضة بعدم دخول مصر الحرب وقدم استقالته احتجاجا على الخطوة المقترحة لولا ضغط من القصر عليه لسحب هذه الاستقالة (٢٥) .

وفي هذا الجو الملىء بالمحاذيرلقى الدكتور احمد ماهر بيان الحكومة في جلسة سرية لمجلس النواب في مساء يوم السبت ٢٤ فبراير ١٩٤٥ باعلان حالة الحرب ضد اليابان والمانيا ، وبينما كان الرجل ينتقل من قاعة مجلس النواب الى قاعة مجلس الشيوخ لقي مصرعه على يد أحد الشبان الذين رأوا انه قد ضحى بمصالح مصر في خطوته هذه . وانطوى عهد وزارة احمد ماهر الثانية ولم تستكمل من عمرها اكثر من اربعين يوما .

٥٩ — وزارة محمود فهمى النقراشى الأولى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ — ١٥ فبراير ١٩٤٦ :

كانت حادثة اغتيال الدكتور احمد ماهر باشا ثانى حادثة اغتيال لرئيس وزراء فى تاريخ الوزارات المصرية ، وكانت الأولى حادثة اغتيال بطرس باشا غالى فى شهر فبراير ايضا ، قبل ذلك بخمس وثلاثين عاما (١٩١٠) .

F.O. 371/45930 No. 348 Report No. 117 secret.

(٢٢)

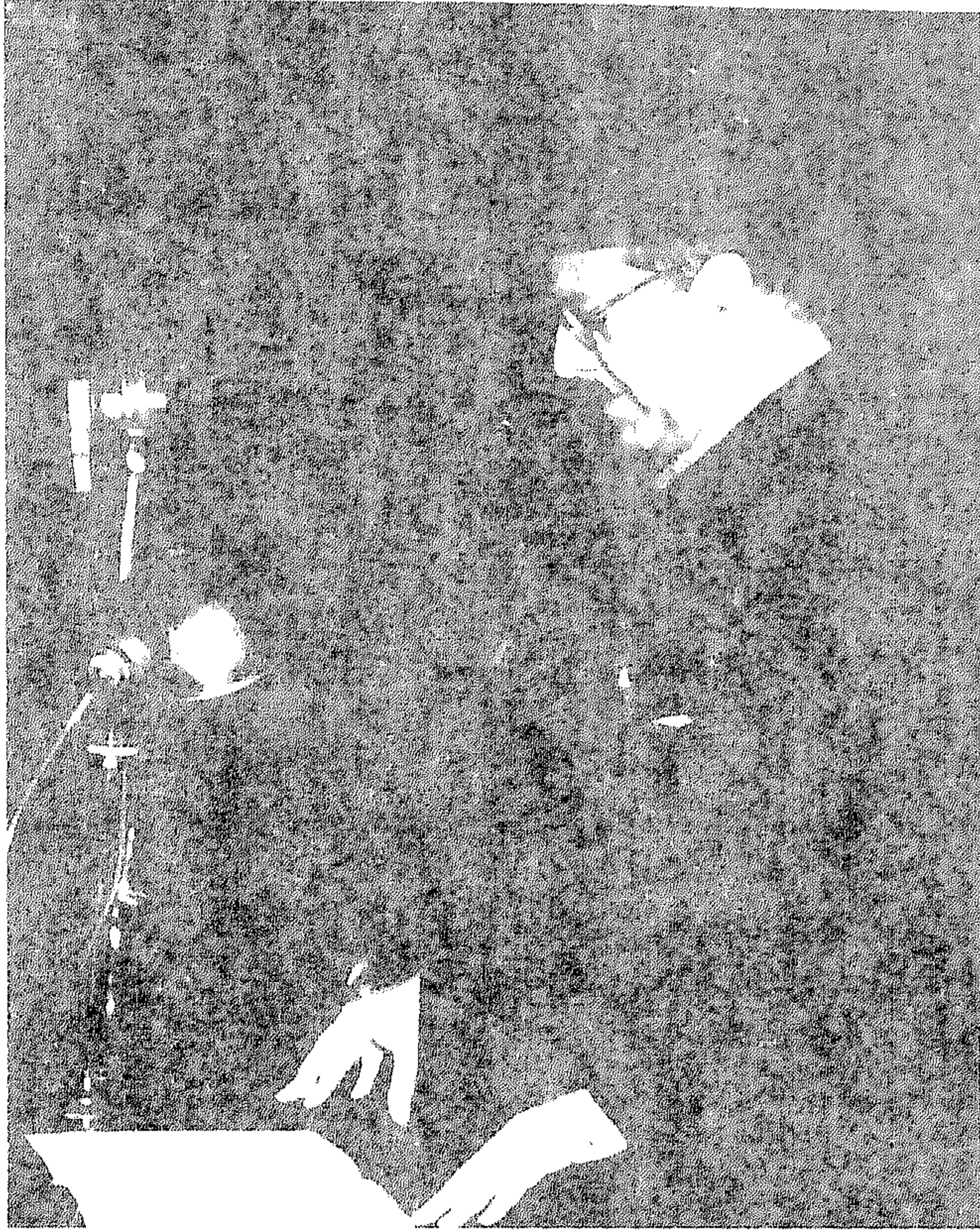
(٢٣) نص البيان فى : البلاغ فى ١٩٤٥/٢/٢٤ .

Report No. 117 secret.

(٢٤)

F.O. 371/54930 No. 304 Report No. 116 Secret.

(٢٥)



محمود فهمى النقراشى باشا

- ولد بالاسكندرية ١٨٨٨ وتعلم حتى انتهاء المرحلة الثانوية بها ثم التحق بمدرسة المعلمين الخديوية بالقاهرة وحصل على شهادة في التعليم من نوتنجهام بإنجلترا ١٩٠٩ .
- عمل بالتدريس بوزارة المعارف وشارك في ثورة ١٩١٩
- اتهم مع أحمد ماهر ١٩٢٤ في قضية اغتيال السردار .
- تولى عددا من المناصب الوزارية حتى اختلف مع النحاس ١٩٣٧ وخرج من الوفد ليؤسس مع أحمد ماهر الهيئة السعدية .
- تولى رئاسة الوزارة بعد اغتيال أحمد ماهر ١٩٤٥ ثم استقال منها وعاد الى رياستها ١٩٤٦ .
- رفع قضية مصر في مجلس الأمن ودخلت مصر حرب فلسطين في مايو ١٩٤٨ في عهد وزارته الثانية واغتيل في ٢٨ ديسمبر من نفس السنة .

وقد ترتب على اغتيال الدكتور ماهر مجموعة من النتائج انعكست بشكل أو بآخر على مسيرة الوزارة .

كانت أولى هذه النتائج البحث عن محل محل رئيس الوزراء الراحل ، وقد استقر الرأي أخيراً على محمود فهمى النقراشى رفيق الدكتور ماهر ونائب رئيس الهيئة السعدية بالرغم من كل المحاذير التى أحاطت بهذا الاختيار .

وقد اتصل بعض هذه المحاذير بمخاوف القصر بعدم سهولة التعاون مع شخصية مثل النقراشى اشتهر بالتصلب عند رايه وانه لا يملك من المرونة ما كان يملكه ماهر باشا ، وقد بدد الدكتور هيكى فى لقائه بالملك الذى تم فى أعقاب الحادثة . . بدد هذه المخاوف وأكد لفاروق « ان أعباء الرئاسة ستغفر الكثير من طباع النقراشى عما قريب » (٢٦) .

محذور آخر اتصل بإمكانية التعاون بين النقراشى ومكرم باشا وبين الرجلين ما بينهما منذ أن كان الأخير سبباً فى اخراج الأول من الوفد عام ١٩٣٧ ، ولا شك أن رئيس الكتلة الوفدية كان مستعداً ببعض المرونة للعمل تحت رئاسة الدكتور ماهر أما العمل تحت رئاسة النقراشى فقد كان له شأن آخر يملأ نفس مكرم باشا بكل المرونة .

وقد تحققت كل المخاوف المتعلقة بهذا المحذور وكانت من أهم أسباب ضعف الوزارة النقراشية الأولى .

النتيجة الثانية التى ترتبت على مقتل رئيس الوزارة رقم (٥٨) تتصل بتشكيل الوزارة الجديدة ، وهل تكون فرصة للتخلص من بعض عناصرها التى ثبت أن وجودهم فيها أدعى الى ضعفها أكثر من أن يكون سبباً من أسباب قوتها ، ونعنى هنا بالذات حزب الكتلة برئاسة مكرم باشا والحزب الوطنى يمثله حافظ رمضان .

لقد رجحت اعتبارات الأمن على اعتبارات الانسجام الوزارى لدى تشكيل الوزارة النقراشية ، فقد رأى أن أى تغييرات فى الوزارة قد تبدو وكأنه قد حكمها الخوف لدى السلطة من حادثة الاغتيال مما قد يترتب عليه مزيد من حوادث الاغتيال .

ومن ثم فقد تقرر أن تتشكل الوزارة الجديدة على نفس نسق الوزارة السابقة وعدم إجراء أى تغيير فيها عدا تولية النقراشى لرئاستها (٢٧) .

نتيجة أخرى بدت فى رغبة القصر فى تخويل نفسه فى هذه المناسبة مزيداً من الحقوق التى لا يخولها إياه الدستور والتى بدت فيما أسره الملك لرئيس مجلس الشيوخ عن نيته على عدم تأليف وزارة جديدة ، وإنما مجرد أن يقوم

(٢٦) محمد حسين هيكى : المصدر السابق ص ٣٠٨ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٣٠٨ .

بتعيين رئيس جديد للوزارة القائمة مما اسماء الدكتور هيكل « بدعة لم يعرفها دستور برلمانى فى العالم ، ولم تعرفها مصر منذ سنة ١٨٧٩ حين أصدر الخديو اسماعيل ارادته بأن يحكم مصر مع وزرائه وبواسطتهم » (٢٨) .

على اى الاحوال فقد استطاع هيكل باشا والوزراء ورئيس لجنة القضايا، استطاعوا اقناع القصر بالعدول عن الفكرة وتألقت الوزارة النقراشية الاولى على النحو الذى تألفت عليه بقية الوزارات بمرسوم ملكى على النحو الآتى :

- محمود فهمى النقراشى باشا
- رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية والخارجية
- مكرم عبيد باشا
- وزير المالية
- محمود غالب باشا
- وزير الاشغال العمومية
- حافظ رمضان باشا
- وزير العدل
- الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا
- وزير للاوقاف
- الأستاذ ابراهيم عبد الهادى
- وزير للصحة العمومية
- أحمد عبد الغفار باشا
- وزير للزراعة
- الأستاذ ابراهيم الذسوقى اباضه
- وزير للمواصلات
- طه محمد عبد الوهاب السباعى بك
- وزير للتموين
- راغب حنا بك
- وزير دولة
- آستاذ السيد سليم
- وزير للدفاع الوطنى
- عبد الرزاق أحمد السنهورى بك
- وزير للمعارف العمومية
- حنفى محمود بك
- وزير للتجارة والصناعة
- عبد المجيد بدر بك
- وزير للشئون الاجتماعية (٢٩)

لم تنقضى شهور قليلة بعد تكوين الوزارة النقراشية الاولى حتى انتهت الحرب العالمية الثانية (مايو ١٩٤٥) ، وكان على تلك الوزارة ان تواجه موقفا فى غاية التعقيد .

جانب من هذا الموقف يتمثل فيما ترتب عن الحرب من زيادة حجم المدينة المصرية باتساع قاعدة العمال والطلاب والموظفين وأصحاب المهن الحرة وقد اتصل بهذا بالطبع زيادة جموع المصريين المهتمين بالسياسة والمشتغلين بهـنا (٣٠) .

جانب آخر يتمثل فى أن هؤلاء لم يروا فى برامج الاحزاب التقليدية أو ايدىولوجياتها ، ان كان لها برامج أو ايدىولوجيات غير السعى للحكم ، لم يروا

(٢٨) المصدر السابق ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

(٢٩) الوقائع المصرية العدد ٣٣ لسنة ١٩٤٥ .

Vatikiotis, R.J. The Modern History of Egypt.

(٣٠)

p. 270.

فيها ما يتناسب مع آمالهم في اصلاح اوضاعهم الاجتماعية او في تحقق امانهم الوطنية مما أدى الى نمو سريع للتنظيمات السياسية العقائدية ، الاخوان والشيوعيون ومصر الفتاة ، وكانت أساليب هذه التنظيمات في العمل السياسي تختلف عن أساليب الأحزاب التقليدية القديمة ، فقد اصطبغت تلك الأساليب بصبغة من العنف كانت وراء كثير من اسباب الاضطراب خلال تلك الحقبة .

وفي هذا الموقف الصعب كان على النقراشي ووزارته ان يبدأوا بعلاج القضية الوطنية في طورها الجديد بعد الحرب ومع كل الآمال العريضة التي اخذت تداعب المصريين بالتخلص من الوجود العسكري البريطاني وانهاء معاهدة ١٩٣٦ .

ويبدو مدى دقة موقف الوزارة النقراشية في هذا الصدد من ان الصحف المعارضة بعد رفع الرقابة عن الصحف في يونيه ١٩٤٥ قد اخذت تتربص بالحكومة وتطلق على النقراشي التعليقات اللاذعة كما حدث عندما أسمته « رجل الوقت المناسب » تعليقا على تصريح له بأنه ينتظر الوقت المناسب للعمل على تحقيق الأمانى الوطنية ، وعندما أطلقت عليه « أبو خطوة » ردا على قوله بأنه اتخذ خطوة في سبيل تحقيق الأمانى الوطنية (٣١) .

هكذا كان يعاني النقراشي وهو لم يتحرك بعد ، وعندما تحرك ازدادت الأمور سوءا من كل ناحية ، وقد انحصر هذا التحرك في مذكرة قدمتها الحكومة المصرية في ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ للجانب البريطاني تطلب فيها فتح باب المفاوضات وقد رأى المصريون ان هذه المذكرة شديدة التساهل ، ولم ترد الحكومة البريطانية على الطلب المصرى الا بعد أكثر من شهر (٢٦ يناير ١٩٤٦) وقد رأى المصريون الرد البريطانى ماسا بكرامة مصر وسيادتها خاصة عندما ربط بين مصر ومجموعة الأمم البريطانية (٣٢) .

ويمكن رصد اثر تحرك الوزارة النقراشية عليها فيما يلى :

١ — استقالة حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى بوزير العدل من الوزارة في ٩ ديسمبر (٣٣) احتجاجا على اتجاه الوزارة الى المفاوضات قبل الجلاء مما يناقض مبدأ الحزب العتيد ، وخرج بذلك الحزب الوطنى من الائتلاف اللاوفدى .

٢ — زيادة التظاهرات الشعبية خصوصا التظاهرات الطلابية والصدامات بين الشرطة والمتظاهرين ، وقد حدث أسوأها في حادثة كوبرى عباس الشهيرة في ٩ فبراير ١٩٤٦ .

٣ — ما ترتب على هذه التظاهرات من زيادة الجراح بين مكرم وحزب الكتلة وبين النقراشي والهيئة السعدية ، بعد أن كانت الاختلافات بين الطرفين

(٣١) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٢٢ .

(٣٢) نص المذكرتين في : مارسيل كولب : المصدر السابق ص ٢٧٦ — ص ٢٨٠ وفي الصحف المصرية في ٣٠ يناير ١٩٤٦ .

(٣٣) الوقائع المصرية العدد ١٦٩ لسنة ١٩٤٥ .

محصورة في صراعات محدودة بين مكرم والنقراشي تؤثر بالطبع في الانسجام الوزاري ، انفجرت في خلاف مكشوف أثر في الوجود الوزاري وأدى إلى أن يقدم مكرم وزملاؤه استقالاتهم من الوزارة النقراشية في ١٤ فبراير مما كان من أسباب نهاية الوزارة ، كما كان في نفس الوقت آخر العهد بدخول مكرم أو حزب الكتلة في الوزارة .

٤ - في نفس الوقت ، وفي خلال زيادة المد الوطني المعادي للبريطانيين تم اغتيال رجل من أهم رجالهم في مصر هو أمين عثمان باشا وزير المالية في الوزارة الوفدية السابقة ، وقد اغتيل الرجل في يناير ١٩٤٦ وبعدها ثارت ثورة اللورد كيلرن .

وتصرف السفير البريطاني في القاهرة بمنطق قريب من منطق ٤ فبراير وهو في هذا قد تناسى اختلاف الظروف خاصة بعد أن انتهت الحرب وبعد أن أطلقت الحريات وبعد أن تألفت في إنجلترا نفسها وزارة عمالية .

فغداة اغتيال أمين عثمان طلب كيلرن موعدا من الملك إلا أن القصر استمهله حتى انتهاء زيارة الملك عبد العزيز آل سعود الذي كان في ضيافة الملك فاروق آنذاك .

وتم اللقاء المنتظر بين السفير البريطاني والملك في ٢٩ يناير ، وأعرب كيلرن عن عدم ارتياحه لاستمرار الوزارة النقراشية في الحكم وأنه لا يستطيع التعاون معها .

وقد طلب الملك فاروق من السفير الانجليزي مذكرة مكتوبة تتضمن طلبه بالتخلص من وزارة النقراشي ، وحدث ما توقعه الملك وأرتكب اللورد كيلرن الخطأ الذي كلفه منصبه في القاهرة وذلك حين تقدم بالمذكرة المطلوبة في ٣١ يناير ١٩٤٦ .

ورآها القصر فرصة للضغط على الحكومة البريطانية من خلال عمرو باشا السفير المصري في لندن الذي قدم الاحتجاجات للخارجية الانجليزية على استمرار تدخل السفير البريطاني في الشؤون الداخلية المصرية ، وقد لقيت تلك الاحتجاجات أذانا صاغية وكانت أهم الأسباب وراء استبعاد كيلرن أو السير مايلز لامبسون عن منصبه في مصر في مارس ١٩٤٦ بعد ١٢ عاما من الخدمة فيها اكتسب خلالها شهرة لم يكتسبها قبله ممثل بريطاني في مصر سوى اللورد كرومر (٣٤) .

وكان محصلة كل تلك النتائج التي ترتبت على تحرك النقراشي نحو حل للقضية الوطنية أن سقطت الوزارة النقراشية الأولى وسقط معها عهد الائتلاف اللاوفدي .

(٣٤) اعتمدنا في هذه المعلومات على مفكرات غير منشورة للاستاذ حسن يوسف ، وكان يشغل خلال تلك الحقبة وحتى عام ١٩٥٢ منصب وكيل الديوان الملكي ، كما شغل منصب رئيس الديوان بالنيابة فترات غير قصيرة من نفس الحقبة .

الباب الخامس

الفصل الخامس

محاولات الوزارة القومية

١٩٤٦ - ١٩٤٩

شهدت الفترة بين ١٥ فبراير ١٩٤٦ حين استقالت وزارة النقراشي الاولى و ٣ نوفمبر ١٩٤٩ حين استقالت وزارة حسين سرى الثالثة ما يمكن أن يطلق عليه في تاريخ الوزارة المصرية « محاولة اقامة الوزارة القومية » .

صحيح أن هذه المحاولة لم تنجح الا عند تأليف الوزارة الأخيرة (السرية الثالثة) من وزارات أربع شهدتها تلك الفترة (١) ، إلا أنها كانت قائمة طول الوقت .

فقد جرت محاولتان لتأليف « الوزارة القومية » المطلوبة في أعقاب استقالة وزارة النقراشي الاولى وانتهاء عهد الائتلاف اللاوفدي في ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ ، ومرة أخرى عند استقالة الوزارة الصديقة الثالثة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٦ ، وقام « شريف صبرى » بالمحاولتين ولكنها أخفقتا .

ثم انه لما كلف صدقي باشا بتأليف وزارته الثالثة كان مطلوباً منه أن يشكلها على أساس قومي ، ولكنه أخفق أيضاً .

أكثر من ذلك فإن « ابراهيم عبد الهادي » عندما ألف وزارته الاولى والأخيرة في ديسمبر ١٩٤٨ بعد اغتيال النقراشي فقد كان مكلفاً بتأليفها على نحو قومي أيضاً مما دعاه الى أن يترك الباب مفتوحاً طوال عهد وزارته لاشتراك سائر أطراف العمل السياسي ، وبالذات الوفد .

اذن فمحاولة تأليف الوزارة القومية ظلت قائمة وملحة حتى تحققت أخيراً في وزارة حسين سرى الثالثة وأن لم تحقق نجاحاً أو تعمر طويلاً .

يؤدي ذلك بنا الى طرح تساؤلين يتصل أولهما بمفهوم الوزارة القومية خاصة لدى القصر الذي ظل يحاول من أجل بلوغها ، ويتصل ثانيهما بطبيعة الاعتبارات التي دعت الملك الى استمرار السعى لتحقيق هذا الهدف حتى تمكن أخيراً من تحقيقه .

رداً على التساؤل الأول هناك المفهوم العام للوزارة القومية بمعنى الوزارة التي يكون ممثلاً فيها جميع أطراف العمل السياسي والتي تتألف عادة لمواجهة مخاطر قد تقرر مصير الوطن لسنوات أو لأجيال قالية .

لا شك أن القصر لم يتصور المسألة على هذا النحو بدليلين :

١ - أنه لم يفكر أبداً ، وفي أي وقت ، في ضم أي قوة سياسية من القوى الجديدة للوزارة ، سواء كانت هذه القوة من قوى اليمين مثل الإخوان المسلمين أو كانت من قوى اليسار مثل الشيوعيين .

(١) هي على التوالي وزارة اسماعيل صدقي الثالثة ووزارة النقراشي الثانية ووزارة ابراهيم عبد الهادي الاولى ووزارة حسين سرى الثالثة .

٢ — انه أيضا ولأسباب تتعلق بالانسجام الوزارى هذه المرة ، لم يفكر كذلك فى ضم بعض القوى السياسية التقليدية الى الوزارة القومية المقترحة وبالأذات مكرم عبيد وحزب الكتلة — ربما لما عرف عن الرجل من روح المشاغبة ، وربما لما عرف عن حزبه من ضآلة .

لقد كان القصر يرى اصفاء صبغة الوزارة القومية من خلال امر محدد وهو ضم الوفد على صعيد واحد مع سائر الأحزاب التى تألفت منها الوزارات اللاوفدية وبالأذات السعديون والدستوريون والحزب الوطنى .

ويبقى بعد ذلك الرد على التساؤل الثانى المتعلق بالاعتبارات التى دعت القصر الى تبني هذا الاتجاه الجديد فى تأليف الوزارة .

الاعتبار الأول من هذه الاعتبارات وراؤه الرغبة فى توحيد الصفوف لخوض جولة من المفاوضات مع الجانب البريطانى لا شك أن مصر كلها ارادتها الجولة الأخيرة التى يتمخض عنها انتهاء الوجود العسكرى الانجليزى من البلاد ، وقد بدت هذه النتيجة فى ظل الظروف الجديدة فى حدود الممكن .

وبادراك هذه الحقيقة من جانب ، وبشعور القصر بعجز أحزاب الأقلية عن بلوغ هذا الهدف الوطنى من جانب ثان ، وبالخوف من أن يستأثر الوفد بصنع هذه الانجازة الوطنية بكل ما قد يترتب على ذلك الاستئثار من نتائج من جانب ثالث ... لكل هذه الأسباب كان جل الوزارة القومية هو الحل الأمثل .

صنع الاعتبار الثانى الظروف العامة التى سقطت نتيجة لها وزارة النقراشى والنمو السريع لتنظيمات سياسية جديدة قادرة على التحكم فى الشارع المصرى تصنع المظاهرات وتدير الاضرابات وتثير الكثير من أسباب الشغب ، ولعل أشهر هذه التنظيمات « لجنة العمال لتحرير الوطنى » ، « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » فى القاهرة والأسكندرية (٢) .

ثم ان التنظيمات الوفدية فى صفوف الشباب كان لها بدورها ضلع فى اثاره الاضطرابات وبث المتاعب أمام حكومات الائتلاف اللاوفدية التى شهدتها الفترة التى أعقبت اقالة الوزارة الوفدية فى اكتوبر ١٩٤٤ .

ولو حدث وانضم الوفد الى ما أسماه القصر « حكومة قومية » فسوف يترتب على ذلك أكثر من نتيجة ، احداها بتوحيد كافة الهيئات السياسية التقليدية مما قد يمكنها من مواجهة التيارات الجارفة الجديدة ، والثانية سحب جماعات الشباب الوفدى من صفوف المعارضين للحكومة الى صفوف مؤيديها ..

* * *

بدأت المحاولات لتشكيل الوزارة القومية المرجوة حتى قبيل استقالة النقراشي باشا ، وقد رشح للقيام بهذا العمل رجل من أربعة شريف صبرى أو اسماعيل صدقى أو حافظ عفيفى أو على الشمسى .

وقد بدىء بشريف صبرى على اعتبار أنه محل ثقة الجميع ، فهو خال الملك وعلاقته بجميع الأحزاب بما فيها الوفد علائقية ، ثم أن عضويته لمجلس الوصاية قد أضفت عليه هبة مطلوبة في هذه الظروف .

ورأى القصر أن « شريف صبرى » بهذه الامكانيات سوف يستطيع أن « يجعل البلد كتلة واحدة في المفاوضات » .

وجرت الاتصالات لتأليف الوزارة الجديدة ، وكلما خطا الرجل خطوة في هذه الاتصالات ازداد الموقف تعقيدا .

كان المصدر الاساسى لهذا التعقيد ان « الوفد » لم يقبل الاشتراك في الحكم الا على أساس حل مجلس النواب القائم في حين أن السعديين والدستوريين لم يقبلوا الاشتراك في الوزارة الا على أساس بقاء مجلس النواب .

وقدم اقتراح آنذاك بتأجيل انعقاد مجلس النواب لمدة شهر أو حله بعد انتهاء المفاوضات واستفتاء الأمة في المعاهدة التى يوقعها جميع الزعماء . ولكن هذا الاقتراح لم يصادف قبولا من جميع الأطراف المدعوة للاشتراك في الوزارة الجديدة ، وفديين كانوا أو سعديين أو دستوريين (٣) .

وعند هذا الحد توقفت أولى المحاولات ليتجه القصر الى الرجل الثانى من مرشحيه لتأليف الوزارة القومية وكان السياسى القديم اسماعيل صدقى باشا .

٦٠ — وزارة اسماعيل صدقى الثالثة ١٦ فبراير — ٩ ديسمبر ١٩٤٦ :

يبدو من الغرابة بمكان وقوع الاختيار على صدقى باشا لتأليف « الوزارة القومية » على ضوء ماضى الرجل فهو من رؤساء الوزراء القلائل الذين يذكر لهم أن كافة الأحزاب قد وقفت في وقت ما (١٩٣٠ — ١٩٣٣) ضد استمراره في الحكم ، فكيف يمكنه تأليف وزارة من كل الأحزاب .

يفسر الأستاذ حسن يوسف ، الذى كان وكيلا للديوان آنذاك ، وهو الذى أبلغ صدقى برغبة الملك في تكليفه بتشكيل وزارة قومية غداة استقالة وزارة النقراشى ، يفسر أسباب وقوع الاختيار الملكى على اسماعيل صدقى من زاويتين :

(٣) اخبار اليوم في ١٦/٢/١٩٤٦ .

أولاهما : حالة عدم استقرار الأمن التي شابت نهاية عهد النقراشي ، وقد رأى الملك أن يكون رئيس الوزارة الجديدة شخصية قوية ، وقد رأى أن صدقي باشا تتوافر فيه الصفات المطلوبة .

ثانيتهما : أن شرطاً أساسياً كان يجب توافره في رئيس الوزراء المكلف بتأليف الوزارة القومية وهو أن يكون سياسياً لا حزبياً ، وكان صدقي باشا من هذا الطراز خلال تلك المرحلة من تاريخه السياسي (٤) .

ولكن ما أن شرع صدقي باشا في إجراء المشاورات لتأليف وزارته حتى تأكد للقصر أن أمه لم يتحقق ، ذلك أن الرجل لم يستطع أن يؤلف وزارته من الحزبين الكبيرين اللذين ارتكز عليهما العهد اللاوفدي .

فالحزب السعدي أبى الاشتراك في الوزارة الجديدة ، وقد فسر النقراشي قراره في تصريح أدلى به للصحف صبيحة تأليف الوزارة الجديدة قال فيه « أن هناك من اختلاف الخطة والأسلوب بيننا وبين دولته في الأعمال العامة ما لا يسمح لنا بأن نتعاون معا » (٥) .

ولكن يفسر الدكتور هيكل موقف النقراشي تفسيراً آخر ، بناء على أقوال النقراشي نفسه ، إذ أن هذا الأخير قد أبلغ رئيس الأحرار الدستوريين أن سبب عدم اشتراك السعديين في الوزارة الجديدة ناتج عن أن « تأليفها خروج على التقاليد الدستورية المألوفة » (٦) ، يقصد بهذا تكليف شخصية سياسية ليس لها أي سند برلماني ، إلا أنه كان لا يستطيع الادلاء بمثل هذا الرأي مخافة اغضاب القصر .

يبقى تفسير الأستاذ حسن يوسف الذي يذكر أن النقراشي فوجيء بطلب القصر إليه أن يقدم استقالته بعد ثلاثة أيام فقط من مظاهر التكريم له ولأعضاء حكومته في مناسبة عيد ميلاد الملك (١١ فبراير) ولم يكن يعلم أن السفير البريطاني هو الذي طلب اخراجه من الحكم . فكانت المفاجأة من أسباب رفض النقراشي الاشتراك في الوزارة . وهو لم يلبث أن عدل عن رأيه كما سيأتي ذكره في حينه (٧) .

على أي الأحوال فإن الحزب الوحيد الذي قبل أن يشترك في وزارة صدقي الثالثة كان حزب الأحرار الدستوريين فقد تولى أربعة من أعضاء هذا الحزب مناصب وزارية في الوزارة الجديدة أما بقية الوزارة بما فيها رئيسها فقد تكونت من المستقلين ، وكان تشكيلها على النحو الآتي :

رئيساً للوزراء ووزيراً للداخلية
والمالية .

اسماعيل صدقي باشا

(٤) مفكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

(٥) عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ١٨٣ .

(٦) محمد حسين هيكل : مفكرات في السياسة المصرية ج ٢ ص ٣١٨ .

(٧) مفكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

- أحمد لطفى السيد باشا
- سبأ خبشى باشا
- عبد القوى أحمد باشا
- محمد عبد الجليل سمره باشا
- إبراهيم نسوقى أباطه باشا
- حفنى محمود باشا
- لواء أحمد عطيه باشا
- محمد كامل مرسى باشا
- محمد حسن العشماوى باشا
- حسين عنان باشا
- الدكتور سليمان عزمى باشا
- وزير دولة ويتولى وزارة الخارجية
- وزيرا للتجارة والصناعة والتموين
- وزيرا للاشغال العمومية
- وزيرا للشئون الاجتماعية
- وزيرا للاوقاف
- وزيرا للمواصلات
- وزيرا للدفاع الوطنى
- وزيرا للعدل
- وزيرا للمعارف العمومية
- وزيرا للزراعة
- وزيرا للصحة العمومية (٨)

فى مستهل عهد الوزارة الصديقة الثالثة تم نقل اللورد كيلرن من وظيفته سفيرا لبريطانيا فى مصر ، وكان حدثا ضخما فى ميدان السياسة المصرية ترك بصماته على الوزارة .

فقد أدى خروج اللورد كيلرن الى أكثر من نتيجة :

١ — أن ينفرد القصر تماما بالسيطرة على الوزارة ، وتبدى هذا فى مجموعة التصرفات التى تصرفها الملك فاروق دون استشارة حكومته .

لعل أشهر هذه التصرفات ، ابتداء منصب المستشار الصحفى للملك وتعيين كريم ثابت فى هذا المنصب دون استشارة الوزارة ، وعند ما أبلغ رئيس الوزراء الملك — تلميحا بالاعتراض — بأن كريم ثابت يتقاضى مبلغا من المصروفات السرية وأن كرامة منصبه الجديد تقتضى عدم صرف هذا المبلغ له كان قرار الملك مضاعفة المبلغ الذى يستولى عليه مستشاره الصحفى من المصروفات السرية (٩) .

تصرف آخر حين دعا الملك — بغير رأى الوزارة ولا علمها — الملوك والرؤساء العرب فى انشاص وصدر عن هذا الاجتماع مجموعة من القرارات لم يشارك فيها رئيس الوزراء أو وزير الخارجية (١٠) .

تصرف ثالث : بدعوة مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى للجوء الى مصر دون علم رئيس الوزراء .

وكان صدق باشا يعتذر عن سكوته عن مثل هذه الأمور ، بأن عليه أن يتجاوز أى أزمة مع القصر ليتسنى له انجاز المهمة الأساسية بانجاح المفاوضات مع الانجليز وتحقيق الجلاء .

(٨) الرقائع المصرية العدد ١٩ لسنة ١٩٤٦ .

(٩) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٩ .

(١٠) مفكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

٢ — خلف اللورد كيلرن في منصبه السير رونالد كامبل ، وبالإضافة الى ان الرجل كان من موظفي السفارة القدامى فقد كان معروفا أنه من أصدقاء صدقي باشا ، وقد شجع هذا الملك والوزارة على الاسراع بفتح باب المفاوضات مع الجانب البريطاني .

* * *

عادت فكرة « التمثيل القومى » تطرح نفسها مع الاتجاه الى التفاوض ذلك أنه اذا كان القصر وصدقي باشا قد عجزا عن تأليف وزارة قومية فلا أقل من تأليف وفد مفاوضات قومى ، وهى على أى حال سابقة ليست جديدة ، فمفاوضات سنة ١٩٣٦ جرت فى ظل وزارة حزبية ولكن الذى أجراها كان وفدا قوميا .

ولاشك ان الأحداث التى حفلت بها الأسابيع الأولى من عهد وزارة صدقي قد جعلت هذا المطلب أكثر إلحاحا ، ففي ٢١ فبراير اضربت جميع الطوائف فى القاهرة تهتف بالجللاء ، وهو اليوم الذى عرف بيوم الجلاء وقتل وجرح فيه عدد غير قليل من المتظاهرين دهمتهم سيارات الجيش البريطانى ، ويعد ذلك بأقل من اسبوع (٤ مارس) وبينما يحتفل الشعب بشهداء ٢١ فبراير حدثت صدامات أخرى ترتب عليها قتل واصابة عدد كبير آخر (١١) .

وقد بذلت محاولات مع الوفد لضمه الى هيئة المفاوضات الا أن الفحاس باشا اشترط لقبول الاشتراك فى المفاوضات ثلاثة شروط هى :

- ١ — أن يرأس هو وفد المفاوضات .
- ٢ — أن يكون للوفد نصف عدد أعضاء الوفد المقترح .
- ٣ — الموافقة على حل مجلس النواب فور انتهاء المفاوضات سواء نجحت أم فشلت (١٢) .

ولم يكن بالإمكان قبول هذه الشروط مما أدى الى صدور الأمر الملكى بتشكيل وفد المفاوضات من مجموعة من الشخصيات المستقلة بالإضافة الى ممثلين عن أحزاب السعديين والاحرار الدستوريين والكتليين (١٣) .

ومضت المفاوضات المصرية — البريطانية تسير حينا وتتعثر أحيانا حتى شهر سبتمبر . وفى خلال تلك الفترة حدث تقارب واضح بين السعديين وبين صدقي نتيجة لمساعى القصر ، وقد أدى ذلك فى ١١ سبتمبر الى تعديل فى الوزارة دخلها بمقتضاه أربعة من السعديين هم ابراهيم عبد الهادى باشا

(١١) عبد الرحمن الرامسى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٤ — ١٨٧ .

(١٢) أخبار اليوم فى ١٩٤٦/٣/٩ .

(١٣) تكونت هيئة المفاوضات من : اسماعيل صدقي — على ماهر — حافظ عفيفى — شريف مبرى — حسين سرى — أحمد لطفى السيد — مكرم عبيد — عبد الفتاح يحيى — على الشمسى — حسين هيكى — محمود نهى النقراشى — ابراهيم عبد الهادى .

وزيرا للخارجية والسنيهورى باشا وزير دولة وعبد المجيد بدر باشا للشئون الاجتماعية ومحمود حسن باشا للعدل (١٤) .

ومن بين الاعتبارات التى مهدت للتقارب بين صدقى والسعديين أن المفاوضات وقتذاك كانت تسير سيرا حسنا وتبشر بالتوصل الى عقد المعاهدة فرأى السعديون الاشتراك فى هذا الفضل (١٥) .

ولكن لم يمض وقت طويل على اشتراك الهيئة السعدية فى الوزارة حتى اختلف أعضاء هيئة المفاوضات عند بحث مسألة السودان اختلافا أدى بصدقى الى تقديم استقالة وزارته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٦ (١٦) .

* * *

فى هذه المناسبة طفت مرة أخرى فكرة تأليف الوزارة القومية برئاسة شريف صبرى ، وقد رأى القصر أن تتألف هذه الوزارة الجديدة من أعضاء هيئة المفاوضات الاثنى عشر بالاضافة الى ثلاثة من الوفديين ليس منهم النحاس باشا .

ويبدو أن طول ابتعاد الوفد عن الحكم ، ثم التغييرات التى حدثت بخروج كيلرن من مصر قد جعلت الزعماء الوفديين أكثر استعدادا لقبول الفكرة هذه المرة ، فقد قبل هؤلاء الاشتراك فى الوزارة المقترحة بشرط حل مجلس النواب القائم ، وكانت دورته قد أوشكت على الانتهاء فى نوفمبر ، ثم أنهم من ناحية أخرى قد أظهروا ثقتهم فى مرشح القصر شريف صبرى باشا ، وأبلغوا الرجل أثناء مشاوراته معهم أنه حتى لو طالّت المفاوضات بعد نوفمبر فيمكنه الحكم بدون انتخابات جديدة .

ولكن المحاولة أخفقت مرة أخرى .

فمن ناحية أخطأ القصر فى اتصاله بالوفد لأن هذا الاتصال بدلا من أن يتم من خلال فؤاد سراج أو النحاس باشا شخصيا تم من خلال زكى العرابى باشا مما لم يكسبه القوة المطلوبة .

ومن ناحية أخرى فإن الاحرار الدستوريين قد رفضوا تماما الاشتراك فى وزارة تحل مجلس النواب القائم (١٧) .

وتخلى شريف صبرى مرة ثانية عن محاولة تأليف الوزارة القومية وتقرر بعد ثلاثة أيام من المشاورات (٢٨ سبتمبر — أول أكتوبر) رفض استقالة الوزارة الصديقية وتكليفها بالاستمرار فى العمل على تحقيق أهداف البلاد الوطنية ، كما جاء فى الأمر الملكى برفض الاستقالة (١٨) .

(١٤) الوقائع المصرية العدد ٩١ لسنة ١٩٤٦ .

(١٥) أفكار حسن يوسف — المصدر السابق .

(١٦) الوقائع المصرية العدد ٩٧ لسنة ١٩٤٦ .

(١٧) أفكار حسن يوسف — المصدر السابق .

(١٨) الوقائع المصرية العدد ٩٧ لسنة ١٩٤٦ .

وقد عاشت وزارة صدقي الأخيرة بعد ذلك نحو شهرين ووجهت جل اهتمامها خلالهما للتوصل الى حل مع الانجليز ، وقد تم بالفعل في خلال تلك الحقبة التوصل الى المشروع المشهور بمعاهدة صدقي — بينن والذي تم توقيعه في لندن بالاحرف الاولى في ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ (١٩) .

ولكن بدلا من أن يتوج هذا الاتفاق أعمالها اذا به يؤدي الى نهايتها .

فمن ناحية رفض سبعة من الاعضاء الاثنى عشر لوفد المفاوضات مشروع المعاهدة مما أوقع حرجا شديدا بحكومة صدقي ومما أدى الى حل هذا الوفد .

ومن ناحية أخرى سارت المظاهرات في طول البلاد وعرضها تحتج على مشروع صدقي — بينن وترفضه (٢٠) .

ومن ناحية أخيرة فقد اختلف الطرفان المصرى والبريطانى على تفسير بروتوكول السودان الملحق بمشروع المعاهدة .

وكان معنى ذلك فشل حكومة صدقي في بلوغ ما تألفت من أجله ، ولم يبق أمامه بعد أن اعتلت صحته وبعد أن فاض به الكيل من دسائس غير المسئولين في القصر الا أن يقدم استقالته .

٦١ — وزارة محمود فهمى النقراشى الثانية ٩ ديسمبر ١٩٤٦ — ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ :

لم تؤد استقالة صدقي الى العودة الى بحث موضوع الوزارة القومية مرة أخرى ، ولأكثر من سبب :

١ — محاولة اعضاء الطابع القومى على هيئة المفاوضات التى تشكلت في عهد وزارة صدقي بدلا من أن تكون سببا من أسباب قوة هذه الهيئة كانت سببا من أسباب الخلاف بين أعضائها .

٢ — أنه عند استشارة صدقي عندما تقدم باستقالته ، فبين يخلفه — وهو ما يحدث لأول مرة في تاريخ الوزارات المصرية — أشار بالنقراشى باشا وكانت العلاقات بين صدقي والهيئة السعدية قد توطدت خلال المشاورات التى جرت لعقد معاهدة صدقي — بينن (٢١) . ومن ثم فقد ساد الرأى أن تكون الوزارة الجديدة امتدادا في تشكيلها للوزارة السابقة ، أى تتألف من السعديين والاحرار الدستوريين .

٣ — تصور القصر والسعديون آنذاك أنهم ولديهم أساس طيب للتفاهم مع الانجليز هو مشروع صدقي — بينن فليس عليهم الا بذل بعض الجهد

(١٩) نص مشروع المعاهدة : الرافعى : المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٢٠) طارق البشرى : المصدر السابق ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٢١) مفكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

لتذليل الصعاب التى نشأت فى وجه هذا المشروع يصبح لهم بعده فضل تحقيق الأهداف الوطنية دون اشراك الآخرين فى هذا الفضل .

وكان هذا من أقوى الاسباب فى الانصراف عن فكرة الوزارة القومية فى أول عهد النقراشى بدليل أنه ما أن فشلت محاولات التوصل الى الاتفاق بعد اخفاق المفاوضات التى أجراها النقراشى وخشبه مع الجانب البريطانى .. ما أن فشلت المحاولة حتى عاد القصر الى فكرة « الوزارة القومية » وترك لرئيس مجلس الشيوخ (حسين هيكل) أن يجرى المشاورات للسعى الى ضم الوفد للوزارة المقترحة ، ولكن زعماء الوفد عادوا لرفض الفكرة ورأوا فيها خدعة من جانب القصر يستهدف منها تحقيق الأهداف الوطنية بالجلء والوحدة مع السودان ثم ابعاد الوفد بعد ذلك عن السلطة .. ونتج عن هذا الموقف أن فشلت المحاولة مرة أخرى (٢٢) .

ولكل هذه الاسباب كلف محمود فهمى النقراشى بتأليف وزارته الجديدة التى تشكلت على النحو الآتى :

- | | |
|---------------------------------|---|
| ● محمود فهمى النقراشى باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية والخارجية |
| ● أحمد محمد خشبه باشا | وزيرا للعدل |
| ● محمد على علوبه باشا | وزيرا للاوقاف |
| ● ابراهيم عبد الهادى باشا | وزيرا للمالية |
| ● أحمد عبد الغفار باشا | وزيرا للزراعة |
| ● عبد المجيد ابراهيم صالح باشا | وزيرا للاشغال العمومية |
| ● ابراهيم دسوقي أباطله باشا | وزيرا للمواصلات |
| ● عبد الرزاق أحمد السنهورى باشا | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● عبد المجيد بدر باشا | وزيرا للتجارة والصناعة |
| ● لواء أحمد عطيه باشا | وزيرا للدفاع الوطنى |
| ● محمود حسن باشا | وزيرا للشئون الاجتماعية |
| ● دكتور نجيب اسكندر | وزيرا للصحة العمومية (٢٣) |

الملاحظة الاولى على تشكيل الوزارة النقراشية أنها كانت وزارة حزبية تماما فقد تكونت من ستة وزراء من السعديين (النقراشى) عبد الهادى ، محمود حسن ، عبد المجيد بدر ، السنهورى ، نجيب اسكندر وستة وزراء من الاحرار هم بقية أعضاء الوزارة .

الملاحظة الثانية وتتصل بالملاحظة الاولى وهى أن هذا التشكيل كان مطابقا لرأى النقراشى بأن « الوزارات الحزبية تنتج خيرا من الوزارات

(٢٢) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ من ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢٣) الوقائع المصرية العدد ١٢١ لسنة ١٩٤٦ .

القومية « (٢٤) وهو لهذا استبعد بعض الشخصيات المستقلة ذات الوزن ممن اشتركت في وزارة صدقي لصفقتها القومية .

الملاحظة الثالثة ان النقراشي قد استبعد حزب الكتلة من تشكيله لوزارته الجديدة على أساس « أن سر فشل وزارته الاولى كان عضوية مكرم باشا بها (٢) » .

كانت وزارة النقراشي الثانية أطول وزارات ما بعد الحرب الثانية عمرا ، فقد طال عهدها لعامين وبضعة أيام ولم يمه هذا العهد الا اغتيال رئيسها في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ .

وفي خلال هذين العامين الم بمصر من الاحداث الجسام ما جعل عهد هذه الوزارة نقطة تحول في التاريخ المصري المعاصر عموما .

١ — فمن ناحية العلاقات مع الجانب البريطاني فان التفاوض الذي ساد الاسابيع الاولى لعهد الوزارة النقراشية الثانية لم يلبث أن اختفى ليحل محله رنة من التشاؤم والقطيعة بين الطرفين وصلت بالرجل الى هيئة الأمم المتحدة يشن فيها حملة عنيفة ضد ما أسماه « بالقرصنة البريطانية » .

وكما اخفقت المفاوضات المباشرة فان هيئة الأمم المتحدة عجزت بدورها عن ايجاد حل للنزاع بين مصر وبريطانيا العظمى .

٢ — ومن ناحية العلاقات بين الوزارة والقصر فهناك أكثر من ملاحظة في هذا الصدد .

احدى هذه الملاحظات تتصل بشعبية الملك فاروق ، ذلك ان الصورة التي ظل الملك يتمتع بها وهي صورة الملك الصالح المهتم بقضايا شعبه مما منح الملك قدرا كبيرا من عطف الشعب وحبه . . هذه الصورة اخذت في الشحوب . وقد صاحب هذا التحول ، زيادة قوة ونفوذ الموظفين الخصوصيين في القصر على حساب قوة ونفوذ رجال الديوان المستولين .

ولا شك ان النقراشي قد تحمل الكثير من تصرفات القصر خلال عهد وزارته الثانية ، يذكر التاريخ منها على سبيل المثال :

١ — تعيين ابراهيم عبد الهادي وكيل الهيئة السعدية رئيسا للديوان دون استشارة رئيس الحكومة .

٢ — وتعيين « كريم ثابت » مستشارا للاذاعة رغم معارضة النقراشي .

(٢٤) آخر ساعة في ١١/١٢/١٩٤٦ .
(٢٥) آخر ساعة — العدد السابق .

٣ - لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي ، أثناء عبور الباخرة الفرنسية التي كانت تقله ، قناة السويس في أول يونية ١٩٤٧ مما أغضب الحكومة الفرنسية وكان لجوء الرجل الى « حمى الفاروق » قد تم تدبيره دون استشارة النقراشي أو موافقته (٣٦) .

٤ - أدرج القصر اسم علوبه باشا ضمن أعضاء الوزارة النقراشية وصدر الأمر الملكي ليجد الرجل نفسه وزيرا للاوقاف دون علمه . ولأسباب شخصية يرفض علوبه باشا قبول المنصب ولا يجد القصر بدا من إعفاء الرجل من منصبه بعد قليل حفاظا على ماء وجهه (٣٧) .

٥ - وهناك تصرف آخر نتج عنه استقالة أو إقالة وزيرين من وزراء الوزارة النقراشية الثانية هما اللواء أحمد عطية باشا وزير الدفاع وعبد المجيد بدر باشا وزير المالية . فقد كان الرجلان في إحدى الليالي بصحبة وزيرين آخرين بملهى (حلمية بالاس) عندما دخله الملك فغادر الوزيران الآخران الملهى أما عطية باشا وبدر باشا فقد بقيا مما دفع الملك الى أن يطلب من النقراشي اخراج الرجلين من الوزارة (٣٨) ! .

ولا شك أن النقراشي قد استهجن هذا الطلب ورأى وضع استقالته تحت تصرف الملك لولا أن سعى القصر بكل جهده للابقاء على الرجل وذلك بمحاولة ترضية الوزيرين بمناصب أخرى ، إلا أنهما أخرجا من الوزارة على أى حال .

٣ - مع فشل الوزارة النقراشية في التوصل الى حل للقضية الوطنية سواء من خلال المفاوضات المباشرة أو من خلال التحكيم الدولي ، ومع نقصان شعبية القصر وزيادة أوتوقراطيته ، ومع خيبة الأمل التي أصابت جموع المصريين نتيجة لما وقع للجيش المصرى في حرب فلسطين مع كل هذا كان طبيعيا أن تزداد المقاومة الشعبية بصورة هائلة والتي عبرت عن نفسها في جانب منها بمظاهرات مستمرة واضرابات متتالية وصلت الى حد اضراب رجال الشرطة ، في وقت ما ، وعبرت عن نفسها في جانب آخر تمثل في مجموعة من أعمال العنف راح ضحيتها عدد من رجال الامن والقضاء والسياسة (٣٩) ووصلت الى ذروتها باغتيال النقراشي نفسه في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ .

٦٢ - وزارة ابراهيم عبد الهادى الاولى
٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ - ٢٥ يوليوس ١٩٤٩ :

حدث اغتيال النقراشي في أسوأ ظروف يمكن أن تواجه النظام السياسى الذى كان قائما قبل ١٩٥٢ .

(٣٦) مفكرات حسن يوسف المصدر السابق .

(٣٧) الوقائع العدد ٢٠ لسنة ١٩٤٧ .

(٣٨) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٣٩) عبد الرحمن الراعى : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٢ - ص ٢٧٢ .



ابراهيم عبد الهادى باشا

- ولد ١٩٠٠ بالزرقا بالدقهلية
- اشتهر بنشاطه الطلابى وشارك فى ثورة ١٩١٩ وحكم عليه بالاشغال الشاقة ١٩٢٠ وأطلق سراحه ١٩٢٤ .
- أصبح من أبرز أعضاء الهيئة السعدية بعد تشكيلها ١٩٣٨ .
- عين وزيرا للدولة للشئون البرلمانية فى وزارة على ماهر فى أغسطس ١٩٣٩ ثم وزيرا للتجارة والصناعة ١٩٤٠ .
- تولى فى فبراير ١٩٤٧ رئاسة الديوان الملكى ثم تولى رئاسة الوزارة بعد اغتيال النقراشى باشا فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ .

حال الأمن مضطرب في الداخل ، والجيش المصرى فى فلسطين يواجه
النكسات الى حد حصار بعض قواته ودخول القوات الاسرائيلية فى بعض
الاراضى المصرية .

وفى هذه الظروف ، وعشية يوم اغتيال النقراشى حدث اجتماع فى القصر
راسه الملك وضم رئيس الديوان ابراهيم عبد الهادى ووكيله حسن يوسف
بالاضافة الى حيدر باشا وكريم ثابت .

ويروى وكيل الديوان أن شعورا بالكآبة قد خيم على جو الاجتماع
كما أن احساسا بخطورة الموقف قد تملك المجتمعين الذين رأوا أنه لم يعد
سوى مخرج واحد للوضع المتأزم هو الوزارة القومية (٣٠) .

ولكن الملك فاروق قرر اختيار رئيس الديوان « ابراهيم عبد الهادى »
رئيسا للوزارة الجديدة ، لتكون امتدادا للوزارة السابقة ، وتمهيدا لوزارة
قومية تضم مختلف الاحزاب التقليدية املا فى تحقيق أمنية القصر « نحو
توحيد الصفوف وتركيز الجهود لمواجهة الظروف الداخلية والخارجية » (٣١) ،
مما جاء فى الامر الملكى بتكليف رئيس الوزراء الجديد بتأليف الوزارة .

ولم تكن ظروف اغتيال النقراشى وأوضاع البلاد تسمح بالتأخير فى تأليف
الوزارة الى حين « توحيد الصفوف » ومن ثم فقد تقرر تأليفها على وجه
السرعة من السعديين والدستوريين وبعض المستقلين على النحو الآتى :

- | | |
|-----------------------------------|--|
| ● ابراهيم عبد الهادى باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية والمالية |
| ● أحمد عبد الغفار باشا | وزيرا للاشغال العمومية |
| ● ابراهيم بسوقى أباطه باشا | وزيرا للخارجية |
| ● الأستاذ عبد المجيد عبد الحق | وزيرا للتموين |
| ● طه محمد عبد الوهاب السباعى باشا | وزير دولة |
| ● عبد الرزاق أحمد السنهورى باشا | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● محمود حسن باشا | وزير دولة |
| ● د. نجيب اسكندر باشا | وزيرا للصحة العمومية |
| ● الأستاذ ممدوح رياض | وزيرا للتجارة والصناعة |
| ● على عبد الرازق باشا | وزيرا للاوقاف |
| ● الفريق محمد حيدر باشا | وزيرا للحربية والبحرية |
| ● جلال فهم باشا | وزيرا للشئون الاجتماعية |
| ● أحمد مرسى بدر بك | وزيرا للعدل |
| ● رياض عبد العزيز سيف النصر بك | وزيرا للمواصلات |
| ● عباس أبو حسين باشا | وزيرا للزراعة |
| ● مصطفى مرعى بك | وزير دولة (٣٢) |

(٣٠) مفكرات حسن يوسف المصدر السابق .

(٣١) الوقائع المصرية العدد ١١٩ لسنة ١٩٤٨ .

(٣٢) الوقائع المصرية العدد ١٩٩ لسنة ١٩٤٨ .

وتعلق « اخبار اليوم » (٣٢) على تشكيل وزارة « عبد الهادي » فتقول « كان أبرز ما فيها ضم وجوه جديدة ، والالتجاء الى الشبان ، والاستعانة ببعض المستقلين الذين كانت لهم في بعض الاوقات ميول معروفة ، السباعي باشا كان عضوا في حزب الكتلة ثم استقال ، والاستاذ عبد الحميد عبد الحق كان وفديا ثم استقال ، ومصطفى مرعى بك كان من رجال الحزب الوطني ثم التحق بمنصب القضاء » (٣٤) .

يبقى بعد ذلك محاولة لتفسير تشكيل الوزارة على هذا النحو من منطلق السعى الى تأليف الوزارة القومية او ما يسمى « بتوحيد الصفوف » والجهود التي بذلت في هذا الصدد .

أولا : فيما يتصل بمحاولة التفسير فان التقليل من اشتراك السعديين والدستوريين في الوزارة الجديدة وزيادة عدد المستقلين فيها قد استهدف من ورائه ان يكون هؤلاء الآخرين بمثابة احتياطي مؤقت يمكن ان يتركوا مناصبهم لاخلاء الطريق لاشتراك أي حزب من الاحزاب غير المشتركة في الوزارة ، وذلك حتى لا يتم هذا الاشتراك على حساب وزراء حزبيين مما قد يؤدي الى فشل المحاولة .

ثانيا : فيما يتعلق بالجهود التي بذلت للوصول الى الوزارة القومية فقد كان هناك ثلاثة من الاحزاب التقليدية لم تشترك في الوزارة الجديدة هي على التوالي اهميتها التصاعدية الكتلة والحزب الوطني والوفد .

١ - عن حزب الكتلة فقد تواترت الاخبار في الاسبوع الاول من يناير عن احتمالات اشتراك بعض رجال مكرم في وزارة عبد الهادي وقد نتج عن ذلك ان قال بعض الوزراء الدستوريين بأنهم على غير استعداد للتعاون مع مكرم وأنهم سوف يخرجون من الوزارة اذا هو دخلها . . وقد رد رئيس الوزراء « بان التفكير في دخول مكرم باشا في الوزارة لم يخطر على بال أحد » (٣٥) معنى ذلك ان حزب الكتلة كان مستبعدا عن الوزارة القومية .

٢ - الحزب الوطني . . بذلت جهود من اجل ضمه الى الوزارة ، وقد بدأت هذه الجهود مع تشكيل الوزارة ، فقد عرض على حافظ رمضان رئيس الحزب الاشتراك في الوزارة الجديدة فاشتراط وزارة الخارجية ، كما كان واضحا ان الحزب كان يطمح في اكثر من منصب وزارى بدعوى ان « الراى العام أصبح أكثر تأييدا للحزب الوطنى ومبادئه في السنوات الخمس الأخيرة » (٣٦) ولذلك فقد أخفجت المحاولة في بدئها ، ولكن بعد سويصات قليلة من تشكيل وزارة عبد الهادي وفي يوم ٣٠ ديسمبر امكن ضم أحد أعضاء الحزب الوطنى للوزارة وهو « محمد زكى على باشا » وزير

(٣٢) تمت الاستعانة في هذه الحقة بصحيفة « اخبار اليوم » لما كان لها من علاقة وثيقة بالمصدر آنذاك مما ظل يمكنها من معرفة اشرار بعض التحركات الوزارية ونشرها أولا بأول .

(٣٤) اخبار اليوم في ١٩٤٩/١/١ .

(٣٥) اخبار اليوم في ١٩٤٩/١/٨ .

(٣٦) اخبار اليوم نفس العدد السابق .

دولة (٣٧) . ثم بعد ذلك بنحو شهرين وعلى وجه التحديد في ٢٧ فبراير ١٩٤٩ تم ضم رجل آخر من رجالات الحزب الوطنى للوزارة هو الأستاذ عبد العزيز الصوفانى « وزير دولة أيضا (٣٨) » .

٣ — يبقى « الوفد » وقد اتصل ابراهيم عبد الهادى ببعض رجالاته « زكى العرابى وعبد السلام فهمى جمعة » يحثهم على اشتراك الحزب الكبير فى وزارته ، وبعد المشاورات رأى الوفد عدم الاستجابة للدعوة متعللا بالاسباب الآتية :

١ — أنه يخشى أن يترتب على ذلك التسليم ، أن تطلب الاحزاب المساواة مع الوفد ، فى تقسيم الدوائر الانتخابية .

٢ — أن تسليم الوفد بالمساواة مع الاحزاب هو نزول صريح من دعواه بأنه صاحب الاغلبية .

٣ — أنه يخشى أيضا الا يحصل الوفد على الاغلبية بسبب ضغط حكومة رئيسها رجل حزبي ، على الناخبين .

٤ — أنه يخشى أخيرا أن تصبح الوزارة قومية دائمة وبذلك لا يتمكن النحاس من تأليف وزارة وغدية خالصة وهو ما يرمى اليه الحزب الكبير فى النهاية .

وبناء على كل هذه الاسباب فقد رد الوفد على دعوة عبد الهادى باشا بأن وضع شروطا لاشتراكه فى الوزارة بأن يكون عدد الوزراء الوفديين فى الوزارة مساويا لوزراء باقى الاحزاب ، وان تتألف وزارة جديدة يرأسها رئيس وزراء محليد (٣٩) .

وقد أبدت الصحف المعادية للوفد عجبها من أن يدعو ابراهيم عبد الهادى الوفد للاشتراك فى وزارته . فيكون رد الأخير اشتراط رحيل عبد الهادى (٤٠) (!) ، وهو على أى حال عجب لم يدم طويلا لأن المطلب الوفدى قد تحقق بعد شهر قليلة قضتها « الوزارة الابراهيمية » الاولى والاخيرة نفدت خلالها بعض الاهداف التى طلب منها تنفيذها وان كانت لم تنجح فى تحقيق الهدف الكبير بتشكيل الوزارة القومية .

من بين الاهداف التى نفذتها الحكومة الحملة التى شنتها لمواجهة الاخوان المسلمين والعناصر المعادية للنظام ، فقد امتدت الحملة الى الشيوعيين الى حد ان أحد الوزراء وهو رياض عبد العزيز سيف التصربك وزير المواصلات قد ترك منصبه فى ٢٧ فبراير ١٩٤٩ (٤١) لاتهام ابن أخ له بالشيوعية .

(٣٧) الوقائع المصرية العدد ٢ لسنة ١٩٤٩ .

(٣٨) الوقائع المصرية العدد ٣٢ لسنة ١٩٤٩ .

(٣٩) أخبار اليوم فى ١٩٤٩/١/٨ .

(٤٠) أخبار اليوم فى ١٩٤٩/١/١٥ .

(٤١) الوقائع المصرية العدد ٣٢ لسنة ١٩٤٩ .

أيضا واجهت وزارة ابراهيم عبد الهادي المازق الذي كانت تعانى منه مصر في فلسطين والذي انتهى في عهدها بتوقيع الهدنة الدائمة في فبراير ١٩٤٩ .

أما الهدف الاسمى « بتوحيد الصفوف » فقد قصر جهد الوزارة عن بلوغه ، أخطر من ذلك فان وحدة الصف التقليدية بين الدستوريين والسعديين أخذت في التشقق .

وقد بدأ الخلاف بين الطرفين حول تقسيم الدوائر بسبب قرب ميعاد انتخابات مجلس نواب جديد ، وقد تحول هذا الخلاف الى أزمة عندما تبين الدستوريون أن السعديين يسعون الى اجتذاب عدد من الأحرار الى الهيئة السعدية لترشيحهم بعد ذلك كسعديين .

وأدلى هيكل باشا بتصريحات ذكر فيها أن ما حدث إنما يمس كرامة الحزب وأنه اذا سارت الوزارة الابراهيمية في طريقها لتعديل الدوائر فان الأحرار لن يدخلوا الانتخابات الجديدة (٤٢) .

ولا شك أن هذه الخلافات قد أدت الى اضعاف الوزارة ثم الى سقوطها في ٢٥ يولية ١٩٤٩ .

٦٣ - وزارة حسين سرى الثالثة ٢٥ يوليو - ٣ نوفمبر ١٩٤٩ :

كان اختيار القصر لحسين سرى باشا لتأليف الوزارة القومية اختيارا محسوباً حساباً دقيقاً . ذلك أنه لما كانت فكرة الوزارة القومية تتحطم كل مرة على صخرة رفض الوفد لها فانه كان مطلوباً اختيار رئيس وزراء يثق فيه القصر ويقبله الوفد .

وكما يؤكد التاريخ السياسى لحسين سرى أنه كان من السياسيين موضع ثقة الانجليز فقد كان أيضاً من السياسيين الذين يثق فيهم القصر وبرايم من الرجال المفيدون في الملمات ، ودوره في هذا الصدد معروف على عهد وزارتيه الاولى والثانية (١٩٤٠ - ١٩٤٢) (٤٣) .

ثم انه كان من الوجوه السياسية المقبولة من الوفد ، سواء لأنه لم يكن في أى وقت سياسياً حزبياً وانما ظل على استقلاله طول تاريخه ، أو لأن ماضيه لا بأس به مع الوفد فهو الذى أشار اثناء أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ باستدعاء الوفد للحكم ، أو لأنه كان على علاقة وطيدة باحمد عبود وفؤاد سراج الدين ، والأول ذو علاقة وثيقة بالوفد والثانى سكرتيره (٤٤) .

(٤٢) اخبار اليوم في ١٦/٧/١٩٤٩ .

(٤٣) انظر الفصل الثانى من الباب الخامس .

(٤٤) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٢٨٨ .

وعلى ذلك جاء تكليفه بتشكيل الوزارة رقم ٦٣ من الوزارات المصرية ،
وجاء في نفس الوقت قبول الوفد للاشتراك في هذه الوزارة التي تألفت على
النحو الآتى :

رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية والخارجية	حسين سرى باشا
وزيرا للعدل	أحمد محمد خنسيه باشا
وزيرا للاشغال العمومية	عثمان محرم باشا
وزير دولة	محمود غالب باشا
وزيرا للزراعة	أحمد عبد الغفار باشا
وزيرا للشئون الاجتماعية	الأستاذ على أيوب
وزيرا للأوقاف	ابراهيم نسوقى أباطة باشا
وزيرا للمواصلات	محمد فؤاد سراج الدين باشا
وزيرا للتجارة والصناعة	الأستاذ مصطفى نصرت
وزيرا للصحة العمومية	الدكتور نجيب اسكندر باشا
وزيرا للحرية والبحرية	الفريق محمد حيدر باشا
وزيرا للمعارف العمومية	أحمد مرسى بدر بك
وزير دولة	مصطفى مرعى بك
وزير دولة	محمد زكى على باشا
وزيرا للمالية	حسين فهمى بك
وزير دولة	الأستاذ محمد محمد الوكيل
وزيرا للتموين	عبد الرحمن الرافعى بك
وزير دولة	أحمد على علويه بك
وزير دولة (٤٥)	الدكتور محمد هاشم

وكانت الوزارة تضم على هذا النحو أربعة من الوفديين ، وأربعة من
السعديين ، وأربعة من الأحرار الدستوريين ، واثنين من الحزب الوطنى ،
وأربعة من المستقلين (٤٦) .

ومنذ البداية كان واضحا الاختلاف بين نظرة كل من القصر ومعه أحزاب
الاقلية من ناحية وبين نظرة الوفد من ناحية أخرى . . . الاختلاف بين النظريتين
حول الهدف من الوزارة الجديدة .

القصر رأى أن تأليف الوزارة السرية الثالثة على الشكل القومى الذى
تألفت عليه إنما يستهدف تكريس هذا الشكل والبقاء على هذا التوازن
الحزبى داخل الوزارة .

(٤٥) الوقائع المصرية العدد ١٧ لسنة ١٩٤٩ .

(٤٦) عبد الرحمن الرافعى المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

يؤكد هذا ، القصة التي يرويها الدكتور هيكل عن اجتماع جرى بينه وبين كل من سرى باشا وحيدر باشا وحسن يوسف رئيس الديوان الملكي بالنيابة أثناء المشاورات التي جرت لتأليف الوزارة . يذكر رئيس الاحرار الدستوريين انه قد عبر عن مخاوفه من تشكيل الوزارة الجديدة على اساس انه لا خير فيها اذا تنافست الاحزاب التي تؤلفها في الانتخابات . وكان رد سرى على هذه المخاوف ان سياسته الا يكون لحزب اغلبيية مطلقة في البرلمان ، ثم تدخل حسن يوسف في الحديث وقال : « انا اصرح لك باسم الملك انه لن يكون لحزب اغلبيية في البرلمان » (٤٧) .

ومعنى ذلك ببساطة ان يستمر هذا الشكل الذي تضمنته وزارة سرى باقيا . . ائتلاف بين الاحزاب التقليدية التي لا يملك اى منها اغلبيية مطلقة في البرلمان . وهو ما قبلته احزاب الاقلية ودخلت على اساسه الوزارة .

الوفد كان له رأى آخر . فقد تحقق بالوزارة الجديدة شرطاه التقليديان اللذان طالما تمسك بهما وهما تولى سياسى محايد لرئاستها مع كونها وزارة مؤقتة هدفها اجراء انتخابات جديدة لمجلس النواب . وبهذين الشرطين كان لابد ان يشارك في الوزارة ليراقب اجراء الانتخابات من داخلها وليعرف من داخلها ايضا نشاطها التنفيذي ويساهم فيها لصالحه (٤٨) . وهو يرى ان نهاية هذه المشاركة سوف تكون لصالحه حتما بانتخاب مجلس نواب وفدى وتأليف وزارة وفدية .

يؤكد هذه الحقيقة انه اثناء المشاورات التي جرت لتأليف الوزارة الجديدة حاول الدكتور هيكل ان يحصل من فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد على اى موافقة مبدئية على تقسيم الدوائر بين الاحزاب الا ان سراج الدين رفض اطلاقا تقديم مثل هذه الموافقة ، بالعكس فقد ذكر لرئيس مجلس الشيوخ « ان الوفد يابى كل الالباء ان يتفاهم في هذا الموضوع ، وانه مصمم ان يرشح في كل الدوائر ، وان يحارب للفوز بالاغلبيية المطلقة (٤٩) .

وكانت بداية الوزارة القومية على هذا النحو بداية غير مشجعة على الاطلاق ، وكانت التجربة بهذا الشكل محكوما عليها بالفشل الذى سرعان ما جاء بعد ثلاثة شهور فقط حين تحول الائتلاف الى اختلاف وحين انهارت وزارة سرى الثالثة لتفسح الطريق لعودة الوفد الاخيرة .

(٤٧) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٤٨) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٢٩٠ .

(٤٩) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٧ .

الباب الخامس

الفصل السادس

عودة الوفد الأخيرة
١٩٤٩ - ١٩٥٢

تشير المفكرات غير المنشورة للاستاذ حسن يوسف الذى كان رئيسا للديوان بالنيابة وقت استقالة الوزارة السرية الثالثة فى نوفمبر ١٩٤٩ ، الى بعض الملاحظات التى أحاطت بهذه الاستقالة التى تعتبر فى الواقع نقطة التحول الرئيسية فى عودة الوفد الى الحكم فيها أسميناه « عودة الوفد الأخيرة » فقد نشأ فى القصر اتجاهان كل منهما كان يتبنى سياسة معينة نحو الوزارة ، وكان لكل منهما اعتباراته فى السياسة التى تبناها .

— الاتجاه الأول . . كان أصحابه « المسئولين فى الديوان » والذين ظلوا فى متابعتهم لتلك السياسة التى وضعها كل من أحمد حسنين وعلى ماهر بالرغم من اختلاف أساليب الرجلين .

تتمثل السياسة المذكورة فى النظر للوفد باعتباره المنافس الشعبى للقصر وبالنظر لخطورة استيلاء الحزب الكبير على الوزارة على أساس أن هذا الاستيلاء على ضوء التجارب السابقة كان يؤدي دائما الى السعى للانتقاص من سلطات الملك .

وانطلاقا من هذه النظرة فقد كان رجال الديوان لا يقبلون على ترشيح الوفد لتولى الوزارة الا تحت ضغوط لا يستطيعون مقاومتها .

دخل على هذه السياسة بعض التعديل منذ عام ١٩٤٦ بها أسماء رجال الديوان « الوزارة القومية » والذى لم يكن فى حقيقته سوى محاولة لتقليل حجم الوفد أو ما يمكن تسميته بالمصطلحات الحديثة « احتواء الوفد » .

ومثل هذه السياسة تحقق أكثر من هدف . . استمرار سيطرة القصر على الوزارة ، تقليل أظافر الوفد ، امتصاص الغضب الشعبى الذى أخذ يعبر عن نفسه بمختلف وسائل التعبير فى تلك الفترة .

وقد رأى رجال الديوان فى وزارة حسنين سرى ، ثم ما افترض من إجراءات لانتخابات يترتب عليها مجلس نواب متوازن ، على حد تعبير مفكرات حسن يوسف رأوا فى كل ذلك ما يحقق سياستهم « المعدلة » نحو اشتراك الوفد فى الوزارة (١) .

— الاتجاه الثانى تزعمه المستشار الصحفى للملك والمستشار الاقتصادى للخاصة الملكية ومجموعة من الموظفين اللصيقين بالملك ممن يمكن أن نسميهم « بالموظفين غير المسئولين » وكان واضحا أن أصحاب هذا الاتجاه قد كسبوا أرضا واسعة لدى الملك خلال السنوات التى تلت وفاة أحمد حسنين .

(٣٣) مفكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

وبالنسبة لهؤلاء « كمركز تأثير » في القرارات الملكية ظل يزداد نفوذهم عاما بعد آخر ، فقد تحكم قبل أى شىء في مواقفهم الرغبة في تحقيق مصالح محدودة دون الالتزام بسياسة وطنية عامة .

على أى الأحوال ففي تلك القضية .. قضية الوزارة القومية تبنى « الموظفون غير المسئولين » سياسة مختلفة عن سياسة « الديوان » متأثرين في ذلك بمجموعة من الاعتبارات :

١ — ما ارتأته دار السفارة البريطانية آنذاك من اصطناع وتكلف في الوزارة (القومية) التى ألفها سرى باشا ، وفي اجراء انتخابات متوازنة .

والواضح أن الجانب البريطانى الذى كان يتوق الى اقرار علاقاته بمصر على أسس جديدة من التحالف كان يرى أن الوزارة الوفدية ستكون أقدر أطراف السياسة المصرية على إرساء هذه الأسس ، مما يختلف معه الموقف لو كان في السلطة وزارة ائتلافية تتنازعها أسباب الخلاف والوان المزايدة .

٢ — أن هذا الجناح من رجال القصر كانوا من رجال الاعمال أكثر منهم رجال بلاط تقليديين ، ثم انه على الجانب الآخر وفي نفس الوقت كان يزحف الى زعامة الوفد نفس الطراز من الرجال أصحاب المصالح . وقد ترتب على ذلك أن ظل التقارب والاتصالات تزداد بين الطرفين .. الموظفين غير المسئولين في القصر والزعامة الوفدية اليمينية الجديدة ، فقد كان كلاهما يتحدث لغة واحدة .

٣ — أنهم رأوا أن تغييرا وزاريا قد يترتب عليه عودة الوفد الى السلطة سيكون ذا فائدة للقصر أكثر مما يمكن أن يشكل خطرا عليه .. ويكفى في هذا الصدد ما يمكن أن ينتج عن تكوين وزارة وفدية من امتصاص الغضب الشعبى المتزايد ضد القصر .

وبالنظر الى كل هذه الاعتبارات ، وبعد اتصالات جرت بين كل من كريم ثابت وسراج الدين وتشابمان أندروز وسرى باشا رأى جميع الأطراف أن تجربة « الوزارة القومية » قد آن لها أن تنتهى ونجح جناح « الموظفين غير المسئولين » في اقناع الملك بهذا الرأى (٢) .

٦٤ — وزارة حسين سرى باشا الرابعة ٣ نوفمبر ١٩٤٩ — ١٢ يناير ١٩٥٠ :

يتحدث عبد الرحمن الرافعى وكان أحد وزراء الوزارة السرية الثالثة عن استقالة هذه الوزارة فيقول أنه « عندما ثار الخلاف في هذه الجلسة (جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في ٣ نوفمبر ١٩٤٩) بين فؤاد سراج الدين وأحمد عبد الغفار على تحديد دائرة من دوائر المنوفية — وكان ممكنا حسم الخلاف

(٢) أفكار حسن يوسف — المصدر السابق .

في الجلسة - ترك حسين سرى ثورة المناقشة تزداد عنفا ولم يرجع الى مجلس الوزراء ليفصل في هذا الخلاف المحدود ، بل وقف غاضبا وخاطب الوزراء في عنف وشدة قائلا : « سأعرض الامر على جلالة الملك » .

ويستطرد الرافعى في رواية قصة استقالة الوزارة السرية فيقول « لم يكدر سرى يغادر اجتماع مجلس الوزراء حتى قصد توا الى السراى الملكية ، وقدم استقالته ، فعهد اليه الملك في الحال بتأليف الوزارة فألفها على الفور ، ولم تنقضى ساعتان على المناقشة الطارئة التى حدثت بين الوزير الوفدى والوزير الدستورى حتى كانت الوزارة المحايدة قد تم تأليفها » (٣) .

ويعجب الرافعى ، كما قد يأخذ العجب بتلابيب المؤرخ خاصة ، اذا ما لاحظنا ذلك التناقض بين الوعد الذى كان كل من سرى وحسن يوسف قد قطعاه على نفسيهما نيابة عن الملك للدكتور هيكى بأن تبقى الوزارة القومية لتأتى بمجلس نواب متوازن ينتج عنه تأليف وزارة قومية جديدة (٤) ، وبين الموقف الجديد لكل من سرى باشا والقصر . الا أن هذا العجب لا يلبث أن يتبدد على ضوء تفسير الموقف بالنظر للصراع السياسى الذى كان قائما آنذاك بين جناحى القصر .

وقد تألفت وزارة سرى المحايدة على الشكل الآتى :

- | | | |
|----------------------------|---|-------------------------------|
| حسين سرى باشا | ● | رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية |
| صليب سامى باشا | ● | وزيرا للتجارة والصناعة |
| محمد حسن العشماوى باشا | ● | وزيرا للمعارف العمومية |
| حسين عنان باشا | ● | وزيرا للزراعة |
| الفريق محمد حيدر باشا | ● | وزيرا للحربية والبحرية |
| الدكتور محمد هاشم | ● | وزير دولة |
| محمد المفتى الجزايرلى بك | ● | وزيرا للأوقاف |
| محمد عبد الخالق حسونه باشا | ● | وزيرا للشئون الاجتماعية |
| عبد الشافى عبد المتعال بك | ● | وزيرا للمالية |
| الدكتور ابراهيم شوقي بك | ● | وزيرا للصحة العمومية |
| محمد على راتب بك | ● | وزيرا للتموين |
| مصطفى فهمى باشا | ● | وزيرا للاشغال العمومية |
| سيد مصطفى باشا | ● | وزيرا للعدل |
| محمد على نمازى باشا | ● | وزيرا للمواصلات (٥) |

(٣) عبد الرحمن الرافعى : في اعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٤) انظر الفصل السابق .

(٥) البوائع المصرية العدد ١٤٠ لسنة ١٩٤٩ .

وكان معروفا منذ البداية أن الوزارة السرية الرابعة قد تشكلت بهدف محدد وهو إجراء الانتخابات وتأليف وزارة جديدة تعبر عن الراى الشعبى وهو ما تضمنه الأمر الملكى لحسين سرى بتأليف الوزارة وجواب الأخير على هذا الأمر .

فقد جاء فى الأمر الملكى رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٩ بتكليف حسين سرى بتأليف الوزارة ما نصه « نكلفكم بتأليف وزارة تركز الجهود لمواجهة الظروف الحقيقية التى تجتازها البلاد ، وتقوم بإجراء الانتخابات لتعرف راي الشعب » (٦) ، وجاء فى جوابه مانصه « وانى يا مولاي لشديد الإدراك لعظم المهمة الملقاة على عاتقى من ضرورة إجراء انتخابات حرة فى جو من الأمن والنظام وتيسير مهمة الناخبين للقيام بواجبهم فيعطون أصواتهم لمثليهم الحقيقيين من غير ضغط أو إكراه ، وبهذا يكون مجلس النواب القادم خير ممثل للأمة تمثيلا صادقا » (٧) .

وقامت الوزارة بمهمتها المنتظرة بإجراء الانتخابات فى ٣ يناير عام ١٩٥٠ إلا أنها فى خلال الشهرين اللذين انقضيا بين تأليفها وبين الانتخابات قد تصرفت بما لا يدع مجالا للشك أن الوفد قائم ..

وزير من أعضاء هذه الوزارة هو وزير التموين كرس الفترة القصيرة التى قضاها فى الوزارة فى إجراء تحقيقات تناولت أحد الوزراء السعديين ، واخذت الصحف - الوفدية خصوصا - تنشر أنباء هذه التحقيقات بطريقة يستخلص منها أن السعديين كانوا السبب فيما حاق بالبلاد من الغلاء (٨) .

وزير آخر قام أثناء المعركة الانتخابية بجولات فى بعض الدوائر التى اشتد عليها التنافس بين الأحزاب ، وكان يصرح باسم الحكومة أحيانا وباسم القصر أحيانا ، بتوجيهات شجعت الناخبين على إثارة الوفد على من عداه من الأحزاب (٩) .

رئيس الوزراء نفسه سرى باشا ، يقول عنه الدكتور هيكل فى مذكراته ، أنه يوم الاقتراع دخل الى المركز الانتخابى المسجل فيه اسمه لينتخب المرشح الوفدى ، وبصوت عال (١٠) .

ولكن كل ذلك لا يعنى أن الوفد ما كان ليفوز لو لم تسائده الوزارة السرية ولكن يعترف زعماء الوفد أنفسهم أنهم لم يكونوا يتوقعون الفوز بالأغلبية الساحقة التى تم لهم الفوز بها .

(٦) الوثائق المصرية - العدد السابق .

(٧) الوثائق المصرية - العدد السابق .

(٨) عبد الرحمن الرامى - المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩٠ .

(٩) مذكرات حسن يوسف - المصدر السابق .

(١٠) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٥٠ .

وبالإضافة الى تأييد الوزارة ، وبالإضافة الى أن الوفد قد استمر أقوى الأحزاب التقليدية القائمة وأكثرها شعبية ، فقد عاوت أسباب أخرى في صنع الفوز الوفدي الساحق .

الاخوان المسلمون والشيوعيون قدموا كل معونة للوفد في معركته الانتخابية ، وقد رأوا أن التخلص من حكم أحزاب الأقليات الذي عانوا في ظله ما عانوا واجب مقدس يجب أن يبذلوا كل جهد لإتمامه .

رجال الإدارة ، وبينهم وبين حكومات أحزاب الاقلية ، وبالذات السعديون منهم ، ثار نتج عن عدم استجابة هذه الحكومات لمطالبهم .. وقف هؤلاء بدورهم ضد هذه الأحزاب (١١) ..

وجاء الفوز الوفدي الساحق في ظل كل هذه الظروف حين ظفر الوفد بـ ٢٢٨ مقعداً من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغة ٣١٩ التي حصل على بقيتها المستقلون (٣٠) والسعديون (٢٨) والاحرار (٢٦) والوطنيون (٦) واشتراكي واحد (١٢) .

ولم يبق بعد ذلك الا ان يشكل النحاس وزارته السابعة .

٦٥ - وزارة مصطفى النحاس باشا السابعة ١٢ يناير ١٩٥٠ - ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ :

انزعج القصر أيما انزعاج ليس لحصول الوفد على أغلبيته بين النواب الجدد فإنه كان يعلم بذلك بل أنه كان ضمن المساهمين في التوصل الى هذه النتيجة .. إنما كان مصدر انزعاج الملك أن تكون الأغلبية كبيرة على هذا القدر .

ولاشك أن هذا الانزعاج قد دفع الملك الى التعجيل بتعيين « حسين سرى » رئيساً للديوان ، وكان المنصب لا يزال خالياً بعد تعيين إبراهيم عبد الهادي رئيساً للوزارة ، وذلك ليواجهه معه الموقف المترتب على وجود مجلس نواب ذي أغلبية وفدية ساحقة .

على الجانب الآخر كان هناك الوفد ، وقد ظل على عهد وزارته الجديدة والآخرى التي شكلها النحاس يقدم تنازلاً وراء آخر للملك مما سنبينه في دراسة العلاقة بين الطرفين بعد تشكيل الوزارة ، ولعل هذه التنازلات المتوالية هي التي طمأنت الملك فاروق وجعلته يرى أنه لم يكن هناك من الأسباب ما يدعو الى كل ذلك التخوف الذي أبداه مع تشكيل مجلس النواب مما دعاه الى إبعاد سرى باشا عن رئاسة الديوان ولم يكن قد انقضى عليه في هذا المنصب أكثر من شهرين .

(١١) عبد الرحمن الرافعي : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩٠ .

(١٢) المصدر السابق ص ٢٩١ .

وقد حصل القصر على أول تنازل من الوزارة أثناء المشاورات التي جرت لتأليفها . فقد أصر الملك على تعيين الفريق محمد حيدر باشا وزيرا للحربية استمرازا له في نفس المنصب الذي ظل يشغله منذ ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

وكانت التقاليد الوفدية لا تسمح بأن تتضمن وزارة يؤلفها الوفد وزيرا غير وفدي ، وبدلاً من أن يصر النحاس على التمسك بهذه التقاليد فإنه قد تنازل بالموافقة على انشاء منصب جديد هو منصب القائد العام للقوات المسلحة بدرجة وزير وله حق الاتصال المباشر برئيس الحكومة وتعيين حيدر في هذا المنصب . ويعلق « محمد زكي عبد القادر » على ذلك التنازل فيقول « كان هذا التعيين خسارة أخرى وخسارة خطيرة من وجهة النظر الدستورية » (١٣) .

ويعلق آخر ممن اهتموا بالكتابة عن تاريخ نفس الحقبة بأن الوزارة بهذا قد « انحفظت بحقها الدستوري من الناحية الشكلية ولكنها تنازلت عن هذا الحق من الناحية الموضوعية » ، وتخلت بهذا عن أحد التقاليد الثابتة للوزارات الوفدية وهو الاستمساك بحقها الدستوري في اختيار من يتولون المناصب الكبرى (١٤) .

وقد تشكلت الوزارة النحاسية السابعة بعد هذا التنازل المبدئي على النحو الآتي :

رئيسا للوزراء	● مصطفى النحاس باشا
وزيرا للأشغال العمومية	● عثمان محرم باشا
وزيرا للمواصلات	● على زكي العرابي باشا
وزيرا للعدل	● عبد الفتاح الطويل باشا
وزيرا للداخلية	● محمد فؤاد سراج الدين باشا
وزيرا للزراعة	● الأستاذ أحمد حازه
وزيرا للحربية والبحرية	● الأستاذ مصطفى نصرت
وزيرا للتجارة والصناعة	● الأستاذ محمود سليمان غنام
وزيرا للاقتصاد الوطني	● الأستاذ محمد محمد الوكيل
وزيرا للشئون الاجتماعية	● الدكتور أحمد حسين
وزيرا للتموين	● مرسى فرحات بك
وزيرا للأوقاف	● يس أحمد باشا
وزيرا للصحة العمومية	● عبد اللطيف محمود بك
وزيرا للشئون البلدية والقروية	● الأستاذ ابراهيم فرج
وزير دولة	● الدكتور حامد زكي

(١٣) محمد زكي عبد القادر : مجلة الدستور (الطبعة الثانية ١٩٧٣) ص ١٧٨ .

(١٤) طارق البشري : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٤ ص ٣٠٩ .

- محمد صلاح الدين بك
- الدكتور طه حسين
- الدكتور محمد زكى عبد المتعال
- وزير الخارجية
- وزير المعارف العمومية
- وزير المالية (١٥)

ويعلق « طارق البشرى » على هذا التشكيل فيقول انه لم يكن كلا منسجما وأن الغلبة فيه كانت للجناح اليميني — المعتدل في وفديته والذي قاده فؤاد سراج الدين وان كان فيه من شباب الوفد القديم من كان لا يزال محتفظا بتقاليد الدعوة الوفدية في العمل من أجل الاستقلال والدستور كسليمان غنام وابراهيم فرج ومحمد صلاح الدين .

ويلاحظ نفس الكاتب ان الوزارة لم يدخلها أحد من الجيل الوفدى الجديد وان كانت دخلتها عناصر لم تكن من الوفد أصلا ولا عرفت كشخصيات سياسية ، وانما روعى في اختيارهم ما رآه مشكلو الوزارة فيهم من كفاية علمية أو فكرية يواجه بها مطلب الجماهير في التجديد والاصلاح الاجتماعى مثل زكى عبد المتعال والدكتور أحمد حسين وحامد زكى .

ويستطرد البشرى ليسجل أكثر من ملاحظة على هذا التشكيل :

اولاها : ان الوزارة قد عزفت بهذا عن دعوة التجديد الحقيقية يحملها بعض التيارات المتقدمة من رجال الحزب نفسه ، مكتفية بواجهة التجديد فحسب .

ثانيها : ان الوزارة ارادت بالاستعانة بهذه العناصر الخارجية حديثة الارتباط بالحزب ان تؤكد طابعها الوفدى المعتدل .

ثالثها : ان الوزارة حملت بهذا بذور التفكك بين اتجاهين في قيادة الحزب وبين عناصر لم تلتحم بالوفد من قبل (١٦) .

ينفق كافة من أرخ للوزارة الوفدية الأخيرة (١٩٥٠ — ١٩٥٢) ان وفد الخمسينيات ليس هو وفد العشرينيات أو الثلاثينيات أو حتى الأربعينيات .

ولعل أهم مظاهر التغيير التى اعترت الوفد تتمثل في مظهرين :

١ — ظاهرة التشرذم أو الانشطار بين اليمين واليسار ، وهى ظاهرة تفشت في الحزب الكبير على مختلف المستويات .. مستوى الوزارة أو مستوى التنظيمات الحزبية .

ويصف « محمد زكى عبد القادر » هذه الظاهرة فيسجل انه « لأول مرة في تاريخ الوفد ، نشرت مساجلات بين أعضاء منه ، ونشرت مقالات تحمل على سياسة الوفد وتصيبها بما يشبه وخز الأبر من وفدين لا شك في أمانتهم وماضيهم .

(١٥) الوثائق المصرية — العدد ٧ لسنة ١٩٥٠ .

(١٦) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

« وبدأ هذا الخلاف في كل منظمات الوفد ، في الهيئة الوفدية وفي الشباب الوفدى وفي اللجان القومية ، ووضح أن الأمور تسير داخل الوفد ، لا في طريق التكتل ولكن في طريق التفكك (١٧) .

٢ — ظاهرة المهادنة الكاملة للقصر مما جعل الكتاب المعاصرين يطلقون على وزارة الوفد الأخيرة بانها « وزارة الاستسلام للملك » (١٨) .

ويفسر الوفد مجاملاته المستمرة للملك وارضاء طلباته وتنفيذ ما يستطيع منها .. يفسر ذلك بأنه كان ينوى إلغاء المعاهدة .. وكان يعلم أن الملك لن يرضى عن هذه الخطوة .. ولما كان لا يجرؤ على اقالة الوزارة بسبب محاربتها الانجليز فإنه سيعمد ولا شك الى التمحك في أى أزمة داخلية لاجراج الوزارة وتقويت فرصة إلغاء المعاهدة . لذلك قرر الوفد أن يتجنب أى أزمة داخلية مهما كان الثمن (١٩) .

ويفسر « أحمد بهاء الدين » هذه السياسة الوفدية الجديدة تفسيراً آخر. فيقول « ان بنيان الوفد القديم كان يتحلل تدريجياً . وان هذا التحلل اتاح للعناصر الغريبة عنه أن تتسرب اليه .. كما يتسرب الماء الى شقوق الجدار حتى يهوى متصدعا .

ويتناول الأوضاع التنظيمية للحزب الكبير التى اتاحت لهذه العناصر أن تتسرب اليه وما نتج عن ذلك من مصلحة لقيادته جعلت « البقاء فى الحكم فى ذاته غاية » ، ويخرج من هذا ان الوفد قد أصبح « طبعة شعبية من حزب السعديين ، أو الأحرار الدستوريين » (٢٠) .

ومن هذا المنطلق ، وفى اطار العلاقة بين الوزارة الوفدية والملك ، توالى وتعددت درجات تنازلات الوزارة للملك ..

جانب من هذه التنازلات كان ميدانه القصر .. مثال ذلك تعيين « حافظ عفيفى » رئيساً للديوان ، دون علم الوزارة أو استشارتها (٢١) .

مع ذلك فإن الوزارة لم تحتج على تعيين حافظ عفيفى ، على الأقل ، كما احتجت قديماً على تعيين على ماهر . ولم تغير خطتها فى مهادنة القصر ومحاولة « مسايرته ومساومته وارضاء طلباته (٢٢) » .

فى نفس الميدان أيضاً صدر قانون « أنشاء القصر » فى عهد الوزارة النحاسية ، ويصفه « محمد زكى عبد القادر » بأنه قانون مخالف للدستور

(١٧) محمد زكى عبد القادر : المصدر السابق ص ١٨٧ .

(١٨) جلال الدين الحامصى : معركة نزاهة الحكم ص ١٢٧ .

(١٩) أحمد بهاء الدين : فاروق ملكاً ص ٤٢ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢١) مفكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

(٢٢) أحمد بهاء الدين : المصدر السابق ص ١٨٩ .

مخالفة صريحة ، فقد حظر نشر أنباء القصر الا باقرار من السلطات المختصة « وكيف يقبل ان تحجب أنباء الملك عن الشعب ، والملك سلطة دستورية لابد أن يعرف الشعب أخبارها » (٢٣) .

ووصل الأمر بالوزارة الوفدية الى أن شرعت من خلال أحد النواب الوفديين في تقديم مشروعات قوانين ثلاثة أحيلت بالفعل الى اللجان البرلمانية . لولا الثورة الشديدة التي واجه بها الرأي العام هذه القوانين المقيدة لحرية الصحافة ، لنجح القصر في تنفيذ مأربه من خلال حكومة الوفد (٢٤) .

ومن علامات استخذاء الوزارة للملك ، انها أقالَت شيخ الجامع الأزهر من منصبه ، دون سؤال أو استجواب لما نسب اليه من قوله « تقتير هنا واسراف هناك » وما أن أطلع الملك على حديث الشيخ مع مجلة آخر ساعة حتى أمر بعزله فوراً . . وكان الشيخ عبد المجيد سليم باجماع أهل العلم ، الرجل الصالح في المكان الصالح (٢٥) .

وفي ميدان (الوزارة) أصبح للقصر رأى قاطع في تعيين الوزراء الجدد وهو أمر لم تجر عليه عادة الحكومات الوفدية السابقة ، ويؤكد الكتاب المعاصرون أن تعيين عبد الفتاح حسن وزيرا للشئون الاجتماعية قد تم « برأى السراى ، وليس برأى الحكومة وربما رحبت الحكومة بذلك ، بل انها على التحقيق رحبت به » (٢٦) .

وفي ميدان « البرلمان » فقد نصبت الحكومة الوفدية نفسها مدافعا عن القصر وجميع تصرفاته حتى تلك التي جرت في عهد غير عهدها .

يحدثنا الدكتور هيكل الذى كان آنذاك رئيسا لمجلس الشيوخ عن الاستجواب الذى قدمه « مصطفى مرعى » بشأن ما تناوله تقرير رئيس ديوان المحاسبة ، عن استيلاء كريم ثابت المستشار الصحفى للديوان الملكى على خمسة آلاف جنيه من أموال جمعية المواساة بالاسكندرية ، وما كان من عبث في صفقات الأسلحة والذخائر التى أشتريت من أوروبا للجيش المصرى المحارب في فلسطين .

ويروى لنا رئيس الأحرار الدستوريين ورئيس الشيوخ كيف أن فؤاد سراج الدين قد دافع عن تصرف كريم ثابت ، ثم ما قاله أن الوزارة قد أجرت تحقيقا في مسألة الأسلحة والذخائر الفاسدة فنفى التحقيق المسئولية عن كل من كان لهم يد في هذه المسألة (٢٧) .

(٢٣) محمد زكى عبد القادر : المصدر السابق ص ١٨٩ .

(٢٤) محمد زكى عبد القادر : المصدر السابق ص ١٨٩ .

(٢٥) مفكرات حسن يوسف - المصدر السابق .

(٢٦) الوقائع المصرية العدد ٥٦ لسنة ١٩٥١ .

(٢٧) محمد حسين هيكل : مفكرات في السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٥٢ .

أكثر من ذلك فإن الوزارة الوفدية أخذت تدافع في البرلمان عن تمرير قرارات تستهدف قبل أى شىء تحقيق مصالح مالية لبعض رجال القصر (٢٨).

وقد وصل الاتفاق بين الوزارة النحاسية وبين القصر فى ميدان الحياة السياسية فيما جرى فى أعقاب استجواب مصطفى مرعى بإصدار عدد من مراسيم إسقاط العضوية عن ١٩ من أعضاء مجلس الشيوخ ليحل محلهم آخرون . وهى المراسيم الصادرة فى ١٧ يونية سنة ١٩٥٠ .

صحيح ان هذه المراسيم قد اتاحت للوزارة النحاسية أغلبية كانت تفتقدها فى المجلس المذكور الا أنها اتاحت فى نفس الوقت ادخال بعض الشخصيات المعروفة بولائها للقصر .

* * *

مع هذه التنازلات المستمرة كان المتصور أن تقضى الوزارة الوفدية مع القصر شهر عسل طويلا . . ولكن المتصور شىء والواقع شىء آخر .

فبالرغم من دفاع الحكومة الوفدية عن رجال الملك فى قضية الأسلحة الفاسدة الا انها تحت الضغوط الشديدة للرأى العام والصحافة قد اضطرت الى فتح باب التحقيق الذى سار حثيثا حتى وصل الى داخل القصر (٢٩) .

وكان الملك فاروق آنذاك فى رحلة الى الخارج فى صيف عام ١٩٥٠ ، ولما عاد لم يكن ليقتبل ما حدث فصمم على ابعاد « عبد الفتاح الطويل » وزير العدل الى وزارة أخرى ، هى وزارة المواصلات (٣٠) .

ولا شك أن مثل هذا الحدث كانت له أسوأ النتائج على العلاقات بين القصر والوزارة الوفدية حيث خلف جرحا غائرا فى هذه العلاقات .

مسألة أخرى هى مسألة « تشريعات الصحافة » كانت بدورها سببا من أسباب سوء العلاقات بين الملك والوزارة النحاسية .

ففى أواخر ١٩٥١ تقدم النائب الوفدى اسطفان باسيلي بتشريعات وضعها أحد رجال القانون لتقييد حرية الصحافة ، فيما يتعلق بشئون القصر .

وما ان قدم الرجل التشريعات حتى انبعثت أعنف صور المقاومة لها من بين الوفديين أنفسهم التى تزعمها الدكتور عزيز فهمى وأحمد أبو الفتح

(٢٨) طارق الشرق : المصدر السابق ص ٣١١ .
(٢٩) أحمد بهاء الدين : المصدر السابق ص ١٠١ .
(٣٠) الوقائع المصرية — العدد ٨٣ لسنة ١٩٥١ .

ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين أن بعض أعضاء الوزارة الوفدية كانوا يشجعون النواب على المقاومة ، ولا شك أن القصر قد علم بذلك إلى حد أن أحد رجاله في الوزارة صرح للصحف بتصريحات مشهورة جاء فيها « أن هذه التشريعات يجب أن تطبق في مصر مهما كان الأمر إذ لا يمكن أن تحكم وزارة بيضاء شعباً أحمر » .

ويرد على ذلك بعض الوزراء الوفديين وبالذات وزير الخارجية الدكتور محمد صلاح الدين ليؤكد « اننى عارضت كل مشروع مقيد للحرية . وذهبت في المعارضة إلى أقصى الحدود التى ترسمها مسئوليتى كوزير ، وسأعارض كل مشروع من هذا القبيل وأذهب فى معارضته إلى أبعد الحدود ، سواء فى هيئة الوزارة أو فى الهيئة الوفدية أو فى مجلس الشيوخ » (٢٢) .

وكان مثل هذا الموقف للوزارة الوفدية أو من بعض أعضائها شرخاً عميقاً آخر فى العلاقة بينها وبين الملك كان محتماً أن تظهر آثاره بعد فترة وجيزة .

* * *

بينما كانت تجرى الأمور على هذا النحو فى علاقة الوزارة النحاسية الأخيرة بالقصر كانت تجرى على نحو آخر فى علاقة هذه الوزارة بالانجليز

فقد استأنفت الحكومة الوفدية مباحثاتها مع الجانب البريطانى بعد شهرين فقط من تشكيلها ، وقد استمرت تلك المباحثات لنحو تسعة عشر شهراً (مارس ١٩٥٠ — أكتوبر ١٩٥١) وانتهت بالغاء معاهدة ١٩٣٦ — واتفاقيتى الحكم الثنائى فى السودان — بقرار منفرد اتخذته وزارة الوفد (٢٣) .

وقد اتخذت الوزارة هذا القرار الخطير نتيجة لمجموعة من الاعتبارات يمكن رصدها فيما يلى :

١ — ان الوفد قد استمد شعبيته من قبل من مصدرين ، أحدهما التصدى لأوتوقراطية القصر ، والثانى صلابة التعامل مع الوجود الاحتلالى وبدا فى هذا الوقت وقد فقد المصدرين سواء باستسلامه للأول أو بتاريخه الذى ظل يعيره به خصومه مع الثانى ، ونعنى هنا حادث ٤ فبراير بالذات .

ولا شك أن هذه الصورة كانت تتأكد نهائياً إذا وقف الحزب الكبير موقفاً مائعاً من تعثر المفاوضات الطويلة بين وزارته وبين الخارجية البريطانية ، من ثم لم يكن أمامه سوى اتخاذ ذلك « الاجراء القوى » بالغاء المعاهدة انقاذاً لبعض صورته القديمة .

(٢٢) أحمد بهاء الدين : المصدر السابق ص ١١٢ .
(٢٣) Yatikiotis J. The Modern History of Egypt p. 369.

٢ — ان شهر العسل بين القصر والوزارة كان قد انتهى خلال النصف الثانى من عام ١٩٥١ بعد غضب الملك مما حدث فى قضية الاسلحة وبشروعات الصحافة .

وبدأت سياسة « وخز الابر » التقليدية بين الجانبين مما يمكن تبينه من رغبة القصر فى اصدار قانون « من أين لك هذا » واصراراه على تطبيق هذا القانون بأثر رجعى منذ ١٩٣٩ . وتبدو قيمة هذا الاصرار على ضوء ماكان يتردد وقتذاك من أن بعض الوفديين وأنصارهم قد أثروا ثراء فاحشا من وراء استغلال النفوذ .

ولا شك أن فتور العلاقة بين القصر والوزارة قد خلق لونا من التوقع من أن اقالة جديدة للوفد فى الطريق ، وهو ما أشارت اليه احدى الصحف فى سبتمبر ١٩٥١ من أن « ولاية الأمور يريدون رغبة صادقة فى اصلاح شامل كامل يتناول كل شىء » (٢٤) .

وكان من الطبيعى واحتمال الاقالة يلوح فى الأفق أن تمضى الوزارة فى طريقها الى نهايته فلم يعد ثمة ما تحرص عليه ، ذلك أنها اذا خرجت بعد الغاء المعاهدة تخرج بثوب بطولة وطنية افتقده الوفد منذ وقت غير قصير ، بل أن هناك احتمالا آخر بعد هذا العمل وهو أن يبقيا القصر فى السلطة لتتحمل تبعات مسئولية عملها .

٣ — ان الوفد أخذ فى الانزعاج نتيجة لأن مناخ الحرية السياسية الذى وفرته للشعب وزارته الأخيرة قد أتاح للحزب الكبير أن يتبين ان القوى السياسية العقائدية قد نمت نموا هائلا وان شعبيته التقليدية قد أصبحت موضع تساؤل بل تساؤلات .

وبالادراك لهذه الحقيقة لم تر الوزارة الوفدية الأخيرة من طريق سوى ان تضرب « ضربة وطنية كبرى » تمكنها من أن تستعيد بها بعضا من شعبية الوفد التى فقدتها لحساب تلك الجماعات العقائدية أو على الأقل أن يستبقى ما لديه من شعبية .

يضاف الى ذلك الاعتبار الوطنية مما يمكن أن ندخله فى حساب العلاقات المصرية البريطانية على وجه العموم .

* * *

أغفلت الوزارة الوفدية فى اتخاذها لقرارها المشهور بالغاء المعاهدة النتائج التى يمكن أن تترتب على هذه الخطوة ..

(٢٤) أخبار اليوم فى ٨ سبتمبر ١٩٥١ .

١ - بينما أرادت بهذا العمل كسب أرض من التي فقدتها من رصيدها الشعبى لحساب الجماعات السياسية الجديدة (الإخوان والشيوعيون والاشتراكيون) تسير الأمور على نحو يتناقض مع ما أرادته ..

ذلك أن موجة المد الوطنى التى ارتفعت على نحو هائل فى أعقاب إلغاء المعاهدة قد وجدت فيها هذه الجماعات الجديدة مناخا ملائما لمزيد من بث دعواتها ، كما أن أعمال الكفاح الوطنى التى بدأت فى منطقة القناة ضد الوجود البريطانى كانت سبيلا ملائما لتأكيد هذه الجماعات لوجودها من خلال اشتراكها فى تلك الأعمال ، وفتح ذلك مزيدا من الفرص للإخوان والشيوعيين والاشتراكيين بتنمية قواهم وتنظيمها .. وجاءت بذلك الرياح على غير ما اشتهدت سفينة الوفد (!) .

٢ - بالنسبة للجانب البريطانى فبينما أرادت الوزارة النحاسية أن تفرض واقعا جديدا يتحرك من منطلقه المفاوض المصرى ويعطى ميزة لهذا المفاوض فقد تداعيت الحوادث فى أعمال عنف بين القوات البريطانية فى القناة وبين الجانب المصرى بدأ معه العجز التام لحكومة الوفد ، وقد كشف هذا العجز فى نفس الوقت عن قصور سياسة الوزارة حيال القضية الوطنية .

وقد تعددت مظاهر العنف من الجانب البريطانى .. بين الحجر على حرية بعض المواطنين المصريين بحجة أو باخرى ، وبين دخول القوات البريطانية لمدن القناة واحتلال بعض مناطقها .. إلا أنها قد وصلت الى مداها بالمذبحة التى أجروها فى قسرات بلوكات النظام فى مبنى محافظة الاسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ .

وكان لهذه المذبحة ردود فعل واسعة كان أخطرها ما حدث فى القاهرة فى اليوم التالى (٢٦ يناير) من احراق عدد من المؤسسات والبنائات فيما هو معروف (بحريق القاهرة) والذى كان بمثابة نقطة النهاية لعودة الوفد الأخيرة ، كما كان بمثابة بداية الاحتضار للنظام كله ، وهو ما عبر عنه أحد الكتاب الغربيين بقوله « أن النظام القديم قد احترق مع شبرد » (٣٥) !

الباب الخامس

الفصل السابع

وزارات الاحتضار

٢٧ يناير ١٩٥٢ — ٢٣ يولية ١٩٥٢

أكد ما حدث خلال يومى ٢٥ و ٢٦ يناير ١٩٥٢ العجز الكامل « للنظام القديم » فى مصر .

والواقع أن بواخر هذا العجز كانت قد بدت بعد الحرب العالمية الثانية وظلت تتأكد عاما بعد عام حتى انكشفت السلطة نهائيا فى شتاء ١٩٥١ — ١٩٥٢ وأصبح مؤكدا أن النظام قد تسبب وانه فى انتظار احدى التوى السياسية الجديدة لتنفض عليه وتنهى استمراره الذى أصبح عبثا على الأمة .

ويتأكد انكشاف السلطة وتسببها مما جرى خلال الشهور القليلة بين حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وبين انتفاضة الجيش فى ٢٣ يوليو من نفس السنة .

فقد ظلت حركة الوزارات فى عهد الملك فاروق تقوم على قاعدة اذعانه لضغط من الشعب أو من الاحتلال ، لترك الوزارة للوند ثم اقالة الوزارة الوفدية (١٩٣٧ — ١٩٤٤ — ١٩٥٢) إلا أنه كان كل مرة يلجأ فيها الى سلاح الاقالة يكون مستعدا لما بعد ذلك . . وكان هذا الاستعداد فى العادة يتمثل فى تشكيل وزارات من الأحزاب أو من الشخصيات الكبيرة اللاوفدية . . بمعنى آخر فقد كان هناك على أى الأحوال بديل للوند . . ليس بنفس قوته ولكنه يستطيع بوسيلة أو بأخرى استقطاب جانب من الراى العام .

فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كانت سلطة القصر قد وصلت الى طريق مسدود ذلك انه مع اقالة الوزارة الوفدية فى اليوم التالى تذرعا بأن « جهد الوزارة قد قصر عن حفظ الأمن والنظام » (١) . . مع هذه الاقالة لم يكن ثمة بديل ، ولاكثر من سبب .

البديل التقليدى بائتلاف من أحزاب الأقليات (السعديون — الدستوريون الوطنيون — الكتليون) أصبح بلا قيمة ، ولعديد من الاعتبارات .

من هذه الاعتبارات أن تلك الأحزاب كانت قد انتهت من الناحية الواقعية خلال تلك الحقبة ، ذلك أن الجانب الشعبى الذى ظلت تحاول اجتذابه من الوند كانت قد فقدته تماما ، إذ كانت شعبية الوند نفسه تتآكل يوما بعد آخر خلال تلك الحقبة .

اعتبار آخر . . أن تلك الأحزاب قد أحرقت مركبها الوحيد الذى كان سبيلها للوصول الى شاطئ الوزارة . . ونعنى به القصر .

(١) الوقائع المصرية ، العدد ٢٠ لسنة ١٩٥٢ .

ففى أعقاب عودة الملك من رحلته الى الخارج فى صيف ١٩٥٠ تقدم له زعماء المعارضة بكتاب مشهور كان من أصرح ما قيل للملك فاروق (٢) ، فقد تضمن اشارة الى افساح مكان « فى الحاشية الملكية لأشخاص لا يستحقون هذا الشرف فأساءوا النصيح وأساءوا التصرف » كما تضمن القول بأن « النظام النيابى قد أضحي جبرا على ورق » وأخيرا لوح بتهديد بأن « احتمال الشعب مهما يطل فهو لابد منته الى حد . واننا لنخشى أن تقوم فى البلاد فتنة لا تصيين الذين ظلموا وحدهم ، بل تتعرض فيها البلاد الى افلاس مالى وسياسى وخلقى » .

ويقول الدكتور هيكل فى مذكراته أن الملك قد غضب غضبا شديدا على أولئك الذين وقعوا هذا الكتاب ، وأنه قد احتفظ بأسمائهم فى حافظته يخرجها بين الحين والآخر . . حتى لا يغفر لهؤلاء أبدا (٣) .

من ناحية أخرى فإن بديلا آخر غير البديل التقليدى لم يجده القصر أو بالأحرى لم يكن بالامكان أن يرتضيه .

كان « البديل الآخر » خلال تلك المرحلة يتمثل فى هذه القوى النامية والتي أخذت تمد تأثيرها بين صفوف الشعب لتصبح من أهم مراكز الضغط فى ميدان السياسة المصرية ، نقصد بها الجماعات العقائدية . . الإخوان والشيوعيين والاشتراكيين ، باعتبار أن المعارضة الأساسية للوزارة الوفدية الأخيرة قد نبعت من بين صفوف هؤلاء .

ومن الواضح أن السراى قد نظرت للجماعات السياسية العقائدية بعد أن نما عودها على هذا النحو ليس من منطلق قدرتها على معارضة الوفد فى وزارته الأخيرة وإنما من طبيعة هويتها باعتبارها جماعات ضد النظام القائم (٤) .

* * *

من هنا جاء الطريق المسدود الذى واجهته الوزارة فى مصر بعد اقالة الوزارة النحاسية السابعة . فقد شهدت الفترة القصيرة التى تلت هذه الاقالة أربع وزارات تكونت من المستقلين أو من المعروفين بأنهم من رجال القصر .

ومثل هذا النوع من الوزارات عرفته السياسة المصرية كوزارات انتقال بين عهد وآخر . . عهد الوفد وعهد غيره .

وحقيقة أن تلك الوزارات قد جاءت بعد عهد ومدى ولكن ماذا بعدها . . وهنا سد الطريق وبلغ التخبط أشده ولم يكن بد من احتضار النظام وهو ما يؤرخه عهد الوزارات الأربع .

(٢) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٥٨ — ٣٦٠ (من الكتاب) .

(٣) نفس المصدر صفحة ٣٦٧ .

(٤) مذكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

بعد تعيين الدكتور حافظ عفيفى باشا رئيسا للديوان الملكى فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ فان الانقسام فى داخل القصر بين « جماعة المسئولين فى الديوان » وجماعة « الموظفين غير المسئولين » كان قد بلغ مداه .

ويميل بعض المؤرخين الى اعتبار هذا التعيين بداية لعمل القصر من أجل تصفية الكفاح الوطنى المتزايد فى منطقة القناة والذى لم يلبث أن تحقق بالفعل بعد حريق ٢٦ يناير الا أن الحقيقة التاريخية تقول شيئا آخر ..

فقد أدلى حافظ باشا بحديث للأهرام فى ١١ ديسمبر ١٩٥١ — أى قبل تعيينه بأسبوعين — قال فيه أن معاهدة ١٩٣٦ قد استنفدت أغراضها وأصبحت غير ذات موضوع .

ولعل فى شهادة الدكتور حافظ عفيفى أمام محكمة الغدر فى مايو ١٩٥٣ ما يلقى كثيرا من الضوء حول هذا الأمر . وكان رئيس المحكمة يردد قوله « أنتم تشهدون للتاريخ » — قال حافظ باشا « أنا لم أعين رئيسا للديوان باختيارى وإنما صدر مرسوم بتعيينى قبل أن يؤخذ رأى . ولكن قيل لى قبلها سنة عن ترشيحى لهذا المنصب وقلت أنى مستعد لى خدمة بشرط أن أمكن من تأدية واجبى . وقبل التعيين بثلاثة أيام قيل أن الملك يرغب فى مقابلتى ولكن الملك لم يقابلنى .. وأبلغنى حسن يوسف تليفونيا بتعيينى . ولما سأله رئيس المحكمة عن السر فى اختياره قال « أنا لم أفهم السر فى هذا الاختيار » فقال رئيس المحكمة أن حسن يوسف قرر أن الملك أراد — والوفد فى الحكم — أن يستعين بشخصية قوية فى الديوان فكان تعليق حافظ باشا « أن الملك لم يستفد من هذه الشخصية ولم يمكنها من عمل أى شئ .. » وأخيرا قال انه أبعد عن بنك مصر ليحل محله الياس اندراوس ، مستشار الخاصة الملكية (٥) .

على أى الأحوال يمكن القول أن « حافظ عفيفى » كان أقوى رجل يتولى منصب رئيس الديوان بعد أحمد حسنين .. ولسنا هنا بصدد تقييم شخصية « حافظ عفيفى » وللرجل ماضى سياسى طويل فى الكفاح الوطنى وإنما نرغب فى التأكيد بأن ترأسه للديوان الملكى خلال تلك الحقبة قد أضفى على الصراع الذى نشب بين جناحى القصر ، والذى سبقت الإشارة اليه فى الفصل السابق ، حدة واضحة ، وقد انعكست هذه الحدة على الوزارة .. بل يمكن القول أن ذلك الصراع كان ميدانه الرئيسى الوزارة .

* * *

قضيتان فرضتا نفسيهما خلال الشهور الستة بين حريق القاهرة وتنازل الملك فاروق عن العرش تتصل أولاهما بالتعامل مع الوجود البريطانى فى البلاد وعرفت « بقضية التحرير » ، وتتصل الثانية بالتعامل مع الفساد الداخلى فعرفت « بقضية التطهير » .

(٥) محاضر جلسة محكمة الغدر فى ٢١ مايو سنة ١٩٥٣ .

وكان على كل وزارة من الوزارات الأربع التي تولت الحكم خلال تلك الشهور أن تختار طريقا لتسلكه . . التحرير أو التطهير . . وكان الجمع بين الطريقين صعبا للغاية فبينما يستلزم الطريق الأول الوحدة الوطنية فإن الطريق الثانى ينكأ جراحا كثيرة لأبد وأن تصيب هذه الوحدة .

وكان من الطبيعى ، والقضايا قد تصورهما معسكرا القصر على هذا النحو ، أنه بينما خشي « الموظفون غير المسئولين » وزارات التطهير فتد تبنّت جماعة المسئولين في الديوان مثل هذه الوزارات !



من هذا الادراك نستطيع أن نفهم سر تلك المساندة التي حظى بها رجل مثل أحمد نجيب الهلالي من (جماعة المسئولين في الديوان) باعتباره الرجل الذى اختار طريق التطهير ، فقد ألف الوزارتين الثانية والرابعة من الوزارات الأربع ، وبلغ عمر أولى هاتين الوزارتين ، وهى الوزارة التى رفعت شعار التطهير أكثر من أربعة شهور من مجموع الشهور الستة التى عاشتها الوزارات الأربع .

ومن هذا الادراك ايضا نستطيع أن نفسر ظروف قيام كل وزارة ثم ظروف سقوطها .

٦٦ — وزارة على ماهر الثالثة ٢٧ يناير — اول مارس ١٩٥٢ :

تصور « على ماهر » وتصور الآخرون معه أنه قد ألف « وزارة تحرير » وقد بدأ الرجل مناسبا لهذا الهدف لأكثر من سبب ، فهو قد أعلن تأييده لالغاء المعاهدة . . ورأس في مجلس الشيوخ لجنة اقرار تشريعات الالغاء وسار في المظاهرة الصامتة التى نظمت حدادا على شهداء القنال . ورشح لرأس هيئة قومية تدير المعركة في القنال (٦) .

وكما ذكرنا فإن اختيار « طريق التحرير » كان يستلزم العمل من أجل الوحدة الوطنية وهو ما عبر عنه بالفعل على ماهر في جوابه على تكليف الملك له بتشكيل الوزارة والذى جاء فيه :

« وانى لأمل أن تكون الشدائد حائزا على ضم الصفوف ، وتوحيد الكلمة وتطهير النفوس ، وتنسيق الجهود في سبيل مجد الوطن .

« ومن الآن قد أخذت في التفاهم مع الأحزاب المختلفة على معاونتي في جبهة سياسية ، أرجو أن أتمكن من عرضها على جلالته في وقت قريب » (٧) .

(٦) أحمد بهاء الدين : فاروق ملكا ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٧) الوقائع المصرية : العدد ٢١ لسنة ١٩٥٢ .

ومن هذا المنطلق شكل على ماهر وزارته الثالثة على النحو الآتى :

- على ماهر باشا
- رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية
- والحربية والبحرية
- وزير الزراعة
- صليب سامى باشا
- محمد عبد الخالق حسونه باشا
- الدكتور ابراهيم شوقي باشا
- وزير المعارف العمومية
- وزير للصحة العمومية والشئون
- البلدية والقروية
- محمد على نمازى باشا
- د. محمد زكى عبد المتعال
- أحمد مرتضى المراغى بك
- ابراهيم عبد الوهاب بك
- الأستاذ سعد اللبان
- محمود حسن باشا
- حامد سليمان باشا
- وزير العدل
- وزير للمالية والاقتصاد
- وزير للداخلية
- وزير للتجارة والصناعة والتموين
- وزير للأوقاف
- وزير للشئون الاجتماعية
- وزير للأشغال العمومية والمواصلات (٨)

وتتعدد الملاحظات على وزارة على ماهر الثالثة :

١ - نتيجة لظروف تكوينها المتعجلة ، ومحاولات اطفاء الحرائق فى العاصمة لا زالت تجرى هنا وهناك ، فقد رأينا أكثر من وزير يتولى أكثر من وزارة الا انه لم يمض وقت طويل (عشرة أيام فقط) حين أجرى الرجل تعديلا فى وزارته دخل بمقتضاه أربعة وزراء جدد هم محمد على رشدى بك وعبد الجليل ابراهيم العمري بك والفونس جريس بك ومحمد زهير جرانه بك الى الوزارة .

ونلاحظ فى هذا التعديل الذى جرى فى ٧ فبراير سنة ١٩٥٢ أن على ماهر لم يتخل عن سياسته القديمة بإنشاء وزارات جديدة وهو ما فعله حين قسم وزارة الشئون البلدية والقروية الى وزارتين احدهما للشئون البلدية والثانية للشئون القروية (٩) .

٢ - ان على ماهر كعادته ألف وزارته من وزراء غير حزبيين من الفنيين ذوى العلاقات الشخصية ، وذلك عدا وزيرين فرضتهما السراى عليه فرضا (١٠) .

٣ - ان على ماهر رفض تعيين كريم ثابت وزيرا فى وزارته ، وكان الياس اندراوس قد اتصل به وقت تشكيل الوزارة وأبلغه أن الملك يسره أن يضم كريم ثابت الى وزارته (١١) .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الوقائع المصرية العدد ٣٥ مكرر لسنة ١٩٥٢ .

(١٠) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ص ٥٥٩ .

(١١) مفكرات حسن يوسف - المصدر السابق .

ومع أن الظروف — بعد حريق القاهرة — لم تكن مواتية لمطالبة الانجليز بالجلء ، فقد اجتمع رئيس الحكومة بالسفير البريطاني يوم ١٢ فبراير وفاتحه في ايجاد حل للقضية المصرية . . ثم اجتمع به مرة ثالثة وسلمه برنامجا للمفاوضات . . فما كان جواب السفير البريطاني الا ان قال في مذكرة رسمية انه يطالب أولا بسؤال وزيرى الداخلية والشئون الاجتماعية (في وزارة الوفد) عن حوادث ٢٦ يناير .

ولم يعبا ماهر باشا بما تضمنته مذكرة السفير هذه . . وصمم على الدخول في المفاوضات . وتحدد أول مارس ١٩٥٢ لاجتماع الرجلين ، بيد أن رئيس ديوان الملك كان أسرع الى مقابلة السفير وابلاغه أن وزارة على ماهر لم يبق لها حظ من البقاء . . فما كان من السفير الا أن اعذر عن هذا اللقاء .

ويسجل التاريخ انصافا للرئيس السابق على ماهر أنه كان صادقا فيما وعد به في بيانه الى الشعب يوم ٢٥ فبراير وهو يتأهب لحل القضية المصرية ، اذ قال « انه لا يفاوض الانجليز في مبدأ الجلء ولكنه يفاوض في تنفيذ الجلء وفي تحقيق الوحدة . وكان جادا فيما وعد به من الرجوع الى القادة وذوى الراى في كل مرحلة وأنه سيضع النتائج بين يدى الأمة وأنه اذا لم يحقق أهدافه سيمضى متعاوناً في كفاح يشترك فيه كل مواطن » .

وفي الفترة القصيرة التى أمضاها في الحكم كانت قد تجمعت لديه ثلاث مذكرات مستفيضة وكاملة . احداها عن كيفية الجلء قدمها الخبراء العسكريون والسياسيون . والثانية عن السودان والدفاع الاقليمى . والثالثة عن تقسيم العمل أثناء مراحل المفاوضات .

ويبدو أن ماهر باشا كان متأثرا بالنجاح الذى لازمه سنة ١٩٣٦ عندما رأس وزارة تهدئة بقيت في الحكم مائة يوم تمكن فيها من استمالة الانجليز الى عقد المعاهدة وتشكيل هيئة للمفاوضة مثلت فيها جميع الأحزاب كما تمكن من اجراء انتخابات سليمة ، ولكنه لم يحسب حساباً دقيقاً لتغير الظروف . . ففى سنة ١٩٣٦ كان الانجليز يواجهون أزمة دولية خطيرة بسبب الحرب الايطالية الحبشية فأقبلوا على التحالف مع مصر . أما في سنة ١٩٥٢ فقد راحوا يطالبون أولاً ، وقبل كل شئ بالثار وبالتعويضات وبمحكمة المسئولين بعد الذى كان من الغاء المعاهدة وحوادث القنال وحريق القاهرة .

وكذلك اتضح لماهر باشا زهد الأحزاب في التعاون معه في الحكم ثم هو بمهادنة الوفد والاخوان المسلمين أغضب القصر وأغضب الأحزاب . . وتمشياً مع مهادنة الوفد تقاعس في تحقيق حوادث ٢٦ يناير بينما كان القصر ينادى بالاسراع فيه بل أن وزير الداخلية في وزارته كان يشكو من هذا البطء . . وفوق كل هذا وذاك لم يكن على ماهر صريحا في معاملته لرئيس الديوان وهو يعلم — عن خبرة — أن القصر شريكه في الحكم (١٢) .

(١٢) مذكرات حسن يوسف — المصدر السابق .

ورغم هذه الصعوبات صمم ماهر باشا على السير في طريقه واجتمع يوم ٢٧ فبراير برؤساء الأحزاب السعديين والاحرار الدستوريين والحزب الوطنى والاخوان المسلمين وحزب العمال وأوضح لهم برنامج عمله وهو مقبل على مفاوضات مع السفير البريطانى .

وكان يوم أول مارس يوما مشحونا بالمفاجآت . ففي التاسعة والنصف صباحا تلقى رئيس الحكومة من السفير البريطانى كتابا يعتذر فيه عن المقابلة لصابته ببرد شديد . . وفي العاشرة والنصف اجتمع مجلس الوزراء فجأة عقب زيارة رئيس الديوان لرئيس الوزراء . . وفي الاجتماع دارت مناقشة حادة حول مرسوم تأجيل البرلمان وكان الملك وقد وقعته بدون تاريخ ولم ير ماهر باشا حاجة لإعلانه بعد أن وافق البرلمان على اعتماد الخمسة ملايين جنيه لتعويضات حريق القاهرة ولكن « أخبار اليوم » نشرته صباح ذلك اليوم وترتب على المناقشة في هذا الأمر استقالة وزير المالية ووزير الداخلية . وطلب رئيس الحكومة مقابلة الملك فاحيل الى رئيس الديوان . . فلم يبق أمامه الا أن يذهب الى القصر وهو خائف ويقدم استقالته وهو واقف . . وينصرف دون أن يودعه أحد (١٣) وقد سجل في كتاب استقالة الوزارة « ان عقبات تقوم في سبيل مهبتها » .

وكذلك يسجل التاريخ لوزارة ماهر باشا أنها أعادت الأمن الى نصابه وشرعت في اصلاح ما دمره حريق القاهرة ، وأعادت النظام الى الجامعة ومعاهد التعليم ، وصححت الأوضاع بالنسبة للشيخ عبد المجيد سليم باعادة تعيينه شيخا للأزهر . وباستقلالها انفسح الطريق أمام النوع الثانى من الوزارات . . وزارات التطهير .

٦٧ - وزارة احمد نجيب الهلالي باشا

الأولى أول مارس - ٢ يوليو ١٩٥٢ :

كان الهلالي باشا أحد أعداء القصر الابداء منذ سنة ١٩٤٢ وتمر السنوات ، وفي عام ١٩٥٠ يرفض الهلالي الاشتراك في الوزارة النحاسية الأخيرة ، بدموى أنه اتخذ قرارا بعدم الدخول الى قصر الملك أو حلف يمين الاخلاص له .

وفي العام التالى - ١٩٥١ - ينقلب الموقف تماما ، ويذكر أحد الكتّاب المعاصرين أن الهلالي ، قضى تلك السنة في اتصالات مع رجال القصر الذى أقسم أن لا يدخله . ومقابلات مع المسئولين الاتجليز الذين مروا بمصر مثل المستر ستوكس وزير الدولة البريطانى في حكومة العمال (١٥) .

(١٣) مفكرات حسن يوسف ، المصدر السابق . .

(١٥) أحمد بهاء الدين : المصدر السابق ص ١٢٩ - ١٣٠ .



أحمد نجيب الهلالي باشا

- ولد ١٨٩١ بأسسيوط وأتم مرحلة التعليم الثانوي ثم دراسته القانونية بالقاهرة ١٩١٢ .
- تقلب بين وظائف النيابة العامة وعمل بالتدريس بمدرسة الحقوق ١٩٢٣ .
- انضم للوفد وتقلد وزارة المعارف في عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٦ .
- تولى رئاسة الوزارة لأول مرة خلفا لعلی ماهر في أول مارس ١٩٥٢ واستقال في ٢٩ يونية .
- في ٢٢ يولية ١٩٥٢ شكل وزارته الأخيرة التي عاشت يوما واحدا بسبب قيام الثورة .

وتراءى لرجال الديوان المسئولين ان الصلابة المعروفة من الرجل ،
بالاضافة الى ماضيه النظيف ، يمكن أن يقدم صورة لرئيس الوزارة القادر
على انقاذ البلاد مما هي فيه .

بل رأى التصر ما هو أكثر من ذلك . . بالخروج من الطريق المسدود
الذى يواجهه وذلك بأن يؤلف الرجل حزبا جديدا من بعض الشخصيات
الكبيرة التى اشتهرت بالأمانة والنزاهة من بينهم بهى الدين بركات والدكتور
أحمد حسين وسابا حبشى وحسين نهى وعبد القوى أحمد وعبد السلام
الشاذلى وطه السباعى وزكى عبد المتعال وعزيز أباطه وإبراهيم مذكور ،
وهم جميعا من الساسة المستقلين غير الراضين عن الوفد (١٦) .

ويضيف الينا « طارق البشرى » فى هذا الصدد ان قيام الهلالي باشا
بدور بطل التطهير قد تم بناء على « احياء أمريكى » بعد اتصاله بأحد
كبار المسئولين الأمريكين كان قد بعث به « دين أتشيسون » وزير الخارجية
لكتابة تقرير عن حالة مصر (١٧) .

على أى الأحوال فان اختيار « أحمد نجيب الهلالي » جاء متفقا تماما
مع معسكر « جماعة المسئولين بالديوان » خاصة وانه — أى الهلالي —
كان قد رفض قبول رئاسة الوزارة للمرة الاولى بعد اقالة وزارة النحاس
فى ٢٧ يناير لمجرد ان « الياس اندراوس » كان قد صاحب رئيس الديوان
عند عرضها عليه (١٨) .

وتشكلت الوزارة الهلالية الاولى على النحو الآتى :

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| ● أحمد نجيب الهلالي باشا | رئيسا للوزراء |
| ● صليب سامى باشا | وزيرا للتجارة والصناعة والتموين |
| ● طه محمد عبد الوهاب السباعى باشا | وزيرا للشئون البلدية والقروية |
| ● محمد كامل مرسى باشا | وزيرا للمعدل |
| ● محمد المفتى الجزايرلى باشا | وزيرا للأوقاف |
| ● محمد عبد الخالق حسونة باشا | وزيرا للخارجية |
| ● الدكتور محمد زكى عبد المتعال | وزيرا للمالية والاقتصاد |
| ● أحمد مرتضى المراغى بك | وزيرا للداخلية وللحربية والبحرية |
| ● محمد رفعت باشا | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● الأستاذ محمد فريد زعلوك | وزير دولة للدعاية |
| ● طراف على باشا | وزيرا للمواصلات |
| ● نجيب إبراهيم باشا | وزيرا للأشغال العمومية |

(١٦) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٥٦٥ .

(١٧) المصدر السابق ص ٥٦٧ .

(١٨) موسى صبرى : قصة ملك و ٤ وزارات ص ١٠٠ .

وزير الزراعة
وزير للشئون الاجتماعية والصحة
العمومية (١٩)

● محمود عثمان غزالى باشا
● راضى أبو سيف راضى بك

وجاء جواب الهلالى باشا على تكليف الملك له بتشكيل الوزارة وقد امتلأ بالحديث عن الفساد والرشوة والمحاباة والمحسوبية والوساطة والشفاعة ، وعن النية على السير فى « طريق » القضاء على كل تلك المساوىء .. طريق التطهير .

وتشكلت الوزارة الهلالية وقد تصور رئيسها انه سينجح بالتحالف مع « جماعة المسؤولين بالديوان » فى اقامة معسكر قوى يستطيع به انتزاع الملك من احضان الموظفين غير المسؤولين ويحقق أهدافه فى « التطهير طريقا للتحرير » ، ويؤكد هذا التصور ما طلبه الهلالى ، فى أول جلسة من جلسات وزارته ، من وزرائه بأن يكون اتصالهم فيما يتعلق بشئون القصر بحافظ عفيفى أو حسن يوسف .. ولا أحد غيرهما (٢٠) .

ولكن لم تتحقق الآمال التى عقدها « المتحالفون » على الوزارة الهلالية ، فبالرغم من أن هذه الوزارة كانت أطول الوزارات الأربع عمرا ، كما ذكرنا ، إلا أن القوى التى تجمعت ضدها كانت أكبر من أن تواجهها :

أولا : بالنسبة للقصر .. بدلا من أن يؤدي قيام هذه الوزارة واتباعها طريق التطهير الى اضعاف قوة جماعة « الموظفين غير المسؤولين » أو تقلص نفوذها اذا بها تؤدي الى ضراوة هذه الجماعة دفعا عن نفسها وقد نجحت أخيرا فى هدفها بتصوير الموقف للملك على أن سير الوزارة فى « طريق التطهير » سيؤدي فى النهاية الى وصول يد التطهير الى بعض موظفى القصر ذاته .

ثانيا : فى نفس الوقت كانت الوزارة الهلالية تخسر معركتها خارج القصر فقد انكشفت الوزارة كوزارة معادية للدستور حين استصدرت من الملك قرارا بحل مجلس النواب فى ٢٤ مارس ١٩٥٢ تمهيدا لانتخابات مجلس جديد فى ١٨ مايو (٢١) . ثم بتأجيل الانتخابات الى أجل غير مسمى ، أملا فى تأليف حزب جديد يجمع الأخيار من كافة الأحزاب . فى نفس الوقت فان محاولة الرجل الاستعانة ببعض زعماء أحزاب الاقلية فى وزارته (٢٢) قد حول شكل وزارته أمام الشعب من وزارة للتطهير الى وزارة للانتقام . وان هذا الانتقام يستهدف أساسا الوفد .

ثالثا : صاحب هذا الفشل فى داخل القصر وخارجه أن أغلقت تماما كافة المسالك التى أرادت الوزارة الهلالية اجتيازها نحو التطهير ذلك انه

(١٩) الوثائق المصرية العدد ٤٥ لسنة ١٩٥٢ .
(٢٠) موسى صبرى : المصدر السابق ص ١٠٩ .
(٢١) عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ص ١٤٤ .
(٢٢) موسى صبرى : المصدر السابق ص ١١٠ .

بعد أن تألفت لجانه اذا بأوراق خطيرة تختفى من الملفات الحكومية . واذا بالموظفين العاملين بالخبايا والأسرار يراوغون ويحاورون . وشكا الوزراء . وشكا رؤساء لجان التطهير (٢٣) وكان واضحا أن الوزارة قد اختارت طريقا مسدودا .

وتحدث الناس عن صفقة مالية ، دفعها عبود باشا للتخلص من وزارة الهلالى (٢٤) .

ولا شك أن استقالة الوزارة الهلالية في ٢٨ يونية ١٩٥٢ كانت نصرا حاسما لتلك الجماعة الى الحد الذى دعا رئيس الديوان الملكى (حافظ عفيفى) الى تقديم استقالته مع استقالة الوزارة لولا أن الملك رفضها خوفا من أن يؤدي قبولها الى تأكيد ما تردد من اشاعات .

٦٨ — وزارة حسين سرى باشا الخامسة ٢ — ٢٢ يوليو ١٩٥٢ :

ادى رفض استقالة « حافظ عفيفى » من رئاسة الديوان الى استمرار حدة الصراع بين جناحى القصر .

تصور معسكر « الموظفين غير المسؤولين » أن النصر الذى أحرزه بالتخلص من وزارة الهلالى لابد أن يترجم الى عالم الواقع . وكانت الوسيلة الى ذلك تأليف وزارة لا تسلك طريق التطهير من جانب ويمثل فيها هذا المعسكر من جانب . ووجد هذا المعسكر ضالته في « حسين سرى باشا » الذى قبل كل شروطه .

ولكن كانت « جماعة المسؤولين بالديوان » على الطرف الآخر لا تزال تصارع وتحاول بث العقبات في طريق بلوغ الجماعة الأخرى لاهدافها .

وبين يوم الثلاثاء ٢٨ يونية حين قدم الهلالى استقالته ، وحتى يوم السبت ٢ يولية كادت « جماعة المسؤولين في الديوان » تفلح في مساعيها بتقديم بديل لحسين سرى هو « بهى الدين بركات باشا » تصحبه سمعته الطيبة ، وقد فاته رئيس الديوان وشرع الرجل في تأليف وزارته فعلا وفجأة وللمرة الثانية ينجح الجناح المناوىء في أن يفرض رجله « حسين سرى » .

وتكونت الوزارة السرية الخامسة والأخيرة على النحو الآتى :

- | | |
|----------------------|-------------------------------|
| ● حسين سرى باشا | رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية |
| ● محمد هاشم باشا | والحربية والبحرية |
| ● محمد على راتب باشا | وزيرا للداخلية |
| | وزيرا للشئون البلدية والقروية |

(٢٣) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٥٦٩ — ٥٧٠ .
(٢٤) محمد حسين هيك : المصدر السابق ص ٣٧١ جزء ٢ .

وزير الأشغال العمومية والمالية
 والاقتصاد
 وزير المعارف العمومية
 وزير دولة
 وزير المواصلات
 وزير للشئون الاجتماعية
 وزير الزراعة
 وزير التموين
 وزير التجارة والصناعة
 وزير للصحة العمومية
 وزير العدل
 وزير للأوقاف (٢٥)

• نجيب إبراهيم باشا
 • محمد سامى مازن بك
 • كريم ثابت باشا
 • الدكتور سيد عبد الواحد بك
 • الدكتور أحمد زكى بك
 • الدكتور محمد على الكيلانى بك
 • حسين كامل الغمراوى بك
 • الدكتور عبد المعطى خيال بك
 • الدكتور محمود صلاح الدين بك
 • على بدوى بك
 • الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى

يعلق « طارق البشرى » على هذا التشكيل فيرى ان الوزارة قد
 « ضمت عددا من كبار رجال الثقاتون من المحامين والقضاة ومن رجال
 فنيين لم يشتغل معظمهم من قبل بالسياسة . ولكن لم يلفت الانظار من
 أسماء الوزراء الا اسم كريم ثابت ، الذى غطى تعيينه وزيرا ، على كل
 شيء باعتباره من حاشية الملك ولما يحوط اسمه وشخصيته لدى الجماهير
 من مشاعر غير كريهة (٢٦) .

واذا كان « على ماهر » رجل التحرير و « أحمد نجيب الهلالي » رجل
 التطهير فقد أثر سري باشا ان يختار بدوره طريقا آخر هو طريق الاصلاح
 الاقتصادى والذى حظى بالجانب الأهم من جواب قبوله لتأليف الوزارة .

فقد جاء في هذا الجواب : ولما كانت البلاد تواجه حالة اقتصادية
 خطيرة ، فان الوزارة ستبادر الى اتخاذ كل ما يقتضيه الموقف من تدابير
 عاجلة حاسمة .

وتعتزم الوزارة في جد وحزم ان تولى شئون التموين اكبر قسط من
 عنايتها ، حتى يتحقق ما تريدونه جلالكم لشعبكم الوفى من تيسير سبل
 المعيشة .

« ويكون للمشروعات العمرانية الاصلاحية ، والتوسع في الانتاج
 الزراعى والصناعى ، حظ موفور من اهتمام الحكومة ورعايتها ، لما
 لها من صلة وثيقة باقتصاديات البلاد ، وسعادة الشعب ورفاهيته (٢٧) » .

(٢٥) الوقائع المصرية : العدد ٩٩ لسنة ١٩٥٢ .
 (٢٦) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٥٧٨ .
 (٢٧) الوقائع المصرية — العدد ٩٩ لسنة ١٩٥٢ .

وكان اصطناع مثل هذا الطريق غير مقنع بدرجة كافية للرأى العام المصرى ، ولعل ذلك ما دعا السيدة « ماطمة اليوسف » الى أن توجه الى رئيس الوزراء الجديد خطابا مفتوحا بعنوان « من أنت ! » تكلمت فيه عن كونه رجلا غامضا ليس له موقف واضح (٢٨) والواقع أن كثيرا من تصرفات تلك الأيام قد بدت وكأن لا تفسير لها . . اللهم الا اذا كانت من قبيل مقدمات الاحتضار !



لم تعمر الوزارة السرية الأخيرة أكثر من عشرين يوما تفجرت خلالها أزمة الجيش بحل مجلس إدارة نادى الضباط الذى كان قد تم انتخابه برئاسة محمد نجيب تحديا لارادة القصر ، وكان هذا التصرف بمثابة إشارة البدء لثورة ٢٣ يولية .

وقد عاشت الوزارة رقم (٦٨) من الوزارات المصرية أغلب أيامها العشرين تواجه هذه المشكلة . وبينما يحاول رئيس الوزراء ووزير داخلية تهدئة حدتها كانت تصرفات القصر ، أو ممثليه ، أو القائد العام للجيش « حيدر باشا » تراكم من أسباب حدة المشكلة .

وقد جاءت محاولات التهدئة من جانب الهلالى عندما عرض تعيين « عزيز المصرى » وزيرا للحربية ، ولكن استبعد اسمه لأن صحته لا تحتل جهد المنصب . فعرض تعيين « محمد نجيب » فى المنصب فرفض الملك ذلك وأخذ فى اعداد حركة سريعة للتخلص من العناصر المعادية له فى الجيش .

وما أن تولى حسين سرى الوزارة حتى ووجه بمذكرة بعثها اليه الملك تتضمن انذارا لمحمد حيدر القائد العام بأنه يعتبر مفصولا اذا لم يعمل خلال خمسة أيام على حل مجلس نادى الضباط ونقل أعضائه ، وسارع حيدر لتنفيذ الأمر الذى أثار الضباط وأدى الى تقديم « محمد نجيب » لاستقالته وحاول رئيس الوزراء انقاذ الموقف بأن طلب من الملك تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية (٢٩) . . ورفض القصر مطلب سرى باشا مما دعاه الى تقديم استقالته فى ٢٠ يولية ١٩٥٢ .

وبالرغم من المحاولات التى بذلت من جانب الملك وحاشيته لاثناء حسين سرى عن استقالته ، فإنه قد صمم عليها مما دفع الملك فاروق أخيرا الى قبول هذه الاستقالة بلهجة جافة سجلها الأمر الملكى « لقد كنا نود أن تعملوا على تذليل الصعاب التى من أجلها قدرتم عدم امكانكم الاستمرار فى مهمتكم ، فتحققون بذلك ما عقد عليكم من أمل عندما حملتم أمانة الحكم ، الا أنكم أثرتم أن تتخلوا عن هذه المهمة فى الظروف الدقيقة التى تواجهها البلاد ، والتى أخذ يتزايد فيها الشعور بثقل التبعات ، ولم يعد يسعنا الى أن نجيبكم الى ملتئمكم » (٣٠) .

(٢٨) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٥٧٨ .

(٢٩) موسى صبرى : المصدر السابق ص ١٨٩ .

(٣٠) الوقائع المصرية - العدد ١٠٧ لسنة ١٩٥٢ .

أدت بوادر حركة الجيش من ناحية واستقالة وزارة حسين سرى من من ناحية أخرى الى حبوط كامل لمساعي جماعة « الموظفين غير المسؤولين » الذين آثروا السلامة في تلك الظروف .

ورأت « جماعة المسؤولين في الديوان » ان عودة الهلالي بسبعته في التطهير مع ما قد تحققه من تهدئة الضباط والخروج من الورطة التي أخذ يواجهها النظام ، بل العهد كله ، سوف تحقق هدفا آخر بتوجيه ضربة نهائية للحاشية غير المسئولة .

وتتضح هذه الحقيقة من شروط الهلالي بقبول الوزارة والتي تمثلت في :

- ١ — اخراج كريم ثابت من الاذاعة .
- ٢ — أن يكون حافظ عفيفى هو الرسول الوحيد بين الوزارة والقصر .
- ٣ — أن يختار الهلالي وزراءه كما يشاء دون تدخل .
- ٤ — ابعاد العناصر الفاسدة من رجال الحاشية .
- ٥ — الغاء الأحكام العرفية على أن تقرر الوزارة الجديدة موعد الانتخابات بدون تدخل القصر (٣١) .

وفي الظروف التي واجهها الملك لم يكن أمامه سوى قبول كل هذه الشروط التي تألفت بمقتضاها الوزارة الهلالية الثانية على النحو الآتي :

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------|
| ● أحمد نجيب الهلالي باشا | رئيسا للوزراء |
| ● طه محمد عبد الوهاب السباعي باشا | وزيرا للتموين |
| ● محمد كامل مرسى باشا | وزيرا للمعدل |
| ● محمد المفتى الجزايرلى باشا | وزيرا للأوقاف |
| ● محمد عبد الخلق حسونه باشا | وزيرا للخارجية |
| ● الدكتور محمد زكى عبد المتعال باشا | وزيرا للمالية والاقتصاد |
| ● أحمد مرتضى المراغى باشا | وزيرا للداخلية |
| ● محمد رفعت باشا | وزيرا للمعارف العمومية |
| ● محمد فريد زعلوك باشا | وزيرا للتجارة والصناعة |

- طراف على باشا
- راضى أبو سيف راضى باشا
- اسماعيل شيرين بك
- حسن كامل الشيشينى باشا
- يوسف سعد بك
- مريت غالى بك
- الدكتور سيد شكرى بك
- وزيراً للمواصلات
- وزيراً للشئون الاجتماعية
- وزيراً للحربية والبحرية
- وزيراً للزراعة
- وزيراً للاشغال العمومية
- وزيراً للشئون البلدية والقروية
- وزيراً للصحة العمومية (٣٢)

والملاحظ في تشكيل الوزارة الهلالية الثانية انها قد تألفت أساساً من نفس أعضاء وزارته الأولى فيما عدا بعض استثناءات قليلة .

من هذه الاستثناءات ما استهدف ادخال بعض الوزراء أصحاب السمعة الاصلاحية مثل « مريت غالى بك » وهو من أوائل المصريين الذين قدموا برنامجاً محدداً للإصلاح الزراعى في كتابه المشهور (سياسة الغد) .

منها أيضاً ضم اسماعيل شيرين بك وزيراً للحربية وكان القائم مقام شيرين بك يعمل ضابط اتصال برئاسة مجلس الوزراء ، وكان مندوباً لمصر في مفاوضات رودس لعقد الهدنة ١٩٤٩ وجاء ترشيحه للوزارة من جانب حافظ عفيفى ، ولم يكن بناء على رغبة من الملك فاروق ، فقد رأت جماعة المسئولين في الديوان في ضم شيرين بك الى صفوفها ما يدعم مركزها (٣٣) .

من عهد الى عهد

ولكن المسألة هذه المرة كانت أكبر من مجرد صراعات بين أجنحة القصر وأكبر من تنازع الأحزاب التقليدية وغير التقليدية على الحكم وأكبر من أن تتدخل فيها سلطات الاحتلال ، وهى القوى الثلاث التى ظلت تؤثر في اختيار الوزارات المصرية طوال الحقبة التى يؤرخ لها .

فلم تكد تمضى ثمانى عشرة ساعة على تشكيل الوزارة ، حتى كانت الثورة قد قامت فعلاً في القاهرة ، واستولت على محطة الاذاعة وبدأت في الساعة السابعة صباحاً ، تذيع بياناتها منها .

وحوالى الظهر توجه الهلالي الى قصر المنتزه حيث شرح للملك ما حدث منذ الساعة العاشرة والنصف من مساء اليوم السابق ، وأنه (أى الهلالي) اتصل باللواء محمد نجيب في مركز القيادة وفهم منه ان الثورة تفضل وزارة يرضى عنها الجميع وان الاختيار متجه الى على ماهر .

وفي ٢٤ يوليو تألفت الوزارة الماهرة الرابعة على النحو الآتى :

(٣٢) الوقائع المصرية — العدد ١٠٨ لسنة ١٩٥٢ .

(٣٣) أفكار حسن يوسف — المصدر السابق .

مرسوم بتأليف الوزارة (رقم ٧٠)

نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان
بعد الاطلاع على المادة ٤٩ من الدستور ،
وعلى الامر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ ،
وعلى امرنا رقم ٥٩ الصادر في ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ،
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ،
رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - عين :

- على ماهر باشا
- وزير الداخلية والخارجية والحربية والبحرية
- الدكتور ابراهيم شوقي باشا
- وزير الصحة العمومية
- ابراهيم عبد الوهاب بك
- وزير التجارة والصناعة والتموين
- الاستاذ سعد اللبان
- وزير المعارف العمومية
- محمد على رشدي بك
- وزير العدل
- عبد الجليل ابراهيم العمري بك
- وزير المالية والاقتصاد
- الفونس جريس بك
- وزير الزراعة
- الدكتور محمد زهير جرانه بك
- وزير الشؤون الاجتماعية والمواصلات
- محمد كامل نبيه باشا
- وزير الاشغال العمومية
- فؤاد شيرين باشا .
- وزير الاوقاف
- عبد العزيز عبد الله سالم بك
- وزير الشؤون البلدية والقروية

مادة ٢ -

على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ هذا المرسوم
صدر بقصر المنزه في ٢ ذى القعدة ١٣٧١ (٢٤ يوليو ١٩٥٢) (٣٤) .

فاروق
بأمر حضرة صاحب الجلالة
رئيس مجلس الوزراء
على ماهر

رئيس مجلس الوزراء

على ماهر

وفي يوم الجمعة ٢٥ يوليو انتقل القائد العام وفريق من قادة الثورة الى الاسكندرية ، وزحفت اليها قوة من الجيش تمهيدا لاملأ ارادة الثورة بعزل الملك .

وفي الساعة التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ، سلم القائد العام الى ماهر باشا انذارا للملك فاروق بالتنازل عن العرش . وفي السادسة من مساء ذلك اليوم غادرت المحروسة ميناء الاسكندرية تقل الملك السابق .

ونادى مجلس الوزراء في نفس اليوم بالامير « أحمد فؤاد » ملكا ، وأعلن المجلس أنه سيباشر سلطات الملك الدستورية الى أن يسلمها الى مجلس الوصاية .

وفي ٢ أغسطس قرر مجلس الوزراء ، تأليف هيئة الوصاية المؤقتة على العرش (٣٥) وتعديلت الوزارة في ٦ سبتمبر بقبول استقالة محمد كامل نبيه ، وعبد العزيز عبد الله سالم وتعيين خمسة وزراء جدد هم مريت غالى للشئون القروية ، ومحمود محمد محمود للمواصلات ومراد فهمى للاشغال العمومية والدكتور ابراهيم بيومى مذكور للانشاء والتعمير والدكتور نور الدين طراف للشئون البلدية .

ولم يكذ يحدث هذا التعديل حتى استقالت الوزارة كلها في اليوم التالي (٧ سبتمبر) ويبدو أن الثورة رأت أن على ماهر قد أبطأ في اصدار قانون تحديد الملكية الزراعية ، وهو أول مشروع اصلاحى تقدمت به ، فلم تر الثورة بدا من تنحيته ، تحقيقا لأهدافها ومشروعاتها .

واسندت رئاسة مجلس الوزراء الى اللواء محمد نجيب ، وصدر بها المرسوم الاتى :

مرسوم بتأليف الوزارة (رقم ٧١)

باسم حضرة صاحب الجلالة ملك مصر والسودان
هيئة الوصاية المؤقتة

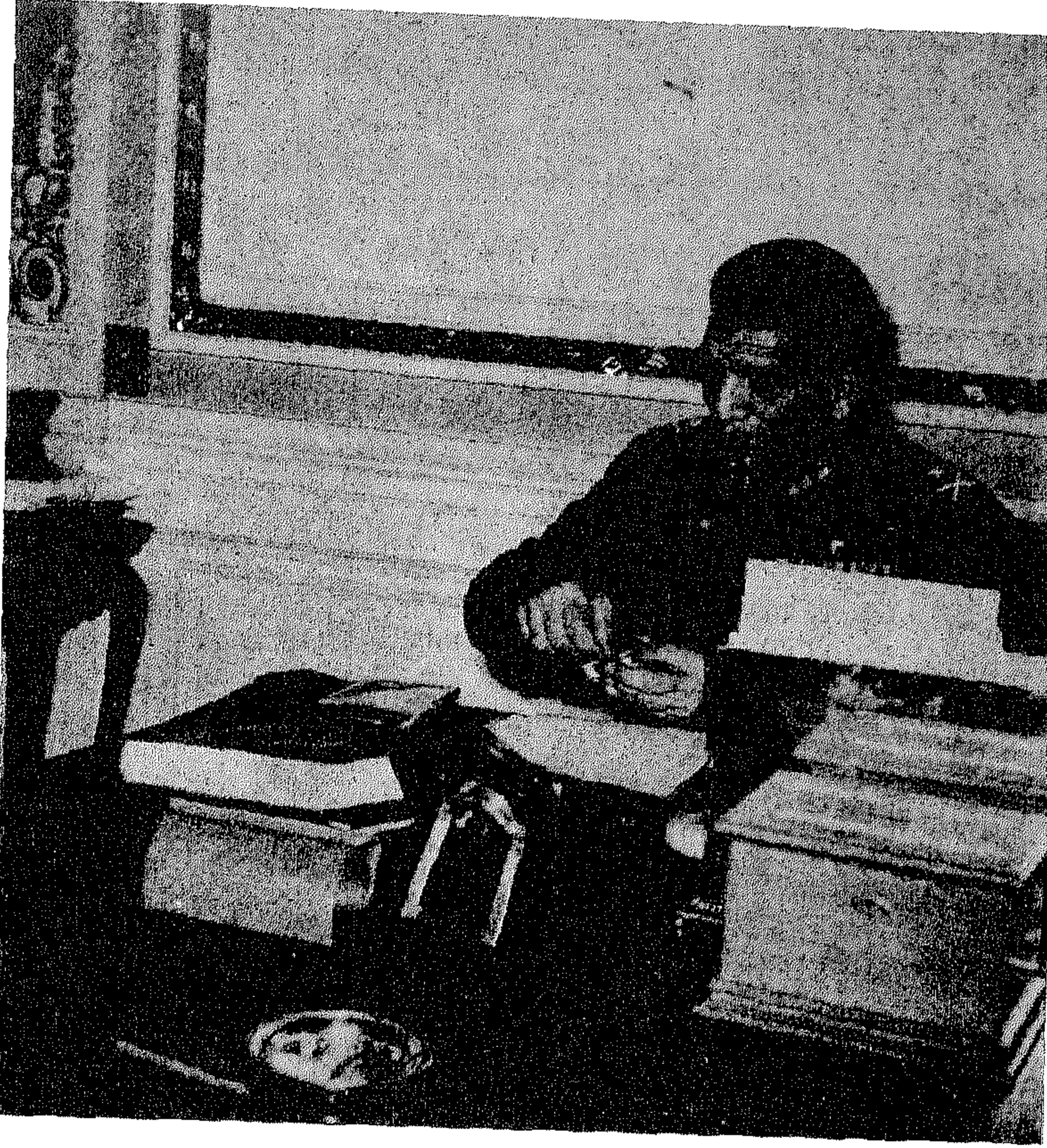
بعد الاطلاع على المادة ٤٩ من الدستور ،

وعلى الأمر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ (*) :

وعلى الأمر الملكى رقم ١٠ الصادر في ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ،

وبناء على ماعرضه رئيس مجلس الوزراء

(٣٥) الوقائع المصرية العدد ١١٩ لسنة ١٩٥٢ .
(*) وتلك هي المرة الاخيرة التى يشار فيها الى هذا الأمر في مراسيم تشكيل الوزارات المصرية .



اللواء (أ. ح) محمد نجيب

ولد في ٢٠ فبراير سنة ١٩٠١ بالخرطوم .

التحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة سنة ١٩١٧ وبعد تخرجه
عين بالخرطوم وفي سنة ١٩٢٢ نقل الى الحرس الملكي
بالقاهرة .

حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٧ .

تدرج في الرتب العسكرية حتى رتبة الاميرالاي سنة ١٩٤٨
اشترك في حملة فلسطين ورقى الى رتبة اللواء سنة ١٩٥٠ .

عين مديرا لسلاح الحدود سنة ١٩٥٠ ثم لسلاح المشاة .

كان رئيسا لحركة الجيش في يوليو ١٩٥٢ وعين قائدا عاما
للقوات المسلحة وتولى رئاسة الوزارة في ٧ سبتمبر ١٩٥٢ .

رسمت بما هو آت :

مادة ١ - عين :

- اللواء أركان الحرب محمد نجيب
- السيد المحترم سليمان حافظ
- السيد المحترم عبد الجليل ابراهيم العمرى
- السيد المحترم عبد العزيز عبد الله سالم
- السيد المحترم مراد فهمى
- السيد المحترم الدكتور نور الدين طراف
- السيد المحترم أحمد حسنى
- السيد المحترم اسماعيل محمود القبانى
- السيد المحترم حسين أبو زيد
- السيد المحترم أحمد محمد فراج طايح
- السيد المحترم عبد العزيز على
- السيد المحترم الشيخ أحمد حسن الباقورى
- السيد المحترم محمد فؤاد جلال
- السيد المحترم الدكتور محمد صبرى منصور
- السيد المحترم فريد أنطون
- السيد المحترم فتحى رضوان
- وزيراً للحربية والبحرية مع احتفاظه بالقيادة العامة للقوات المسلحة
- نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
- وزيراً للمالية والاقتصاد
- وزيراً للزراعة
- وزيراً للاشغال العمومية
- وزيراً للصحة العمومية
- وزيراً للعدل
- وزيراً للمعارف العمومية
- وزيراً للمواصلات
- وزيراً للخارجية
- وزيراً للشئون البلدية والقروية
- وزيراً للاوقاف
- وزيراً للشئون الاجتماعية
- وزيراً للتجارة والصناعة
- وزيراً للتموين
- وزير دولة

مادة ٢ :

على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ هذا المرسوم
صدر بقصر عابدين فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٧١ (٧ سبتمبر ١٩٥٢) (٣٦)

محمد عبد المنعم
محمد بهى الدين بركات
محمد رشاد مهنا
بأمر هيئة الوصاية المؤقتة
رئيس مجلس الوزراء
محمد نجيب

رئيس الوزراء
محمد نجيب

وكان أول عمل لهذه الوزارة هو اصدار قانون الاصلاح الزراعى وهو القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ وقانون تنظيم الاحزاب السياسية (رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢) وقد صدر فى ٩ سبتمبر .

وفى ١٤ اكتوبر انشئت وزارة للقصر وندب وزير العدل للقيام بأعمالها وفى ١٠ نوفمبر انشئت وزارة للارشاد القومى .

وتعدلت الوزارة فى ٩ ديسمبر على النحو الآتى :

مادة ١ — قبلت استقالة :

- حضرة عبد العزيز عبد الله سالم وزير الزراعة
- حضرة أحمد محمد فراج طايح وزير الخارجية
- حضرة عبد العزيز على وزير الشئون البلدية والقروية
- حضرة فريد أنطون وزير التموين

مادة ٢ — عين :

- حضرة محمد فؤاد جلال وزير الشئون الاجتماعية ، وزير الارشاد القومى
- حضرة الدكتور محمد صبرى منصور وزير التجارة والصناعة ، وزير للتموين
- حضرة فتحى رضوان وزير الارشاد القومى ، وزير دولة
- حضرة الدكتور محمود فوزى وزيراً للخارجية
- حضرة الدكتور حلمى بهجت بدوى وزيراً للتجارة والصناعة
- حضرة الدكتور وليم سليم حنا وزيراً للشئون البلدية والقروية
- حضرة الدكتور عباس مصطفى عمار وزيراً للشئون الاجتماعية
- حضرة الدكتور عبد الرزاق صدقى وزيراً للزراعة (٣٧)

وأعلن القائد العام للقوات المسلحة ، بصفتة رئيس حركة الجيش ، فى ١٠ ديسمبر باسم الشعب ، سقوط دستور ١٩٢٣

وفى ١٨ يناير ١٩٥٣ صدر مرسوم بقانون بحل الاحزاب السياسية ومصادرة أموالها .

وفى ١٨ يونيو من تلك السنة ، صدر اعلان دستورى من مجلس قيادة الثورة بالغاء النظام الملكى وسقوط أسرة محمد على ، واعلان الجمهورية ، وبذلك انتقلت مصر من عهد الى عهد .

(٣٧) الوثائق المصرية العدد ١٥٨ لسنة ١٩٥٢ .

ثبت المصادر

أولا : وثائق غير منشورة

١ - وثائق وزارة الخارجية البريطانية
Foreign Office مصورة من دار الوثائق العامة بلندن
Public Record Office وقد تم الاستعانة من هذه الوثائق بالمطبوعات السرية
Confidential Prints التي تضمها مجلدات تحت عنوان
Further Correspondence respecting The Affairs of Egypt and the Sudan

وفيما يلي أرقام وتواريخ هذه المجلدات التي تم استخدام وثائقها :

No.	Date
F.O. 407/175	1910
F.O. 407/178	Jan. — June 1912
F.O. 407/180	Jan. — June 1913
F.O. 407/181	July — Dec. 1913
F.O. 407/182	Jan. — Aug. 1914
F.O. 407/183	Aug. 1914 — Dec. 1918
F.O. 407/184	Jan. — June 1919
F.O. 407/186	Jan. — June 1920
F.O. 407/188	Jan. — March 1921
F.O. 407/189	Apr. — June 1921
F.O. 407/190	July — Sept. 1921
F.O. 407/194	July — Sept. 1922
F.O. 407/195	Oct. — Dec. 1922
F.O. 407/196	Jan. — June 1923
F.O. 407/197	July — Dec. 1923
F.O. 407/199	Jan. — June 1924
F.O. 407/198	July — Dec. 1924
F.O. 407/200	Jan. — June 1925
F.O. 407/201	July — Dec. 1925
F.O. 407/202	Jan. — June 1926
F.O. 407/203	July — Dec. 1926
F.O. 407/204	Jan. — June 1927
F.O. 407/205	July — Dec. 1927
F.O. 407/206	Jan. — June 1928

No.	Date
F.O. 407/207	July — Dec. 1928
F.O. 407/209	July — Dec. 1929
F.O. 407/210	Jan. — June 1930
F.O. 407/216	July — Dec. 1932
F.O. 407/217 (I)	Jan. — June 1933
F.O. 407/217 (II)	July — Dec. 1933
F.O. 407/217 (III)	Jan. — June 1934
F.O. 407/217 (IV)	July — Dec. 1934
F.O. 407/218 (II)	July — Dec. 1935
F.O. 407/219 (I)	Jan. — June 1936
F.O. 407/219 (II)	July — Dec. 1936
F.O. 407/221 (I)	Jan. — June 1937
F.O. 407/221 (II)	July — Dec. 1937
F.O. 407/222 (I)	Jan. — June 1938
F.O. 407/222 (II)	July — Dec. 1938
F.O. 407/223 (I)	Jan. — June 1939
F.O. 407/223 (II)	July — Dec. 1939
F.O. 407/224	Jan. — Dec. 1940
F.O. 407/225	Jan. — Dec. 1941

F.O. تمت الاستعانة أيضا من وثائق وزارة الخارجية البريطانية
بالتقارير الأسبوعية التي بدأ اللورد كيلرن يكتبها الى لندن منذ ديسمبر ١٩٤٢
وحتى آخر ما سمح بتصويره عام ١٩٤٥ تحت عنوان
Weekly Political and Economic Reports

وقد استخدمت التقارير رقم ٩٤ و ٩٦ و ٩٧ و ١١٦ و ١١٧ منها

أخيرا فقد تم استخدام التقارير السرية السنوية التي كانت ترسلها
السفارة البريطانية عن أحوال مصر أيضا في الفترة بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥
وكانت تحت عنوان
Review of Political Developments in Egypt of the Year (1940 -
1945)

٢ — مفكرات غير منشورة للاستاذ حسن يوسف عن الفترة التي قضاها
بالقصر الملكي (١٩٤٢ — ١٩٥٢) .

ثانيا : وثائق منشورة

١ — الكتب الزرقاء Blue Books الانجليزية وقد تمت الاستعانة
منها بالكتب الآتية :

Egypt No. 2 (1879)
Egypt No. 5 (1879)
Egypt No. 1 (1880)
Egypt No. 3 (1882)
Egypt No. 7 (1882)
Egypt No. 8 (1882)
Egypt No. 17 (1882)
Egypt No. 18 (1882)
Egypt No. 1 (1884)

٢ — التقارير السنوية التى كان يعدها المعتمد البريطانى فى القاهرة
تحت عنوان :

Report by His Agent and Consul General on the Finances, Administration and Conditions of Egypt and the Sudan.

وقد تم استخدام تقارير السنوات من ١٩٠٦ حتى ١٩١٣ .

٣ — الكتب الصفراء الفرنسية : Livres Jaunes 1882 - 1884.

٤ — رئاسة مجلس الوزراء :

السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣ القاهرة ١٩٥٣ .

٥ — مجموعة محاضر مجلس شورى القوانين :

دور انعقاد ١٩٠٩ — ١٩١٠ .

٦ — الجمعية التشريعية :

مجموعة محاضر دور الانعقاد الاول ١٩١٣ — ١٩١٤ القاهرة ١٩١٤ .

٧ — مجلس النواب :

مجموعة محاضر دور الانعقاد الاول ١٩٢٤ .

٨ — مذكرات عرابى :

كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

٩ — مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى — المصرى مايو ١٩٥١ .

- ١٠ - الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير - الأهرام مايو ١٩٧٣ .
- ١١ - وزارة الثقافة (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر) :
- النظارات والوزارات المصرية - جمع وترتيب فؤاد كرم القاهرة ١٩٦٩ .
- ١٢ - اليد القوية - خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا منذ أسندت اليه رئاسة مجلس الوزراء - الاسكندرية ١٩٢٩ .

ثالثا : مذكرات شخصية

- ١ - أحمد شفيق - مذكراتى فى نصف قرن - الجزء الثانى - القسم الثانى - القاهرة ١٩٣٦ .
- ٢ - اسماعيل صدقى - مذكراتى - القاهرة ١٩٥٠ .
- ٣ - صليب سامى - ذكريات سياسية - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٤ - فخر الدين أحمد الظواهري (دكتور) - السياسة والأزهر - من مذكرات شيخ الإسلام الظواهري - القاهرة ١٩٤٥ .
- ٥ - محمد حسين هيكل - مذكرات فى السياسة المصرية - (جزءان) الأول - القاهرة ١٩٥١ - الثانى - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٦ - محمد على علوبه - مبادئ فى السياسة المصرية - القاهرة ١٩٤٢

رابعا : دوريات

- ١ - الوقائع المصرية - ١٨٧٩ الى ١٩٥٣ .
- ٢ - الأهرام - ١٨٩٣ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ .
- ٣ - المقطم - ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ .
- ٤ - اللواء - ١٩٠٧ .
- ٥ - الجريدة - ١٩٠٧ .
- ٦ - القطر المصرى - ١٩٠٨ .
- ٧ - السياسة - ١٩٢٥ .

٨ — البلاغ — ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٤٥ .

٩ — المصرى — ١٩٣٧ .

١٠ — الجهاد — ١٩٣٧ .

١١ — اخبار اليوم — ١٩٤٤ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥١ .

١٢ — آخر ساعة — ١٩٤٦ .

خامسا : مصادر متنوعة

اجنبية

- 1 — Baer, Gabriel
A History of Big Landownership in Modern Egypt 1800 - 1950.
Oxford, 1962
- 2 — Blunt, W.S.
Secret History of the English Occupation of Egypt.
London, 1907
- 3 — Colombe, Marcel
L'Evolution de l'Egypte (1924 - 1950)
Paris, 1951
- 4 — Cromer, The Earl of
Modern Egypt
London 1908 (2 Vols)
Second Edition London 1911
- 5 — Cromer, The Earl of
Abbas II
London 1915
- 6 — Deny, G.
Sommaire des Archives Turques du Caire, Publications
Spéciales de la Société R. de Géographie.
Le Caire, 1930
- 7 — Dicey, Edward
The Story of the Khedivate.
London, 1902

- 8 — Evans, Trefor (Edited by)
Lord Killearn Diaries 1934 - 1946.
London, 1972

- 9 — Goldschmidt, Arthur
The Egyptian Nationalist Party 1882 - 1919.

- 10 — Gooch, I.P.
A History of Modern Europe 1878 - 1919.
London, 1929

- 11 — Hamont, Pierre N.
L'Egypte sous Mehemet Ali 2 Vols.
Paris, 1843

- 12 — Issawi, Charles
Egypt at Mid-Century
London, 1954

- 13 — Lloyd, Lord
Egypt since Cromer (2 Vols.)
London, 1933

- 14 — Lutfi Al-Sayyid Afaf
Egypt and Cromer.
London, 1968

- 15 — Malet, Sir Edward
Egypt 1879 — 1883.
London, 1909

- 16 — Milner, Alfred
England in Egypt.
London, 1893

- 17 — Safran, Nadav
Egypt — in search of Political Community.
Harvard, 1961

- 18 — Wavell, Viscount
Allenby in Egypt.
London, 1943

19 — Zetland, The Marques of
The Life of Lord Cromer.

London, 1932

20 — Ziadeh, Farahat
Lawyers — The Rule of Law of Liberalism in Modern
Egypt.

Stanford 1968

21 — Vatikiotis, P.J.
The Modern History of Egypt.

عربية

١ — ابراهيم امين غالى — مقتل السردار والمؤامرة البريطانية فى السودان
مجلة السياسة الدولية — العدد ٢٣ يوليو ١٩٧٣ .

٢ — احمد امين — زعماء الاصلاح — القاهرة ١٩٤٨ .

٣ — احمد بهاء الدين — فاروق ملكا — القاهرة ١٩٥٢ .

٤ — احمد شفيق — حوليات مصر السياسية — تمهيد — القاهرة ١٩٢٧

الحولية الاولى ١٩٢٤ — القاهرة ١٩٢٨

الحولية الثانية ١٩٢٥ — القاهرة ١٩٢٨

الحولية الثالثة ١٩٢٦ — القاهرة ١٩٢٩

الحولية الرابعة ١٩٢٧ — القاهرة ١٩٢٨

الحولية الخامسة ١٩٢٨ — القاهرة ١٩٣٠

٥ — احمد عبد الرحم مصطفى (دكتور) — مصر والمسألة المصرية —
القاهرة ١٩٦٥ .

٦ — احمد عزت عبد الكريم (دكتور) — تاريخ التعليم فى مصر من نهاية
حكم محمد على الى اوائل حكم توفيق ١٨٤٨ — ١٨٨٢ — القاهرة

٧ — احمد فتحى زغلول — المحاماة — القاهرة ١٩٠٠ .

٨ — احمد بك قمحه ، عبد الفتاح بك السيد — نظام القضاء والادارة —
الطبعة الثالثة — القاهرة ١٩٢٥ .

- ٩ — **البرت شقير** — الدستور المصرى والحكم النيابى فى مصر وتاريخ ذلك من ١٨٦٦ حتى الآن — القاهرة ١٩٢٤ .
- ١٠ — **أمين سامى** — تقويم النيل — المجلد الثانى — الجزء الثالث — القاهرة
- ١١ — **جرجس حنين** — الاطيان والضرائب فى القطر المصرى القاهرة ١٩٠٤
- ١٢ — **جلال الدين الحمامسى** — معركة نزاهة الحكم — فبراير ١٩٤٢ — يوليو ١٩٤٤ — القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٣ — **جمال زكريا قاسم (دكتور)** — موقف مصر من الحرب الطرابلسية — المجلة التاريخية المصرية — المجلد ١٣ .
- ١٤ — **جورج جندى ، جاك تاجر** — اسماعيل كما تصوره الوثائق — القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٥ — **حسن الشريف** — الرجال اسرار — العدد التاسع من سلسلة كتاب اليوم .
- ١٦ — **روتشتين ، تيودور** — ترجمة عبد الحميد العبادى ، محمد بدران — تاريخ المسألة المصرية ١٩٧٥ — ١٩١٠ — القاهرة .
- ١٧ — **ريتشاردز ، دونالد** — الادارة القبطية فى عهد المماليك — أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة الجزء الاول — القاهرة ١٩٧٠ .
- ١٨ — **ريفلين ، هيلين آن** — (ترجمة دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى) — القضاء والادارة فى مصر — القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٩ — **سليم خليل نقاش** — مصر للمصريين — ٧ أجزاء — القاهرة .
- ٢٠ — **طارق البشرى** — الحركة السياسية فى مصر — ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — القاهرة .
- ٢١ — **عباس العقاد** — سعد زغلول — سيرة وتحية — القاهرة ١٩٣٦
- ٢٢ — **عبد الخالق محمد لاثين** — سعد زغلول — دوره فى السياسة المصرية حتى ١٩١٤ — القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٣ — **عبد الرحمن الرافعى** — عصر اسماعيل — جزءان — القاهرة — الثورة العربية والاحتلال الانجليزى — القاهرة ١٩٣٧ .
— ثورة ١٩١٩ — القاهرة ١٩٥٥ .
- فى أعقاب الثورة المصرية — ٣ أجزاء — القاهرة ١٩٥١ .
— مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — القاهرة .

- ٢٤ — **عبد العزيز رفاعى (دكتور)** — فجر الحياة النيابية في مصر الحديثة
القاهرة ١٩٦٤ .
- ٢٥ — **عبد العزيز الشناوى (دكتور)** — حادث جريدة البوسفور اجبسيان
— المجلة التاريخية المصرية مجلد ٩ ، ١٠ .
- ٢٦ — **عبد العظيم رمضان (دكتور)** — تطور الحركة الوطنية في مصر
١٩١٨ — ١٩٣٦ القاهرة ١٩٦٨ .
- تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٧ — ١٩٤٨ — جزءان بيروت
١٩٧٤ .
- ٢٧ — **عثمان خليل ، سليمان الطماوى** — القانون الدستورى القاهرة ١٩٥١
- ٢٨ — **فيليب جلاد** — قاموس الادارة والقضاء — ٦ أجزاء .
- ٢٩ — **مارسيل كولب** — (ترجمة زهير الشايب) — تطور مصر ١٩٢٤ —
١٩٥٠ . القاهرة ١٩٧٢ .
- ٣٠ — **محسن محمد** — تاريخ للبيع — كتاب اليوم يولية ١٩٧٢ .
- ٣١ — **محمد أمين عبده المحامى** — قضية الوردانى عام ١٩١٠ — مجلة
الشباب العدد ١٠ فى ٢٠/٤/١٩٣٦ .
- ٣٢ — **محمد أنيس (دكتور)** دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ — القاهرة ١٩٦٣
- ٣٣ — **محمد التابعى** — من أسرار الساسة والسياسة — كتاب الهلال —
فبراير ١٩٧٠ .
- ٣٤ — **محمد حسن الفريق** — القانون الدستورى المصرى وتطور نظام الدولة
الحديثة ابتداء من الفتح العثمانى (عام ١٥١٧ الى الوقت الحاضر)
القاهرة ١٩٢٤ .
- ٣٥ — **محمد خليل صبحى** — تاريخ الحياة النيابية فى مصر من عهد ساكن
الجان محمد على باشا — ٦ أجزاء — القاهرة ١٩٣٦ .
- ٣٦ — **محمد زكى عبد القادر** — محنة الدستور — القاهرة — طبعة ثانية
بيروت ١٩٧٣ .
- ٣٧ — **محمد سيد كيلانى** — السلطان حسين كامل — القاهرة ١٩٦٣
- ٣٨ — **محمد شفيق غربال** — تاريخ المفاوضات المصرية — البريطانية —
القاهرة ١٩٥٢ .

- ٣٩ — محمد فؤاد شكرى (دكتور) — وآخرون — بناء دولة مصر محمد على
القاهرة ١٩٤٨ .
- ٤٠ — محمد نجيب أبو الليل (دكتور) — الاحتلال البريطانى فى الصحف
الفرنسية — القاهرة ١٩٥٣ .
- الأمانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية —
القاهرة ١٩٥٣ .
- ٤١ — محمود عزمى — اسماعيل راغب باشا — مقال فى كتاب ٩٠ سنة
على الثورة العربية اعداد عايدة عز العرب موسى — القاهرة ١٩٧٢
- ٤٢ — مركز الوثائق والبحوث التاريخية (الأهرام) — ٥٠ عاما على ثورة
١٩١٩ — القاهرة ١٩٦٩ .
- ٤٣ — موسى صبرى — قصة ملك و٤ وزارات — القاهرة كتاب اليوم اكتوبر
١٩٧٣ .
- ٤٤ — ميخائيل ثساروبيم — الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث — ٤ اجزاء
القاهرة ١٩٠٠ .
- ٤٥ — يونان لبيب رزق (دكتور) — الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار
مجلة الهلال — سبتمبر ١٩٦٨ .
- قضية الحماية البريطانية على مصر — مجلة السياسة الدولية
العدد ٢٨ .
- اثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية فى مصر ١٩٠٩ — ١٩١٢
المجلة التاريخية المصرية — المجلد ١٠٤ .
- أصحاب القمصان الملونة فى مصر ٣٣ — ١٩٣٧ — المجلة التاريخية
المصرية — المجلد ٢١ .
- الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى — ١٨٨٢
— ١٩١٤ — القاهرة ١٩٧٠ .

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/١٦٧٥٢

I.S.B.N 977 - 01 - 6019 - 9

لعل الكتابة فى تاريخ المؤسسات المصرية، يتميز عن
الدراسات التى تمت فى الفروع الأخرى. أنه ليس دراسة
سياسية خالصة أو دراسة اجتماعية خالصة أو حتى دراسة
إدارية خالصة، فهو يجمع بين كل تلك الميادين، مما
يشكل لونا من الصعوبة فى تناوله غير أنه يوفر متعة
خاصة لكاتبه، وفى ذات الوقت لقارئه، بحكم ما يجمعه
من مزيج من كل تلك الميادين!

